يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد التاسع عشر وفيه كتابا آفات اللسان وذم الغضب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آفات اللسان

- بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت
- بيان ما يُرخَّص فيه من الكذب
- بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
- بيان معنى الغيبة وحدُّها
- بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان
- بيان الأسباب الباعثة على الغيبة
- بيان العلاج الذي به يُمنَع اللسان من الغيبة
- بيان تحريم الغيبة بالقلب
- بيان الأعذار المرخِّصة في الغيبة
- بيان كفَّارة الغيبة
- بيان حد النميمة وما يجب في ردِّها
- بيان ما على الممدوح

٢٤ - كتاب آفـات اللسـان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الله ناصر كل صابر.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي وفَّق قلوبَ أحبَّائه لموافقة مراسم الحق بإصابة البيان، وفتح بصائر أبصارهم فأبصروا حقيقة الحقائق بالمشاهدة والعيان، سبحانه من إله جعل اللسان من الإنسان معبرًا عمَّا يكنُّه باطنُ الجَنان، فهو بمنزلة الترجمان أو الأسير المطلق من قيود الهوان، بل الرئيس المطلق في حَلَبة الميدان، المرتَّب علىٰ شهادته غاية الطاعة والعصيان. أحمده حمدًا أستوجِبُ به الأمانَ، وأشكره شكرًا أستوجب به زيادةَ الإحسان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تقدِّس ذاتَه عن مقالات أولي الطغيان، وتمجِّده فيما أبرزه بحكمته من الأكوان، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله سيد ولد عدنان، وخلاصة الخلاصة من نوع الإنسان، المبعوث إلىٰ كافة الإنس والجان، المؤيَّد بالحُجة الباهرة وقواطع البرهان، من أعظمها القرآن الذي أعجز بلغاءَ كل عصر في كل زمان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه الأئمة الأعيان، ذوي الفصاحة والبيان والديانة والمتانة والإيقان والإتقان، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

أما بعد، فهذا شرح كتاب آفات اللسان، وهو الكتاب الرابع من الربع

الثالث الموسوم بالمهلكات من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي، قدَّس الله روحَه في الجِنان، ومتَّعه بالنعيم والحور والولدان، كشفتُ فيه عن مشكلات حقائقه، وجلوت عرائس التحقيق عن مخدَّرات دقائقه، وغُصتُ في بحار معارفه فأبرزت منها دُرَرًا، ورصَّعت عليها من نفائس الذخائر فأضحتْ كلُّها غُرَرًا، وحقَّقت ما خفيَ من محاويه، وبيَّنت ما غمضَ من مطاويه، وعزوت كل قول إلىٰ راويه، سالكًا مسلك الاختصار علىٰ الإمكان، سائلاً من الله الكريم اللطفَ والإحسان والإعانة لِما أنا بصدده، منتظرًا لِما يُفاض عليَّ من مواهب مدده، إنه نِعم المسئول وخير وليٍّ وخير مأمول.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ في مفتتح كتابه علىٰ عوائده: (**بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أحسن خلقَ الإنسان وعدَّله**) أي سوَّاه في صورته الحاصلة له بأن[١] ركَّبه من أعضاء مختلفة مثل اليد والرِّجل والعين واللسان والأنف والأذن، فهو تعالىٰ بخلق هذه الأعضاء محسن، وبوضعها في مواضعها الخاصة عدلٌ؛ لأنه وضع العين في أولىٰ المواضع بها من البدن؛ إذ لو خلقها علىٰ القفا أو علىٰ الرِّجل أو علىٰ اليد أو علىٰ قمة الرأس لم يَخْفَ ما يتطرَّق إليها من النقصان والتعرُّض للآفة، وكذلك خلق اليدين وعلَّقهما من المنكبين، ولو علَّقهما من الرأس أو من [الحقو أو من] الركبتين لم يَخْفَ ما يتولَّد منه من الخلل، وكذلك وضع جميع الحواس في الرأس، فإنها جواسيس لتكون مشرفة علىٰ جميع البدن، ولو وضعها علىٰ الرِّجل لاختلَّ نظامها قطعًا، وشرح ذلك في كل عضو يطول (**وألهمه نورَ الإيمان**) بأن أوقع قبولَ ذلك في قلبه بما انشرح به صدره واطمأنَّ (**فزيَّنه به وجمَّله**) أي فظهر أثرُ ذلك النور الذي في القلب علىٰ جوارحه الظاهرة فكان زينة وجمالاً (**وعلَّمه البيان**) وهو[٢] التعبير عمَّا في الضمير وإفهام الغير لِما أدركه لتلقِّي الوحي وتعرُّف

---

(١) المقصد الأسنىٰ للغزالي ص ١٠٦.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ١٧٠.

الحق وتعلُّم الشرع[١] (فقدَّمه به) علىٰ سائر خلقه (وفضَّله) حيث خلقه وخلق له ما يتميَّز به عن سائر الحيوان، فهذا وجه التقديم والتفضيل، وقد عدَّ الله ذلك نعمة فقال في كتابه العزيز: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤] والجُمَل الثلاث أخبار مترادفة، وإنما أخلاها عن العاطف لمجيئها علىٰ نهج التعديد[٢] (وأفاض علىٰ قلبه خزائن العلوم) أي العلوم المخزونة التي لا يُطَّلَع علىٰ أسرارها، ولمَّا جُعل القلب خزانة لِما يَرِدُ من عالَم الملكوت ناسب إفاضةَ تلك العلوم عليها (فأكمله) وكمال كل شيء بحسبه، فكمال الإنسان أن يكون قلبه معمورًا بمعرفة ربه، مستغرقًا في حبه، لا يتطرَّق إليه خيالٌ لسواه (ثم أرسل عليه سترًا من رحمته وأسبله) الإرسال والإسبال مترادفان بمعنىٰ الإرخاء، وهو كناية عن عموم رحمته تعالىٰ عليه، ولولا ذلك ما كان التفضيل والإكمال (ثم أمدَّه بلسان يترجم) أي يبيِّن ويوضِّح (به عمَّا حواه القلبُ) أي اشتمله (وعقَلَه) وفي بعض النسخ: وتقبَّلَه. وترجم كلامَ غيره: إذا عبَّر عنه بلغة غير لغة المتكلم[٣]. وإنما قال ذلك لأن الحاصل في القلب معانٍ معقولة، والذي يوضِّحه اللسان إنما هو تعبير بألفاظ تدل علىٰ تلك المعاني إما بالمطابقة أو بالتضمُّن (ويكشف عنه) أي عن القلب، والجملة معطوفة علىٰ قوله «يترجم» (ستره الذي أرسله) أي أسدله عليه (فأطلق بالحمد مِقْوَله) بالكسر اسم للسان باعتبار أنه آلة للقول، وإطلاقه: تمكينه من النطق به. وأراد[٤] بالحمد: اللغوي، وهو الوصف بفضيلة علىٰ جهة التعظيم، وهو باللسان فقط (وأفصحَ بالشكر عمَّا أَولاه وخوَّلَه) أي أعطاه، فالشكر باللسان هو الثناء علىٰ المنعم في مقابلة النعمة. ثم بيَّن تلك النعمة بقوله: (من علمٍ

(١) لو نقل الشارع كلام الضبري ثم أردفه بكلام الجاحظ لكان أجمل في فاتحة شرحه بهذا الكتاب وأجمل، ولكن الشيخ يستروح بالموجود القريب. غفر الله لنا جميعًا

(٢) كما في تفسير البيضاوي.

(٣) المصباح المنير ص ٧٤.

(٤) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ١٤٧.

حصَّله) باكتساب أو من طريق الفيض كما يُلهَم به بعض الأصفياء **(ونطقٍ سهَّلَه)** وهو[1] الأصوات المقطَّعة التي يُظهِرها اللسان وتعيها الآذانُ **(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و)** أشهد **(أن محمدًا عبده ورسوله)** قدَّم أحدَهما علىٰ الثاني إشارة إلىٰ أن العبودية أشرف من الرسالة[2]، ولذا كان «عبد الله» من أشرف أسمائه ﷺ، وإليه أشار الشاعر:

لا تَدْعُنــي إلا بيـا عبدهــا فإنــه أشــرف أســمائيا[3]

(الذي أكرمه وبجَّله) أي عظَّمه ووقَّره بأن اصطفاه من خلقه، وجعله خاتم رسله، وجعل طاعته من طاعته، ومحبته من محبته **(ونبيه الذي أرسله)** إلىٰ الناس كافةً **(بكتاب أنزله)** من لدنه وهو القرآن **(وآيٍ فصَّله)** جمع آية وهي العلامة، أي أنزل الكتاب مفصَّلاً فيه تفصيل كل شيء وبيان أخبار مَن مضىٰ وعِلمِ ما سيأتي. وتذكير الضمير نظرًا لظاهر اللفظ **(ودينٍ سبَّله)** المراد بالدين: الطاعة للإسلام والانقياد له والتعبُّد به، وتسبيله: تسهيله للواردين عليه، كأنَّه حبسه عليهم لينتفعوا به **(صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَن قَبِلَه)** أي من أمَّة الإجابة **(ما كبَّر اللهَ عبدٌ وهلَّله)** فالتكبير قول العبد: الله أكبر كبيرًا، والتهليل قوله: لا إله إلا الله.

(أما بعد، فإن اللسان) وهي الجارحة المعروفة ذات الصورة التي يميِّزها البصرُ **(من نعم الله العظيمة ولطائف صنعِه الغريبة، فإنه صغير جِرمه)** بالكسر، أي جسده. قال أهل التشريح: هو مركَّب من اللحم والعروق والشُّريانات والعصب الحسَّاس والغشاء المتصل بغشاء المرِّيء، وقد امتزج بهذا الغشاء قسطٌ صالح من العصب، ومنفعته تقليب الطعام والمعونة علىٰ الازدراد، وذلك أن جوهره لحم أبيض رخو مجلَّل بالغشاء المذكور، وقد التفَّت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٩٦.

(٢) ولذا ذكره الله في موضع الشريف إذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

(٣) تقدم هذا البيت في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سبب حمرة لونه، وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم، وتحته فُوَّهتان يخرج منهما اللُّعاب، وبهما يبقىٰ في اللسان وما حوله النداوة الطبيعية. واعلمْ أن لحم اللسان شعبتان كلسان الحية، لكن لمَّا جُلِّلا بغشاء واحد صارا كأنهما شعبة واحدة، ومن قسط كلٍّ من الشعبتين من الغشاء درز ظاهر (**عظيم طاعته**) أي انقياده للحق (**وجُرمه**) بالضم: اكتساب الإثم. وبين الجِرم والجُرم جناس (**إذ لا يتبيَّن الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان**) ولذا[١] جُعل الإقرار به شرطًا في صحة الإيمان، ففي الخبر: «شهادة أن لا إله إلا الله كلمة جعلها الله بيننا، فمَن قالها من قلبه فهو مؤمن، ومَن قالها بلسانه ولم تكن في قلبه كان له ما لنا وعليه ما علينا، وحسابه علىٰ الله». والشريعة واردة بأن يطلَق اسم «الإيمان» علىٰ من يُظهِر ذلك من نفسه من غير فحص عن قلبه، ولا يُتحاشَىٰ من إطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الإيمانَ. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب قواعد العقائد (**وهما**) أي الكفر والإيمان (**غاية الطاعة والعصيان**) فيه لفٌّ ونشرٌ غير مرتَّب (**ثم إنه ما من موجود أو معدوم، خالق أو مخلوق، متخيَّل أو معلوم، مظنون أو موهوم، إلا واللسان يتناوله ويتعرَّض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان**) وفي بعض النسخ: يعبِّر، بدل: يعرب (**إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم متناوِل له**) ولا يخرج إلىٰ الوجود إلا بواسطة تعبير اللسان (**وهذه خاصية**) خصَّه الله بها (**لا توجد في سائر الأعضاء**) التي رُكِّب منها الإنسان (**فإن العين لا تصل إلىٰ غير الألوان والصور**) ولها[٢] أحد عشر إدراكًا: النور، والظلمة، واللون، والجسم، وسطحه، وشكله، ووضعه، وأبعاده، وحركاته، وسكناته، وأعداده (**والأذن لا تصل إلىٰ غير الأصوات**) ولها إدراكان: الصوت الخفيف، والصوت الثقيل (**واليد لا تصل إلىٰ غير الأجسام**) ولها عشر إدراكات: الحرارة، والبرودة،

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) السابق ص ٢٢.

والرطوبة، واليبوسة، واللِّين، والخشونة، والصلابة، والرخاوة، والثقل، والخفَّة **(وكذا سائر الأعضاء)** فإنَّ لها إدراكات مخصوصة **(واللسان رحب الميدان)** أي واسعُه **(ليس له مَرَدٌّ، ولا لمجاله منتهىٰ وحدٌّ)** لسعة متعلقاته **(له في الخير مجال رحب)** أي ميدان واسع **(وله في الشر ذيل سحبٌ)** أي مسحوب **(فمَن أطلق عَذَبة اللسان)** محرَّكة، أي طرفه **(وأهمله مرخي العنان)** أي تركه سائبًا كالدابة التي أُرخيَ لها عنانها وتذهب وتروح أينما شاءت **(سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلىٰ شَفا)** أي طرف **(جُرُف)** بضمتين[1]، وبضم فسكون للتخفيف: اسم لِما جرفته السيول وأكلته من الأرض **(هارٍ)** أي هائر بمعنىٰ ساقط **(إلىٰ أن يضطره)** أي يلجئه **(إلىٰ البوار)** أي الهلاك الأبدي **(ولا يكبُّ الناسَ)** أي لا يسقطهم **(في النار علىٰ مناخرهم)** أي أفواههم ووجوههم **(إلا حصائد ألسنتهم)** أي ما حصدوه بمناجل ألسنتهم، كما هو في حديث معاذ، وسيأتي ذِكرُه قريبًا **(ولا ينجو من شر اللسان إلا مَن قيَّده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه)** إما **(في الدنيا)** حالاً **(أو في الآخرة)** مآلاً **(ويكفُّه)** أي يمنعه **(عن كل ما يخشىٰ غائلته)** أي شره ومصيبته **(في عاجلته)** هي الدنيا **(وآجلته)** هي الآخرة **(وعِلمُ ما يُحمَد فيه إطلاق اللسان أو يُذَم غامض)** أي خفيٌّ **(عزيز)** واسع الغور **(والعمل بمقتضاه علىٰ مَن عرفه ثقيل عسير)** إلا مَن يسَّر اللهُ عليه **(وأعصىٰ الأعضاءِ علىٰ الإنسان اللسانُ)** أي أكثرها عصيانًا عليه **(فإنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤنة في تحريكه، وقد تساهل الخلقُ في الاحتراز عن آفاته وغوائله)** ودواهيه المترتِّبة عليه (و) في **(الحذر من مصائده وحبائله، وجهلوا أنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان)** فبه يملك نواصيهم ويغتالهم **(ونحن بتوفيق الله وحُسن تيسيره نفصِّل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها)** المعرِّفة لها **(وأسبابها)** أي التي منها تنشأ **(وغوائلها،**

---

(١) الصحاح للجوهري ٤/ ١٣٣٦. وإسكان الراء قراءة ابن عامر وحمزة وشعبة عن عاصم، وضم الراء قراءة بقية السبعة. النشر في القراءات العشر ٢/ ٢١٦. تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٦. البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ١٠٤.

ونعرِّف طريق الاحتراز عنها) أي عن غوائلها (ونورد ما ورد من الأخبار والآثار) الواردة (في ذمِّها، فنذكر أولاً فضل الصمت، ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني) ترغيبًا وترهيبًا (ثم آفة فضول الكلام. ثم آفة الخوض في الباطل. ثم آفة المِراء والجدال. ثم آفة الخصومة. ثم آفة التقعُّر في الكلام بالتشدُّق وتكلُّف السجع) فيه (والفصاحة والتصنُّع وغير ذلك ممَّا جرت به عادة المتفاصحين) المتكلِّفين للفصاحة (المدَّعينَ للخطابة. ثم آفة الفُحش والسب وبذاءة اللسان. ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان، ثم آفة الغناء والشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرُم من الغناء وما يحل، فلا نعيده. ثم آفة المزاح. ثم آفة السخرية والاستهزاء. ثم آفة إفشاء السر. ثم آفة الوعد الكاذب. ثم آفة الكذب في القول واليمين، ثم بيان المعاريض في الكذب. ثم آفة الغيبة. ثم آفة النميمة. ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردَّد بين المتعاديين) يأتي هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان علىٰ وجه الإفساد (فيكلم كل واحد بكلام يوافقه) ويسكن إليه (ثم آفة المدح. ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوىٰ الكلام لا سيَّما فيما يتعلق بالله تعالىٰ وصفاته ويرتبط بأصول الدين. ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله تعالىٰ وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدَثة، وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك. وجملتها عشرون آفة. ونسأل الله حسن التوفيق بمَنِّه وكرمه) آمين.

بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت

الصمت هو السكوت، والضم لغة فيه كالصُّمات بالضم أيضًا، وقد صمت صموتًا. قال الطيبي[١]: الصمت أبلغُ من السكوت؛ لأنه يُستعمل فيما لا قوة له للنطق وفيما له قوة النطق.

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ **(أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحثَّ عليه، فقال ﷺ: مَن صمت نجا)** أي[٢] مَن سكت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم القيامة. قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعفٌ وقال: غريب. وهو عند الطبراني[٥] بسند جيد. ا.هـ. قلت: ورواه كذلك ابن المبارك[٦] وأحمد[٧] والدارمي[٨] وابن أبي الدنيا في الصمت[٩] والعسكري في الأمثال والبيهقي[١٠] وآخرون، ومداره علىٰ ابن لهيعة، رواه عن يزيد بن عمرو عن أبي

(١) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣١٢٣ نقلا عن الذريعة للراغب ص ١٧١.

(٢) فيض القدير ٦/ ١٧١. المقاصد الحسنة ص ٤١٦.

(٣) المغني ٢/ ٧٦٥.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٤.

(٥) المعجم الكبير ١٤/ ٨٦ - ٨٧.

(٦) الزهد والرقائق ص ١٤٢.

(٧) مسند أحمد ١١/ ١٩، ٢٣٥.

(٨) سنن الدارمي ٢/ ٣٨٧.

(٩) الصمت وآداب اللسان ص ٤٩.

(١٠) شعب الإيمان ٧/ ٥٢.

عبد الرحمن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وقال النووي في الأذكار[١] بعدما عزاه للترمذي: إسناده ضعيف، وإنما ذكرته [لأبيِّنه] لكونه مشهورًا. وقال المنذري[٢]: رواة الطبراني ثقات[٣].

(وقال ﷺ: **الصمت حُكْمٌ**) بضم فسكون (**وقليل فاعله. أي**) هو (**حكمة وحزم**) وفي رواية: حكمة. والحُكْم أعمُّ من الحِكمة، فكل حكمة حكم، ولا عكس، فإن الحكيم له أن يقضي بشيء على شيء فيقول: هو كذا أو ليس بكذا، ومنه حديث: «إن من الشِّعر لَحكمةً» أي قضية صادقة. كذا قرَّره الراغب[٤]. والمعنى[٥] أن الصمت شيء نافع يمنع من الجهل، وقلَّ من يستعمله ويمنع نفسه من التسارُع إلى النطق بما يشينه لغلبة النفس الأمَّارة وعدم التهذيب لها بالرياضة.

قال العراقي[٦]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[٧] من حديث ابن عمر بسند ضعيف بلفظ «حكمة». ورواه البيهقي في الشعب[٨] من حديث أنس بلفظ «حكم» بدل «حكمة» وقال: غلطَ فيه عثمان بن سعد، والصحيح رواية ثابت. قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قاله. ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء[٩] بسند صحيح إلى أنس.

قلت: أما قصة لقمان وفيها هذا الخبر فستأتي قريبًا في آخر الآفة الأولى،

---

(١) الأذكار ص ٢٨٧.

(٢) الترغيب والترهيب ص ١٠٦٠.

(٣) وقواه ابن عبد البر في الجامع ١/ ٢٧١.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ١٢٧. والنقل هنا عن التوقيف للمناوي ص ١٤٥.

(٥) فيض القدير ٤/ ٢٤٠.

(٦) المغني ٢/ ٧٦٥.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤١٧. وفيه: حلم.

(٨) شعب الإيمان ٧/ ٧٣ - ٧٤.

(٩) روضة العقلاء ص ٤١.

ونتكلم عليها هناك. وقد رواه أيضًا العسكري في الأمثال من حديث أبي الدرداء بزيادة: «مَن كثر كلامُه فيما لا يعنيه كثرت خطاياه».

(ورُوي عن عبد الله بن سفيان) الثقفي الطائفي، وثَّقه النسائي وروىٰ له **(عن أبيه)** سفيان[١] بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي، صحابي، وكان عامل عمر علىٰ الطائف، روىٰ له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه **(قال: قلت: يا رسول الله، أخبِرْني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: قل آمنت بالله ثم استقِمْ. قال: قلت: فما أتقي؟ فأومأ بيده إلىٰ لسانه)** قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وصحَّحه والنسائي[٤] وابن ماجه[٥]. وهو عند مسلم[٦] دون آخر الحديث الذي فيه ذِكرُ اللسان.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٧]. وقال النووي[٨]: لم يروِ مسلم لسفيان غير هذا الحديث. ا.هـ. وهو أول حديث أخرجه الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت[٩] فقال: حدثني أبي وعبيد الله بن عمر الجُشَمي قالا: حدثنا نعيم، عن يعلىٰ بن عطاء، عن عبد الله بن سفيان، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أخبِرْني ... فساقه بتمامه كما في سياق المصنف.

(وقال عُقبة بن عامر) الجُهَني[١٠] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اختُلف في كنيته علىٰ سبعة أقوال،

---

(١) تقريب التهذيب ص ٣٩٤.

(٢) المغني ٢/ ٧٦٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٢١٠.

(٤) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٥٦، ٣٨٠.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٥٨.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٣٩.

(٧) مسند أحمد ٢٤/ ١٤١ - ١٤٥، ٣٢/ ١٧٠.

(٨) شرح صحيح مسلم ٢/ ١٢.

(٩) الصمت وآداب اللسان ص ٤١.

(١٠) تقريب التهذيب ص ٦٨٤.

أشهرها أنه أبو حماد، وليَ إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، وبها توفي، وكان فقيهًا فاضلاً، روىٰ له الجماعة **(قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسِكْ عليك لسانك، وليسعك بيتُك، وابْكِ علىٰ خطيئتك)** قال العراقي[١]: رواه الترمذي وقال: حسن.

قلت: أخرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، وهو ثاني حديث فيه، قال: حدثنا داود بن عمرو الضبِّي، عن عبد الله بن المبارك، عن يحيىٰ بن أيوب، عن عبيد الله بن زَحْر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال عُقبة بن عامر: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ ... فساقه سواء كما هنا، وقد تقدم للمصنف هذا الحديث في كتاب العزلة، ووقع في النسخ هناك: عن عبد الله ابن عامر. وذكرنا أن ذلك غلط من النسَّاخ، والصواب: عن عقبة بن عامر، كما هنا.

(وقال سهل بن سعد) بن مالك بن خالد الخزرجي **(الساعدي)** أبو العباس، وقيل: أبو يحيىٰ، أُخِّر وعُمِّر دهرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(قال رسول الله ﷺ: من يتكفَّل لي بما بين لحييه)** وفي رواية: بما بين فُقْميه **(ورجليه أتكفَّل له بالجنة)** وفي بعض النسخ: «من يتوكل» و«أتوكل» في الموضعين. قال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣].

قلت: لفظ البخاري: «من يضمن لي ... أضمن» في الموضعين، بدل «يتوكل» و«أتوكل». وكذلك رواه البيهقي[٤]. وأما سياق المصنف فقد رواه أحمد[٥] والترمذي[٦] - وقال: حسن صحيح غريب - وابن حبان[٧] والحاكم[٨].

---

(١) المغني ٢/ ٧٦٥ - ٧٦٦.

(٢) السابق ٢/ ٧٦٦.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٧، ٢٥٢.

(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٨٧.

(٥) مسند أحمد ٣٧/ ٤٧٩.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٠٩.

(٧) صحيح ابن حبان ١٣/ ٨.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥١٠.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت[١]: حدثنا أبو خيثمة[٢]، حدثنا عاصم بن عمر بن علي، حدثني أبي، عن أبي حازم المدني، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من يتوكَّل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكَّل له بالجنة». ورواه العسكري في الأمثال[٣] من حديث جابر: «مَن ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له علىٰ الله الجنةَ».

(**وقال ﷺ: مَن وُقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وُقي الشر كله**) قال العراقي[٤]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[٥] من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ: فقد وجبت له الجنةُ. ا.هـ. قلت: سياق المصنف بعينه أخرجه البيهقي[٦] من حديث أنس، إلا أنه قدَّم اللقلق علىٰ القبقب، ثم ذكر الذبذب (**القبقب هو البطن**) من القبقبة وهو صوت يُسمَع من البطن، فكأنها حكاية ذلك الصوت[٧]. ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه (**والذبذب: الفرْج، واللقلق: اللسان**) ولفظ البيهقي: أما لقلقه فاللسان، وقبقبه فالفم، وذبذبه فالفرج. وقال: كذا وجدته موصولاً بالحديث، وفي إسناده ضعفٌ. وفي سادس المجالسة[٨] للدينوري من حديث أبي الأشهب عن أبي رجاء العُطاردي قال: كان يقال: إذا وُقي الرجل شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٤٤.

(٢) هذه الزيادة في أوله سهو من المصنف رحمه الله تعالىٰ، فإن شيخ ابن أبي الدنيا في هذا الإسناد هو عاصم بن عمر بن علي المقدمي عن أبيه عمر بن علي المقدمي.

(٣) وكذلك الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ١٧٢، وأبو يعلىٰ في مسنده ٤/ ٨٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٨.

(٤) المغني ٢/ ٧٦٦.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦٣٢.

(٦) شعب الإيمان ٧/ ٢٩٢.

(٧) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٣١.

(٨) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٢٣٥ - ٢٣٧.

وُقي. وله شاهد جيد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي[١] وحسَّنه وابن حبان[٢] والحاكم[٣]: «مَن وقاه الله شرَّ ما بين لَحْييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة». وقد رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٤] أيضًا، وسنده حسن.

(فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان) الآن **(لمَّا فرغنا من ذكر آفة الشهوتين)**: شهوة **(البطن و)** شهوة **(الفرج. وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة، فقال: تقوىٰ الله وحُسن الخُلق. وسُئل عن أكثر ما يُدخِل الناس النار، فقال: الأجوفان الفم والفرْج)** قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] وصحَّحه وابن ماجه[٧] من حديث أبي هريرة.

قلت: وأخرجه كذلك ابن أبي الدنيا في الصمت[٨] فقال: حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، أخبرنا عبد الله بن إدريس، أخبرني أبي وعمي، عن جدي، عن أبي هريرة قال: سُئل رسول الله ﷺ ... فساقه كما للمصنف.

(ويحتمل أن يكون المراد بالفم: آفات اللسان؛ لأنه محله. ويحتمل أن يكون المراد به البطن؛ لأنه منفذه، فقد قال معاذ بن جبل) رضي الله عنه: **(قلت: يا رسول الله، أنؤاخَذ بما نقول؟ فقال: ثكلتك أمُّك يا ابن جبل، وهل يكبُّ الناسَ في النار علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)**؟ قال العراقي[٩]: رواه الترمذي[١٠] وصحَّحه، وابن

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢١٠.

(٢) صحيح ابن حبان ١٣/ ٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥٠٨.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٧.

(٥) المغني ٢/ ٧٦٦.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٦.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٣٧.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ٤٥.

(٩) المغني ٢/ ٧٦٦.

(١٠) سنن الترمذي ٥/ ٣٦٢ - ٣٦٣.

ماجه[١]، والحاكم[٢] وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] فقال: حدثنا أبو خيثمة وإسحاق ابن إسماعيل قالا: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن الحَكَم بن عُتَيبة وحبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله، أنؤاخَذ بما نقول؟ قال: ثكلتك أمُّك يا ابن جبل ... فساقه. قال: وقال حبيب في هذا الحديث: وهل تقول شيئًا إلا وهو لك أو عليك؟

(**وقال عبد الله الثقفي**) هو عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي الذي تقدَّم ذِكرُه قريبًا (**قلت: يا رسول الله، حدِّثْني بأمر أعتصم به. فقال: قل ربي الله ثم استقِمْ. قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسانه وقال: هذا**) قال العراقي[٤]: رواه النسائي، قال ابن عساكر: وهو خطأ، والصواب: سفيان بن عبد الله الثقفي. كما رواه الترمذي وصحَّحه وابن ماجه، وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث.

قلت: وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت[٥] علىٰ الصواب فقال: حدثنا حمزة بن العباس، أخبرنا عَبْدان بن عثمان، أنبأنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن ماعز، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، حدِّثْني بأمر أعتصم به ... فساقه، وفيه: ثم قال: «هذا».

(**ورُوي أن معاذًا قال: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله**

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٨٦.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٤٧.

(٤) المغني ٢/ ٧٦٦ - ٧٦٧.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٤٧.

ﷺ **لسانه ثم وضع عليه أصبعه**[(١)].

وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه **(قال)** رسول الله (ﷺ): **لا يستقيم إيمان العبد حتىٰ يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتىٰ يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جارُه بوائقَه)** قال العراقي[(٢)]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[(٣)] والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعفٌ.

قلت: ورواه كذلك أحمد[(٤)] والبيهقي[(٥)]. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عمرو ابن محمد الناقد، حدثنا زيد بن الحُباب، حدثنا علي بن مَسعدة الباهلي، حدثنا قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه. وعلي بن مَسعدة، قال ابن حبان[(٦)]: لا يُحتج به.

(وقال ﷺ: **مَن سرَّه أن يَسلم)** في[(٧)] الدنيا من أذىٰ الخلق وفي الآخرة من عقاب الخالق **(فليلزم الصمتَ)** عمَّا لا يعنيه؛ ليَسلم من الزلل ويقلَّ حسابه.

قال العراقي[(٨)]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[(٩)] وأبو الشيخ في فضائل

---

(١) لم يتعرض الزبيدي لهذا الحديث، وكأنه سقط من نسخته، ولكنه سيورده قريبا ضمن أحاديث استدركها علىٰ الغزالي. قال العراقي في المغني ٢/ ٧٦٧: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٠/ ٦٤] وابن أبي الدنيا في الصمت وقال: أصبعه، مكان: يده.

(٢) المغني ٢/ ٧٦٧.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٤٨.

(٤) مسند أحمد ٢٠/ ٣٤٣.

(٥) شعب الإيمان ١/ ٩٨ دون قوله: ولا يدخل الجنة ... الخ، عن الحسن البصري عن بعض أصحابه.

(٦) المجروحون من المحدثين ٢/ ٨٧، ونصه: «كان ممن يخطئ علىٰ قلة روايته، وينفرد بما لا يتابع عليه، فاستحق ترك الاحتجاج به لما لا يوافق الثقات من الأخبار». وثقه جماعة منهم أبو داود وابن معين وقال أبو حاتم لا بأس به، وقال البخاري فيه نظر، وقال عدي أحاديثه غير محفوظة. انظر تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٤.

(٧) فيض القدير ٦/ ١٥١.

(٨) المغني ٢/ ٧٦٧.

(٩) الصمت وآداب اللسان ص ٤٩.

الأعمال والبيهقي في الشعب[١] من حديث أنس بإسناد فيه ضعفٌ[٢].

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا محمد ابن إسماعيل بن أبي فُدَيك، عن عمر بن حفص، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه. ومحمد بن إسماعيل ابن أبي فُدَيك، قال ابن سعد[٣]: ليس بحُجة. وقال الهيثمي[٤]: فيه عثمان بن عبد الرحمن الوَقَّاصي، وهو متروك. وقال الذهبي في الضعفاء[٥]: تركوه. وفي الميزان[٦] عن الأزدي: عمر بن حفص [عن] الوَقَّاصي منكر الحديث. وقال أبو حاتم[٧]: مجهول، وله حديث باطل. وساق هذا الخبر.

(**وعن سعيد بن جبير**) التابعي رحمه الله تعالىٰ (**مرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: إذا أصبح ابن آدم**) أي[٨] دخل في الصباح (**أصبحت الأعضاء**) جمع عُضو بالضم، وبالكسر لغة: كل عظم وافر بلحمه[٩] (**كلها**) تأكيد (**تكفر اللسانَ**) قال الزمخشري[١٠]: هو من تكفير الذمي، وهو أن يطأطئ رأسه ويحني ظهره كالراكع عند تعظيم صاحبه (**تقول**) وفي رواية: فتقول. أي بلسان الحال (**اتقِ الله فينا**) أي خَفْه في حفظ حقوقنا (**فإنك إن استقمت**) أي اعتدلت (**استقمنا**) أي اعتدلنا (**وإن**

---

(١) شعب الإيمان ٧/ ١٨.

(٢) وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢/ ٢٦٤ قوال: لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا عثمان بن عبد الرحمن، به ابن أبي فديل.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٦١٥.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/ ٥٣٤.

(٥) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢٧٠.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ١٩١.

(٧) علل الحديث لابن أبي حاتم ٥/ ٦٠٤.

(٨) فيض القدير ١/ ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٩) المحكم لابن سيده ٢/ ٢٠٩.

(١٠) الفائق في غريب الحديث ٣/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

اعوججت) أي مِلْتَ عن الاعتدال **(اعوججنا)** أي مِلْنا عنه. قال الطيبي[١]: وهذا لا تناقُض بينه وبين خبر «إن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلُح الجسد كله ...» الحديث؛ لأن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن، فإذا أُسند إليه الأمر فهو مجاز في الحكم.

قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رفعه، ووقع في الإحياء: «عن سعيد بن جبير مرفوعًا»، وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه، ورواه الترمذي موقوفًا عن حماد بن زيد، وقال: هو أصح.

قلت: ورواه كذلك ابن خزيمة في صحيحه[٤] والبيهقي[٥] كلهم من حديث أبي سعيد، ولفظهم بعد قوله «اتقِ الله فينا»: فإنما نحن بك. وقوله «تكفِّر اللسانَ» كذا وقع في أكثر نسخ الجامعين الكبير والصغير[٦] ودُرَر البحار، والذي في نسخ الترمذي والنهاية[٧]: تكفر للسان. ومنهم مَن وقفه علىٰ أبي سعيد لا علىٰ حماد، كما في الجامع الكبير للسيوطي. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت[٨]: حدثني عِمران ابن موسىٰ القَزَّاز، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي الصَّهْباء، عن سعيد بن جبير، عن أبي سعيد - قال: أراه رفعه - قال: إذا أصبح ابن آدم ... فساقه.

(ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأىٰ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده، فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: هذا أوردني الموارد) أي موارد

(١) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣١٢٤.
(٢) المغني ٢/ ٧٦٧.
(٣) سنن الترمذي ٤/ ٢٠٨.
(٤) ورواه أيضا في فوائد الفوائد ص ٣٩ (ط - دار ماجد عسيري).
(٥) شعب الإيمان ٧/ ٢٤.
(٦) كنز العمال ٣/ ٥٤٨.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١٨٨.
(٨) الصمت وآداب اللسان ص ٤٩ - ٥٠.

الهلاك (**إن رسول الله ﷺ قال: ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلىٰ الله تعالىٰ اللسانَ علىٰ حدَّته**) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] وأبو يعلىٰ في مسنده[٣] والدارقطني في العلل[٤] والبيهقي في الشعب[٥] من رواية أسلم مولىٰ عمر، وقال الدارقطني: إن المرفوع وهمٌ علىٰ الدراوَرْدي. قال: ورُوي هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر، ولا علة له.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني عبد الرحمن بن زَيَّان بن الحكم الطائي، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن عبد العزيز بن محمد، عن زيد ابن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب اطَّلع علىٰ أبي بكر وهو يمد لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: إن هذا أوردني الموارِدَ، إن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلىٰ الله اللسانَ علىٰ حِدَّته». ووقع في رواية أبي يعلىٰ والبيهقي: «إلا وهو يشكو ذَرَب اللسان». وكذلك رواه النسائي وابن السني[٦] والضياء[٧]. وقال أبو نعيم في الحلية[٨]: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني مصعب الزبيري، حدثني مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر دخل علىٰ أبي بكر وهو يجبذ لسانه، فقال عمر: مَهْ! غفر الله لك. فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد. ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أبي خيثمة ، حدثنا وكيع ، عن سفيان الثوري، عن زيد بن أسلم،

---

(١) المغني ٢/ ٧٦٨.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٥١.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ١/ ١٧.

(٤) العلل ١/ ١٥٨ - ١٦٢.

(٥) شعب الإيمان ٧/ ٢٥.

(٦) عمل اليوم والليلة ص ٢١.

(٧) الأحاديث المختارة ١/ ٧٦.

(٨) حلية الأولياء ١/ ٣٣.

عن أبيه قال: أخذ أبو بكر الصدِّيق بلسانه في مرضه وقال: هذا أوردني الموارد[١].

وحديث قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الذي أشار إليه الدارقطني أنه لا علة له قد أخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا الفضيل بن عبد الوهاب وعلي بن الجعد وأحمد بن عمران الأخنَسي قالوا: حدثنا النضر ابن إسماعيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: رأيت أبا بكر رحمه الله آخذًا بطرف لسانه وهو يقول: هذا أوردني الموارد.

قلت: النضر بن إسماعيل البَجَلي أبو المغيرة، قال النسائي[٢]: ليس بالقوي.

(وعن) عبد الله **(ابن مسعود)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(أنه كان على الصفا)** وهو الجبل المشهور بمكة **(يلبِّي ويقول: يا لسان، قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تَسلم من قبل أن تندم. فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، أهذا شيء تقوله)** أنت من نفسك **(أو شيء سمعتَه؟ فقال: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)** قال العراقي[٣]: رواه الطبراني[٤] وابن أبي الدنيا في الصمت[٥] والبيهقي في الشعب[٦] بسند حسن.

---

(١) خلط الشارح هنا بين حديثين بإسنادين مختلفين، وهذا نص ابن أبي الدنيا في الصمت ص ٥٥: «حدثنا الفضيل بن عبد الوهاب وعلي بن الجعد وأحمد بن عمران الأخنسي قالوا: حدثنا النضر بن إسماعيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: رأيت أبا بكر آخذا بطرف لسانه وهو يقول: هذا أوردني الموارد. حدثنا أبو خيثمة، حدثنا وكيع، عن سفيان الثوري، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: أخذ أبو بكر الصديق لسانه وقال: قال رسول الله ﷺ: من وقاه الله عَزَّ وَجَلَّ شر ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة».

(٢) الضعفاء والمتروكون ص ٢٣٦.

(٣) المغني ٢/ ٧٦٨.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٣.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٥٤.

(٦) شعب الإيمان ٧/ ١٦ - ١٧.

قلت: قال المنذري[(١)]: رواة الطبراني رواة الصحيح، وإسناد البيهقي حسن. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني أبو عمر التميمي، حدثني أبي، عن أبي بكر النهشلي، عن الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود أنه كان علىٰ الصفا يلبِّي ويقول: يا لساني، قلْ خيرًا تغنم أو أنصِتْ تَسلم من قبل أن تندم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذا شيء تقوله أو سمعتَه؟ قال: بل سمعت رسول الله ﷺ يقول ... فساقه. وأبو بكر النهشلي من رجال مسلم، تكلم فيه ابن حبان[(٢)(٣)].

(وقال ابن عمر) ﵄: **(قال رسول الله ﷺ: مَن كفَّ لسانَه)** أي عن التكلم في أعراض المسلمين **(ستر الله عورته)** أي لم يفضحه في الدنيا **(ومَن ملك غضبَه)** مع القدرة علىٰ الانتصاف **(وقاه الله عذابَه)** في الآخرة **(ومَن اعتذر إلىٰ الله قَبِلَ الله عذره)** قال العراقي[(٤)]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[(٥)] بإسناد حسن.

قلت: وهذا لفظه: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا شَبابة بن سَوَّار، عن المغيرة ابن مسلم، عن هشام بن إبراهيم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه، هكذا هو لفظه في كتاب الصمت، وأخرجه في كتاب ذم الغضب من حديث أنس بلفظ: «مَن كفَّ غضبَه كف اللهُ عنه عذابَه، ومَن اعتذر إلىٰ ربه قَبِلَ اللهُ منه عذره، ومَن خزن لسانه ستر الله عورته». وقد رواه كذلك أبو يعلىٰ[(٦)] وابن شاهين[(٧)]

---

(١) الترغيب والترهيب ص ١٠٥٨ - ١٠٥٩.

(٢) حيث قال في كتاب المجروحين ٢/ ٤٩٩: «أبو بكر بن عبد الله بن أبي العطاف النهشلي، من أهل الكوفة ... كان شيخا صالحا فاضلا غلب عليه التقشف حتىٰ صار يهم ولا يعلم ويخطئ ولا يفهم فبطل الاحتجاج به وإن كان ظاهر الصلاح».

(٣) قد وثقه أحمد وابن معين وقالا: توفي ثقة، وقال أبو حاتم الرازي: شيخ صالح يكتب حديثه، وذكره الذهبي في الكاشف، وقال: ثقه. انظر: الجرح والتعديل ٩/ ٣٤٤، والكاشف ٢/ ٤١٤.

(٤) المغني ٢/ ٧٦٨.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٥٦.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٣٠٢.

(٧) الترغيب في فضائل الأعمال ص ١١٧.

والخرائطي في مساوئ الأخلاق[١] والضياء في المختارة[٢].

(ورُوي أن معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(قال: يا رسول الله، أوصِني. قال: اعبد الله كأنَّك تراه، وعُدَّ نفسك في الموتىٰ، وإن شئتَ أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله. وأشار بيده إلىٰ لسانه)** قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٤] والطبراني في الكبير[٥]، ورجاله ثقات، وفيه انقطاع.

قلت: وهذا لفظ كتاب الصمت: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله، أوصِني. قال: «اعبد الله كأنك تراه، واعدُدْ نفسَك في الموتىٰ، وإن شئتَ أنبأتك بما هو أملكُ لك من هذا كله». قال: ما هو؟ قال: «هذا» وأشار بيده إلىٰ لسانه.

وأما لفظ الطبراني في الكبير: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، واعملْ لله كأنك تراه، واعدُدْ نفسك في الموتىٰ، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وإذا عملتَ سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[٦].

وقد رواه كذلك البيهقي في الشعب[٧].

وقد أخرج الطبراني في الكبير أيضًا[٨] من حديث أبي الدرداء بلفظ: «اعبد الله

---

(١) مساوئ الأخلاق ص ١٥٧ بالجملة الأولىٰ فقط.

(٢) الأحاديث المختارة ٦/ ٨١ - ٨٢، ٧/ ٢٩٦.

(٣) المغني ٢/ ٧٦٨ - ٧٦٩.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٥٦.

(٥) المعجم الكبير ٢٠/ ١٧٥.

(٦) بقية الحديث: «ثم قال: ألا أخبرك بأملك الناس من ذلك؟ قلت: بلىٰ يا رسول الله. فأخذ بطرف لسانه، فقلت: يا رسول الله، كأنه يتهاون به. فقال النبي ﷺ: وهل يكب الناس علىٰ مناخرهم في النار إلا هذا».

(٧) شعب الإيمان ٢/ ٧٨. وليس فيه ذكر اللسان.

(٨) وأخرجه أيضا البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٢٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٨/ ١١٣.

كأنك تراه، وعُدَّ نفسَك في الموتىٰ، وإياك ودعوات المظلوم ...» الحديث.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[١] من حديث زيد بن أرقم: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتىٰ، واتقِ دعوة المظلوم فإنها مستجابة».

(**وعن صفوان بن سُلَيم**) المدني[٢]، أبي عبد الله القرشي، من موالي بني زُهرة، تابعي، فقيه، قال ابن سعد[٣]: ثقة، كثير الحديث، عابد. وقال أحمد بن حنبل: هو يُستسقَىٰ بحديثه، وينزل القَطْر من السماء بذكره. قال الترمذي: مات سنة أربع وعشرين ومائة[٤]. روىٰ له الجماعة (**قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها علىٰ البدن**)؟ قالوا: أخبِرْنا. قال: (**الصمت وحُسن الخُلق**) مع الناس. قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب الصمت[٦] مرسَلاً، ورجاله ثقات. ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدِّثين[٧] من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضًا مرفوعًا بسند ضعيف.

قلت: ولفظ كتاب الصمت: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا ابن أبي فُدَيك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه. وسيأتي حديث أبي ذر في ذكر الآفة الأولىٰ قريبًا.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر**

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٢.

(٢) تهذيب الكمال ١٣/ ١٨٤ - ١٩١.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٥١١.

(٤) وقال الأكثرون: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(٥) المغني ٢/ ٧٦٩.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٥٨.

(٧) طبقات المحدثين بأصفهان ٤/ ٣٠٣.

فليقل خيرًا أو ليسكت)[١] أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامي، حدثنا سفيان بن حمزة الأسلمي، عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة ... فساقه.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال: رحم الله عبدًا قال فغنم أو سكت فسَلِم**) وهذا من جوامع الكَلِم؛ لتضمُّنه الإرشاد إلىٰ خير الدارين، فإنه قد تمَّ الإرشادُ إلىٰ خير الآخرة في المعاد؛ إذ قوله «غنمَ» أي غنم ثوابَ الله لقوله الخير، ثم عطف عليه الإرشاد إلىٰ خير الدنيا وهو السلامة من شرِّ الناس. وقد عدَّه العسكري من الأمثال.

قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] والبيهقي في الشعب[٤] والخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا مرسلاً، ورجاله ثقات. ورواه البيهقي في الشعب[٥] من حديث أنس بسند فيه ضعفٌ، فإنه من رواية إسماعيل بن عَيَّاش عن الحجازيين.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد الله بن عمر، حدثنا حزم بن أبي حزم قال: سمعت الحسن يقول: ذُكر لنا ... فساقه. وقد رواه أيضًا العسكري في الأمثال مرسلاً، ورواه أيضًا موصولاً عن الحسن عن أنس. ورواه هنَّاد[٦] كذلك عن الحسن مرسلاً. وقد رواه أبو الشيخ والديلمي من حديث أبي أمامة الباهلي. ورواه ابن المبارك في الزهد[٧] والخرائطي في مكارم الأخلاق عن خالد بن أبي عمران

---

(١) تقدم هذا الحديث غير مرة.

(٢) المغني ٢/ ٧٦٩.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٦٤.

(٤) شعب الإيمان ٧/ ١٧.

(٥) السابق ٧/ ١٩.

(٦) الزهد ٢/ ٥٣٥.

(٧) الزهد والرقائق ص ١٤٠.

مرسلاً، ورواه ابن أبي الدنيا[١] من طريق ابن المبارك، لكن في سنده ابن لهيعة، وهو ضعيف. وخالد هذا قال الذهبي[٢]: هو التُّجيبي، قاضي إفريقيَّة، فقيه، عابد، مات سنة ١٢٩.

ويُروَىٰ مثل ذلك عن ابن عباس قال: يا لسان، قلْ خيرًا تغنم أو اسكت عن شر تَسلم. كذا في كتاب الصمت[٣] من رواية إسماعيل بن مسلم عنه.

(**وقيل لعيسىٰ عليه السلام: دُلَّنا علىٰ عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبدًا. قالوا: لا نستطيع ذلك. قال: فلا تنطقوا إلا بخير**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٤]: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان بن عيينة قال: قالوا لعيسىٰ عليه السلام ... فساقه.

وقد رُوي مثل ذلك عن سلمان الفارسي أنه قال له رجَل: أوصِني. قال: لا تتكلم. قال: وكيف يصبر رجل علىٰ أن لا يتكلم؟! قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام فلا تتكلم إلا بخير أو اصمتْ. رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٥] من طريق عبد العزيز بن أبي رَوَّاد عنه.

(**وقال سليمان بن داود عليهما السلام: لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب**) قال ابن المبارك: معناه: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة كان السكوت عن معصيته من ذهب[٦]. أخرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا[٧] عن الهيثم بن خارجة،

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٧١.
(٢) الكاشف ١/ ٣٦٧.
(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٦٦.
(٤) السابق ص ٦٦.
(٥) السابق ص ٦٥.
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ٣٠٨.
(٧) الصمت وآداب اللسان ص ٦٦ - ٦٧.

حدثنا سهل بن هاشم، عن الأوزاعي قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب.

وقد رُوي مثل هذا الكلام عن لقمان، قاله لابنه يعظه.

(وعن البراء بن عازب) ﷺ (قال: جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: **دُلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة. قال: أطعِم الجائع، واسْقِ الظمآن، وأمُرْ بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، فإن لم تُطِقْ فكُفَّ لسانَك إلا من خير**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت(١) قال: حدثنا أحمد بن حنبل، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا عيسىٰ ابن عبد الرحمن، حدثني طلحة الأيامي، حدثني عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال ... فساقه.

(**وقال ﷺ: اخزنْ لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان**) قال العراقي(٢): رواه الطبراني في الصغير(٣) من حديث أبي سعيد، وفيه ليث بن أبي سليم، مختلَف فيه. وله في المعجم الكبير ولابن حبان في صحيحه(٤) نحوه من حديث أبي ذر.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت(٥) من قول أبي سعيد قال: حدثنا الحسن بن حمزة(٦)، أنبأنا عبدان، أنبأنا عبد الله - يعني ابن المبارك - أنبأنا

---

(١) السابق ص ٧٢.
قال العراقي في المغني ٢/ ٧٦٩: إسناده جيد.

(٢) المغني ٢/ ٧٧٠.

(٣) المعجم الصغير ٢/ ١٥٦ - ١٥٧.

(٤) المعجم الكبير ٢/ ١٥٧، صحيح ابن حبان ٢/ ٧٩. ولفظهما: «عليك بالصمت إلا من خير فإنه مردة للشيطان عنك وعون لك علىٰ أمر دينك».

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٨٦.

(٦) الصواب: حمزة بن العباس. وليس في شيوخ ابن أبي الدنيا أحد يسمىٰ الحسن بن حمزة.

إسماعيل بن عَيَّاش، حدثني عقيل بن مُدرِك أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري: أوصِني. قال: عليك بالصمت إلا في حق، فإنك به تغلب الشيطانَ. وهذا إسناد حسن. وعقيل[١] بن مدرك الخَوْلاني شامي مقبول، روىٰ له أبو داود.

(**وقال ﷺ: إن الله عند لسان كل قائل**) أي بعلمه (**فليتقِ اللهَ امرؤٌ**) وفي رواية: عبدٌ (**علمَ ما يقوله**) وفي رواية ذكرها المطرزي: «إن الله وراء لسان كل قائل». وهذا الحديث أغفله العراقي، وكأنه سقط من نسخته، وهو ثابت عندنا في سائر النسخ. قال المطرزي[٢]: هذا تمثيل، والمعنىٰ أنه تعالىٰ يعلم ما يقوله الإنسان ويتفوَّه به كمن يكون عند[٣] الشيء مهيمنًا لديه ومحافظًا عليه.

أخرجه أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق محمد بن إسماعيل العسكري، عن صُهَيب بن محمد بن عَبَّاد، عن مهدي، عن وهيب بن الورد، عن محمد بن زهير، عن ابن عمر مرفوعًا، وفيه: «فليتَّقِ اللهَ عبدٌ ولينظر ما يقول». قال أبو نعيم: غريب، لم نكتبه متصلاً مرفوعًا إلا من حديث وهيب. ا.هـ. ومحمد بن زهير، قال الذهبي في الميزان[٥]: قال الأزدي: ساقط. وأخرجه أيضًا الحكيم الترمذي[٦] والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس[٧].

(**وقال ﷺ: إذا رأيتم المؤمن صَمُوتًا**) أي كثير الصمت (**وقورًا فاقربوا منه،**

(١) تقريب التهذيب ص ٦٨٦. وفيه: السلمي أو الخولاني.

(٢) المغرب في ترتيب المعرب ٢/ ٣٤٩.

(٣) في المغرب: وراء.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٦٠.

(٥) ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥١.

(٦) نوادر الأصول ص ٦٠٨.

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٧٦ - ٧٧ والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٦ عن ذر بن عبد الله الهمداني مرسلا، وليس عن ابن عباس.

فإنه يلقّن الحكمة) قال العراقي[(١)]: رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بلفظ: «إذا رأيتم الرجل قد أُعطيَ زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه، فإنه يلقّىٰ الحكمة». وقد تقدم[(٢)].

قلت: وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب، ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. وقد تقدم الكلام عليه.

(وقال ابن مسعود) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: الناس ثلاثة)** إما[(٣)] **(غانم)** للأجر (و) إما (**سالم**) من الإثم (و) إما (**شاجب**) أي هالك آثم **(فالغانم الذي يذكر الله تعالىٰ، والسالم الساكت، والشاجب الذي يخوض في الباطل)** قال أبو عبيد[(٤)]: ويُروَىٰ: «الناس ثلاثة: السالم [والغانم والشاجب، فالسالم] الساكت، والغانم الذي يأمر بالخير وينهىٰ عن المنكر، والشاجب: الناطق بالخنا، المعين علىٰ الظلم».

قال العراقي[(٥)]: رواه الطبراني في الكبير[(٦)] وأبو يعلىٰ[(٧)] من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ «المجالس ثلاثة». وضعَّفه ابن عدي[(٨)]. ولم أجده من حديث ابن مسعود.

قلت: رواه الطبراني وأبو يعلىٰ أيضا من حديث عقبة بن عامر الجهني[(٩)]

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٠.

(٢) في كتاب العلم وكتاب تهذيب النفس.

(٣) فيض القدير ٦/ ٢٩٥.

(٤) غريب الحديث ٥/ ٥٠٧.

(٥) المغني ٢/ ٧٧٠.

(٦) المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٣.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٣٢٥، ٥٢٨.

(٨) الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٨٠، ١٠١٣.

(٩) لم أقف عليه من حديث عقبة بن عامر.

بلفظ المصنف بدون التفسير، وفي السند ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(**وقال ﷺ: إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبَّره بقلبه ثم أمضاه بلسانه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا همَّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبَّره بقلبه**) قال العراقي[١]: لم أجده مرفوعًا، وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] من رواية الحسن البصري قال: كانوا يقولون.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن يعقوب بن إبراهيم العبدي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: كانوا يقولون: لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلىٰ قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه علىٰ طرف لسانه، لا يرجع إلىٰ قلبه، ما جرىٰ علىٰ لسانه تكلم به.

(**وقال عيسىٰ عليه السلام: العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وجزء في الفرار من الناس**) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٤] من طريق وُهَيب بن الورد قال: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٥] من طريق الحسين بن محمد بن يزيد بن خُنَيس قال: قال وهيب بن الورد: قال حكيم من الحكماء: العبادة - أو قال: الحكمة - عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت وواحدة في العزلة، فأردت من نفسي الصمت علىٰ شيء فلم أقدر عليه فصِرتُ إلىٰ العزلة فحصلت لي التسعةُ.

(**وقال نبيُّنا ﷺ: مَن كثُر كلامُه كثر سقطُه، ومَن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن**

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٠.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٦٥.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٢٠.

(٤) السابق ص ٦٢.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٤٢.

كثرت ذنوبه كانت النار أَولىٰ به) لأن[1] السقط: ما لا عبرة به ولا نفع فيه، فإن كان لغوًا لا إثم فيه حوسِب علىٰ تضييع عمره، وكفران النعمة يصرف نعمة اللسان عن الذكر إلىٰ الهَذَيان، وقلَّما سَلِمَ من الخروج إلىٰ ما يوجب الإثم، فتصير النار أَولىٰ به من الجنة لذلك.

قال العراقي[2]: رواه أبو نعيم في الحلية[3] من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف. وقد رواه أبو حاتم ابن حبان في روضة العقلاء[4] والبيهقي في الشعب[5] موقوفًا علىٰ عمر بن الخطاب.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الأوسط[6] والقضاعي في مسند الشهاب[7] والعسكري في الأمثال، كلهم من حديث ابن عمر، ولفظ العسكري: «مَن كثر كلامُه كثر سقطُه، ومَن كثر سقطُه كثر كذبُه، ومَن كثُر كذبه كثرت ذنوبه ...» والباقي سواء[8]. فبعضهم رواه من طريق ابن عجلان، وبعضهم من طريق يحيىٰ ابن أبي كثير كلاهما عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وقال العسكري: أحسبه وهمًا، وأن الصواب أنه عن عمر من قوله. وقول العراقي «بسند ضعيف»؛ لأن فيه إبراهيم بن الأشعث، ذكره ابن حبان في الثقات[9] وقال فيه: يغرب ويخطئ وينفرد ويخالف. ولذا قال ابن الجوزي[10]: حديث لا يصح. وقال ابن أبي الدنيا في

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢١٣.

(٢) المغني ٢/ ٧٧١.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٧٤.

(٤) روضة العقلاء ص ٤٤.

(٥) شعب الإيمان ٧/ ٥٩، ٧٠.

(٦) المعجم الأوسط ٦/ ٣٢٨.

(٧) مسند الشهاب ١/ ٢٣٧.

(٨) كنز العمال ٣/ ٣٥٤.

(٩) الثقات ٨/ ٦٦.

(١٠) العلل المتناهية ٢/ ٧٠٥.

الصمت[١]: حدثني أحمد بن عبيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي، حدثنا دُرَيد بن مُجاشِع، عن غالب القَطَّان، عن مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: مَن كثُر كلامُه كثر سقطُه. ورواه العسكري من هذا الطريق، ولفظه: قال لي عمر: يا أحنف، مَن كثر ضحكه قلَّت هيبته، ومَن مزح استُخِفَّ به، ومَن أكثر من شيء عُرِف به، ومَن كثر كلامه كثر سقطه، ومَن كثُر سقطُه قلَّ حياؤه، ومَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومَن قلَّ ورعه مات قلبه. وكذا أورده العسكري من طريق معاوية في قصة قال فيها معاوية: مَن كثُر كلامه كثر سقطُه. وفي الباب عن معاذ.

وفي تاريخ ابن عساكر[٢] من حديث أبي هريرة: «مَن كثر ضحكه استُخِفَّ بحقه، ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته، ومن كثر مزاحه ذهب وقاره، ومن شرب الماء علىٰ الريق ذهب بنصف قوته، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت خطاياه، ومن كثرت خطاياه كانت النار أَولىٰ به». قال ابن عساكر: غريب الإسناد والمتن.

وفي الزهد[٣] لابن المبارك ومن جهته ابن أبي الدنيا في الصمت[٤] من طريق شُفَيٍّ الأصبحي قال: مَن كثر كلامه كثرت خطيئته.

تنبيه: قد بقي علىٰ المصنف ذِكرُ أخبار في فضيلة الصمت ولم يذكرها، وهي علىٰ شرطه، فمن ذلك ما رواه أبو يعلىٰ[٥] من حديث أنس: «عليك بحسن الخُلق وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمَّل الخلائقُ بمثلهما».

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٦٨.

(٢) تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٥٦.

(٣) الزهد والرقائق ص ٢٥٣.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٨٥.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ٥٣.

وروىٰ الديلمي في مسند الفردوس[١] من حديث أنس: «الصمت سيد الأخلاق، ومَن مزح استُخِفَّ به».

ومن حديث أبي هريرة: «الصمت أرفعُ العبادةِ».

وروىٰ[٢] أبو الشيخ في الثواب من حديث محرز بن زهير: «الصمت زين للعالِم، وسترٌ للجاهل».

وروىٰ ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] من حديث أسود بن أصرم المحاربي قال: قلت: أوصِني يا رسول الله. قال: «أتملك يدك»؟ قال: قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «أتملك لسانَك»؟ قال: فما أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «فلا تبسط يدك إلا إلىٰ خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفًا».

ومن طريق شهر بن حوشَب، حدثني ابن غَنْم أن معاذًا قال: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه.

ومن طريق سالم بن أبي الجَعْد قال: قال عيسىٰ عليه السلام: طوبَىٰ لمَن بكىٰ من خطيئته وخزن لسانَه ووسعه بيتُه.

ومن طريق الشعبي قال: قلت لعبد الله بن عمرو: حدِّثْني ما سمعتَ من رسول الله ﷺ ودع الكتبَ فإني لا أعبأ بها شيئًا. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَن هجر ما كره ربُّه».

ومن طريق أبي الزبير عن جابر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: «مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده».

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤١٧.

(٢) كنز العمال ٣/ ٣٥٠.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٤٥، ٤٨، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٧٣.

ومن طريق أبي مُراوِح الليثي عن أبي ذر رفعه قال: «كُفَّ شرَّك عن الناس فإنها صدقة منك علىٰ نفسك».

(الآثـار:

كان أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام) وقد اشتهر ذلك عنه وحكاه غير واحد من العلماء **(وكان)** أبدًا **(يشير إلىٰ لسانه)** ويجبذه تارةً بيده (و) إذا سُئل عن ذلك **(يقول: هذا الذي أوردني الموارد)** تقدَّم هذا القولُ من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر قال له: مَه يا خليفة رسول الله! ومن رواية قيس بن أبي حازم عن أبي بكر، وقد ذُكر قريبًا.

(وقال عبد الله بن مسعود) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(واللهِ الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلىٰ طول سجن من لسان)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[١] فقال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير وأبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان، عن عنبس بن عُقبة التيمي قال: قال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره، ما علىٰ الأرض شيء أفقر - وقال أبو معاوية: أحوج - إلىٰ طول سجن من لسان. وحدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو نصر التَّمَّار، حدثنا حماد، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: ما شيء أحق بطول السجن من اللسان. وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٢] عن الطبراني، عن علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، عن الأعمش، عن يزيد بن حيان ... فساقه بلفظ: واللهِ الذي لا إله إلا هو، ما علىٰ وجه الأرض شيء أحوج إلىٰ طول سجن من لسان.

(وقال ابن طاووس) هو عبد الله: **(لساني سبع، إن أرسلتُه أكلني)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] فقال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان قال: قال

---

(١) السابق ص ٥٣، ٥٧.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٣٤.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٦٣، ٦٧.

بعض الماضينَ: إنما لساني سبع إن أرسلتُه خفت أن يأكلني. وحدثني علي ابن أبي مريم، عن زيد بن الحُباب، حدثنا محمد بن حوشب قال: سمعت أبا عمران الجَوْني يقول: إن لسان أحدكم كلب، فإذا سلَّطه علىٰ نفسه أكلَه.

(وقال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالىٰ: **(في حكمة آل داود)** عليه السلام: **(حقٌّ علىٰ العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مقبلاً علىٰ شأنه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[١] فقال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه قال: في حكمة آل داود: حق علىٰ العاقل ... فساقه.

وأخرج ابن حبان في صحيحه[٢] وأبو نعيم في الحلية[٣] من حديث أبي ذر رفعه: «كان في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلىٰ العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلاً علىٰ شأنه، حافظًا للسانه».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(ما عقل دينَه من لم يحفظ لسانه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٤] فقال: حدثني سُرَيج بن يونس، حدثنا علي ابن ثابت، عن أبي الأشهب، عن الحسن ... فساقه.

(وقال) أبو عمرو **(الأوزاعي)** الفقيه رحمه الله تعالىٰ: **(كتب إلينا عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالىٰ برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول **(أما بعد، فإنَّ مَن أكثرَ ذِكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومَن عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٥] فقال: حدثنا أحمد بن إبراهيم،

---

(١) السابق ص ٦٠.
(٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٧٨.
(٣) حلية الأولياء ١/ ١٦٧.
(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٦١، ٢٦٢.
(٥) السابق ص ٦٢.

حدثنا خلف بن تميم، عن عبد الله بن محمد الأنصاري، عن الأوزاعي قال: كتب ... فساقه، إلا أنه قال: قلَّ كلامه فيما لا ينفعه.

(وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل خصلتين: السلامة، والفهم عن صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[1] فقال: حدثني محمد بن الحسين قال: سمعت محمد بن عبد الوهاب الكوفي يقول: الصمت يجمع للرجل ... فساقه.

(وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار) البصريان العابدان: **(يا أبا يحيىٰ)** وهي كنية مالك بن دينار **(حفظُ اللسان أشدُّ علىٰ الناس من حفظ الدينار والدرهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[2] فقال: حدثني علي بن أبي مريم، عن أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا جعفر الخَرَّاز قال: سمعت محمد بن واسع يقول لمالك بن دينار: يا أبا يحيىٰ، حفظُ اللسان أشد علىٰ الناس من حفظ الدنانير والدراهم.

(وقال يونس بن عبيد) بن[3] دينار العبدي، أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، مات سنة تسع وثلاثين [ومائة] روىٰ له الجماعة **(ما من الناس أحد يكون منه لسانه علىٰ بال إلا رأيتَ صلاح ذلك في سائر عمله)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[4] فقال: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا حجاج بن محمد، عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت يونس بن عبيد يقول ... فساقه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(تكلم قوم عند معاوية)** بن أبي سفيان **(والأحنف بن قيس)** التميمي **(ساكت، فقال له)** معاوية: **(ما لك يا أبا بحر)** وهي كنية الأحنف **(لا تتكلم؟ فقال له: أخشىٰ اللهَ إن كذبتُ، وأخشاك إن صدقتُ)**

---

(١) السابق ص ٦٩.

(٢) السابق ص ٦٩.

(٣) تقريب التهذيب ص ١٠٩٩.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٧٠.

أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[١] فقال: حدثني داود بن عمرو الضَّبِّي، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا ابن عون، عن الحسن قال: كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنفُ ساكت، فقالوا: ما لك لا تتكلم يا أبا بحر؟ قال: أخشىٰ اللهَ إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقتُ. وحدثني محمد بن الحسين، عن عبيد الله بن محمد التيمي قال: قيل للأحنف بن قيس يومَ قَطَرِيٍّ: تكلمْ. قال: أخاف ورطة لساني.

(**وقال أبو بكر بن عَيَّاش**) بياء تحتية مشدَّدة وشين معجمة، ابن سالم الأسدي الكوفي المقرئ الحَنَّاط - بالنون - مشهور بكنيته، واختُلف في اسمه علىٰ أقوال عشرة؛ كذا في التهذيب[٢] للحافظ. وفي الأربعين العشارية[٣] للعراقي: علىٰ ثلاثة عشر قولاً، والصحيح أن اسمه كنيته، وصحَّحه ابن حبان وابن عبد البر وابن الصلاح والمزي والذهبي، وقد احتجَّ به البخاري في صحيحه، ووثَّقه أحمد وابن معين. مات سنة أربع وتسعين[٤]. قال: (**اجتمع أربعة ملوك**) فرموا رمية واحدة بكلمة واحدة (**ملك الهند وملك الصين وكسرىٰ وقيصر، فقال أحدهم: أنا أندم علىٰ ما قلت، ولا أندم علىٰ ما لم أقل. وقال الآخَر: إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه الكلمةُ ضرَّته، وإن لم ترجع لم تنفعه. وقال الرابع: أنا علىٰ ردِّ ما لم أقُل أقدر مني علىٰ ردِّ ما قلت**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٥] فقال: حدثني هاشم بن الوليد أبو طالب الهَرَوي قال: سألته فقال: سمعت أبا بكر بن عيَّاش قال: اجتمع أربعة ملوك ... فساقه.

---

(١) السابق ص ٧٠.

(٢) تقريب التهذيب ص ١١١٨.

(٣) الأربعون العشارية ص ١٥٧ - ١٥٩ (ط - دار ابن حزم).

(٤) تقدمت هذه الترجمة في كتاب العزلة.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٧١.

(وقيل: **أقام المنصور بن المعتمر**) بن[١] عبد الله السُّلَمي، أبو عَتَّاب الكوفي، الثقة العابد، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، روىٰ له الجماعة (**لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة أربعين سنة**) وصام أربعين سنة صام نهارها وقام ليلها، وكان يبكي الليلَ كلَّه، فتقول له أمه: يا بني، قتلتَ قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعتُ بنفسي. فإذا أصبح كحَّل عينيه ودهن رأسه وبرَّقَ شفتيه وخرج إلىٰ الناس. ذكره المزي في التهذيب[٢].

(وقيل: **ما تكلم الربيع بن خُثَيم**) بن عائذ الثوري، أبو يزيد الكوفي، الثقة العابد (**بكلام الدنيا أربعين**[٣] **سنة، وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسًا وقلمًا، فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء**) وكان من المخبتين الخاشعين، مات في ولاية عبيد الله بن زياد، وروىٰ له الجماعة إلا أبا داود.

تنبيه: وقد بقي علىٰ المصنف ذِكرُ آثار هي علىٰ شرطه في الكتاب. روىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت[٤] من طريق ابن عون، حدثني عطاء البَزَّاز، عن أنس ابن مالك قال: لا يتَّقي اللهَ رجل - أو أحد - حق تُقاته حتىٰ يخزن من لسانه.

ومن طريق حُمَيد بن هلال قال: قال عبد الله بن عمرو: دَعْ ما لستَ منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن وَرِقَك.

ومن طريق نُسَير بن ذُعْلُوق عن بكر بن ماعز عن الربيع بن خُثَيم قال: يا بكر بن ماعز، اخزِنْ عليك لسانك إلا مما لك ولا عليك.

ومن طريق جرير عن يزيد بن حَيَّان التيمي قال: كان يقال: ينبغي للرجل أن

---

(١) تقريب التهذيب ص ٩٧٣.

(٢) تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٥٤ نقلا عن حلية الأولياء ٥/ ٤١.

(٣) في متن الإحياء: عشرين.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٥٣ - ٧٢، ٢١٧.

يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه.

ومن طريق حماد بن زيد قال: بلغني أن محمد بن واسع كان في مجلس، فتكلم رجل فأكثر الكلامَ، فقال محمد: ما علىٰ أحدهم لو سكت فتوقَّىٰ وتنقَّىٰ.

ومن طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لو كُلِّفَ الناسُ الصُّحُفَ لأقلُّوا الكلامَ.

ومن طريق سفيان بن عيينة قال: قال وُهَيب بن الورد: إن الرجل لَيصمتُ فيجتمع إليه لُبُّه.

ومن طريق أبي الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال: كان يقال: كثرة الكلام تُذهِب الوقارَ.

ومن طريق خلف بن إسماعيل قال: قال لي رجل من عقلاء الهند: كثرة الكلام تذهب بمروءة الرجل.

ومن طريق قَبِيصة قال: قال داود الطائي لمحمد بن عبد العزيز ذات يوم: أما علمتَ أن حفظ اللسان أشدُّ الأعمال وأفضلها؟ قال محمد: بلىٰ، فكيف لنا بذلك؟

ومن طريق عمران بن يزيد قال: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم تقُمْ له جارحةٌ.

ومن طريق عَبَّاد بن الوليد القرشي قال: قال الحسن: اللسان أمير البدن، فإذا جنىٰ علىٰ الأعضاء [بشيء] جنت، وإذا عفَّ عفَّت.

ومن طريق خيثمة عن عدي بن حاتم قال: أيمنُ أحدكم وأشأمُه بين لَحْييه. يعني لسانه.

ومن طريق الشعبي قال: قلت للهيثم بن الأسود النخعي: أيُّ الثلاثة أشعرُ

منك ومن الأعور الشَّنِّي وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت، حيث تقول أنت:

وأعلمُ علمًا ليس بالظن أنه إذا زال مالُ المرء فهو ذليل
وأن لسان المرء ما لم تكن له حَصاةٌ على عوراته لَدليلُ[١]

أم الأعور الشَّنِّي حيث يقول[٢]:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فهل بعدُ إلا صورة اللحم والدم
وكأيِّن ترى من ساكت لك معجِبٌ زيادته أو نقصُه في التكلُّم

أم عبد الرحمن بن حسان حيث يقول[٣]:

ترى المرءَ مخلوقًا وللعين حظُّها وليس بأَحْناء الأمور بخابِر
وذاك كماء البحر لستَ مسيغه ويُعجَب منه ساجيًا كلُّ ناظر

فقال الهيثم: هيهات! الأعور أشعرُنا.

(فإن قلتَ: فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه؟ فاعلمْ أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغِيبة والنميمة والرياء والنفاق والفُحش والمِراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخَلق وهتك العورات) وغيرها، وهي نحو سبع عشرة آفة **(فهذه آفات كثيرة، وهي سباقة إلى اللسان لا ينفكُّ[٤] عنها)** أي عن مجموعها بالقوة في بعضها والضعف في بعضها **(ولها حلاوة في القلب، وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان)** بإغرائه وتسويله، فيقوَى ما في الطبع حتى يصير متمكِّنًا منه **(والخائض**

---

(١) نُسب هذان البيتان لطرفة بن العبد، وهما في ديوانه ص ٦٧.

(٢) البيتان في ديوانه ص ٣٩ (ط - مؤسسة المواهب ببيروت) ولكن بتقديم البيت الثاني على الأول.

(٣) البيتان في ديوانه ص ٢٣ - ٢٤ (ط - مطبعة المعارف ببغداد).

(٤) في غير الزبيدي: لا تثقل عليه.

فيها قلَّما يقدر أن يمسك اللسان) ويزمَّه (**فيطلقه بما يحب ويكفه عمَّا لا يحب، فإنَّ ذلك من غوامض العلم، كما سيأتي تفصيله. ففي الخوض خطرٌ**) وهلاك (**وفي الصمت سلامة**) من الهلاك (**فلذلك عظُمت فضيلتُه**) وفضل جانبه (**هذا مع ما فيه من جمع الهِمَم**) من التشتُّت (**ودوام الوقار**) والهيبة بين الناس (**والفراغ للفكر والذكر والعبادة، والسلامة من تَبِعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة، فقد قال تعالىٰ**: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾) [ق:١٨] أي ما يتكلم بكلمة إلا وعنده مراقب حاضر مهيَّأ يكتب عليه ما يقوله.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الصمت[١] من طريق مجاهد: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ قال: المَلَكانِ. وقال: إن الكلام لَيُكتَب حتىٰ إن الرجل لَيُسكِت ابنَه: أبتاع لك كذا وكذا، وأفعل لك كذا وكذا، فتُكتَب كُذَيبة.

(**ويدلُّك علىٰ فضل لزوم الصمت أمرٌ وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة؛ لأن منفعته لا تفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به تضييع زمان**) والعمر جوهر نفيس (**وهو عين الخسران، فلا يبقىٰ إلا القسم الرابع**) وهو الذي فيه نفع محض (**فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] فقال: حدثنا علي بن أبي مريم، عن خلف بن تميم، حدثنا أبو إسحاق الفَزاري قال: كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلم ربما انبسط، فأطال ذات يوم السكوتَ، فقلت له: لو تكلمتَ. فقال: الكلام علىٰ أربعة وجوه، فمن الكلام كلامٌ ترجو منفعتَه وتخشىٰ عاقبته، فالفضل في هذا السلامة منه. ومن الكلام كلامٌ لا ترجو منفعته ولا تخشىٰ عاقبته، فأقلُّ ما لك في تركه خفةُ

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) السابق ص ٦٧.

المؤنة علىٰ بدنك ولسانك. ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تأمن عاقبته، فهذا قد كُفي العاقل مؤنته. ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشرُه. قال خلف: فقلت لأبي إسحاق: إبراهيم أراه قد أسقط ثلاثةَ أرباع الكلام. قال: نعم.

(**وبقي ربعٌ، وهذا الربع فيه خطر؛ إذ يمتزج به ما هو إثم**) عند الله تعالىٰ، وذلك (**من دقائق الرياء والتصنُّع والغِيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجًا**) **لطيفًا** (**يخفَىٰ دركُه**) لأكثر الناس (**فيكون الإنسان به مُخاطِرًا**) أي مشرفًا علىٰ خطر عظيم (**ومَن عرف دقائق آفات اللسان - علىٰ ما سنذكره - علم قطعًا أن ما ذكره** ﷺ **هو فصل الخطاب**) في بابه (**حيث قال: مَن صمت نجا**) وقد تقدم الكلام عليه قريبًا (**فلقد أوتيَ**) ﷺ (**واللهِ جواهر الحِكَم قطعًا وجوامع الكَلِم**) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم[1] بلفظ: «أوتيتُ جوامع الكلم، واختُصِر لي الكلام اختصارًا» (**ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء**) إذ هي ثمان أحرُف، وقد جمع فيها خير الدنيا والآخرة، وهو أبلغُ من قول القائل: مَن سكت سَلِمَ؛ لأن الصمت أبلغ من السكوت، كما تقدمت الإشارة إليه، والنجاة أبلغ من السلامة؛ لأن السلامة قد يُقتصَر إطلاقها علىٰ الخلاص من شر الناس، فهو خاص في الدنيا، والنجاة تعمُّ الدنيا والآخرة، فكأنه قال: مَن صمت عمَّا لا يعني وعن الفضول سلم في نفسه من شر الناس ومن شر الشيطان، ومَن سلم منهما فقد نجا من تَبِعات الآخرة (**وفيما سنذكره من الآفات وعُسر الاحتراز عنها ما يعرِّفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالىٰ، ونحن الآن نعدُّ آفات اللسان، ونبتدئ بأخفِّها، ونترقَّىٰ إلىٰ الأغلظ**) منها (**قليلاً قليلاً، ونؤخِّر الكلام في الغِيبة والكذب والنميمة، فإنَّ النظر فيها أطول**) والكلام فيها أكثر (**وهي عشرون آفة، فاعلمْ ذلك ترشد بعون الله تعالىٰ**) وحسن توفيقه.

---

(١) في كتاب أخلاق النبوة.

الآفة الأولىٰ: الكلام فيما لا يعنيك

أي لا يهمُّك.

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغِيبة والنميمة والكذب والمِراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه) ولا تخشىٰ عاقبته (ولا) ضرر فيه (علىٰ مسلم أصلاً) لا حالاً ولا مآلاً (إلا أنك تتكلم بما أنت مستغنٍ عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك، ومحاسَب علىٰ عمل لسانك، ومستبدل الذي هو أدنىٰ) أي أخس وأحقر (بالذي هو خير) وأنفع (لأنك لو صرفتَ زمان الكلام إلىٰ الفكر) أي إلىٰ استعماله فيما هو بصدده (ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالىٰ) ومن رشحات كرمه (عند) ذلك (الفكر ما تعظُم جَدْواه) أي فائدته (ولو هلَّلتَ الله سبحانه وذكرته وسبَّحته) وقدَّسته وكبَّرته (لكان خيرًا لك) أخرج ابن أبي الدنيا في الصمت[1] من طريق بكر بن ماعز قال: كان الربيع بن خُثَيم يقول: لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك عن الخير، وتعوُّذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن (فكم من كلمة يتكلم بها (يُبْنَىٰ بها قصر في الجنة) كما وردت بذلك الأخبار، ويُغرس له غرسٌ في الجنة (ومَن قدر علىٰ أن يأخذ كنزًا من الكنوز فأخذ مكانه مَدَرة) أو خزفة (لا ينتفع بها كان خاسرًا خسرانًا بيِّنًا[2]، وهذا مثال مَن ترك ذِكر الله تعالىٰ واشتغل بمباح لا يعنيه، فإنه وإن لم يأثم) لكون ما اشتغل به ممَّا أُبيحَ له (فقد خسر، حيث فاته الربحُ العظيم بذكر الله تعالىٰ، فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرًا، و) لا يكون (نظرُه إلا

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٨٤.

(٢) في غير الزبيدي: مبينًا.

عبرة، و) لا يكون **(نطقه إلا ذكرًا. هكذا قال النبي ﷺ)** قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً. وروىٰ محمد ابن زكريا الغلابي - أحد الضعفاء - عن ابن عائشة عن أبيه قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إن الله أمرني أن يكون نطقي ذِكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري عِبرة»[٢].

(بل رأس مال العبد أوقاته، ومهما صرفها إلىٰ ما لا يعنيه ولم يدَّخر بها ثوابًا في الآخرة فقد ضيَّع رأس ماله) وخسر خسرانًا مبينًا **(ولهذا قال النبي ﷺ: من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه)** رواه أحمد وأبو يعلىٰ والترمذي[٣] - وقال: غريب - وابن ماجه[٤] والبيهقي[٥] من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ورواه ابن أبي الدنيا[٦] من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه أحمد[٧] والعسكري في الأمثال والطبراني في الكبير[٨] وأبو نعيم في الحلية[٩] وابن عبد البر[١٠] عن علي بن الحسين عن أبيه به مرفوعًا. ورواه مالك[١١] والنسائي وابن أبي الدنيا[١٢] والبيهقي[١٣] من طريق الزهري عن علي ابن الحسين مرسلًا . ورواه

(١) المغني ٢/ ٧٧٢.
(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٨٩.
(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٤٨.
(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٦٢.
(٥) شعب الإيمان ٧/ ٥٥.
(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٩٢.
(٧) مسند أحمد ٣/ ٢٥٩.
(٨) المعجم الكبير ٣/ ١٣٨.
(٩) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٩، ١٠/ ١٧١.
(١٠) التمهيد ٩/ ١٩٥ - ١٩٩.
(١١) الموطأ ٢/ ٩٠٣.
(١٢) الصمت وآداب اللسان ص ٩٢.
(١٣) شعب الإيمان ٧/ ٥٤، ١٣/ ٢٦٨ - ٢٧٠.

ابن عساكر [١] عن علي بن الحسين عن الحارث ابن هشام به مرفوعًا. ورواه العسكري[٢] عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي ابن أبي طالب به مرفوعًا. ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أبي ذر. ورواه الحاكم في الكنىٰ[٣] من حديث أبي بكر. ورواه الطبراني في الكبير[٤] من حديث زيد بن ثابت. وفي الباب عن جماعة.

وقال الدارقطني في العلل[٥]: يرويه الأوزاعي، واختُلف عنه، فرواه محمد ابن شعيب والوليد بن مزيد وعمارة بن بشير وإسماعيل بن عبد الله بن سماعة وبِشر بن بكر كلهم عن الأوزاعي عن قُرَّة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وخالفهم عمر بن عبد الواحد وبقية بن الوليد وأبو المغيرة فرووه عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ولم يذكروا فيه قُرَّة. ورواه مبشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة وسليمان بن يسار عن أبي هريرة، قاله موسىٰ بن هارون، وهو ثقة حدَّث عنه محمد بن يحيىٰ وغيره عن مبشر [ورواه وعبد الرزاق بن عمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة] ورُوي عن إسماعيل بن عيَّاش ومحمد ابن كثير المِصِّيصي عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ورواه عبد الله بن بديل عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ. والمحفوظ حديث أبي هريرة وحديث علي بن الحسين مرسلاً، وكذلك هو في الموطأ. و[كذلك] رواه خالد بن عبد الرحمن المخزومي عن مالك عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه، وخالد ليس بالقوي. ورُوي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العُمَري – وهو

---

(١) تاريخ دمشق ٦٤/ ٤٨.

(٢) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٦٨.

(٣) وكذلك أبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/ ١٥٨١.

(٤) بل في المعجم الصغير ٢/ ١١٨.

(٥) العلل ٨/ ٢٥ – ٢٧.

ضعيف - عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، ولا يصح، والصحيح حديث الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً.

وأما[١] حديث عليٍّ فقد يرويه الزهري عن علي بن الحسين، واختُلف عنه، فرواه أبو همام الدلاَّل عن عبد الله بن عمر العُمَري فقال: عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي عن رسول الله ﷺ. وخالفه موسىٰ بن داود فقال: عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ. وغيره يرويه عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً، وهو الصحيح[٢]. واختُلف عن مالك، فرواه خالد بن عبد الرحمن[٣] الخُراساني عن مالك عن الزهري عن علي بن الحسين [عن أبيه، وخالفه أصحاب مالك فرووه عن الزهري عن علي بن الحسين] مرسلاً، وكذلك رواه أصحاب الزهري عن الزهري. ورُوي عن جعفر بن محمد، واختُلف عنه، فرواه موسىٰ بن عمير عن جعفر عن أبيه عن جده عن علي. وخالفه يوسف بن أسباط فرواه عن الثوري عن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب. والصحيح قول مَن أرسله عن علي ابن الحسين عن النبي ﷺ.

قلت: قال ابن عدي في الكامل[٤] بعد أن روىٰ هذا الحديث عن أبي العلاء الكوفي عن هشام بن عمَّار عن محمد بن شعيب عن الأوزاعي عن قُرَّة ما لفظه: وقد روىٰ عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري بضعة عشر حديثًا، ولقرة أحاديث

---

(١) السابق ٣/ ١٠٨ - ١١٠.

(٢) عبارة (وهو الصحيح) ليست في العلل، بل فيه بعد قوله (عن علي بن الحسين مرسلا): «ورواه قزعة بن سويد عن عبيد الله بن عمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ، وكذلك قيل: عن عدي بن الفضل عن عبيد الله، ولا يصح. وغيره يرويه عن عبيد الله عن الزهري عن علي ابن الحسين مرسلا».

(٣) في المطبوعة: خالد بن خداش. والتصويب من العلل.

(٤) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٧٧.

صالحة رواها عنه رشدين بن سعد وسويد بن عبد العزيز وابن وهب والأوزاعي وغيرهم، وجملة حديثه عند هؤلاء. والله أعلم.

تنبيه: قال[١] الطيبي[٢]: «من» في الحديث تبعيضية، ويجوز كونها بيانية. ا.هـ. وإنما قال «من حسن إسلام المرء» ولم يقل: من حسن إيمان المرء لأن الإسلام عبارة عن الأعمال الظاهرة، والفعل والترك إنما يتعاقبان عليها، وزاد «حُسن» إيماءً إلىٰ أنه لا عبرة بصور الأعمال فعلاً وتركًا إلا إن اتَّصفت بالحسن بأن توفَّرت شروط مكمِّلاتها فضلاً عن المصححات، وجعل الترك ترك ما لا يعني من الحسن مبالغة، وفي إفهامه[٣] أن من قبح إسلام المرء أخذه فيما لا يعنيه، والذي لا يعني هو الفضول كله علىٰ تبايُن أنواعه. وهذا الحديث قالوا: ربع الإسلام، وقيل: نصفه، وقيل: كله[٤].

(**بل ورد ما هو أشد من هذا، قال أنس**) بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**استشهد غلام منا**) أي من الأنصار (**يوم أُحد، فوجدنا علىٰ بطنه حجرًا مربوطًا**) أي (**من الجوع، فمسحت أمُّه عن وجهه التراب وقالت: هنيئًا لك الجنة يا بني. فقال** ﷺ: **وما يدريكِ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضرُّه**) قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] من حديث أنس مختصرًا وقال: غريب، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٧] بلفظ المصنف بسند ضعيف.

---

(١) فيض القدير ٦/ ١٢.
(٢) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣١٢٤.
(٣) يعني: مفهومه.
(٤) انظر: الفتح المبين في شرح الأربعين، لابن حجر الهيثمي صـ٣٠١.
(٥) المغني ٢/ ٧٧٢.
(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٤٧ - ١٤٨. ولفظه: «توفي رجل من أصحابه، فقال رجل: أبشر بالجنة. فقال رسول الله ﷺ: أوَ لا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه».
(٧) الصمت وآداب اللسان ص ٩٣.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدثنا يحيىٰ بن يعلَىٰ الأسلمي، عن الأعمش، عن أنس بن مالك قال: استشهد غلام منا يوم أحد، فوُجد علىٰ بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئًا لك يا بني الجنة ... فساقه. ولعل وجه ضعف هذا السند أن الأعمش لم يثبُت سماعُه من أنس، له رؤية فقط لا رواية. أو لأن يحيىٰ ابن يعلىٰ الأسلمي ضعَّفه أبو حاتم وغيره[١].

(**وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ فقد كعبًا**) أي ابن عجرة (**فسأل عنه، فقالوا**): هو (**مريض. فخرج يمشي حتىٰ أتاه**) عائدًا له (**فلما دخل عليه قال: أبشِرْ يا كعب. فقالت أمه: هنيئًا لك الجنة يا كعب. فقال ﷺ: مَن هذه المتألِّية علىٰ الله؟ قال**) كعب: (**هي أمي يا رسول الله. قال: وما يدريكِ يا أم كعب لعل كعبًا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه**) قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين مَن رواه عنه.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عيسىٰ المصري، حدثنا ضِمام بن إسماعيل الإسكندراني، حدثني يزيد بن أبي حبيب وموسىٰ بن وَرْدان، عن كعب ابن عُجْرة أن النبي ﷺ فقد كعبًا ... فساقه كما هنا. أما كعب ففي قول الواقدي: مات سنة اثنتين وخمسين. وأما موسىٰ بن وردان فإنه مات سنة سبع عشرة [ومائة] وله أربع وسبعون سنة، فكان عمره لمَّا مات كعب نحو أربع عشرة سنة، وعلىٰ هذا يمكن سماعه منه. وأما يزيد بن أبي حبيب فإنه مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وبلغ زيادة علىٰ خمس وسبعين سنة، فكان عمره حين مات كعب نحو أربع سنين، فتأملْ.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ١٩٦. ميزان الاعتدال ٤/ ٤١٥.

(٢) المغني ٢/ ٧٧٢ - ٧٧٣.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٩٣.

(ومعناه أنه إنما يتهيَّأ للجنة مَن لا يحاسَب[١]**، ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسِبَ عليه وإن كان كلامه مباحًا فلا تتهيَّأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فإنه نوع عذاب**[٢]**)** ومن نوقِشَ في الحساب عُذِّب.

(وعن محمد بن كعب) بن[٣] سليم بن أسد القُرَظي رحمه الله تعالىٰ، كنيته أبو حمزة، مدني نزل الكوفة، وُلد سنة أربعين علىٰ الصحيح، مات سنة عشرين ومائة، روىٰ له الجماعة **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول من يدخل الجنة**[٤] **من هذا الباب رجل من أهل الجنة. فدخل عبد الله بن سلام)** رضي الله عنه **(فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك وقالوا: أخبِرْنا عن أوثق عمل في نفسك ترجو به الله. فقال: إني ضعيف، وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني)** قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا[٦] هكذا مرسلاً، وفيه أبو معشر نجيح، اختُلف فيه.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجَعْد، أخبرني أبو معشر، عن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه، وفيه: فأخبروه بقول النبي ﷺ وقالوا: أخبِرْنا بأوثق عملك. وفيه: إني لَضعيفٌ. وفيه: لَسلامةُ الصدر. والباقي سواء. وأبو[٧] معشر نجيح بن عبد الرحمن السِّنْدي، مولىٰ بني هاشم، مشهور بكنيته، روىٰ له أصحاب السنن، ضعيف، أسنَّ واختلط، مات سنة سبعين ومائة.

---

(١) في ط المنهاج ٥/ ٤٠٥: تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب. وفي م الإمام: يُهنئ بالجنة من لا يحاسب.

(٢) في غير الزبيدي: نوع من العذاب.

(٣) تقريب التهذيب ص ٨٩١.

(٤) لفظة: الجنة. ليست إلا في الزبيدي

(٥) المغني ٢/ ٧٧٣.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٩٤.

(٧) تقريب التهذيب ص ٩٩٨.

وقد رواه أيضًا أسد بن موسىٰ عن أبي معشر هذا.

(وقال أبو ذر) الغِفاري رضي الله عنه: (**قال لي رسول الله ﷺ: ألا أُعلِمك بعمل خفيف علىٰ البدن، ثقيل في الميزان؟ قلت: بلىٰ يا رسول الله. قال: هو الصمت، وحسن الخُلق، وتركُ ما لا يعنيك**) قال العراقي[1]: رواه ابن أبي الدنيا[2] بسند منقطع.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا محمد بن يزيد بن خُنَيس، عن وُهَيب بن الورد بلغه أن أبا ذر قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه.

(**وقال مجاهد**) بن جبر المكي التابعي: (**سمعت ابن عباس يقول: خمس لهنَّ أحب إليَّ من الدُّهْم الموقَفة**) أي من الخيل الدُّهْم التي أُوقِفت وأُعِدَّت للركوب. الأولىٰ: (**لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمَنُ عليك الوِزْرَ**) أي الإثم (**ولا تتكلم فيما يعنيك حتىٰ تجد له موضعًا، فإنه رُب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنتَ**) أي وقع في العَنَت وهو الشدة والحرج (و) الثانية: (**لا تُمارِ حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقليك**) أي يبغضك بقلبه (**والسفيه يؤذيك**) بلسانه (و) الثالثة: (**اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعْفِه ممَّا تحب أن يعفيك منه. و**) الرابعة: (**عامِلْ أخاك بما تحب أن يعاملك به. و**) الخامسة: (**اعملْ عمل رجل يعلم أنه مجازىٰ بالإحسان، مأخوذ بالاجترام**) أخرجه ابن أبي الدنيا[3] فقال : حدثني أبو محمد العَتَكي عبد الرحمن بن صالح، حدثني أبو هارون – جليس لأبي بكر بن عَيَّاش – عن مُحرِز التيمي، عن مجاهد، عن ابن عباس قال سمعته يقول: خمس لهنَّ أحسن من الدُّهْم الموقَفة ... فساقه.

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٣.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٩٥.

(٣) السابق ص ٩٥.

(وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عمَّا كُفيتُ، ولا أتكلَّف ما لا يعنيني) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال[١]: حدثني علي بن الجَعْد، عن شعبة، عن سَيَّار أبي الحكم قال: قيل للقمان ... فساقه.

(وقال مورق العِجْلي) هو[٢] أبو المعتمر مورِّق بن مُشَمْرِج بن عبد الله البصري، ثقة، عابد، روىٰ له الجماعة **(أمرٌ أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه؟ قالوا: وما هو)** يا أبا المعتمر؟ **(قال: السكوت عمَّا لا يعنيني)** أخرجه ابن أبي الدنيا فقال[٣]: حدثنا محمد بن سعد، حدثنا عفَّان، عن جعفر بن سليمان، عن المعلَّىٰ بن زياد قال: قال مورِّق العجلي ... فساقه.

(وقال عمر) بن الخطاب (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ): **لا تتعرَّض لِما لا يعنيك، واعتزل عدوَّك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا مَن خشي الله تعالىٰ، ولا تصحب الفاجر فتتعلَّم من فجوره، ولا تطلعه علىٰ سرِّك، واستشِرْ في أمرك الذين يخشون الله)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٤] بسندين، الأول قال: حدثنا عبد الله ابن خَيْران، أخبرنا المسعودي، عن وديعة - يعني الأنصاري - قال: قال عمر ابن الخطاب: لا تتعرَّض لِما لا يعنيك ... فساقه. والثاني قال: حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا حبَّان بن علي، عن محمد بن عجلان، عن إبراهيم بن مُرَّة، عن عمر بن الخطاب نحوه.

ورواه أبو نعيم في الحلية[٥] من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن محمد بن عجلان، عن إبراهيم بن مُرَّة، عن محمد بن شهاب قال:

(١) السابق ص ٩٦.
(٢) تقريب التهذيب ص ٩٧٧.
(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٩٦ - ٩٧.
(٤) السابق ص ٩٧ - ٩٨.
(٥) حلية الأولياء ١/ ٥٥.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تتعرَّض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوَّك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجرَ فيعلِّمك من فجوره، ولا تُفْشِ إليه سرَّك، واستشِرْ في أمرك الذين يخشون الله.

وقد تقدم ذلك أيضًا في كتاب آداب الصحبة.

تنبيه: وقد بقي على المصنف ما هو على شرطه. روى ابن أبي الدنيا(١) من طريق زيد بن أسلم أنه دخل على أبي دُجانة وهو مريض ووجهه يتهلَّل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا.

ومن طريق عمرو بن قيس المُلائي أن رجلاً مرَّ بلقمان والناسُ عنده، فقال: ألستَ عبد بني فلان؟ قال: بلى. قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صِدق الحديث، وطول السكوت عمَّا لا يعنيني.

ومن طريق داود بن أبي هند قال: بلغني أن معاوية قال لرجل: ما بلغ(٢) من حِلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني.

ومن طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت شُمَيطًا العَنْسي يقول: مَن لزم ما يعنيه أوشك أن يترك ما لا يعنيه.

ومن طريق ثابت الثُّمالي عن أبي جعفر قال: كفى عيبًا أن يبصر العبد من الناس ما يعمَى عليه من نفسه، وأن يؤذي جليسه فيما لا يعنيه.

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٩٥ - ٩٨.

(٢) في الصمت: ما بقي.

وأخرج الخرائطي[١] من حديث ابن مسعود قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، إني مُطاع في قومي، فبما آمرهم؟ قال: «مُرْهم بإفشاء السلام، وقلة الكلام إلا فيما يعنيهم».

وأخرج العقيلي[٢] من حديث أبي هريرة: «أكثرُ الناس ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه».

وروى أبو عبيد عن الحسن قال: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه[٣].

وقال سهل التستري: مَن تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق[٤].

وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عزوجل[٥].

(وحدُّ الكلام فيما لا يعنيك) أي[٦] لا تتعلق به عنايتُك، ولا يكون من مقصدك ومطلوبك؛ لأن العناية: شدة الاهتمام بالشيء، يقال: عناه يعنيه: إذا اهتمَّ به وطلبه **(أن تتكلم بكلام لو سكتَّ عنه لم تأثم ولم تستضرَّ به في حال أو قال[٧]، مثاله: أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك، وما رأيت فيها من جبال وأنهار)** وبلاد **(وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنتَه من الأطعمة والثياب، وما تعجَّبتَ منه من**

---

(١) مكارم الأخلاق ص ١٣٦.

(٢) الضعفاء الكبير ٣/ ١١١٧.

(٣) رواه أبو الشيخ الأصفهاني في طبقات المحدثين بأصفهان ٣/ ٢٩٢ والدارقطني في المؤتلف والمختلف ٣/ ١٦٩١ - ١٦٩٢ عن غريف اليماني بلفظ: إن من علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه. وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٤٦٦ عن الجنيد.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٩٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٨٧، ١٣/ ٢٧٣.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٦١، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٨٧.

(٦) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/ ٢٨٨ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٧) في غير الزبيدي: مال. بالميم.

مشايخ البلاد ووقائعهم) معك أو مع غيرك (فهذه أمور لو سكتَّ عنها لم تأثم ولم تستضرَّ، وإذا بالغتَ في الاجتهاد حتىٰ لم تمتزج بحكايتك زيادة أو نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخُر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مَذَمَّة لشيء ممَّا خلقه الله تعالىٰ فأنت مع ذلك كلِّه مضيِّع زمانك) في تلك الحكايات (وأنَّىٰ تَسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عمَّا لا يعنيك) ولا يهمُّك (فأنت بالسؤال مضيع وقتك، وقد ألجأت صاحبَك أيضًا بالجواب إلىٰ التضييع) أي تضييع وقته (هذا إذا كان الشيء ممَّا لا يتطرَّق إلىٰ السؤال عنه آفةٌ، وأكثر الأسئلة فيها آفات) لا يخلو منها (فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً فتقول له: هل أنت صائم؟ فإن قال «نعم» كان مُظهِرًا لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضُل عبادةَ الجهر بدرجات) كما ورد ذلك في بعض الأخبار[1] (وإن قال «لا» كان كاذبًا) في قوله (وإن سكت كان مستحقرًا لك) في عدم ردِّ الجواب (وتأذَّيتَ به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلىٰ جهد وتعب فيه) فانظر (فقد عرَّضتَه بالسؤال إما للرياء أو الكذب أو الاستحقار أو التعب في حيلة الدفع) فهذه أربع آفات بعضها أعظم من بعض (وكذلك سؤالك عن سائر عباداته، وكذلك سؤالك عن سائر المعاصي، وعن كل ما يخفيه) عن الناس (ويستحي منه، وسؤالك عمَّا حدَّث به غيرك فتقول له: ماذا تقول؟ وفيمَ أنت؟ وكذلك ترىٰ إنسانًا في الطريق فتقول) له: (من أين)؟ وإلىٰ أين؟ (فربما يمنعه مانع من ذكره، فإن ذكره تأذَّىٰ به واستحيا) هذا إن صدق (وإن لم يصدُق وقع في الكذب، وكنتَ السبب في ذلك) وقال صاحب القوت[2]: ومن المحدَثات المبتدَعة قول الرجل لأخيه إذا لقيه ذاهبًا في الطريق: إلىٰ أين تريد؟ أو: من أين جئتَ؟ فقد كُره هذا، وليس من السنَّة ولا من الأدب، وهو داخل في التحسس والتجسس؛ لأن

---

(١) في الآيات والأخبار.

(٢) قوت القلوب ١/ ٤٥٢ - ٤٥٣.

التحسس في الآثار، والتجسس في الأخبار، وهذا السؤال عن ذلك يجمعهما، وقد لا يحب الرجل أن يعلم صاحبه أين يذهب، ولا من أين جاء، وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قالا: إذا لقيتَ أخاك في طريق فلا تسأله من أين جئتَ ولا أين تذهب، فلعله أن يصدُقك فتكره ذلك، ولعله أن يكذبك فتكون حملتَه علىٰ الكذب. ا.هـ.

وكان علىٰ هذا القدم شيخنا المرحوم علي بن موسىٰ الحسيني، فإنه من شدة ما ينكر علىٰ من يسأله إلىٰ أين ربما يرجع من مقصده وتشاءم.

(وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها، والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول «لا أدري» فيجيب عن غير بصيرة) ولا رويَّة فيقع في خطأ عظيم **(ولستُ أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناسَ)** وأمثالها **(فإنَّ هذا يتطرَّق إليه إثمٌ أو ضرر)** في الحال أو في القال **(وإنما مثال ما لا يعني ما رُوي أن لقمان الحكيم كان يختلف إلىٰ داود** ﷺ **وهو يسرد درعًا، ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم، فجعل يتعجَّب ممَّا رأىٰ، فأراد أن يسأله عن ذلك، والحكمة تمنعه من السؤال، فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ داود** ﷺ **قام وصبَّها عليه وقال: نِعم جُنَّة الحرب. فقال لقمان: الصمت حُكْمٌ، وقليلٌ فاعلُه)** أردت أن أسألك عنها فكفيتني **(أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنىٰ عن السؤال. وقيل: إنه كان يتردَّد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال)** أخرجه الحاكم[1] والبيهقي في الشعب[2] من حديث أنس: أن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجَّب ويريد أن يسأله [فتمنعه حكمته أن يسأل] فلما فرغ منها صبَّها علىٰ نفسه وقال: نِعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: الصمت من الحكم، وقليل فاعله، كنت أردت أن أسألك فسكت حتىٰ كفيتَني.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٩٧.

(٢) شعب الإيمان ٧/ ٧٣.

قال البيهقي: هذا هو الصحيح أنه من كلام لقمان.

(فهذا وأمثاله من الأسئلة ما لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو ممَّا لا يعني، وتركُه من حُسن الإسلام. فهذا حدُّه) وإذا[1] حسُن الإسلامُ اقتضَىٰ ترك ما لا يعني كله من المحرَّمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فهذا كله لا يعني المسلمَ إذا كمُل إسلامُه وبلغ إلىٰ درجة الإحسان، فمَن عبد اللهَ علىٰ استحضار قُربه ومشاهدته بقلبه أو علىٰ استحضار قُربِ الله منه واطِّلاعه عليه فقد حسُن إسلامُه، ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه، فإنه يتولَّد من هذين المقامين الاستحياء من الله تعالىٰ.

(وأما سببه الباعث عليه فالحرص علىٰ معرفة ما لا حاجة به إليه، أو المباسطة بالكلام علىٰ سبيل التودُّد) والتألُّف **(أو تزجية الأوقات)** أي تسويتها **(بحكايات أحوال لا فائدة فيها. وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه)** ولا بد له منه علىٰ كل حال **(وأنه مسئول عن كل كلمة)** يتكلم بها **(وأن أنفاسه)** المعدودة هي **(رأس ماله)** من الدنيا **(وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص به الحور العِين)** والولدان والنعيم **(فإهماله ذلك وتضييعه خسران)** ونقصان **(مبين. هذا علاجه من حيث العلم، وأما من حيث العمل فالعزلة)** عن الناس، كما قال وُهَيب بن الورد عن بعض الحكماء: الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت وواحد في العزلة، فأردت من نفسي الصمت علىٰ شيء فلم أقدر عليه، فصِرتُ إلىٰ العزلة، فحصلت لي التسعةُ. وقد تقدم ذلك قريبًا **(أو أن يضع حَصاة في فيه)** كما كان الصدِّيق رضي الله عنه يفعله **(وأن يُلزِم نفسَه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتىٰ يعتاد اللسانُ ترك ما لا يعنيه، وضبطُ اللسان في هذا علىٰ غير المعتزل شديد جدًّا)** فإنه لا يجد بدًّا من الكلام إذا كان مع جماعة ويشتد عليه حفظُه للسانه، بل ينفلت منه ولا يقدر علىٰ

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٨٨ - ٢٨٩. والفتح المبين لابن حجر صـ٣٠٠.

ضبطه، وأما إذا اعتزل مسلم من ذلك فإنه لا يجد من يتخاطب معه فيرجع إلىٰ نفسه إما بالتفكُّر أو بالذكر أو بالمراقبة. وهذا علاجه من حيث العمل.

الآفة الثانية: فضول الكلام

(وهو أيضًا مذموم، وهذا يتناول الخوضَ فيما لا يعني والزيادة فيما يعني علىٰ قدر الحاجة، فإنَّ مَن يعنيه) أي يهمُّه (أمرٌ) ويكون مقصودًا له (يمكنه أن يذكره بكلام مختصر، ويمكنه أن يجنِّحه) أي يطوِّله فيجعل له جناحًا (ويقرِّره[١] ويكرِّره، ومهما تأدَّىٰ مقصودُه بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية) منهما (فضول، أي فضلٌ عن الحاجة، وهو أيضًا مذموم لِما سبق وإن لم يكن فيه إثمٌ ولا ضرر) لكونه مباحًا (قال عطاء بن أبي رباح) القرشي[٢] مولاهم المكي، ثقة، فقيه، فاضل، كثير الإرسال، مات سنة أربع عشرة [ومائة] علىٰ المشهور، روىٰ له الجماعة (إنَّ مَن كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدُّون فضولَ الكلام ما عدا كتاب الله) أن تقرأه (أو سنَّة رسول الله ﷺ، أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كِرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ أما يستحي أحدكم إذا نُشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه)؟ أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وغيره قالوا: أخبرنا يعلَىٰ بن عبيد قال: دخلنا علىٰ محمد بن سُوقة فقال: أحدِّثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه قد نفعني، قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بني أخي، إن مَن كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ... فساقه سواء.

---

(١) ليست في الزبيدي ولا ط المنهاج، وهي من ط الشعب. وفي م الإمام: يقدره. بالدال لا بالراء.

(٢) تقريب التهذيب ص ٦٧٧.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٨١.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية[١] من هذا الطريق عن عبد الله بن محمد – هو ابن أبي الدنيا – عن حاجب بن أبي بكر وأحمد ويعقوب الدورقيان[٢] قالوا: حدثنا يعلىٰ بن عبيد ... فذكره.

(و) رُوي (عن بعض الصحابة) رضوان الله عليه (**قال: إن الرجل ليكلِّمني بالكلام لَجوابُه أشهَىٰ إليَّ من الماء البارد إلىٰ الظمآن فأترك جوابه خيفةً من أن يكون فضلاً**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان بن عثمان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا عمر بن بكَّار، عن عمرو بن الحارث عن العلاء بن سعد بن مسعود، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ... فذكره.

(**وقال مطرِّف**) بن[٤] عبد الله بن الشِّخِّير العامري الحَرَشي، أبو عبد الله البصري، ثقة، عابد، فاضل، مات سنة خمس وتسعين، روىٰ له الجماعة (**ليعظُم جلال الله في قلوبكم، فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب وللحمار: اللهم اخْزِه، وما أشبهَ ذلك**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان، أنبأنا عبد الله، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن مطرِّف قال: ليعظم جلالُ الله في صدوركم، فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب: اللهم اخْزِه، وللحمار وللشاة.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٦] فقال: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣.

(٢) هكذا في إحدىٰ نسخ الحلية، وفي نسخة أخرىٰ - وهي التي أثبتها المحققون في متن الكتاب: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا محمد بن شبل ثنا أبو بكر بن أبي شيبة. ح. وحدثنا أبو بكر بن مالك ثنا حاجب ابن أحمد ثنا أحمد ويعقوب الدورقيان.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٨٠.

(٤) تقريب التهذيب ص ٩٤٨.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٨١.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٩.

ابن إسحاق، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن، حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: قال مطرف: ليعظم جلال الله تعالىٰ أن تذكروه عند الحمار والكلب، فيقول أحدكم لكلبه [أو لشاته]: أخزاك الله، وفعل الله بك.

(**واعلمْ أن فضول الكلام لا ينحصر**) بضبط (**بل المهم محصور في كتاب الله تعالىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] قال ابن أبي الدنيا في الصمت[١]: حدثنا إسحاق ابن إسماعيل وسعدويه وغيرهما - وهذا لفظ إسحاق بن إسماعيل - عن محمد ابن يزيد بن خُنَيس قال: دخلنا علىٰ سفيان الثوري نعوده، فدخل عليه سعيد بن حسان، فقال له سفيان: الحديث الذي حدثتَني عن أم صالح اردُدْه عليَّ. فقال سعيد بن حسان: حدثتني أم صالح، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة قالت: قال النبي ﷺ: «كل كلام ابن آدم هو عليه إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله». قال: فقال رجل: ما أشد هذا الحديث! قال: فقال سفيان: وأيُّ شيء شدته؟ أليس الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: ٣٨] أليس الله يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] أليس الله يقول: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ: ٢٣].

(**وقال ﷺ: طوبىٰ لمَن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله**) قال العراقي[٢]: رواه البغوي[٣] وابن قانع في معجمَي الصحابة والبيهقي[٤] من حديث

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٥٢.

(٢) المغني ٢/ ٧٧٤.

(٣) معجم الصحابة ٢/ ٤١٧ - ٤١٨.

(٤) السنن الكبرىٰ ٤/ ٣٠٦.

رَكْب المصري، وقال ابن عبد البر[١]: إنه حديث حسن. وقال البغوي[٢]: لا أدري سمع من النبي ﷺ أم لا. وقال ابن منده[٣]: مجهول لا تُعرَف له صحبة. ورواه البزار[٤] من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: قال[٥] عباس الدوري: له صحبة. وقال ابن عبد البر: هو كِندي، له حديث رواه عنه نصيح العَنْسي في التواضع. ا.هـ. وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٦] فقال: حدثنا مهدي بن حفص، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، عن مُطعِم ابن المِقدام الصنعاني، عن عنبسة بن سعيد الكُلاعي، عن نَصِيح العَنْسي، عن ركب المصري قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه كسياق المصنف. ولفظ البغوي وابن قانع والبيهقي: «طوبىٰ لمَن تواضع من غير مَنقصة، وذلَّ في نفسه من غير مَسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهلَ الفقه والحكمة، ورحم أهلَ الذلة والمسكنة، طوبىٰ لمَن ذلَّ في نفسه وطاب كسبُه وحسُنت سريرته وكرُمت علانيته وعزل عن الناس شرَّه، طوبىٰ لمَن عملَ بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله». وقد رواه كذلك البخاري في التاريخ[٧] والباوَرْدي وابن شاهين والعسكري وتمام[٨] وابن عساكر[٩]، ورواه أبو محمد الجيزي في تاريخ مصر فقال: حدثني أحمد بن حمزة بن محمد بن هارون البصري، حدثنا محمد بن

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٠٣.

(٢) انظر: حسن المحاضرة، للسيوطي صـ١٩٨، ١٩٩.

(٣) معرفة الصحابة ٢/ ٦٥٨.

(٤) مسند البزار ١٢/ ٣٤٨.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٢٨٧.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٦٥، ٧٤.

(٧) التاريخ الكبير ٣/ ٣٣٨ مقتصرا علىٰ قوله: (طوبىٰ لمن تواضع من غير منقصة).

(٨) فوائد تمام ٥/ ٨٨.

(٩) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٤٩ - ٣٥٣، ٦٣/ ٣٥.

عبد الرحمن الهَرَوي، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، حدثنا مطعم بن المقدام الصنعاني وعنبسة بن سعيد الكُلاعي عن نصيح ... فساقه، وفيه أن ابن عيَّاش رواه عن مطعم وعنبسة، وفي سياق ابن أبي الدنيا: مطعم عن عنبسة. وقال الذهبي في المهذَّب[١]: ركب يُجَهل ولم تصحَّ له صحبةٌ، ونصيح ضعيف. ا.هـ. وقال المنذري[٢]: رواته إلىٰ نصيح ثقات. وقال الهيثمي[٣] بعدما عزاه للطبراني[٤]: نصيح العنسي عن ركب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وقال ابن حبان[٥]: إن هذا السند لا يُعتمَد عليه. وأن قول ابن عبد البر «إنه حسن» أراد به الحُسن اللغوي، أي لفظه حسن. وأما الحديث الذي أشار إليه العراقي أنه رواه البزار عن أنس بسند ضعيف فلفظه: «طوبىٰ لمَن شغله عيبُه عن عيوب الناس، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنَّةُ ولم يَعْدُها إلىٰ البدعة»[٦]. وقد رواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس[٧].

(**فانظر**) وتأملْ (**كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان**) فخالفوا كلام المصطفىٰ ﷺ.

(**وعن مطرِّف بن عبد الله**) تقدمت ترجمته قريبًا (**عن أبيه**) وهو[٨] عبد الله

---

(١) المهذب في اختصار السنن الكبرىٰ ٣/ ١٥٤٣ - ١٥٤٤.

(٢) الترغيب والترهيب ص ١٠٦٧.

(٣) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٥.

(٤) المعجم الكبير ٥/ ٧١ - ٧٢.

(٥) الثقات ٣/ ١٣٠.

(٦) هذا ليس لفظ البزار، وإنما لفظه: «طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتواضع لله في غير منقصة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه، وجانب أهل الشك والبدعة، وصلحت علانيته، وعزل الناس من شره».

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٤٧.

(٨) تهذيب الكمال ١٥/ ٨١. تقريب التهذيب ص ٥١٤.

ابن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحَرِيش وهو معاوية بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحَرَشي العامري، من مسلمة الفتح، عِداده في أهل البصرة، روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري (**قال: قَدِمتُ علىٰ رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر**) ابن صعصعة، وذلك في عام الفتح (**فقالوا: أنت والدنا، وأنت سيدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت أطولنا علينا طَوْلاً، وأنت الجفنة الغَرَّاء، وأنت وأنت. فقال: قولوا قولكم ولا يستهوينَّكم الشيطان**) وفي بعض النسخ: ولا يستهومنكم الشيطان. قال العراقي[1]: رواه أبو داود[2] والنسائي في اليوم والليلة[3] بإسناد صحيح بلفظ آخر، ورواه ابن أبي الدنيا[4] بلفظ المصنف.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خِداش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن غَيْلان بن جرير، عن مطرِّف بن عبد الله، عن أبيه قال: قدمت ... فساقه. ولفظ أبي داود والنسائي: «قولوا بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان». وكذلك رواه أحمد[5] والطبراني في الكبير والضياء في المختارة[6].

(**إشارة إلىٰ أن اللسان إذا أُطلِق بالثناء ولو بالصدق فيُخشىٰ أن يستهويه الشيطان إلىٰ الزيادة المستغنَىٰ عنها.**

وقال) عبد الله (**ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**أُنذِركم**) أي أخوِّفكم (**فضول كلامكم، حَسْبُ امرئ من الكلام ما بلغ به حاجتَه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[7] فقال: حدثنا أبي،

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٤.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٨.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٧٩.

(٥) مسند أحمد ٢٦/ ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٢.

(٦) الأحاديث المختارة ٩/ ٤٦٦ - ٤٦٨.

(٧) الصمت وآداب اللسان ص ٨٠ - ٨١ معزوا لأبي هريرة.

أخبرنا ابن عُلَيَّة، عن ليث [عن عطاء] أن ابن مسعود قال: أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجتَه.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالىٰ: **(إن الكلام لَيُكتَب حتىٰ إن الرجل لَيُسكِتُ ابنه فيقول)** له في جملة ما يسكته به: **(أبتاع)** أي أشتري **(لك كذا وكذا)** من اللعب والمأكولات، فيسمع به فيسكت عن البكاء **(فيُكتَب كذابًا)** أخرجه ابن أبي الدنيا(١) فقال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي، أخبرنا المعتمر بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد قال: إن الكلام لَيُكتَب، حتىٰ إن الرجل لَيُسكِت ابنَه: أبتاع لك كذا وكذا وأفعل لك كذا وكذا، فتُكتَب كُذَيبة.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(يا ابن آدم، بُسطتْ لك صحيفة، ووُكِّل بك مَلَكان كريمان يكتبان أعمالك، فاعملْ ما شئتَ، أقلِلْ أو أكثِرْ)** أخرجه ابن أبي الدنيا(٢) فقال: حدثنا داود بن عمرو الضَّبِّي، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا يزيد بن إبراهيم، عن الحسن قال: يا ابن آدم، بُسطت لك صحيفة، ووُكِّل بك مَلَكان كريمان يكتبان عملك، فأقِلَّ ما شئتَ أو أكثِرْ.

(ورُوي أن سليمان ﷺ) فيما أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني سُوَيد بن سعيد، حدثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن طارق بن شهاب قال: **(بعث)** سليمان بن داود عليهما السلام **(بعض عفاريته، وبعث نفرًا ينظرون ما يقول ويخبرونه)** قال: **(فأخبروه أنه مر في السوق)** ولفظ ابن أبي الدنيا: علىٰ السوق **(فرفع رأسه إلىٰ السماء، ثم نظر إلىٰ الناس، وهز رأسه، فسأله سليمان)** ﷺ **(عن ذلك)** ولفظ ابن أبي الدنيا: لِمَ فعل ذلك؟ **(فقال: عجبتُ من الملائكة علىٰ رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون! ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يُمْلُون!**

---

(١) السابق ص ٨٣.

(٢) السابق ص ٨٤.

وقال **إبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) الكوفي العابد: (**المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان**) كلامه (**له تكلم وإلا**) أي وإن لم يكن له بل عليه (**أمسك**) عنه (**والفاجر إنما لسانه رِسْلاً رِسْلاً**) أي كثيرًا يتبع بعضه بعضًا. أخرجه ابن أبي الدنيا[١] فقال: حدثني علي بن أبي مريم، عن عثمان بن زُفَر التيمي، حدثنا محمد بن عبد العزيز التيمي قال: ذكر الحسن عن إبراهيم التيمي قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه، والفاجر إنما كلامه رِسلاً رسلاً.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**مَن كثُر كلامه كثر كذبُه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومَن ساء خُلقُه عذَّب نفسَه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا وُهَيب، عن هشام، عن الحسن ... فساقه، إلا أنه قدَّم الجملة الثانية علىٰ الأولىٰ.

(**وقال عمرو بن دينار**) المكي التابعي الثقة: (**تكلم رجل عند رسول الله ﷺ فأكثَرَ، فقال له ﷺ: كم دون لسانك من باب؟ فقال: شفتاي وأسناني. قال: أفما كان لك في ذلك ما يردُّ كلامَك**) هكذا رواه ابن أبي الدنيا[٣] مرسلاً فقال: حدثني إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا ابن المبارك، عن نافع بن عمر، عن عمرو بن دينار قال: تكلم رجل ... فساقه. قال العراقي[٤]: ورجاله ثقات (**وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنىٰ عليه فاستحفز في الكلام**) أي بالَغَ وأطال. ولفظ ابن أبي الدنيا في الصمت[٥]: وبلغني عن ابن عائشة عن عبد الأعلىٰ بن

---

(١) السابق ص ٨٥.

(٢) السابق ص ٨٥.

(٣) السابق ص ٨٦.

(٤) المغني ٢/ ٧٧٤.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٨٧.

عبد الله بن أبي عثمان[١] قال: أثنىٰ رجل علىٰ النبي ﷺ، فاستهتر في الثناء، فقال: «كم بينك وبين لسانك من حجاب»؟ قال: شفتاي وأسناني. قال: «أما كان فيها ما يردُّ فضل قولك عنا منذ اليوم»؟ (**ثم قال: ما أوتي رجل شرًّا من فضل في لسانه**).

وروىٰ الديلمي[٢] من حديث ابن عباس: «ما أُعطي عبد شرًّا من طلاقة في لسانه».

(**وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ: إنه لَيمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا حماد بن سلمة، عن رجاء أبي المقدام، عن نُعَيم كاتب عمر بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز ... فساقه.

(**وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتكلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان بن عثمان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا رِشْدين بن سعد، حدثنا الحجاج بن شداد أنه سمع عبيد الله بن أبي جعفر - وكان أحد الحكماء - يقول في بعض قوله: إذا كان المرء يحدِّث في المجلس فأعجبه الحديث فليسكست، وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتحدَّث.

(**وقال يزيد بن أبي حبيب**) المصري[٥]، أبو رجاء، واسم أبيه سويد، ثقة،

---

(١) كذا هنا. وفي الصمت: ابن أبي غياث. ولعل الصواب: ابن أبي فروة. قال ابن حبان في الثقات ٧/ ١٣٠: «عبد الأعلىٰ بن عبد الله بن أبي فروة، أبو محمد الأموي، مولىٰ عثمان بن عفان، عداده في أهل المدينة، يروي عن الزهري». وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٧١. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٧. تهذيب الكمال ١٦/ ٣٥٨.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٢٠. وفي آخره: «أراد به السجع».

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٨٨.

(٤) السابق ص ٨٨.

(٥) تقريب التهذيب ص ١٠٧٣.

فقيه، روىٰ له الجماعة (**من فتنة العالِم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، فإن وجد مَن يكفيه فإنَّ في الاستماع سلامة، وفي الكلام تزيُّن وزيادة ونقصان**) أخرجه ابن أبي الدنيا[1] عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله قال: أخبرني رجل من أهل الشام عن يزيد بن أبي حبيب قال: من فتنة العالِم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد مَن يكفيه، فإنَّ في الاستماع سلامة وزيادة في العلم، والمستمع شريك المتكلم في الكلام إلا مَن عصم الله، وفي الكلام توهُّق وتزيُّن وزيادة ونقصان.

(**وقال ابن عمر**) رضي الله عنهما: (**إن أحق ما طهَّر الرجلُ لسانه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[2] عن إسماعيل بن إسحاق، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر ... فساقه.

(**ورأىٰ أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**امرأة سليطة**) اللسان (**فقال: لو كانت هذه خرساء كان خيرًا لها**) أخرجه ابن أبي الدنيا[3] عن الفضل بن يعقوب، حدثنا سعيد بن مَسلمة، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: رأىٰ أبو الدرداء امرأة ... فساقه.

(**وقال إبراهيم**) يعني النخعي: (**يُهلِك الناسَ خلَّتان: فضول المال، وفضول الكلام**) أخرجه ابن أبي الدنيا[4] عن محمد بن عبد الملك، حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حماد، عن إبراهيم قال: يهلك الناسُ في خَلَّتين: فضول المال، وفضول الكلام.

(**فهذه مَذَمَّة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه، وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني**) والله الموفِّق.

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) السابق ص ٨٩.

(٣) السابق ص ٨٩.

(٤) السابق ص ٩٠.

الآفة الثالثة: الخوض في الباطل

(وهو الكلام في المعاصي، كحكاية أحوال النساء) ممَّا يتعلق بهن، كأن يقول: قالت لي كذا، وقلت لها كذا، وفعلت كذا، وما أشبهَ ذلك (ومجالس الخمر) ممَّا يجري فيها من العربدة (ومقامات الفُسَّاق) وما يجري فيها من المخزيات (وتنعُّم الأغنياء) بمتاع الدنيا (وتجبُّر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة) المخالفة للشرع والعُرف (فإنَّ كل ذلك ممَّا لا يحل الخوض فيه، وهو حرام، وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو تركُ الأولىٰ) لأنه مباح (ولا تحريم فيه. نعم، من يُكثِر الكلامَ فيما لا يعني لا يؤمَن عليه الخوض في الباطل) لأنه يستجرُّ إليه وهو لا يدري (وأكثر الناس) إذا تأملتَ إنما (يتجالسون للتفرُّج بالحديث، ولا يعدو) أي لا يجاوز (كلامُهم التفكُّهَ بأعراض الناس) والتمضمض بها (أو الخوض في الباطل، وأنواع الباطل لا يمكن حصرها) وضبطها (لكثرتها وتفنُّنها) أي تنوُّعها (فلذلك لا مَخلص منها إلا بالاقتصار علىٰ ما يعني من مهمَّات الدين والدنيا) فقط (وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو) لا يدري؛ إذ هو (مستحقِر لها) غير مُبالٍ بها، ويحسبه هيِّنًا وهو عند الله عظيم (فقد قال بلال بن الحارث) ابن[1] عاصم، أبو عبد الرحمن المُزَني، رضي الله عنه، قدم سنة خمس في وفد مزينة، وكان ينزل الأشعر[2] والأجرد وراء المدينة، وأقطعه رسول الله ﷺ العقيق، وشهد فتح

---

(١) تهذيب الكمال ٤/ ٢٨٣ - ٢٨٤. الاستيعاب ١/ ١١٤. الإصابة ١/ ٢٧٣. وقد اختلف في اسم جده، فقيل: عاصم، وقيل: عصام، وقيل: عصيم، وقيل: عكيم، وقيل: عصم.

(٢) في معجم البلدان ١/ ١٩٨: «الأشعر والأقرع جبلان معروفان بالحجاز، قال أبو هريرة: خير الجبال أحد والأشعر وورقان. وهي بين مكة والمدينة. وقال ابن السكيت: الأشعر: جبل جهينة، ينحدر علىٰ ينبع من أعلاه. وقال نصر: الأشعر والأبيض جبلان يشرفان علىٰ سبوحة وحنين، =

مصر[١]، مات سنة ستين وله ثمانون سنة، روىٰ عنه ابنه الحارث، روىٰ له أصحاب السنن (**قال رسول الله ﷺ: إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ**) أي[٢] ممَّا يرضيه (**ما يظن أن تبلغ به ما بلغت**) من رضا الله بها عنه (**يكتب الله**) وفي رواية: فيكتب الله له (**بها رضوانه إلىٰ يوم القيامة**) أي بقية عمره وحتىٰ يلقاه يوم القيامة فيُقبَض علىٰ الإسلام، ولا يعذَّب في قبره، ولا يُهان في حشره (**وإن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة من سخط الله**) أي ممَّا يسخطه ويغضبه (**ما يظن أن تبلغ به ما بلغتْ**) من سخط الله (**يكتب**) وفي رواية: فيكتب (**الله عليه بها سخطه إلىٰ يوم القيامة**) بأن يختم له بالشقاوة، ويصير معذَّبًا في قبره، مهانًا في حشره حتىٰ يلقاه يوم القيامة فيورده النارَ وبئس الوِرْد المورود. قال الطيبي[٣]: معنىٰ كتبه رضوانه: توفيقه لِما يرضي الله من الطاعات والمسارعة في الخيرات، فيعيش في الدنيا حميدًا، وفي البرزخ يُصان من عذاب القبر، ويُفسَح له في قبره، ويقال له: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويُحشَر يوم القيامة سعيدًا، ويظله الله في ظله، ثم يلقىٰ بعد ذلك من الكرامات والنعيم المقيم في الجنة، ثم يفوز بلقاء الله تعالىٰ، وعكسه قوله: وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله.

قال العراقي[٤]: رواه ابن ماجه[٥] والترمذي[٦] وقال: حسن صحيح.

= والأشعر والأجرد جبلا جهينة بين المدينة والشام». قلت: أما الأجرد فلا يزال معروفا بهذا الاسم إلىٰ الآن، أما الأشعر فيسمىٰ الآن: الفِقرة، وهو أقرب إلىٰ المدينة من الأجرد.

(١) غالب من ترجموا له لم يذكروا قدومه إلىٰ مصر، وفي الإصابة: «وكان يسكن وراء المدينة، ثم تحول إلىٰ البصرة». إلا أن ابن يونس في تاريخ مصر ص ٧٤ ذكر أنه قدم مصر وشهد غزو إفريقية سنة سبع وعشرين.

(٢) فيض القدير ٢/ ٣٣١.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣١٢١ - ٣١٢٢.

(٤) المغني ٢/ ٧٧٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٥٦.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٤٩.

قلت: ورواه كذلك أحمد[١] والنسائي وابن حبان[٢] والحاكم[٣]. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت[٤]: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا أبو معاوية، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جدِّه علقمة بن وَقَّاص، عن بلال بن الحارث المُزَني، عن النبي ﷺ قال ... فساقه. ثم قال: (**وكان علقمة**) بن[٥] وَقَّاص بن مِحْصَن بن كَلَدة بن عبد ياليل بن طريف بن عُتْوارة بن [عامر بن] مالك بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة الليثي العُتْواري المدني. قال النسائي: ثقة. وقال ابن سعد[٦]: كان ثقة، قليل الحديث، وله دار في المدينة في بني ليث، وله بها عقب. وقال المزي[٧]: أخطأ مَن زعم أن له صحبة، وُلد في عهد النبي ﷺ، ومات في خلافة عبد الملك، روىٰ له الجماعة (**يقول: كم من كلام منعنيه حديثُ بلال ابن الحارث**) وأصل ذلك أن علقمة مر برجل من أهل المدينة له شرف وهو جالس بسوق المدينة، فقال علقمة: يا فلان، إن لك حرمة، وإن لك حقًّا، وإني رأيتك تدخل علىٰ هؤلاء الأمراء فتتكلم عندهم، وإني سمعت بلال بن الحارث يقول ... فذكره، ثم قال علقمة: انظر ويحك ما تقول وما تتكلم به، فرُب كلام قد منعنيه ما سمعت من بلال.

(**وقال النبي ﷺ: إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة**) الواحدة لأجل أن (**يُضحِك بها جلساءه يهوي**) أي يسقط (**بها**) أي بسببها (**أبعد من الثريَّا**) قال العراقي[٨]: رواه ابن أبي الدنيا[٩] من حديث أبي هريرة بسند حسن. وللشيخين[١٠]

---

(١) مسند أحمد ٢٥/ ١٨٠.

(٢) صحيح ابن حبان ١/ ٥١٤ - ٥١٦.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٩٧ - ٩٩.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٧٤ - ٧٦.

(٥) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣١٣ - ٣١٤.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٦٤.

(٧) كذا نسب الشارح هذا الكلام للمزي، وإنما هو كلام ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٦٨٩.

(٨) المغني ٢/ ٧٧٥.

(٩) الصمت وآداب اللسان ص ٧٨.

(١٠) صحيح البخاري ٤/ ١٨٧. صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٢.

والترمذي(١): «إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة لا يرىٰ بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار». لفظ الترمذي وقال: حسن غريب.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن عيسىٰ، أنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا الزبير بن سعيد، عن صفوان بن سُلَيم، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ... فساقه، وفيه: يُضحِك منها. والباقي سواء.

وقال أيضًا(٢): حدثنا العباس العنبري، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا جرير بن حازم، سمعت الحسن يحدِّث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يرىٰ أن تبلغ به حيث بلغت ترديه في النار أربعين خريفًا».

وأما حديث الترمذي فرواه أيضًا ابن ماجه(٣) والحاكم(٤).

وعند أحمد(٥) من حديث أبي سعيد الخدري: «إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة لا يرىٰ بها بأسًا لَيُضحِك بها القومَ وإنه لَيقعُ بها أبعد من السماء».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة)** الواحدة **(ما يلقي لها بالاً)** أي لا يعبأ بها بل يستحقرها **(يهوي بها في جهنم، وإن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في أعلىٰ الجنة)** أخرجه ابن أبي الدنيا(٦) عن حمزة ابن العباس، أخبرنا عبدان بن عثمان، أخبرنا عبد الله، أنا مالك بن أنس، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم، وإن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٤٦.
(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٩٠.
(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٥٧.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٦٢.
(٥) مسند أحمد ١٧/ ٤٣١.
(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٧٨.

أعلى الجنة». هكذا رواه موقوفًا على أبي هريرة، والجملة الأولى منه موصولة عند الترمذي وابن ماجه والحاكم بلفظ: «يهوي بها سبعين خريفًا في النار» كما تقدم.

(وقال ﷺ: **أعظمُ الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل**) قال العراقي(١): رواه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً، ورجاله ثقات، ورواه [هو و] الطبراني(٢) موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح.

قلت: قال ابن أبي الدنيا(٣): حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس خطايا ...» فساقه.

وأما موقوف ابن مسعود فقال ابن أبي الدنيا(٤): حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن صالح بن خَبَّاب، عن حُصَين بن عُقبة قال: قال عبد الله: إن أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل.

(**وإليه الإشارة بقوله تعالى**: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٥] **وبقوله تعالى**: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال سلمان) الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله تعالى**) أخرجه ابن أبي الدنيا(٥) عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية قال: قال سلمان ... فساقه.

(**وقال**) محمد (**ابن سيرين**) رحمه الله تعالى: (**كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول: توضؤوا، فإنَّ بعض ما تقولون شر من الحَدَث**) أخرجه ابن أبي

(١) المغني ٢/ ٧٧٥.

(٢) المعجم الكبير ٩/ ١٠٨.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٧٩.

(٤) السابق ص ٨٠.

(٥) السابق ص ٨٠.

الدنيا[١][٢] عن الحسن بن الصبَّاح، حدثنا شعيب بن حرب، عن يزيد ابن إبراهيم، عن محمد بن سيرين قال: كان رجل ... فذكره. وقال أيضًا: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا شعيب بن حرب، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم قال: الوضوء من الحدث وأذىٰ المسلم.

(فهذا هو الخوض في الباطل، وهو وراء ما سيأتي من الغِيبة والنميمة والفُحش وغيره، بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية[٣] إلىٰ ذكرها، ويدخل فيه أيضًا الخوض في حكاية البدع) والأهواء المختلفة **(والمذاهب الفاسدة، وحكاية ما جرىٰ من قتال الصحابة)** مع بعضهم **(علىٰ وجه يوهم الطعنَ في بعضهم)** والغضَّ من منصبهم **(وكل[٤] ذلك باطل، والخوض فيه خوضٌ في الباطل)** وفي بعض النسخ: وكل ذلك باطل، والحديث فيه خوض في باطل **(نسأل الله حُسن العون بلطفه وكرمه)**[٥].

---

(١) السابق ص ٩١.

(٢) وابن وهب في الجامع (٢/ ٥٦٤).

(٣) في الزبيدي: بينة. وفي م الإمام: وعنه.

(٤) زيادة من غير الزبيدي.

(٥) زيادة من غير الزبيدي.

الآفة الرابعة: المِراء والجدال

وذلك منهيٌّ عنه. قال ﷺ: لا تُمارِ أخاك، ولا تمازحه، ولا تَعِده موعدًا فتُخلِفه) قال العراقي[١]: رواه الترمذي من حديث ابن عباس، وقد تقدم[٢].

قلت: وقال الترمذي: غريب.

وقال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثنا ابن أبي شيبة قاسم، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

(وقال ﷺ: ذَرُوا المِراء) أي اتركوه (فإنه لا تُفهَم حكمته، ولا تؤمَن فتنته) قال العراقي[٤]: رواه الطبراني[٥] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع بسند ضعيف دون قوله «لا تُفهَم حكمته». ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفًا على ابن مسعود، وفيه مَن لم يُسَمَّ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا[٦]: حدثنا محمد بن إسحاق الباهلي، حدثنا سفيان قال: حدثني رجل صالح قال: قال ابن مسعود: المِراء لا تُعقَل حكمته، ولا تؤمَن فتنته.

(وقال ﷺ: مَن ترك المِراء وهو محقٌّ بُني له بيت في أعلى الجنة، ومَن ترك

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٦.

(٢) في كتاب آداب الصحبة.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٩٩.

(٤) المغني ٢/ ٧٧٦.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ١٧٨.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٠.

المِراء وهو مبطل بُني له بيت في رَبَض الجنة) تقدم في كتاب العلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا[(١)] عن هارون بن معروف [حدثنا أنس بن عياض، عن سلمة بن وَرْدان قال: حدثني مالك بن أوس بن الحَدَثان] أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «وجبتْ، وجبت». فقال أصحابه: ما هذا الذي قلتَ يا رسول الله؟ قال: «مَن ترك المراء وهو محقٌّ بُني له في رَبَض الجنة، ومَن ترك الكذب بُني له في رَبَض الجنة، ومَن حسُنَ خُلقُه بُني له في رَبَض الجنة». وقد صحَّح أحمد بن صالح هذا الحديث وأثبت لمالك بن أوس رواية، والمشهور أن له رؤية فقط، وقال ابن خزيمة: في القلب من سلمة بن وردان شيء. ورواه ابن منده في معجم الصحابة، إلا أنه قال: مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه[(٢)(٣)].

ورواه الترمذي وحسَّنه وابن ماجه من حديث أنس.

(**وعن أم سلمة**) أم المؤمنين (رضي الله عنها **قالت: قال رسول الله ﷺ: إن أول ما عهدَ إليَّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر مُلاحاة الرجال**) قال العراقي[(٤)]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[(٥)] والطبراني[(٦)] والبيهقي[(٧)] بسند ضعيف، وقد رواه أبو داود في المراسيل[(٨)] من حديث عروة بن رُوَيم.

---

(١) السابق ص ١٠٥.

(٢) انظر: الإصابة لابن حجر ٩/ ٣٦ - ٣٧. الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) وقال ابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٢٧٢ من رواية أوس: هذا وهم والصواب: أنس بن مالك، رواه ابن أبي مزيل عن سلمة عن أنس بن مالك. وهو عند الترمذي (١٩٩٣) وقال: حسن، لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس.

(٤) المغني ٢/ ٧٧٦.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٣.

(٦) المعجم الكبير ٢٣/ ٢٦٣.

(٧) السنن الكبرى ١٠/ ٣٢٨.

(٨) المراسيل ص ٣٤٤.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، أخبرني أبي، عن يحيىٰ بن المتوكل، عن إسماعيل بن رافع، عن ابن أم سلمة، عن أم سلمة قالت ... فساقه.

(وقال) ﷺ **(أيضًا: ما ضلَّ قومٌ إلا أُوتوا الجدل)** قال العراقي[1]: رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصحَّحه، وزاد فيه: «بعد هدىً كانوا عليه». وتقدم في العلم، وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة[2] كما ذكره المصنف.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا بِشر بن معاذ، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، حدثنا الحجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قومٌ [إلا أوتوا الجدل». وحدثني عبد الرحمن بن صالح، حدثنا ابن فُضَيل، عن حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «ما ضلَّ قوم] بعد هدًىٰ كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

(وقال) ﷺ **(أيضًا: ست)** خصال **(مَن كُنَّ فيه بلغ حقيقةَ الإيمان: الصيام في الصيف)** يعني[3] في الحر الشديد **(وضرب أعداء الله بالسيف)** أي قتال الكفار بالسلاح، وخصَّ السيفَ لأنه أعمُّها استعمالاً **(والتعجيل في الصلاة في يوم الدَّجْن)** أي الغيم والمطر الكثير **(والصبر علىٰ المصيبات)** عند الصدمة الأولىٰ **(وإسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وتركُ المراء وهو صادق)** قال العراقي[4]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[5] من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ: «ست

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٦ - ٧٧٧.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) فيض القدير ٤/ ٩٣.

(٤) المغني ٢/ ٧٧٧.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٢٦ من حديث أبي مالك الأشعري، ومن حديث أبي سعيد الخدري.

خِصال من الخير ...» الحديث.

قلت: الديلمي إنما رواه من حديث أبي سعيد بلفظ: «ست مَن كنَّ فيه كان مؤمنًا حقًّا: إسباغ الوضوء، والمبادرة إلىٰ الصلاة في يوم دجن، وكثرة الصوم في شدة الحر، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر علىٰ المصيبة، وتركُ المراء وإن كنتَ محِقًّا». وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك واهٍ. وقد رواه ابن نصر[١] أيضًا بهذا السند. وأما حديث أبي مالك الأشعري فقد أخرجه البيهقي[٢] بلفظ: «ست خصال من الخير: جهاد أعداء الله بالسيف، والصوم في يوم الصيف، وحسن الصبر عند المصيبة، وتركُ المِراء وأنت محقٌّ [وتبكير الصلاة في يوم الغيم] وحسن الوضوء في أيام الشتاء». رواه من طريق يحيىٰ بن أبي طالب، عن الحارث الواسطي، عن بحر بن كنيز، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري. ثم قال: بحر بن كنيز السَّقَّاء ضعيف.

(وقال) ﷺ **(أيضًا: لا يستكمل عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتىٰ يذر المراءَ وإن كان محقًّا)** قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. وهو عند أحمد[٤] بلفظ: «لا يؤمن العبد حتىٰ يترك الكذبَ في المُزاحة، والمراءَ وإن كان صادقًا».

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت[٥]: حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي، عن عَبَّاد بن العَوَّام، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستكمل عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتىٰ يَدَع المراء وإن كان محقًّا،

(١) تعظيم قدر الصلاة ص ٤٣٦.
(٢) شعب الإيمان ٤/ ٢٦٩.
(٣) المغني ٢/ ٧٧٧.
(٤) مسند أحمد ١٤/ ٢٧٨، ٣٧١.
(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٥.

ويَدَع كثيرًا من الحديث مخافةَ الكذب». وقد أخرجه كذلك في كتاب ذم الغيبة[١] له. وأما حديث أحمد فقد أخرجه أيضًا الطبراني في الأوسط[٢] بلفظ: «لا يؤمن عبدٌ الإيمانَ كلَّه ...» والباقي سواء.

(**وقال الزبير**) بن[٣] العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّىٰ بن قُصَيٍّ بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قُتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل، روىٰ له الجماعة (**لابنه**) عبد[٤] الله ابن الزبير، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، ووليَ الخلافةَ تسع سنين إلىٰ أن قُتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (**لا تجادل الناس بالقرآن، فإنك لا تستطيعهم، ولكن عليك بالسنَّة**)[٥] فجادِلْهم بها.

(**وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ: مَن جعل دينه عُرضة للخصومات أكثرَ التنقُّلَ**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٦] عن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، عن يحيىٰ بن سعيد قال: قال عمر بن عبد العزيز ... فذكره.

(**وقال مسلم بن يسار**) المصري[٧] أبو عثمان الطنبذي، مولىٰ الأنصار، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (**إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل العالِم، وعندها يبغي الشيطان زلَّتَه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٨] عن خالد بن خِداش، حدثنا حماد بن زيد، عن محمد بن واسع قال: كان مسلم بن

---

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ١٤.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ٢٠٨.

(٣) تقريب التهذيب ص ٣٣٦.

(٤) السابق ص ٥٠٦.

(٥) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ٥٦٠، ٥٦١.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١١٦، ٢٩٣. وفيه (غرضا) بدل: عرضة.

(٧) تقريب التهذيب ص ٩٤١.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٠.

يسار يقول ... فذكره، وزاد فقال: قال حماد: قال لنا محمد: هذا الجدالُ، هذا الجدال.

(**وقيل: ما ضلَّ قومٌ بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال**) رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا نحوه، وقد ذُكر قريبًا.

(**وقال مالك بن أنس رحمه الله: ليس هذا الجدال من الدين في شيء**[١]).

وقال أيضًا: المراء يقسِّي القلب، ويورث الضغائنَ)[٢] أي الأحقاد.

(**وقال لقمان لابنه: يا بني، لا تجادل العلماء فيمقتوك**)[٣] والمقت: أشد الغضب.

وقال بلال بن سعد) بن[٤] تميم الأشعري، أبو عمرو الدمشقي، ثقة، عابد، فاضل، مات في خلافة هشام (**إذا رأيتَ الرجل لَجُوجًا**): كثير اللجاج في الكلام (**مماريًا معجَبًا برأيه فقد تمَّت خسارتُه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[٥].

(**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالىٰ: (**لو خالفتُ أخي في رمَّانة فقال**) هي (**حلوة وقلت**) بل هي (**حامضة لسعىٰ بي إلىٰ السلطان**) أخرجه أبو نعيم في

---

(١) وروىٰ البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٢ من طريق إسحاق بن عيسىٰ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: اجتنب الجدال في الدين، أفكلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلىٰ النبي ﷺ.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ٢٠٥. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤١ وأبو طاهر السلفي في الطيوريات ٤/ ١٣٧٥ عن الشافعي. وعندهم جميعا بلفظ: المراء في العلم.

(٣) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٨٤ عن الربيع الخولاني قال: قال لقمان لابنه: يا بني، زاحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك. وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٤١: «ومن مواعظ لقمان لابنه: لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك».

(٤) تقريب التهذيب ص ١٧٩. وفيه: الأشعري أو الكندي. وفيه أيضا: أبو عمرو أو أبو زرعة.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ٢٢٨.

الحلية[١].

(**وقال أيضًا: صافِ مَن شئتَ ثم أغضِبْه**) مرةً (**بالمراء فليرمينَّك بداهية تمنعك العيشَ**) أي المعيشة. أخرجه أبو نعيم في الحلية[٢].

(**وقال ابن أبي ليلىٰ**) عبد[٣] الرحمن الأنصاري المدني ثم الكوفي، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين (**لا أماري صاحبي، فإما أن أكذِّبه، وإما أن أُغضِبه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن الحَكَم قال: قال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ... فذكره. ووقع في نسخة الصمت: وإما أن أبغضه.

(**وقال أبو الدرداء**) رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (**كفىٰ بك إثمًا أن لا تزال مماريًا**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن بُرْد، عن سليمان بن موسىٰ قال: قال أبو الدرداء ... فذكره.

(**وقال ﷺ: تكفير كل لحاء ركعتان**) واللحاء: المُلاحاة وهي الملاحة والمُماراة. قال العراقي[٦]: رواه الطبراني[٧] من حديث أبي أمامة بسند ضعيف[٨].

---

(١) السابق ٧/ ٨ عن عطاء بن مسلم الخفاف قال: قال لي سفيان: يا عطاء، احذر الناس واحذرني، فلو خالفت رجلا في رمانة فقال حامضة وقلت حلوة أو قال حلوة وقلت حامضة لخشيت أن يشيط بدمي.

(٢) السابق ٧/ ٨ بلفظ: «اصحب من شئت ثم أغضبه ثم دس إليه من يسأله عنك».

(٣) تقريب التهذيب ص ٥٩٧.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٩٩. وفيه: وإما أن أعصيه.

(٥) السابق ص ١٠١.

(٦) المغني ٢/ ٧٧٧.

(٧) المعجم الكبير ٨/ ١٧٥.

(٨) وهو عند ابن أبي شيبة ٢/ ٢٣٨٨ البيهقي في الشعب ٤/ ٥٤٤ عن أبي هريرة موقوفًا عليه وهو صحيح ومرفوع أبي أمامة فيه مسلمة بن علي وهو متروك، وزياد بن أنعم وفيه ما فيه وأخرجه ابن الأعرابي عن أبي هريرة مرفوعًا (١٧٦٥)، وكأنه الصواب الموقوف، والله تعالىٰ أعلم.

(**وقال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث، لا تتعلَّمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لتُرائي به. ولا تتركه حياءً من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل عنه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن أبي سلمة يحيىٰ بن المغيرة المخزومي، حدثني أخي محمد بن المغيرة، عن عبد الله بن الحارث الجُمَحي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: لا يُتعلم العلم لثلاث ولا يُترك لثلاث ... فذكره.

(**وقال عيسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **مَن كثُر كذبُه ذهب جماله، ومَن لاحَىٰ الرجالَ سقطت مروءته، ومَن كثر همُّه سقم جسمُه، ومَن ساء خُلقُه عذَّب نفسه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن القاسم بن هاشم، حدثنا حماد بن مالك الدمشقي، حدثنا عبد العزيز بن حُصَين قال: بلغني أن عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال ... فذكره.

(**وقيل لميمون بن مِهْران**) الجَزَري، العابد، الثقة، كاتِب عمر بن عبد العزيز: (**ما لك لا يفارقك أخوك عن قِلىٰ؟ قال: لأني لا أشاريه ولا أماريه**) والمُشاراة: المخاصمة. أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسىٰ بن أيوب، حدثنا عَتَّاب بن بشير، عن علي بن بذيمة قال: قيل لميمون بن مهران: ما لك لا يفارقك أخ لك عن قِلىٰ ... فذكره. وأخرجه الطبراني من طريق أبي جعفر النُّفَيلي وأبو نعيم في الحلية[٤] من طريق علي بن حُجْر كلاهما عن عَتَّاب ابن بشير به.

(**وما ورد في ذم المراء والجدال كثير**) فمن ذلك ما رواه كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن طلب العلم ليجادل به العلماء أو يماري به

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٢.

(٢) السابق ص ١٠٢.

(٣) السابق ص ١٠٨.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٨٢.

السفهاء أو يصرف به وجوهَ الناس إليه أدخله الله النار». رواه الترمذي[١] وضعَّفه وابن أبي الدنيا[٢] والطبراني[٣].

وعن حُرَيث بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُجارِ أخاك، ولا تُشارِه، ولا تُمارِه». أخرجه ابن أبي الدنيا[٤].

وقال مجاهد: لا تُمارِ أخاك، ولا تفاكهه. يعني المزاح[٥].

وقال لقمان لابنه: يا بني، لا تعلَّم العلم تباهي به العلماء، أو تماري به السفهاء، أو ترائي به في المجالس[٦].

وقال محمد بن واسع: رأيت صفوان بن مُحرِز في المسجد وقريبًا منه ناس يتجادلون، فرأيته قام فنفض ثيابه وقال: إنما أنتم حرب[٧].

وسمع الربيع بن خثيم رجلاً يلاحي رجلاً، فقال: مَهْ! لا تلفِظ إلا بخير، ولا تقل لأخيك إلا ما تحب أن تسمعه من غيرك، فإنَّ العبد مسؤول عن لفظه، محصيٌّ عليه ذلك كله، أحصاه الله تعالى[٨].

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٩٢.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٦.

(٣) المعجم الكبير ١٩/ ١٠٠.

(٤) ذم الغيبة والنميمة ص ١٩ - ٢٠.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٠٧.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٨٦، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٠٦، والدارمي في سننه ١/ ١١٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٦٢.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٠٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢١٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٩/ ١٤٨، والآجري في الشريعة ١/ ٤٤٦. وقوله (حرب) هكذا بالحاء المهملة، وفي بعض الروايات: (جُرْب) بالجيم المعجمة.

(٨) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٠١.

وقال عمرو بن مهاجر: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إذا سمعتَ المِراءَ فأقصِرْ[(١)].

(وحدُّ المراء هو: كل اعتراض علىٰ كلام الغير بإظهار خلل فيه) وركاكة ونقص (إما في اللفظ) المَسُوق (وإما في المعنىٰ) المفهوم من ذلك اللفظ (وإما في قصد المتكلم) فيقول: اللفظ والمعنىٰ صحيحان ولكنَّ قصدك غير صحيح (وتركُ المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعتَه فإن كان حقًّا فصدِّقْ به، وإن كان باطلاً أو كذبًا ولم يكن متعلقًا بأمور الدين فاسكت عنه) ولا تَخُضْ فيه (والطعن في كلام الغير تارةً يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو) بأن يكون التركيب مخالفًا لأقوال النُّحاة (أو من جهة اللغة) بأن يكون اللفظ المَسُوق غير مستعمَل عند أهلها (أو من جهة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير، وذلك يكون تارةً من قصور المعرفة) أي تكون معرفة صاحب ذلك الكلام قاصرة (وتارة يكون بطغيان اللسان) وتارة يكون بطغيان القلم، وكل ذلك من عوائد البشر (وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله. وإما في المعنىٰ فبأن يقول: ليس كما تقول وقد أخطأتَ فيه من وجه كذا وكذا. وإما في قصده فمثل أن يقول: هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجري مَجراه) مع المتناظرين (وهذا الجنس إن جرىٰ في مسألة علمية ربما خُصَّ باسم: الجدل) وقد صُنِّفت فيه كتب (وهو أيضًا مذموم، بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا علىٰ صفة العناد والنكادة، أو التلطُّف في التعريض لا في معرض الطعن. وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير) وإسكاته (وتعجيزه، وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلىٰ القصور والجهل فيه، وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرىٰ مكروهًا عند المجادل بحيث أن يكون هو المُظهِر له خطأه ليبيِّن به فضل نفسه ونقص صاحبه، ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه. وأما الباعث علىٰ هذا فهو الترفُّع بإظهار العلم والفضل) لنفسه (والتهجُّم علىٰ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٠١.

الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها، أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس، وهي من مقتضَىٰ ما في العبد من طغيان دعوىٰ العلو والكبرياء، وهي من صفات الربوبية. وأما تنقيص الآخَر فهو من مقتضَىٰ الصفة السبعية، فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان، وإنما قوَّتهما المراء والجدال، فالمواظب علىٰ المراء والجدال مقوٍّ لهذه الصفات المهلكة، وهذا مجاوز حد الكراهة، بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء للغير، فلا تنفكُّ المُماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب) وإثارته (وحمل المعترض عليه علىٰ أن يعود فينصر كلامَه بما يمكنه من حق أو باطل، ويقدح في قائله بكل ما يُتصوَّر له، فيثور الشِّجار) أي المخاصمة (بين المتماريين كما يثور الهِراش) أي المهارشة (بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعضَّ صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوىٰ في إفحامه وإلجامه. وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له علىٰ إظهار فضله) وترفُّعه علىٰ الغير (والسبعية الباعثة له علىٰ تنقيص غيره، كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعُجب وكتاب ذم الغضب، فإنَّ علاج كل علة بإماطة سببها، وسبب المراء والجدال ما ذكرناه. ثم المواظبة عليه تجعله عادة) مألوفة (وطبعًا) ملازمًا (حتىٰ يتمكَّن من النفس ويعسُر الصبرُ عنه. رُوي أن أبا حنيفة) الإمام (رحمه الله تعالىٰ قال لداود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالىٰ، وكان يحضُر حلقته ثم ترك: (لِمَ آثرتَ الانزواءَ؟ قال: لأجادل نفسي بترك الجدال. قال: احضر المجلس واستمع ما يقال ولا تتكلم. قال: ففعلتُ ذلك، فما رأيتُ مجاهدة أشد عليَّ منها) أخرجه القشيري في الرسالة(١).

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٩ - ٦٠، ونصه: «قيل: كان سبب زهد داود أنه كان يجالس أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة يوما: يا أبا سليمان، أما الأداة فقد أحكمناها. فقال له داود: فأي شيء بقيٰ؟ قال: العمل به. قال داود: فنازعتني نفسي إلىٰ العزلة، فقلت لنفسي: حتىٰ تجالسهم ولا تتكلم في مسألة، فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمر بي وأنا إلىٰ الكلام فيها أشد نزاعا من العطشان إلىٰ الماء البارد ولا أتكلم به. ثم صار أمره إلىٰ ما صار».

وأخرج أبو نعيم في الحلية[1] من طريق سفيان بن عيينة قال: كان داود يجالس أبا حنيفة، فحذف يومًا إنسانًا، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان، طالت يدك وطال لسانك. قال: ثم كان يختلف ولا يتكلم.

ومن طريق أحمد بن أبي الحواري: حدثني بعض أصحابنا أن داود الطائي كان يجالس أبا حنيفة، فقال له: يا أبا سليمان، أما الأداة فقد أحكمناها. فقال له داود: فأيُّ شيء بقي؟ فقال: بقي العمل به. قال: فنازعتني نفسي إلىٰ العزلة والوحدة، فقلت لها: حتىٰ تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة. قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل. قال: فكانت المسألة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب عنها من العطشان إلىٰ الماء فلا أجيبهم فيها، فاعتزلتهم بعدُ.

ومن طريق محمد بن سليمان المِصِّيصي لوين قال: أراد داود الطائي أن يجرِّب نفسه هل تقوَىٰ علىٰ العزلة، فقعد في مجلس أبي حنيفة سنة فلم يتكلم، فاعتزل الناسَ.

(وهو كما قال؛ لأن مَن سمع الخطأ من غيره وهو قادر علىٰ كشفه تعسَّر عليه الصبرُ عند ذلك جدًّا، ولذلك قال ﷺ: مَن ترك المراء وهو محقٌّ بنىٰ الله له بيتًا في أعلىٰ الجنة) تقدم في كتاب العلم **(لشدة ذلك علىٰ النفس، وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد، فإن المراء طبعٌ، فإذا ظن أن له ثوابًا اشتد عليه حرصُه، وتعاون الطبعُ والشرع عليه، وذلك خطأ محض، بل ينبغي للإنسان أن يكفَّ لسانه عن أهل القبلة، وإذا رأىٰ مبتدعًا تلطَّف في نصحه في خلوة)** عن الناس **(لا بطريق الجدال، فإن الجدال يخيِّل إليه أنها حيلة منه في التلبيس، وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه علىٰ أمثالها لو أرادوا، فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكَّد، فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه.**

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٣٦، ٣٤١ - ٣٤٢.

وقال ﷺ: رحم الله مَن كفَّ لسانَه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا[٢] بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلاً. ورواه الديلمي في مسند الفردوس[٣] من رواية هشام عن عائشة بلفظ: «رحم الله امرأً كفَّ لسانه عن أعراض المسلمين». وهو منقطع وضعيف جدًّا.

قلت: وزاد الديلمي في الحديث: «ولا تحل شفاعتي لطعَّان ولا للعَّان». وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن أبي جعفر، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني رِشْدين، عن العُمَري، عن هشام بن عروة قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره، وزاد فقال: **(قال هشام بن عروة)** وهو راوي هذا الحديث: **(كان ﷺ يردِّد قوله هذا سبع مرات)** تأكيدًا للسامعين.

(وكل مَن اعتاد المجادلة مدة وأثنىٰ الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزًّا وقبولاً قويت فيه هذه المهلكاتُ ولا يستطيع عنها نزوعًا) أي خلاصًا وخروجًا **(إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزُّز بالفضل، وآحاد هذه الصفات)** إذا وُجدت **(يشق مجاهدتُها، فكيف بمجموعها)** فهو أشق وأشق. والله الموفِّق.

---

(١) المغني ٢/ ٧٧٧ - ٧٧٨.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٤.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٥٩.

الآفة الخامسة: الخصومة

(وهي أيضًا مذمومة، وهي وراء الجدال والمراء، فالمراء طعنٌ في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرضٌ سوىٰ تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة) وصلابة العقل وقوة الفكر (والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها) وردع المخالف بكل ما أمكن (والخصومة لجاج في الكلام ليُستوفَىٰ به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء، وتارة يكون اعتراضًا. والمراء لا يكون إلا بالاعتراض علىٰ كلامٍ سبقَ، فقد قالت عائشة ﵂: قال رسول الله ﷺ: إنَّ أبغض الرجال إلىٰ الله الألَدُّ الخَصِم) رواه البخاري[١] ومسلم[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] بلفظ «أبغض». وبلفظ المصنف أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن أبي خيثمة، حدثنا وكيع، عن ابن جريج، عن ابن أبي مُلَيكة، عن عائشة.

(وقال أبو هريرة) ﵁: (قال رسول الله ﷺ: مَن جادل في خصومة من غير علم لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزع) قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي الدنيا والأصفهاني في الترغيب والترهيب[٧]، وفيه رجاء أبو يحيىٰ، ضعَّفه الجمهور.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١٩٤، ٣/ ٢٠١، ٤/ ٣٣٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٠.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٨٥.

(٤) سنن النسائي ص ٨١٧.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١١٤.

(٦) المغني ٢/ ٧٧٩.

(٧) الترغيب والترهيب ١/ ٥٣٣.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت[١] وذم الغيبة[٢]: حدثنا أزهر بن مروان الرَّقاشي، حدثنا مسكين أبو فاطمة، حدثنا رجاء أبو يحيىٰ، عن يحيىٰ ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره. ورجاء[٣] هذا هو ابن صبيح الحَرَشي، أبو يحيىٰ البصري، صاحب السَّقَط، بفتح القاف.

وروىٰ ابن ماجه[٤] والحاكم[٥] والرامهرمزي في الأمثال[٦] من حديث ابن عمر: «مَن أعان علىٰ خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزع».

(**وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدينَ**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٧] عن علي بن الحسين العامري، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، حدثنا الربيع بن المُلاح قال: سمعت أبا جعفر يقول: إياكم والخصومة، فإنها تمحق الدينَ. قال: وحدثني مَن سمعه يقول: وتورث الشنآنَ وتُذهِب الاجتهادَ.

(**ويقال: ما خاصم قط وَرِعٌ في الدين**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٨] عن أبيه وأحمد ابن منيع قالا: حدثنا مروان بن شجاع، عن عبد الكريم أبي أمية قال: ما خاصم وَرِعٌ قط. يعني في الدين.

(**وقال ابن قُتَيبة**) هو سِلْم بن قتيبة، وليس هو عبد الله بن مسلم الكاتب الدينوري الشهير بابن قتيبة صاحب التآليف المشهورة كما يتبادر إلىٰ الأذهان عند

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١١٣.
(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ٣٦.
(٣) تقريب التهذيب ص ٣٢٤.
(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ١٣.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ١٩٩.
(٦) أمثال الحديث ص ١٦٢.
(٧) الصمت وآداب اللسان ص ١١٤.
(٨) السابق ص ١١٤.

الإطلاق: (مر بي بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة) نُفَيع بن الحارث بن كَلَدة الثقفي (فقال: ما يجلسك ههنا؟ قلت: خصومة بيني وبين ابن عمي. فقال: إن لأبيك عندي يدًا) أي معروفًا ونعمة (وإني أريد أن أجزيك بها، وإني واللهِ ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة. قال: فقمت لأنصرف فقال لي خصمي: ما لك؟ فقلت: لا أخاصمك. قال: إنك عرفتَ أن الحق لي. قلت: لا، ولكن أكرِمُ نفسي عن هذا. قال: فإني لا أطلب منك شيئًا هو لك) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[1] فقال: حدثني أبو بكر محمد بن هانئ، حدثني أحمد بن شَبُّويه، حدثني سليمان بن صالح، حدثني عبد الله بن المبارك، عن جويرية بن أسماء، عن سِلْم بن قتيبة قال: مر بي بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسك ههنا؟ ... فذكره، وزاد في آخره: فمررتُ بعدُ ببشير وهو يخاصم فذكَّرتُه قولَه، قال: لو كان قدْر خصومتك عشر مِرار فعلته ولكنه مِرْغاب أكثر من عشرين ألف ألف.

(فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق) علىٰ آخر (فلا بد له من الخصومة في طلبه منه أو في حفظه) عنده (مهما ظلمه ظالمٌ) أو تعدَّىٰ عليه ذو سطوة (فكيف يكون حكمه؟ وكيف تُذَم خصومته؟ فاعلمْ أن هذا الذم) الذي ذكرناه (يتناول الذي يخاصم بالباطل) بأن يخالف الوجه الشرعي في طلبه وحفظه (والذي يخاصم بغير علم، مثل وكيل القاضي، فإنه قبل أن يتعرَّف أن الحق في أيِّ جانب هو يتوكَّل في الخصومة من أيِّ جانب يكون، فيخاصم بغير علم) ويجادل بغير سند (ويتناول الذي يطلب حقه، ولكنه لا يقتصر علىٰ قدر الحاجة بل يُظهِر اللدد في الخصومة علىٰ قدر التسلُّط) والغلبة (أو علىٰ قصد الإيذاء، ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية) من الفُحش والبَذاء (ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة) وإقامتها (وإظهار الحق، ويتناول الذي يحمله علىٰ الخصومة محض العناد لقهر الخصم

---

(١) السابق ص ١١٥.

وكسره) ومغلوبيَّته (مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال) الذي يخاصم لأجله، وهذا القصد ربما لا يظهر بل يكون كامنًا في قلبه لا يصرِّح به (وفي الناس من يصرِّح به) جهرًا ويبرزه من قلبه (ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عِرضه[1]) وجاهه (وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميتُ به في بئر) أو حفرة (ولا أبالي) لاستغنائه عنه (وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج) فقط (وهو مذموم جدًّا، فأما المظلوم الذي ينصر حُجته) ويقيم حقَّه (بطريق الشرع) مسدَّدًا في خصومته (من غير لدد وإسراف) وغلوٍّ (وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء) ونكاية لأخيه المسلم (ففعلُه ليس بحرام) شرعًا (ولكنَّ الأولىٰ) والأليق (تركُه ما وجد إليه سبيلاً) وأمكنه ذلك (فإنَّ ضبط اللسان في الخصومة علىٰ قدر الاعتدال) أي حدَّي الإفراط والتفريط (متعذر، والخصومة) كما تقدم (توغر الصدرَ) أي تملؤه وغرًا وهو شدة اللهيب (وتهيِّج الغضبَ) وتورث الشَّنآن والحقد (وإذا هاج الغضب) غطىٰ علىٰ عقله و(نسي المتنازَع فيه، وبقي الحقد بين المتخاصمين) واستجرَّه إلىٰ أمور ذميمة (حتىٰ يفرح كل واحد بمساءة صاحبه) إذا أصيبَ بها (ويحزن بمسرَّته، ويُطلِق اللسان في عِرضه) فلا يترك للقول فيه مجالاً (فمَن بدأ بالخصومة) مع أخيه (فقد تعرَّض لهذه المحذورات) وورَّط نفسه فيها (وأقل ما فيه تشويش خاطره) وتفريق همِّه (حتىٰ إنه في صلاته يشتغل بمحاجَّة خصمه) لكثرة اشتغاله به، فيستغرق أوقاته كلَّها (فلا يبقىٰ الأمر علىٰ حد الواجب، فالخصومة مبدأ كل شر) ومنبع كل قبح (وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يُفتَح بابه) أصلاً لمَن أراد سلامة نفسه (إلا لضرورة) داعية (وعند الضرورة) إذا تحقَّقت (ينبغي أن يُحفَظ اللسان) عن البذاء (والقلب) عن الضغن حتىٰ يخلص (عن تَبِعات الخصومة) ومَذَمَّاتها (وذلك متعذر جدًّا) خصوصًا في هذا الزمان (فمَن اقتصر علىٰ الواجب في خصومته سَلِمَ من الإثم، ولا تُذَم خصومته، إلا أنه إن كان مستغنيًا عن الخصومة

(١) في ط المنهاج ٥/ ٤٣٠: غرضه. بالغين.

فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركًا للأولىٰ ولا يكون آثمًا) لاقتصاره علىٰ الواجب **(نعم، أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طِيب الكلام)** ولِينه **(وما ورد فيه من الثواب)** العظيم **(إذ أقل درجات طِيب الكلام إظهار الموافقة)** وترك المخالفة **(ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل)** للغير، أي نسبته إلىٰ الجهل **(وإما تكذيب)** لقوله **(فإنَّ مَن جادل غيرَه أو ماراه أو خاصمه فقد جهَّلَه أو كذَّبَه، فيفوت به طِيب الكلام، وقد قال ﷺ: يمكِّنكم من الجنة طِيب الكلام وإطعام الطعام)** قال العراقي[1]: رواه الطبراني في الأوسط[2] من حديث جابر، وفيه مَن لا أعرفه. وله[3] من حديث هانئ أبي شريح بإسناد جيد: «يوجب الجنةَ إطعامُ الطعام وحسن الكلام».

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا[4] عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان، سمع محمد بن المنكدر يقول: قال رسول الله ﷺ: يمكِّنكم من الجنة ... الحديث. هكذا هو عندي في كتاب الصمت، إن لم يكن فيه سقط فيكون الحديث مرسلاً.

وأما حديث أبي شريح فقال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشَّار بن موسىٰ، أنبانا يزيد ابن المقدام بن شريح قال: حدثني أبي المقدامُ، عن أبيه، عن جده هانئ أبي شريح قال: قلت للنبي ﷺ: أخبِرْني بشيء يوجب لي الجنةَ. قال: «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام».

(وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾) قال عطاء: أي للناس كلهم، المشرك وغيره. رواه ابن أبي الدنيا[5] عن خلف بن هشام، حدثنا خالد، عن

(١) المغني ٢/ ٧٧٩.

(٢) المعجم الأوسط ٢/ ١٤٥، ٥/ ٢٨٤.

(٣) المعجم الكبير ٢٢/ ١٨٠.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٧٥ موقوفا علىٰ محمد بن المنكدر، غير مرفوع، وهكذا رواه أيضا في كتاب مداراة الناس ص ٩٣.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٧٨.

عبد الملك، عنه.

(وقال ابن عباس ﷺ: مَن سلَّم عليكم من خلق الله فارددوا عليه السلام وإن كان مجوسيًّا، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾) [النساء: ٨٦] أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن يعقوب بن إبراهيم، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، حدثنا حسن بن صالح، عن سِماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ... فذكره، وفيه: مَن سلَّم عليك. بإفراد الضمير، وكذا في الجواب: فارْدُدْ عليه. وفيه: ذلك لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول.

(وقال ابن عباس أيضًا: لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن خلف بن هشام، حدثنا شريك، عن أبي سِنان قال: قلت لسعيد بن جبير: المجوسي يوليني من نفسه ويسلِّم عليَّ، أفأردُّ عليه؟ فقال سعيد: سألتُ ابن عباس عن نحو من ذلك فقال: لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه.

(وقال أنس) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة غرفًا يُرَىٰ ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالىٰ لمَن أطعم الطعام وألانَ الكلام)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن سُوَيد بن سعيد، حدثنا عبد الرحيم بن زيد، عن أبيه، عن أنس، وفيه: غرفة، بدل: غرفًا، و: أطاب، بدل: ألانَ. ورُوي أيضًا من حديث أبي مالك الأشعري بزيادة في آخره: «وصلىٰ بالليل والناسُ نيام». هكذا رواه ابن أبي الدنيا. وفي [رواية] أخرىٰ بزيادة «وتابع الصيام» بعد «وألان الكلام». وهكذا رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وهو عند الترمذي من حديث علي، وقد تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الطعام.

---

(١) السابق ص ١٧٧.

(٢) السابق ص ١٧٨.

(٣) السابق ص ١٧٦.

(**ورُوي أن عيسىٰ** عليه السلام **مر به خنزير، فقال: مُرَّ بسلام. فقالوا: يا روح الله، أتقول هذا للخنزير؟! فقال: أكره أن أعوِّد لساني الشرَّ**) أخرجه ابن أبي الدنيا[1] عن الحسين بن علي بن يزيد، أنبأنا عبد الله بن مَسلمة، حدثنا مالك بن أنس قال: مر بعيسىٰ ابن مريم خنزير ... فذكره.

(**وقال نبيُّنا** ﷺ: **الكلمة الطيبة صدقة**) قال العراقي[2]: رواه مسلم[3] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا[4] عن الحسن بن عيسىٰ، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر، عن همام بن منبِّه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الكلمة الطيبة صدقة».

(**وقال**) ﷺ: (**اتقُوا النار ولو بشِق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، وقد تقدم[5]. ورواه ابن أبي الدنيا[6] عن محمد ابن مسعود، أنبأنا الفريابي، أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يكن شق تمرة فكلمة طيبة».

(**وقال عمر** رضي الله عنه) كذا في النسخ، والصواب: وقال ابن عمر. وقد تقدم له في كتاب آداب الأكل، وذكره هناك علىٰ الصواب (**البِر شيء هيِّن: وجه طلق**) أي ذو بشاشة (**وكلام ليِّن**) أخرجه ابن أبي الدنيا[7] عن محمد بن الحسين، حدثنا

---

(١) السابق ص ١٧٧.

(٢) المغني ٢/ ٧٧٩.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٤٩. وقد رواه أيضا البخاري في صحيحه ٢/ ٣٢٩، ٣٥٦.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٧٩.

(٥) في كتاب الزكاة.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٠.

(٧) السابق ص ١٨٠.

مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، عن حُمَيد الطويل قال: قال ابن عمر: البر شيء هين: وجه طلق وكلام لين.

وقد نظمه بعضهم فقال:

بنيَّ إن البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

ويُروَىٰ المصراع الثاني: المنطق الطيب والطعيم[1].

(**وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يغسل الضغائن**) أي الأحقاد (**المستكنة**) أي الثابتة المخفيَّة (**في الجوارح**) كذا في النسخ، والصواب: في الجوانح. أخرجه ابن أبي الدنيا[2] عن علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن ابن أبي عائشة قال: قال بعض الحكماء ... فذكره.

(**وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربَّك إلا أنك ترضي به جليسَك فلا تكن به عليه بخيلاً، فإنه لعله يعوِّضك منه ثواب المحسنين**) أخرجه ابن أبي الدنيا[3] عن علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن ابن أبي عائشة قال: قال بعض الحكماء: كل كلام لا يوتِغ دينك ولا يسخط ربَّك ... فذكره.

(**هذا كله في فضل الكلام الطيب، وتضادُّه الخصومةُ والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكرَه الموحِش، المؤذي للقلب**) المنفِّر للخواطر (**المنغِّص للعيش، المهيِّج للغضب، الموغِر للصدر**) المورث للعداوة (**نسأل الله حسن التوفيق**) وحسن المعونة (**بمنِّه وكرمه**).

---

(١) تقدم هذا البيت في كتاب الحج.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٧٨.

(٣) السابق ص ١٧٨.

الآفة السادسة: التقعُّر في الكلام

(**بالتشدُّق وتكلُّف السجع والفصاحة والتصنُّع فيه بالتشبيبات**) وهو ما يشبِّب به الشاعر في قصيدته من غزل وتعريض بالحب وتحسينها وتزيينها بذكر النساء (**والمقدِّمات**) ممَّا يقدَّم بين يدي الدخول في الغرض من ذكر الأطلال والديار وما سلف له في أيام الصِّبا والشبوبية (**وما جرت به عادة المتفاصحين المدَّعين للخطابة**) والشعر (**وكل ذلك من التصنُّع المذموم**) في الشرع (**ومن التكلُّف الممقوت**) أي المبغوض (**الذي قال فيه النبي ﷺ: أنا وأتقياء أمَّتي بُرآء من التكلُّف**) أغفله العراقي. وقال النووي: ليس بثابت. ا.هـ. وأخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام مرفوعًا: «ألا إني بريء من التكلُّف وصالحو أمَّتي». وسنده ضعيف. ويشهد لذلك ما رواه البخاري عن أنس عن عمر رضي الله عنه: نُهينا عن التكلف. وروىٰ أحمد والطبراني في معجميه الكبير والأوسط وأبو نعيم في الحلية عن سلمان رضي الله عنه أنه قال لمَن استضافه: لولا أنَّا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم[١].

(**وقال ﷺ: إن أبغضكم إلىٰ الله وأبعدكم مني مجلسًا الثرثارون المتفيهقون المتشدِّقون في الكلام**) قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] من حديث أبي ثعلبة، وهو عند الترمذي[٤] من حديث جابر وحسَّنه بلفظ: «إنَّ أبغضكم إليَّ».

قلت: وروىٰ الديلمي[٥] من حديث أبي هريرة: «شِرار أمَّتي الثرثارون

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث الثلاثة مع كلام النووي في كتاب آداب الصحبة.

(٢) المغني ٢/ ٧٨١.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ٢٦٧، ٢٧٩.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٥.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٦٩.

المتشدِّقون المتفيهقون، وخيار أمتي أحاسنهم أخلاقًا».

(**وقالت فاطمة** ﷺ) وهي ابنة رسول الله ﷺ: (**قال رسول الله** ﷺ: **شِرار أمتي الذين غُذُّوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدَّقون في الكلام**) رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال العراقي: وفيه انقطاع. قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، حدثنا علي بن ثابت، عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن عبد الله بن حسن، عن أمه، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ رفعتْه ... فذكره. وهذا السند لا انقطاع فيه، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا[١].

(**وقال** ﷺ: **ألا هلك المتنطِّعون. ثلاث مرات**) رواه مسلم[٢] من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في كتاب العلم[٣]. وأخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن أبي خيثمة والقواريري قالا: حدثنا يحيىٰ القَطَّان، عن ابن جريج، أخبرني سليمان بن عتيق، عن طلق بن حبيب، عن الأحنف بن قيس، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ ... فذكره.

(**والتنطُّع هو التعمُّق والاستقصاء**) وهو تفعُّل من النِّطْع وهو ما ظهر من غار الفم الأعلىٰ[٥].

(**وقال عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان**)[٦] وشقاشق

---

(١) في كتاب كسر الشهوتين.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣١.

(٣) بل مسلم (١٦٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٠٩.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٤٤٠.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١١٢. ورواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٥٨ عن أنس قال: خطب رجل عند عمر فأكثر الكلام، فقال عمر: إن كثرة الكلام في الخطب من شقاشق الشيطان. وأخرج ابن حبان من حديث ابن عمر قال: قام رسول الله ﷺ فخطب فقال: أيها الناس قولوا بقولكم فإنما تشقيق الكلام من الشيطان... إلخ صحيح ابن حبان ١٣/ ٢٦.

اللسان مستعار من شقاشق البعير.

(**وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص**) تقدَّم له ذِكرٌ (**إلىٰ أبيه سعد**) بن أبي وقاص، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة (**يسأله حاجة، فتكلم بين يدي حاجته بكلام، فقال له سعد: ما كنتَ من حاجتك بأبعد منك اليوم، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي علىٰ الناس زمانٌ يتخلَّلون الكلام بألسنتهم كما تتخلَّل البقرُ الكلأ بألسنتها**) أي[1] يتشدَّق الكلام بلسانه كما تتشدق البقر، ووجه الشبه إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حالَ التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الأكل، وخص البقرةَ من بين البهائم لأن سائرها تأخذ النبات بأسنانها، والبقرة لا تحتشُّ إلا بلسانها.

قال العراقي[2]: رواه أحمد[3]، وفيه مَن لم يُسَمَّ، ومختصرًا بإسناده مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبي هريرة، وأصلهما عند البخاري أيضًا[4].

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا[5] عن ابن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مصعب بن سعد قال: جاء عمر بن سعد إلىٰ أبيه فسأله حاجة ... فذكر الحديث كما عند المصنف، وأخرجه أيضًا بهذا الإسناد في كتاب ذم الغيبة[6] له. وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمرو: «إن الله تعالىٰ يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلَّل بلسانه تخلُّل الباقرة بلسانها». وقال الترمذي: حسن غريب[7].

---

(١) فيض القدير ٢/ ٢٨٣.

(٢) المغني ٢/ ٧٨١.

(٣) مسند أحمد ٣/ ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) قوله: ومختصرا ... الخ. هكذا وردت هذه العبارة في هذا الموضع، وإنما ذكرها العراقي عند تخريج الحديث الآتي بعده في غرة الجنين، وهو الصواب.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١١٠.

(٦) ذم الغيبة والنميمة ص ٢٦ - ٢٧.

(٧) حديث ابن عمرو تقدم في كتاب النكاح.

(وكأنه أنكر عليه ما قدَّمه علىٰ الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلَّفة، وهذا أيضًا من آفات اللسان، ويدخل فيه كل سجع متكلَّف، وكذلك التفاصُح الخارج عن حد العادة) ممَّا فيه تغرُّب وتدقيق وتعمُّق (وكذلك التكلُّف بالسجع في المحاورات) والمخاطبات (إذ قضىٰ رسول الله ﷺ بغرَّة في الجنين، فقال بعض قوم الجاني: كيف نَدِي مَن لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهلَّ، ومثل ذلك دمُه يُطَل)؟! أي يُهَدر (فقال) النبي ﷺ: (أسجعًا كسجع الأعراب)؟! رواه أبو داود، وقد تقدم في كتاب العلم.

(وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنُّع بيِّنٌ عليه) ظاهر لديه (بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء علىٰ مقصوده) الذي هو بصدده (ومقصود الكلام) إنما هو (التفهيم للغرض) فقط (وما وراء ذلك تصنُّع مذموم. ولا يدخل في هذا تحسينُ ألفاظ الخطابة والتذكير) ممَّا يوردها في وعظه للعامة والخاصة، ولكن (من غير إفراط وإغراب) وتعمُّق (فإنَّ المقصود منها تحريك القلوب) وجذبها (وتشويقها وقبضها) عن ميل الهوىٰ (وبسطها) في مجال الرضا (فلرشاقة اللفظ) وقعٌ عجيب و(تأثير) غريب (فيه، فهو لائق به) ومستثنىٰ مما ذُكر (فأما المحاورات التي تجري) بين الناس (لقضاء الحاجات) وتيسير الأمور (فلا يليق بها السجع) المتكلَّف (والتشدق، والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميُّز بالبراعة) علىٰ الإخوان (وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه) وفي كلام السلف تنبيه عليه لمَن تأمل.

الآفة السابعة: الفُحش والسب وبذاءة اللسان

(وهو مذموم ومنهيٌّ عنه، ومصدره الخبث واللؤم) في أصل الطبع **(قال ﷺ: إياكم والفحش، فإنَّ الله تعالىٰ لا يحب الفحش ولا التفحُّش)** فالفحش: اسم لكل ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة، كما ينكره العقل، ويستخبثه الشرع، فتتفق في حكمه آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع[١]. والتفحُّش: تكلف ذلك وتعمُّده.

قال العراقي[٢]: رواه النسائي في الكبرىٰ[٣] في التفسير والحاكم[٤] وصحَّحه من حديث عبد الله بن عمرو. ورواه ابن حبان[٥] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٦] عن علي بن الجعد، أخبرني المسعودي وقيس بن الربيع، عن عمرو بن مُرَّة، عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مالك - أو عن عبد الله بن مالك عن عبد الله بن الحارث - عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره بلفظ المصنف.

قال[٧]: وحدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا المسعودي، أنبأنا عمرو بن مرَّة، عن عبد الله بن الحارث، عن أبي كثير الزبيدي، عن عبد الله ابن

(١) نقله البقاعي في نظم الدرر ٢/ ٣١٩ عن الحرالي.

(٢) المغني ٢/ ٧٨٢.

(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٩٥.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥١.

(٥) صحيح ابن حبان ١١/ ٥٨٠، ١٤/ ١٤١.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٨١.

(٧) السابق ص ١٨٢.

عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «ألا فاتقوا الله، وإياكم والفُحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحُّش».

(ونهىٰ رسول الله ﷺ عن أن تُسَب قتلىٰ بدر من المشركين فقال: لا تسبُّوا هؤلاء، فإنه لا يخلُص إليهم شيء ممَّا تقولون، وتؤذون الأحياء، ألا إن البذاء لؤم) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا[٢] من حديث محمد بن علي الباقر مرسلاً، ورجاله ثقات. وللنسائي[٣] من حديث ابن عباس بإسناد صحيح: «لا تسبُّوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا». وفي أوله قصة.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني القاسم بن الفضل الحِدائي، عن محمد بن علي قال: نهىٰ رسول الله ﷺ أن تُسَب قتلىٰ بدر من المشركين وقال ... فذكره بلفظ المصنف.

وأخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٤] من حديث أم سلمة: «لا تسبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء، ألا إن البذاء لؤم».

وقد رواه أحمد[٥] والترمذي[٦] والطبراني[٧] من حديث المغيرة بن شعبة دون قوله «ألا إن البذاء لؤم».

---

(١) المغني ٢/ ٧٨٢.

(٢) الحلم ص ٧٣.

(٣) سنن النسائي ص ٧٢٩، ولفظه: «وقع رجل في أب كان له في الجاهلية، فلطمه العباس، فجاء قومه فقالوا: ليلطمنه كما لطمه. فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فصعد المنبر فقال: أيها الناس، أي أهل الأرض تعلمون أكرم علىٰ الله ﷻ؟ فقالوا: أنت. فقال: إن العباس مني وأنا منه، لا تسبوا موتانا فتؤذوا أحياءنا. فجاء القوم فقالوا: يا رسول الله، نعوذ بالله من غضبك، استغفر لنا».

(٤) مساوئ الأخلاق ص ٤٥، ٥٦.

(٥) مسند أحمد ٣٠/ ١٤٩ - ١٥٠.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٣.

(٧) المعجم الكبير ٢٠/ ٤٢٠.

(وقال ﷺ: ليس المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء) فالطعَّان[١]: هو الوَقَّاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غِيبة. واللعَّان: الذي يُكثِر لعنَ الناسِ بما يبعدهم من رحمة الله تعالىٰ إما صريحًا أو كنايةً. والفاحش: ذو الفُحش في كلامه وأفعاله. والبذيء: الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقًا.

قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال: حسن غريب، والحاكم[٤] وصحَّحه، ورُوي موقوفًا، قال الدارقطني في العلل[٥]: والموقوف أصح.

قلت: أخرجه الترمذي في البر، وإنما قال «حسن غريب» ولم يصحِّحه لأن فيه محمد بن سابق البغدادي، وهو ثقة، لكن ضعَّفه بعضُهم. وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد[٦] وأحمد[٧] وأبو يعلىٰ[٨] وابن حبان[٩] والطبراني[١٠] والبيهقي[١١] كلهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا. ورواه البيهقي[١٢] أيضًا من حديث أبي هريرة. وممَّن رواه مرفوعًا ابن أبي الدنيا في الصمت[١٣] قال: حدثنا

---

(١) فيض القدير ٥/ ٣٦٠.
(٢) المغني ٢/ ٧٨٢.
(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٠.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢ - ٥٣.
(٥) العلل ٥/ ٩٢ - ٩٣.
(٦) الأدب المفرد ص ١٠١، ١٠٦.
(٧) مسند أحمد ٦/ ٣٩٠، ٧/ ٦٠.
(٨) مسند أبي يعلىٰ ٩/ ٢٠، ٢٥٠، ٢٥٨.
(٩) صحيح ابن حبان ١/ ٤٢١.
(١٠) المعجم الكبير ١٠/ ٢٥٦.
(١١) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٥، ٤١١.
(١٢) السابق ١٠/ ٣٢٥ بلفظ: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا». وقد رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٢٠٤.
(١٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٣.

يحيىٰ بن يوسف الزَّمِّي، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن الحسن بن عمرو، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن عبد الله، عن النبي ﷺ ... فساقه.

وقال أيضًا[١]: حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا محمد بن سابق، عن إسرائيل، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بطعَّان، ولا بلعَّان، ولا الفاحش ولا البذيء».

(وقال ﷺ: **الجنة حرام علىٰ كل فاحش أن يدخلها**) الفاحش[٢]: ذو الفُحش في قوله أو فعله، أي لا يدخلها مع الأوَّلين أو قبل تعذيبه وتطهيره بالنار إلا إن عُفي عنه.

قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا[٤] وأبو نعيم في الحلية[٥] من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد فيه لِين.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثني عِصمة بن الفضل، حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ، حدثنا ابن لهيعة، عن عياش بن عباس، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال ... فذكره.

وكأنَّ العراقي أشار بقوله «بإسناد فيه لين» إلىٰ ابن لهيعة، فإنَّ حاله مشهور، والكلام فيه كثير.

(وقال ﷺ: **أربعة يؤذون أهلَ النار في النار علىٰ ما بهم من الأذىٰ، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور**) أي الهلاك (**رجل يسيل فوه**) أي فمُه

---

(١) السابق ص ١٨٦.

(٢) فيض القدير ٣/ ٣٦٣.

(٣) المغني ٢/ ٧٨٢.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٤.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٢٨٨.

(قيحًا ودمًا، فيقال له: ما بال الأبعد قد آذانا علىٰ ما بنا من الأذىٰ؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلىٰ كل كلمة قَذِعة) أي قبيحة **(خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفثَّ)** وهو الفُحش في المنطق، أو ما يكنَّىٰ عنه من ذكر النكاح.

قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا[٢] من حديث شُفَيٍّ بن ماتع، واختُلف في صحبته، فذكره أبو نعيم في الصحابة[٣]، وذكره البخاري[٤] وابن حبان[٥] في التابعين. والراوي عنه أيوب بن بشير العِجْلي وثَّقه ابن حبان[٦]، وجهَّله الذهبي.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن عمرو الضَّبِّي، حدثنا إسماعيل ابن عَيَّاش، حدثني ثعلبة بن مسلم الخثعمي، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شُفَي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: أربعة يؤذون أهل النار ... الحديث. وفيه: فيستلذها كما يستلذ الرفثَ. ثم قال: حدثنا أحمد بن عيسىٰ، حدثنا عبد الله بن وهب، عن ثابت بن ميمون، عن سعيد بن أبي سعيد قال: يقال: مَن استلذَّ من الرفث سالَ فوه قيحًا ودمًا يوم القيامة.

وشفي[٧] بن ماتع أبو عثمان الأصبحي مات في خلافة هشام، ذكر خليفة بن خياط أنه أرسل حديثًا فظن بعضهم أنه صحابي[٨]. وقد روىٰ له البخاري في خلق

(١) المغني ٢/ ٧٨٣.
(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٤.
(٣) معرفة الصحابة ٤/ ١٤٩١ - ١٤٩٢.
(٤) التاريخ الكبير ٤/ ٢٦٦.
(٥) الثقات ٤/ ٣٧١.
(٦) السابق ٦/ ٥٨.
(٧) تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٣ - ٥٤٤. تقريب التهذيب ص ٤٣٩.
(٨) لم يذكر ذلك خليفة في طبقاته، وإنما ذكره في موضعين، الأول ص ٢٩٤ قال: «شفي بن ماتع الأصبحي، مات في خلافة هشام بن عبد الملك». والثاني ص ٣١١ قال: «شفي بن ماتع، أصبحي حمصي».

أفعال العباد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير.

وأيوب[١] بن بشير العجلي، شامي، صدوق، روىٰ له ابن ماجه في كتاب التفسير. وعبارة الذهبي في ديوان الضعفاء[٢]: أيوب بن بشير، شامي، مجهول، عن التابعين.

(وقال ﷺ لعائشة) ﵂: (يا عائشة، لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا[٤] من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها.

قلت: قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثنا عبيد بن أبي قُرَّة، عن ابن لهيعة، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الفحش رجلاً لكان رجلَ سوءٍ». ورواه[٥] أيضًا من طريق أخرىٰ ليس فيها ابن لهيعة قال: حدثنا الحكم بن موسىٰ، حدثنا الوليد بن مسلم، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء أن النبي ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة، لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء». وهذا هو الذي أشار إليه المصنف وأورده.

وأخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٦] من حديث عائشة: «لو كان سوء الخُلق رجلاً يمشي في الناس لكان رجل سوء، وإن الله لم يخلقني فَحَّاشًا».

وعند أبي نعيم بلفظ: «لو كان البذاء رجلاً لكان رجل سوء»[٧].

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٥٨.

(٢) بل في المغني ١/ ١٥٣.

(٣) المغني ٢/ ٧٨٣.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٧.

(٥) السابق ص ١٨٦.

(٦) مساوئ الأخلاق ص ٢٠.

(٧) رواه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٧٦.

ومما عزاه السيوطي[١] إلىٰ الصمت لابن أبي الدنيا من حديث عائشة ولم أجده فيه[٢]: «لو كان الفحش خَلقًا لكان شر خلق الله».

(وقال ﷺ: **البذاء**) يُروَىٰ بكسر الموحدة وبفتحها ممدودًا (**والبيان شُعبتان من شُعَب النفاق**) قال العراقي[٣]: رواه الترمذي وحسَّنه والحاكم وصحَّحه علىٰ شرط الشيخين من حديث أبي أمامة، وتقدم[٤].

قلت: قال ابن أبي الدنيا[٥]: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني أبو غَسَّان محمد ابن مطرِّف، عن حسان بن عطية، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ .. فذكره.

أما البذاء فهو المفاحشة في القول والفعل (و) اختُلف في تفسير البيان في هذا الخبر، فقيل: (**يحتمل أن يُراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفُه**) من الأسرار الإلهية، أي لغير أهله (**ويحتمل أيضًا المبالغة في الإيضاح حتىٰ ينتهي إلىٰ حد التكلف**) المنهيّ عنه (**ويحتمل أيضًا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالىٰ، فإنَّ إلقاء ذلك مجملاً إلىٰ أسماع العوامِّ أَولىٰ من المبالغة في بيانه**) وكشفه (**إذ قد يثور**) أي يتحرك (**من غاية البيان**) ونهاية الكشف (**فيه شكوكٌ**) وأوهام (**ووساوس**) وشُبهات (**فإذا أُجملتْ بادرت القلوب إلىٰ قبوله**) وقنعت به (**ولم تضطرب**) ولم تطلب كشف ما وراء ذلك، وإليه الإشارة بقول القائل:

* ومَن منح الجُهَّال علمًا أضاعه[٦] *

---

(١) كنز العمال ٣/ ٥٩٩.

(٢) بل فيه ص ٢٨٩.

(٣) المغني ٢/ ٧٨٣.

(٤) في كتاب آداب الصحبة.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٦) صدر بيت، عجزه:

ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وهو للإمام الشافعي في ديوانه ص ٩٣ (ط - دار القلم).

(ولكنَّ ذِكره مقرونًا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه، فإنَّ الأَولىٰ في مثله الإغماض والتغافُل دون الكشف والبيان) والذي يظهر أن المراد بالبيان هنا هو الاحتمال الثاني وهو[١] التعمُّق في إظهار الفصاحة في النطق وتكلُّف البلاغة في أساليب الكلام؛ لأنه يجرُّ إلىٰ أن يرىٰ لنفسه فضلاً علىٰ مَن تقدَّمه في المقال ومزيَّة عليه في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خُصَّ به عنهم فيحتقر مَن تقدَّمَه. وأصل البيان هو جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنىٰ. وقال الزمخشري[٢]: هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ. وبهذا الذي ذكرتُ فسَّروا ما رواه الطبراني[٣] من حديث أبي أمامة: «إن الله كره لكم البيان كل البيان». فتأملْ.

(وقال ﷺ: إن الله لا يحب الفاحش المتفحِّش الصيَّاح في الأسواق) أي[٤] كثير الصراخ في الشوارع والطرق ومَجامع الناس كما يفعله السُّوقة والدَّلاَّلون ونحوهم، فيُكره ذلك، وأما صياح نحو الدَّلاَّل والمنادي ومنشد الضالَّة ومعرِّف اللقطة بقدر الحاجة فلا يُكرَه.

قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف. وله وللطبراني[٦] من حديث أسامة بن زيد: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحِّش». وإسناده جيد.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا في الصمت[٧]: حدثنا داود بن عمرو الضَّبِّي، حدثنا

---

(١) فيض القدير ٢/ ٢٥١. وهذا الكلام مأخوذ عن رسالة فضل علم السلف علىٰ علم الخلف لابن رجب الحنبلي ص ٨٧ - ٨٨ (ط - دار الصميعي بالرياض) بتصرف.

(٢) هذا ليس كلام الزمخشري، وإنما هو كلام ابن الأثير في النهاية ١/ ١٧٤.

(٣) المعجم الكبير ٨/ ١٩٥.

(٤) فيض القدير ٢/ ٢٧١.

(٥) المغني ٢/ ٧٨٣.

(٦) المعجم الكبير ١/ ١٦٥، ١٦٦.

(٧) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٠.

مروان بن معاوية، حدثنا أبو بكر الفضل بن مبشِّر الأنصاري، سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يحب الله الفاحش المتفحِّش، الصيَّاح في الأسواق». ورواه كذلك ابن عدي في الكامل[١] وضعَّفه، ولعل سبب ضعفه الفضل بن مبشِّر أبو بكر المدني عن جابر، قال الذهبي في المغني[٢]: ضعَّفه ابن معين والنسائي[٣]. وقال أبو زُرعة: لين[٤].

وأما حديث أسامة بن زيد فقد أورده ابن أبي الدنيا[٥] من وجهين، الأول: قال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا معلَّىٰ بن منصور، حدثنا يحيىٰ بن زكريا، حدثني عثمان بن حكيم، حدثني محمد بن أفلح مولىٰ أبي أيوب، عن أسامة بن زيد قال: أما إني أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «لا يحب الله الفاحش المتفحِّش». الثاني: قال: حدثنا أبو موسىٰ الهَرَوي، حدثنا يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، حدثنا عثمان بن حكيم، عن أفلح مولىٰ أبي أيوب، عن أسامة بن زيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يحب الفاحش المتفحِّش».

وقد رُوي ذلك أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري، قال ابن أبي الدنيا[٦]: حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا فُضَيل بن سليمان، حدثنا عبد الحميد ابن جعفر، عن أبيه، عن أبي سعيد رفعه: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحِّش».

(وقال جابر بن سَمُرة) بن[٧] جُنادة بن جُندب بن حُجَير بن زَبَّاب بن حبيب بن سُواءة بن عامر بن صعصعة السُّوائي، أبو عبد الله – ويقال: أبو خالد –

(١) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٤٣.
(٢) المغني في الضعفاء ٢/ ١٠٥.
(٣) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٩٩.
(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٦٦ – ٦٧.
(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٩.
(٦) السابق ص ١٨٥.
(٧) تهذيب الكمال ٤/ ٤٣٧ – ٤٤٠. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨/ ١٤٦. الاستيعاب ١/ ١٣٩.

العامري، وأمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد، له صحبة، وحالف بني زُهرة، ونزل الكوفة، وابتنىٰ بها دارًا، وله بها عقب، ومات بها سنة ست وسبعين[١] في ولاية بشر بن مروان، روىٰ له الجماعة (**كنت جالسًا عند النبي ﷺ وأبي أمامي**) هو[٢] سَمُرة بن جُنادة، له أيضًا صحبة، مات بالكوفة في ولاية عبد الملك بن مروان[٣]، روىٰ له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي حديث «كلهم من قريش» يعني الاثنىٰ عشر خليفة (**فقال ﷺ: إن الفحش والتفحُّش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلامًا أحاسنهم أخلاقًا**) قال العراقي[٤]: رواه أحمد[٥] وابن أبي الدنيا[٦] بإسناد صحيح.

قلت: ورواه كذلك أبو يعلىٰ[٧]. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا أبو أسامة، عن زكريا بن سِياه، عن عمران بن رياح، عن علي ابن عُمارة الثقفي، عن جابر بن سمرة قال: كنت عند النبي ﷺ قاعدًا، وأبي أمامي ... فساقه بلفظ المصنف. ووقع عند أحمد وأبي يعلىٰ: أحسنهم خُلقًا. قال الهيثمي[٨]: رجاله ثقات. وقال المنذري[٩]: إسناد أحمد جيد.

---

(١) وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة أربع وسبعين. ولعل هذا القول الأخير هو الأقرب إلىٰ الصواب؛ لأن بشرا ولي العراق سنة ٧٤، ومات سنة ٧٥.

(٢) تهذيب الكمال ١٢/ ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) هكذا قال ابن حبان في الثقات ٣/ ١٧٥. قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ١١٦ وفي الإصابة ٤/ ٢٥٦: «قرأت بخط الذهبي: إنما مات في ولاية عبد الملك ابنه جابر، وأما سمرة فقديم».

(٤) المغني ٢/ ٧٨٤.

(٥) مسند أحمد ٣٤/ ٤٢٢، ٤٧٩.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٩١.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٤٥٨.

(٨) مجمع الزوائد ٨/ ٥٥.

(٩) الترغيب والترهيب ص ٩٩٧.

(وقال إبراهيم بن ميسرة) الطائفي[١] نزيل مكة، من الموالي. قال أحمد وابن معين والنسائي: ثقة. قال محمد بن سعد: مات في خلافة مروان بن محمد. وقال البخاري: مات قريبًا من سنة ثنتين وثلاثين ومائة. روىٰ له الجماعة (**يقال: يؤتَىٰ بالفاحش المتفحِّش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة قال ... فذكره.

(وقال **الأحنف بن قيس**) بن[٣] معاوية بن حصين التميمي السعدي، أبو بحر، مخضرم، ثقة (**ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ اللسان البذيء والخُلق الدنيء**) أي الخسيس. أخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر قال: قال الأحنف بن قيس ... فذكره.

(**فهذه مَذَمَّة الفحش**) وقد رُوي عن أنس مرفوعًا قال: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانَه»[٥].

وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يبغض الفاحش البذيء». أخرجه ابن أبي الدنيا[٦].

وعن أسامة بن زيد رفعه: «إن الله تعالىٰ يبغض الفاحش المتفحِّش». رواه الإمام أحمد[٧].

---

(١) تهذيب الكمال ٢/ ٢٢١ - ٢٢٣. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ١٣٣ - ١٣٤. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨/ ٤٥. التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٣٢٨.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٥.

(٣) تقريب التهذيب ص ١٢١.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٠.

(٥) رواه الترمذي في سننه ٣/ ٥١٨، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٣١٢.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٨٩.

(٧) مسند أحمد ٣٦/ ٩٩ بلفظ: «إن الله لا يحب كل فاحش متفحش».

وفي حديث عائشة: «إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحِّش». رواه مسلم وابن أبي الدنيا[1].

وعن ابن مسعود قال: ألأَمُ خُلقِ المؤمنِ الفحشُ[2].

وروى المسعودي عن عون بن عبد الله قال: «ألا إن الفحش والبذاء من النفاق، وهنَّ ممَّا يزدن في الدنيا وينقصن في الآخرة، وما ينقصن في الآخرة أكثر مما يزدنَ في الدنيا[3].

(**فأما حدُّه وحقيقته فهو: التعبير عن الأمور المستقبَحة**) شرعًا وعقلاً وطبعًا، بحيث يكرهه الطبع، كما ينكره العقل، ويستخبثه الشرع (**بالعبارات الصريحة**) الظاهرة التي لا تحتمل التأويل (**وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد**) والرعونة من الفُسَّاق (**عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها**) وينزِّهون عنها ألسنتَهم. وفي نسخة: يتحاشون عن التعرُّض لها (**بل يكنون عنها ويدلُّون عليها**) عند ضرورة التكلم بها (**بالرموز**) والكنايات (**فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. قال ابن عباس**) ﵄: (**إن الله عَزَّوَجَلَّ حيي**

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٥. ولفظه: «استأذن رجل على النبي ﷺ، فقال: بئس ابن العشيرة. فلما دخل باسطه، فقلت: يا رسول الله، سمعناك وما تقول. قال: يا عائشة، دخل بيتي، والله لا يحب الفاحش المتفحش». وهذا اللفظ ليس في صحيح مسلم، بل فيه ٢/ ١٢٠٢: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه - أو تركه - الناس اتقاء فحشه». وكذا هو في صحيح البخاري ٤/ ١٠١. وفي رواية للبخاري ٤/ ٩٧: «يا عائشة، متى عهدتني فاحشا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره».

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ١٠١، وابن أبي شيبة في المصنف ٨/ ٣٧٦، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١١١.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٨٦. ورواه بسياق أطول: عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٤٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٤٨. ورواه مرفوعا: الدارمي في سننه ١/ ١٤٠، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٣٠، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ١٥٢.

كريم، يعفُّ ويكني، كنىٰ باللمس عن الجماع)[1] قال: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦] قال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين: إن اللمس والملامسة من ألفاظ الكنايات **(فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع)** يقال: مسَّ امرأته ولمسها ودخل بها وصحبَها، إنما يكنون بذلك عن الوقاع والجماع. وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ هل المراد به لمس بدنها أو كناية عن الوقاع؟ خلاف بين الشافعي وأبي حنيفة تقدم في كتاب أسرار الطهارة **(وليست بفاحشة، وهناك عبارات فاحشة يُستقبَح ذِكرها)** وأفحشُها وأصرحها: النيك **(ويُستعمَل أكثرها في الشتم والتعيير)** أي التعييب **(وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أفحش من بعض، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد)** فرُب لفظ يُعاب به في بلد عند محاوراتهم، وعند آخَرين مستعمَل لا يُستقبَح **(وأوائلها مكروهة، وأواخرها محظورة)** محرَّمة **(وبينهما درجات يتردَّد فيها)** ومَن طالَعَ في كتب اللغة ظفر من ذلك شيئًا كثيرًا **(وليس يختصُّ هذا بالوقاع، بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط)** أو بإراقة الماء عن البول فقط أو عنهما معًا **(أَولىٰ من لفظ التغوُّط والخراءة)** مع أن التغوُّط أيضًا من الكنايات؛ لأنه يقال: تغوَّط: إذا أتىٰ الغائطَ وهي الأرض المطمئنة، ولكن لكثرة استعماله فيه صار كالصريح، وقد قال الله تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦] وأما «الخِراءة» ككتابة فاسم لهيئة الفعل،

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٥٨: «أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: كنا في حجرة ابن عباس ومعنا عطاء بن أبي رباح ونفر من الموالي، وعبيد بن عمير ونفر من العرب، فتذاكرنا اللماس، فقلت أنا وعطاء والموالي: اللمس باليد، وقال عبيد بن عمير والعرب: هو الجماع. فدخلت علىٰ ابن عباس فأخبرته، فقال: غُلبت الموالي وأصابت العرب. ثم قال: إن اللمس والمس والمباشرة إلىٰ الجماع ما هو، ولكن الله يكني عما شاء بما شاء». قلت: لفظ عبد الرزاق في المصنف ٦/ ٢٧٧: «الدخول والتغشي والإفضاء والمباشرة والرفث واللمس هذا الجماع، غير أن الله حيي كريم يكني بما شاء عما شاء».

فهو من الصريح، وقد جاء في سنن أبي داود[١] من حديث سلمان: إن النبي ﷺ كان يعلِّمنا كل شيء حتىٰ الخراءة ... الحديث. فخرج مخرج التبكيت للمنافقين الذين كانوا ينكرون مثل ذلك **(وغيرهما)** كأسماء السوأتين **(فإنَّ هذا أيضًا مما يخفَىٰ، وكل ما يخفَىٰ يُستحيا منه، فلا ينبغي أن تُذكَر ألفاظه الصريحة فإنه فحشٌ)** فليُحذَر منه **(وكذلك يُستحسَن في العادة)** الجارية في المحاورات **(الكناية عن النساء، فلا يقال: قالت زوجتك)** أو امرأتك **(كذا، بل يقال: قيل في الحجرة)** أو في الدار، أو في البيت **(أو من وراء الستر)** أو من وراء الحجاب أو الجهة **(أو: قالت أم الأولاد)** أو صاحبة البيت، أو صاحبة الحجرة. إلا أنه قد يقال إن لفظ «الزوجة» من كنايات القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩] **(والتلطُّف في هذه الألفاظ)** مهما أمكنَ **(محمود)** شرعًا **(والتصريح فيها يفضي إلىٰ الفحش)** المذموم **(وكذلك مَن به عيوب يستحي منها)** بين أقرانه **(فلا ينبغي أن يعبَّر عنها بصريح لفظها كالبَرَص)** وهو محرَّك: بياض يلمع في البدن **(والقَرَع)** وهو انحسار الشعر عن الرأس لمرض **(والبواسير)** وهو مرض معروف، وله أنواع، وكذلك العَمَش والسُّلاق[٢] والعمىٰ والعرج ممَّا هو ظاهر بالبدن إلا أنه يستحي أن يُذكَر بذلك صريحًا **(بل يقال: العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش)** وممَّا يتأذَّىٰ به أخوه المسلم، وهو حرام، إلا أن يكون ذلك العارض مشتهرًا به بحيث لا يستحي من ذكره فلا بأس، كالأعمش – وهو سليمان بن مهران الكوفي – فإنهم كانوا يقولون «حدثنا الأعمش» في حياته، ويسمع ذلك ولا يتغيَّر علىٰ مَن يقوله، وكذا قولهم: حدثنا الأعرج عن أبي هريرة.

---

(١) سنن أبي داود ١/ ١٥٢ من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال: قيل لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة. قال: أجل، لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن لا نستنجي باليمين، وأن لا يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع أو عظم. وهذا الحديث قد رواه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٥.

(٢) السلاق: بثور تخرج في الفم نتيجة الإصابة بفطر يسمىٰ: المبيضة، وذلك عند ضعف الجهاز المناعي.

فهذا وأمثاله لا يدخل في الفحش **(وجميع ذلك من آفات اللسان)** والخوض فيه مذموم **(قال العلاء بن هارون: كان عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالىٰ **(يتحفَّظ في منطقه، فخرج تحت إبطه خُرَّاج)** بالضم، أي قُرحة شِبه الدُّمَّل **(فأتيناه نسأله لنرىٰ ما يقول، فقلنا)** ما هذا الذي تشكوه؟ فقال: خُرَّاج. فقلنا: **(من أين خرج؟ فقال: من باطن اليد)** أخرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا[1] فقال: حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثني موسىٰ بن أيوب، حدثنا ضمرة، عن العلاء بن هارون قال: كان عمر بن عبد العزيز يتحفَّظ في منطقه، لا يتكلم بشيء من الخَنا، فخرج به خراج في إبطه، فقالوا: أيُّ شيء عسىٰ أن يقول الآن؟ قالوا: يا أبا حفص، أين خرج منك هذا الخراج؟ قال: في باطن يدي.

قال[2]: وحدثني علي بن أبي مريم، عن مطرِّف أبي مصعب، حدثنا عبد العزيز الماجشون، عن أبي عبيد قال: ما رأيت رجلاً قط أشد تحفُّظًا في منطقه من عمر بن عبد العزيز.

وحدثني محمد بن عَبَّاد بن موسىٰ العُكْلي، حدثنا يحيىٰ بن سليم، عن أمية ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال رجل لرجل: تحت إبطك. فقال عمر: وما علىٰ أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: لو قال «تحت يدك» كان أجمل.

(والباعث علىٰ الفحش إما قصد الإيذاء) للمخاطَب، وأكثر ما يوجد ذلك في المخاصمات **(وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفُسَّاق)** ومجالستهم **(و)** مصاحبة **(أهل الخبث)** والذعارة **(واللؤم ومَن عادتُهم السب)** والطعن علىٰ أعراض المسلمين.

(وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: أوصِني. فقال: عليك بتقوىٰ الله، وإن امرؤ

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٦٨.

(٢) السابق ص ٢١٩.

عيَّرك) أي عابَك **(بشيء يعلمه فيك فلا تعيِّره بشيء تعلمه)** أنت **(فيه، يكن وبالُه عليه وأجره لك، ولا تسبَّنَّ شيئًا. قال)** الأعرابي: **(فما سببت شيئًا بعده)** قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والطبراني[٣] بإسناد جيد من حديث أبي جُرَيٍّ الهجيمي، قيل: اسمه جابر بن سليم، وقيل: سليم بن جابر.

قلت: هو صحابي مشهور، روىٰ عنه عقيل بن طلحة وأبو تميمة. وعند أبي داود[٤] والبيهقي[٥] من حديث جابر بن سليم وهو أبو جري الهجيمي: «لا تسبَّنَّ أحدًا، ولا تحقِرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهُك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلىٰ نصف الساق، فإن أبيتَ فإلىٰ الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المَخِيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيِّره بما تعلم فيه، فإنما وبالُ ذلك عليه». ورواه أحمد نحوه، ولكن قال: عن رجل من الصحابة، ولم يسمِّه، ولفظه: «لا تسبَّنَّ شيئًا، ولا تزهدن في المعروف ولو ببسط وجهك إلىٰ أخيك وأنت تكلِّمه، وأفرِغْ من دلوك في إناء المستسقي، واتَّزِرْ إلىٰ نصف الساق، فإن أبيتَ فإلىٰ الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة [والله لا يحب المخيلة]».

(وقال عياض بن حمار) بلفظ الحيوان المعروف، ابن[٦] أبي حمار بن ناجية ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشِع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مَناة المجاشعي التميمي، نسبه خليفة بن خياط[٧]، عِداده في أهل البصرة،

---

(١) المغني ٢/ ٧٨٤.
(٢) مسند أحمد ٢٥/ ٣٠٩، ٢٧/ ١٦٣ - ١٦٤، ٣٨/ ٢٥٣، ٣٤/ ٢٣٤ - ٢٣٩.
(٣) المعجم الكبير ٧/ ٧٢ - ٧٥.
(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤١٤.
(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٩٩.
(٦) تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٦٥ - ٥٦٦.
(٧) طبقات خليفة ص ٤٠.

وله صحبة، روىٰ له مسلم حديثًا واحدًا والباقون إلا البخاري فإنه لم يروِ له في الصحيح ولكن روىٰ له في الأدب المفرد (**قلت: يا رسول الله، إن الرجل من قومي يسبُّني وهو دوني**) أي في الحسب والشرف (**هل عليَّ من بأس أن أنتصر منه**) بأن أسبَّه كما سبَّني؟ (**فقال**) ﷺ: (**المستبَّان**) أي الذي يسب كلٌّ منهما الآخَر (**شيطانان**) أي بمنزلتهما (**يتعاويان**) كذا في النسخ، والذي في الرواية: يتكاذبان (**ويتهاتران**) أي[١] كلٌّ منهما يكذِّب صاحبَه وينتقصه، من الهِتر - بالكسر - وهو الباطل من القول والسقط من الكلام. وعلىٰ رواية «يتعاويان» أي يتقاولان ويتقابحان في القول[٢]. وفيه - كما قال المصنف فيما سيأتي - إنه لا تجوز مقابلة السب بالسب. قال: وكذا سائر المعاصي، وإنما القصاص والغرامة علىٰ ما ورد به الشرع. قال: وقال قوم: تجوز المقابلة بما لا كذب فيه، ونهيه عن التعيير بمثله نهيُ تنزيه، والأفضل تركُه، لكنه لا يعصي.

قال العراقي[٣]: رواه أبو داود الطيالسي[٤]، وأصله عند أحمد.

قلت: ورواه أحمد[٥] والبخاري في الأدب المفرد[٦]. قال الهيثمي[٧]: رجال أحمد رجال الصحيح.

(**وقال ﷺ: المستبَّان ما قالا**) أي[٨] إثم ما قالاه من السب والشتم (**فعلىٰ البادئ منهما**) لأنه السبب لتلك المخاصمة، فللمسبوب أن ينتصر ويسبَّه بما ليس

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢٦٧.

(٢) الفائق للزمخشري ٤/ ٩٢. النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٤٣.

(٣) المغني ٢/ ٧٨٤.

(٤) مسند الطيالسي ٢/ ٤٠٧.

(٥) مسند أحمد ٢٩/ ٣١ - ٣٢، ٣٦ - ٣٧، ٣٠/ ٢٨٥.

(٦) الأدب المفرد ص ١٣٣.

(٧) مجمع الزوائد ٨/ ١٤٤.

(٨) فيض القدير ٦/ ٢٦٧.

بقذف ولا كذب كـ «يا ظالم» ولا يأثم، والعفو أفضل. فإن قيل: إذا لم يأثم[١] المسبوب وبرئ البادئ من ظلمه بوقوع التَّقاصِّ فكيف صح أن يُقدَّر فيه إثم ما قالا؟ قلنا: إضافته بمعنىٰ «في»، يعني: إثم كائن فيما قالاه، وإثم الابتداء علىٰ البادئ، ويستمر هذا الحكم (**حتىٰ يعتدي المظلوم**) أي يتعدَّىٰ الحدَّ في السب فلا يكون الإثم علىٰ البادئ فقط بل عليهما. وقيل: المراد أنه يحصل إثمُ ما قالا، وللبادئ أكثر من المظلوم حتىٰ يتعدَّىٰ فيربو إثمُ المظلوم. وقيل: معناه أنه إذا سبَّه فردَّ عليه كان كفافًا، فإن زاد بالغضب والتعصُّب لنفسه كان ظالمًا، وكان كلٌّ منهما فاسقًا.

قال العراقي[٢]: رواه مسلم[٣] من حديث أبي هريرة وقال: ما لم يعتدِ المظلومُ.

قلت: وكذا الترمذي[٤]، روياه من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه أيضًا أحمد[٥] وأبو داود[٦] بلفظ المصنف.

وفي الباب عن أنس وابن مسعود وعبد الله بن الفضل وغيرهم.

(**وقال ﷺ: سِباب**) بكسر[٧] السين وتخفيف الموحدة (**المسلم**) أي سبُّه وشتمُه، يعني التكلُّم في عِرضه بما يعيبه، وهو مضاف إلىٰ مفعول (**فسوق**) أي خروج عن طاعة الله ورسوله، ولفظه يقتضي كونه من اثنين؛ لأنه مصدر سابَّه مُسابَّةً،

---

(١) في الفيض: يسكت.

(٢) المغني ٢/ ٧٨٤.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠١.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٣.

(٥) مسند أحمد ١٢/ ١٣٨، ١٦/ ٢٢٠، ٤١٢.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣١١.

(٧) فيض القدير ٤/ ٨٤.

وفسَّر الراغب[(١)] السباب بالشتم الوجيع. قال النووي[(٢)]: فيحرُم سبُّ المسلم بغير سبب شرعي. قال: ومن الألفاظ المذمومة المستعمَلة عادةً قولُه لمَن يخاصمه: يا حمار، يا كلب، ونحو ذلك، فهذا قبيح؛ لأنه كذبٌ وإيذاء، بخلاف قوله: يا ظالم، ونحوه، فإن ذلك ممَّا يُتسامَح به لضرورة المخاصمة، مع أنه يصدقٌ غالبًا، فما من إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيرها. ا.هـ. وفيه تعظيم حق المسلم، والحكم علىٰ مَن سبَّه بالفسق، وأن الإيمان ينقص ويزيد؛ لأن السابَّ إذا فسقَ نقص إيمانه وخرج عن الطاعة فضرَّه ذنبُه، وفيه ردٌّ علىٰ المرجئة في قولهم: إنه لا يضرُّ مع التوحيد ذنبٌ **(وقتاله)** أي محاربته لأجل الإسلام **(كفر)** حقيقةً، أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد، أو المراد الكفر اللغوي وهو الجحد لحقه أو هضم أخوَّة الإيمان.

رواه أحمد[(٣)] والشيخان[(٤)] في الإيمان والترمذي[(٥)] في البِر والنسائي[(٦)] في المحاربة وابن ماجه[(٧)] من حديث ابن مسعود. ورواه ابن ماجه[(٨)] أيضًا وأبو نعيم في الحلية[(٩)] والخرائطي في مساوئ الأخلاق[(١٠)] من حديث أبي هريرة. ورواه الدارقطني في الأفراد من حديث جابر. ورواه ابن ماجه[(١١)] أيضًا من حديث سعد ابن أبي وقاص. ورواه الطبراني في الكبير[(١٢)] من حديث عبد الله بن مغفل، وفيه

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٠.

(٢) الأذكار ص ٣١٤.

(٣) مسند أحمد ٦/ ١٥٧،٧/ ١٩، ٦٩، ١٩٤، ٢٣٨، ٢٩٦، ٣٦٣، ٤٠٣.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٣٢، ٤/ ٩٩، ٣١٦. صحيح مسلم ١/ ٤٨.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٤، ٥/ ٣٧٦.

(٦) سنن النسائي ص ٦٣٤.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ٧٥، ٩٣، ٥/ ٤٣٤.

(٨) السابق ٥/ ٤٣٤.

(٩) حلية الأولياء ٨/ ٣٥٩.

(١٠) مساوئ الأخلاق ص ٣٣.

(١١) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٥.

(١٢) وكذلك في المعجم الأوسط ١/ ٢٢٣.

كثير بن يحيىٰ، وهو ضعيف. ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[١] والطبراني[٢] أيضًا من حديث عمرو بن النعمان بن مُقرن. ورواه أحمد والطبراني[٣] أيضًا من حديث ابن مسعود بزيادة: «وحرمة ماله كحرمة دمه».

وقال الحافظ في الفتح[٤]: لما كان المقام مقام الرد علىٰ المرجئة أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان، واهتمَّ بذلك، وبالغ في الزجر[٥]، معرضًا عمَّا يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفِّرين بالذنب اعتمادًا علىٰ ما تقرَّر من دفعه في محله.

(**وقال ﷺ: ملعونٌ مَن سبَّ والديه**) قال القرطبي[٦]: إنما استحقَّ سابُّ والديه اللعن لمقابلته نعمة الأبوين بالكفران، وانتهائه إلىٰ غاية العقوق والعصيان، كيف وقد قرن الله بِرَّهما بعبادته وإن كانا كافرينِ بتوحيده وشريعته.

قال العراقي[٧]: رواه أحمد[٨] وأبو يعلىٰ[٩] والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد جيد.

قلت: ولفظ أحمد: «ملعونٌ مَن سبَّ أباه، ملعون من سب أمه ...» الحديث. وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية[١٠]. ولفظ الطبراني: «ملعون مَن سب شيئًا من والديه

---

(١) وكذلك في الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٠.

(٢) المعجم الكبير ١٧/ ٣٩.

(٣) السابق ١٠/ ١٩٧.

(٤) فتح الباري ١١/ ٥٢٠.

(٥) قوله (واهتم بذلك وبالغ في الزجر) بدل هذه العبارة في الفتح: اكتفىٰ به.

(٦) المفهم ٥/ ٢٤٤.

(٧) المغني ٢/ ٧٨٥.

(٨) مسند أحمد ٣/ ٣٦٧، ٥/ ٢٦، ٨٣ - ٨٤.

(٩) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٤١٥.

(١٠) حلية الأولياء ٩/ ٢٣٢.

...» الحديث[١].

وروى الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٢] من حديث أبي هريرة: «ملعون مَن لعن والديه».

(وفي رواية: من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله، كيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب الآخَرُ أباه) قال العراقي[٣]: رواه الشيخان[٤] من حديث عبد الله بن عمرو.

قلت: وكذلك رواه الترمذي[٥]، ولفظهم: «من الكبائر شتمُ الرجل والديه». قيل: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

---

(١) لفظ الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢١٨: «لعن الله من لعن والديه».

(٢) مساوئ الأخلاق ص ٤٩ - ٥٠.

(٣) المغني ٢/ ٧٨٥.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٨٦. صحيح مسلم ١/ ٥٤.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٧.

الآفة الثامنة: اللعن

وهو (**إما لحيوان أو جماد أو إنسان، وذلك كله مذموم، قال رسول الله ﷺ: المؤمن ليس بلعَّان**) قال العراقي[١]: تقدم حديث ابن مسعود «ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ...» الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثًا. وللترمذي[٢] وحسَّنه من حديث ابن عمر: «لا يكون المؤمن لعَّانًا».

قلت: رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن بُنْدار بن بشَّار، حدثنا أبو عامر، عن كثير بن زيد، سمعت سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون المؤمن لعَّانًا». قال: وحدثنا عمرو الناقد، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا كثير بن زيد، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت ابن عمر لعن إنسانًا قط إلا إنسانًا واحدًا وقال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعَّانًا». وقد رواه كذلك الحاكم[٤] والبيهقي[٥].

(**وقال ﷺ: لا تَلاعنوا**) أي لا يلعن بعضكم بعضًا، وأصله: لا تتلاعنوا، فحذف[٦] إحدىٰ التاءين تخفيفًا (**بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بجهنم**) وفي رواية: ولا بالنار، بدل: ولا بجهنم. أي لا يدعو بعضكم علىٰ بعض، كأنْ يقول: عليه لعنة الله، وعليه غضبُ الله، واجعلْه من أهل النار، أو أحرقك الله بنار جهنم. قال

(١) المغني ٢/ ٧٨٦.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٥.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٠١.

(٥) شعب الإيمان ٧/ ١٤٧.

(٦) فيض القدير ٦/ ٤٢٠.

الطيبي[١]: قوله: لا تَلاعنوا ... الخ، من عموم المجاز؛ لأنه في بعض أفراده حقيقة، وفي بعضها مجاز، وهذا مختصٌّ بمعيَّن؛ لجواز اللعن بالوصف الأعم أو الأخص كالمصوِّرين[٢].

قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] والترمذي[٥] من حديث سمرة بن جندب، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلىٰ والطبراني[٦] والحاكم[٧] والضياء في المختارة.

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه: **(ما تلاعنَ قومٌ قط إلا حق عليهم القولُ)** أي العذاب. أخرجه أبو نعيم في الحلية[٨] فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو يحيىٰ الرازي، حدثنا أبو يزيد الخَرَّاز، عن عبيدة، عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: قال حذيفة ... فذكره.

والظاهر أن المراد بالتلاعُن في قوله هذا هو اللعان بين الرجل وامرأته، ولم يقع بعده ﷺ إلا مرة بالأندلس في زمان الأمويين، كما نقله المقري في نفح الطِّيب، وليس المراد به أن يلعن بعضهم بعضًا في محاوراتهم، فتأملْ ذلك.

(وقال عمران بن حصين) رضي الله عنهما: **(بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذا**

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣١٢٧.

(٢) في الكاشف: «بالوصف الأعم كقوله: لعنة الله علىٰ الكافرين. أو بالأخص كقوله: لعنة الله علىٰ اليهود. أو علىٰ كافر معين مات علىٰ الكفر كفرعون وأبي جهل».

(٣) المغني ٢/ ٧٨٦.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣١٦.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٥١٩.

(٦) المعجم الكبير ٧/ ٢٥١، ٢٧٥، ٣٠٠.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٠٢.

(٨) حلية الأولياء ١/ ٢٧٩.

امرأة من الأنصار علىٰ ناقة لها، فضجرتْ منها) أي لسوء سَيْرها **(فلعنتْها، فقال رسول الله ﷺ: خذوا ما عليها)** من الأثقال **(وأعروها)** بقطع الهمزة **(فإنها ملعونة. قال)** عمران رضي الله عنه: **(فكأني أنظر إلىٰ تلك الناقة تمشي بين الناس ولا يتعرَّض لها أحد)** قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢].

قلت: قال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن أبي قِلابة، عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ [علىٰ ناقة] في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار علىٰ ناقة، فضجرتْ فلعنتْها، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة». قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحدٌ».

وأخرجه ابن حبان في الصحيح[٤] بلفظ: «خذوا متاعكم عنها وأرسِلوها فإنها ملعونة».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ما لعن أحدٌ الأرض إلا قالت: لعن اللهُ أعصانا لله)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسىٰ بن أيوب، حدثنا بقية، عن ابن أبي مريم، عن المهاجر، عن أبي الدرداء ... فذكره.

وأخرج[٦] أيضًا عن عمرو بن قيس قال: إذا ركب الرجل الدابة قالت: اللهم اجعله بي رفيقًا حليمًا، فإذا لعنها قالت: علىٰ أعصانا لله لعنة الله.

ومن طريق[٧] فضيل بن عياض قال: كان يقال: ما أحد يسب شيئًا من الدنيا

---

(١) المغني ٢/ ٧٨٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٣.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٣.

(٤) صحيح ابن حبان ١٣/ ٥٠ - ٥١.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٦٧.

(٦) السابق ص ٢٠٧.

(٧) السابق ص ٢٠٨. وزاد في آخره: «قال فضيل: وابن آدم أعصىٰ وأظلم».

دابة ولا غيرها فيقول: أخزاك الله ولعنك الله، إلا قالت: أخزىٰ الله أعصانا لله.

(وقالت عائشة ﷺ: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر) رضي الله عنه **(وهو يلعن بعض رقيقه، فالتفت إليه فقال: يا أبا بكر، ألعَّانين وصِدِّيقين؟! كلاً ورب الكعبة)** قال ذلك **(مرتين أو ثلاثًا. فأعتق أبو بكر يومئذٍ بعض رقيقه وأتىٰ النبيَّ ﷺ وقال: لا أعود)** قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢]، وشيخه بشار بن موسىٰ الخَفَّاف ضعَّفه الجمهور، وكان أحمد حسن الرأي فيه[٣].

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشار بن موسىٰ، أنبأنا يزيد بن المقدام بن شُرَيح، عن أبيه المقدام، عن جده، عن عائشة قالت: سمع النبي ﷺ أبا بكر الصدِّيق لعن بعض رقيقه، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ليس الصدِّيقون لعَّانين». فأعتق أبو بكر يومئذٍ بعض رقيقه وجاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: واللهِ لا أعود.

وبشار بن موسىٰ الخَفَّاف شيباني عِجلي بصري نزل بغداد، قال صاحب التهذيب[٤]: ضعيف، كثير الغلط، ليِّن الحديث، روىٰ له ابن ماجه في كتاب التفسير له.

وقال الذهبي في المغني[٥]: بشار بن موسىٰ الخَفَّاف، عن يزيد بن زُرَيع، قال أبو زُرعة وغيره: ضعيف[٦]، وقال البخاري[٧]: منكر الحديث، وقال ابن عدي[٨]: أرجو أنه لا بأس به.

---

(١) المغني ٢/ ٧٨٦.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٧.

(٣) انظر: تاريخ بغداد للخطيب ٧/ ٦١٧ - ٦٢٢.

(٤) تقريب التهذيب ص ١٦٧.

(٥) المغني في الضعفاء ١/ ١٦٤. وليس فيه قول أبي زرعة. وفيه: «قال النسائي: ليس بثقة».

(٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٤١٧.

(٧) التاريخ الكبير ٢/ ١٣٠.

(٨) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٥٧.

(وقال رسول الله ﷺ: إن اللعَّانين لا يكونون شُفَعاء ولا شهداء يوم القيامة) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي الدرداء.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا[٣] عن أبي عمر المقري، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني زيد بن أسلم، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال ... فذكره.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(كان رجل يسير مع النبي ﷺ علىٰ بعير، فلعن بعيرَه، فقال)** له النبي **(ﷺ: يا عبد الله، لا تَسِرْ معنا علىٰ بعير ملعون)** رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن إسماعيل بن إسحاق الأزدي، حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس، حدثنا أبي، عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر، عن أنس بن مالك. وهو سند جيد[٥].

(وكان ذلك[٦] إنكارًا منه) ﷺ علىٰ الرجل المذكور.

وأخرج ابن أبي الدنيا[٧] من طريق بكر بن خُنَيس رفعه قال: «علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئًا أبدًا».

ومن طريق يحيىٰ بن أبي كثير قال: دخلت أم الدرداء علىٰ جيران لها وهم يلعنون، فقالت: كيف تكونون صدِّيقين وأنتم لعَّانون؟!

ومن طريق حكيم بن جابر قال: كان أبو الدرداء مضطجعًا بين أصحابه وقد

---

(١) المغني ٢/ ٧٨٦ - ٧٨٧.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٤.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٧.

(٤) السابق ص ٢٠٨.

(٥) قاله العراقي في المغني ٢/ ٧٨٧.

(٦) في غير الزبيدي: وقال ذلك إنكارًا عليه.

(٧) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

غطىٰ وجهه، فمر عليه قس سمين، فقالوا: اللهم العنْه، ما أغلظ رقبته! فقال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَن ذا الذي لعنتم آنفًا؟ فأخبروه، فقال: لا تلعنوا أحدًا، فإنه لا ينبغي للعَّان أن يكون عند الله صدِّيقًا يوم القيامة.

(**واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله تعالىٰ، وذلك غير جائز إلا علىٰ مَن اتَّصف بصفة تبعده عن الله تعالىٰ وهو الكفر والظلم بأن يقول: لعنة الله علىٰ الظالمين، و**) لعنة الله (**علىٰ الكافرين. وينبغي أن يتَّبع فيه لفظ الشرع، فإنَّ في اللعنة خطرًا؛ لأنه حكمٌ علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بأنه قد أبعد الملعونَ**) عن حضرته، وطرده من عموم رحمته (**وذلك**) أمرٌ (**غيبٌ لا يطَّلع عليه غير الله تعالىٰ، ويطَّلع عليه رسول الله ﷺ لو أطلعه اللهُ عليه. والصفات المقتضية للعن ثلاثة**) أعظمُها: (**الكفر**) وهو الشرك بالله تعالىٰ (**والبدعة**) التي تضادُّ السنَّةَ المشروعة (**والفسق**) وهو الخروج عن طاعة الله ورسوله بالظلم وغيره من المعاصي (**وللعن في كل واحدة**) من هؤلاء الثلاثة (**ثلاث مراتب**:

الأولىٰ: اللعن بالوصف الأعم) وذلك مأذون فيه (**كقولك: لعنة الله علىٰ الكافرين**) بالنظر إلىٰ الكفر (**و**) لعنة الله علىٰ (**المبتدعين**) بالنظر إلىٰ البدعة (**و**) لعنة الله علىٰ (**الفَسَقة**) بالنظر إلىٰ الفسق.

(**الثانية: اللعن بأوصاف**) هي (**أخصُّ منه**) أي من الوصف الأعم (**كقولك: لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ والمجوس**) بالنظر إلىٰ الكفر (**و**) لعنة الله (**علىٰ القَدَرية**) وهم المعتزلة (**والخوارج**) وهم فِرَق شتىٰ (**والروافض**) وهم كذلك فرق شتىٰ، وهذا بالنظر إلىٰ البدعة (**و**) لعنة الله (**علىٰ الزُّناة**) من النساء والرجال (**والظَّلَمة وآكلي الربا**) وهذا بالنظر إلىٰ الفسق (**وكل ذلك جائز**) مأذون فيه (**ولكن في لعن أصناف المبتدعة خطرٌ؛ لأن معرفة البدعة**) أمر (**غامض**) خفيٌّ (**ولم يَرِدْ فيه لفظ مأثور، فينبغي أن يُمنع منه العوام**) من الناس (**لأن ذلك يستدعي المعارضةَ بمثله، ويثير**) أي يحرك (**نزاعًا بين الناس وفسادًا**) فتنشأ من ذلك مفاسد عظيمة.

(الثالثة: اللعن للشخص المعيَّن، وهذا فيه خطر، كقولك: زيد لعنه الله، وهو كافر أو فاسق أو مبتدع) وهذا قد اختُلف فيه (والتفصيل) الرافع للنزاع (فيه أن كل شخص ثبتت لعنتُه شرعًا) إما في الكتاب أو في السنَّة (فتجوز لعنته، كقولك: فرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله؛ لأنه قد ثبت أن هؤلاء) قد (ماتوا علىٰ الكفر، وعُرف ذلك شرعًا) ولو قال بدل «فرعون»: أبو لهب، لكان أَولىٰ؛ إذ قد اختُلف في إيمان فرعون، فأثبته بعض المحقِّقين ونفاه آخَرون، كما تقدَّم الكلام فيه فيما سبق، وأما أبو لهب وأبو جهل فمتفَق علىٰ كفرهما وموتهما علىٰ الكفر (أما شخص بعينه في زماننا كقولك: زيد لعنه الله، وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر، فإنه ربما يُسلِم فيموت مقرَّبًا عند الله تعالىٰ، فكيف يُحكَم بكونه ملعونًا)؟! قال ابن حجر المكي[1]: وهذا هو الأليق بقواعد أئمَّتنا، فإنهم صرَّحوا بأنه لا يجوز لعنُ شخص بخصوصه إلا إن عُلم موته علىٰ الكفر كأبي جهل وأبي لهب، وأما مَن لم يُعلَم منه ذلك فلا يجوز لعنُه.

(فإن قلت: يُلعَن لكونه كافرًا في الحال) أي في حال اللعن (كما يقال للمسلم: رحمه الله، لكونه مسلمًا في الحال، وإن كان يُتصور) فيه (أن يرتدَّ) عن دين الإسلام إلىٰ دين الكفر (فاعلمْ أن معنىٰ قولنا) للمسلم: (رحمه اللهُ، أي ثبَّته الله علىٰ الإسلام الذي هو سبب الرحمة و) ثبَّته (علىٰ الطاعة) والانقياد لأوامر الله تعالىٰ، فهو دعاء له بذلك (ولا يمكن أن يقال: ثبَّت الله الكافر علىٰ ما هو سبب اللعنة) والطرد (فإنَّ هذا سؤال للكفر، وهو في نفسه كفر) إذ من يسأل الكفر لغيره كأنه يرضىٰ له بذلك، والرضا بالكفر كفر (بل الجائز أن يقال: لعنه الله إن مات علىٰ الكفر، ولا لعنه الله إن مات علىٰ الإسلام، وذلك غيب لا يُدرَىٰ) ولا يُدرَك (والمطلق متردِّد بين الجهتين) إما جهة الكفر أو جهة الإسلام (ففيه خطر، وليس في ترك اللعن خطر) فهو الأسلم (وإذا عرفتَ هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو

---

(١) الصواعق المحرقة علىٰ أهل الرفض والضلال والزندقة ص ٦٣٧ (ط - مؤسسة الرسالة).

زيد المبتدع أولىٰ، فلعنُ الأعيان فيه خطر؛ لأن الأعيان تتقلَّب في الأحوال) قال ابن حجر المكي: الكافر [الحي] المعيَّن لا يجوز لعنُه؛ لأنه هو الطرد عن رحمة الله تعالىٰ المستلزِم لليأس منها، وذلك إنما يليق بمَن عُلم موته علىٰ الكفر فقط [وأما مَن لم يُعلَم فيه ذلك فلا] وإن كان كافرًا في الحالة الظاهرة؛ لاحتمال أن يُختَم له بالحسنىٰ فيموت علىٰ الإسلام، ولا يجوز أيضًا لعنُ فاسق مسلم معيَّن. ثم نقل عن ابن الصلاح ما يشهد لهذا[1] **(إلا مَن أعلمَ به رسولُ الله ﷺ، فإنه يجوز أن يُعلِم مَن يموت علىٰ الكفر، ولذلك عيَّنَ قومًا باللعن فكان يقول في دعائه علىٰ قريش: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعُتْبة بن ربيعة .. وذكر جماعة قُتلوا علىٰ الكفر ببدر)** كما رواه البخاري[2] ومسلم[3] من حديث ابن مسعود **(حتىٰ إن مَن لم تُعلَم عاقبته كان يلعنه)** ويدعو عليه **(فنُهي عنه؛ إذ رُوي أنه)** ﷺ **(كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرًا، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] يعني أنهم ربما يُسلِمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون)** قال العراقي[4]: روىٰ الشيخان[5] من حديث أنس: دعا رسول الله ﷺ علىٰ الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحًا ... الحديث. وفي رواية لهما: قنتَ شهرًا يدعو علىٰ رِعْل وذَكْوان ... الحديث. ولهما[6] من حديث أبي هريرة: كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبِّر ويرفع

---

(١) وهو ما ذكره في فتاويه ص ٢١٦ - ٢١٩ من الخلاف في لعن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وترجيحه التوسط بين موالاته ولعنه.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٩٦ - ٩٧، ١٨٠ - ١٨١، ٢/ ٣٤١، ٤١٦ - ٤١٧، ٣/ ٥٥، ٨٤.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٨٦٣ - ٨٦٤.

(٤) المغني ٢/ ٧٨٧.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٣١٦، ٢/ ٣٠٦، ٣١٠، ٣٧٧، ٣/ ١١٢ - ١١٤. صحيح مسلم ١/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ٢١١. صحيح مسلم ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

رأسه ... الحديث، وفيه: «اللهم العنْ لِحْيان[١] ورعلاً ...» الحديث، وفيه: ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ لفظ مسلم.

قلت: وروى[٢] الشيخان[٣] وأحمد[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] وابن جرير[٧] وابن أبي حاتم وابن المنذر[٨] والبيهقي في الدلائل[٩] من حديث أنس أن هذه الآية نزلت يوم أحد لمَّا كُسرت رَباعيته وشُجَّ وجهه.

وعند ابن جرير[١٠] في روايته عن الربيع في آخره: فكفَّ رسولُ الله ﷺ عن الدعاء عليهم.

وروى أحمد[١١] والبخاري[١٢] والترمذي[١٣] والنسائي[١٤] وابن جرير[١٥]

---

(١) لحيان: بطن من هذيل، من العدنانية، وهم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. من بلادهم: رخمة والهزوم وألبان، وقد قامت لهم دولة في شمال الحجاز قبل الإسلام. وكانوا سدنة سواع. معجم قبائل العرب ٣/ ١٠١٠ - ١٠١١.

(٢) الدر المنثور ٣/ ٧٦٠ - ٧٦٣.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٠٧. صحيح مسلم ٢/ ٨٦٢.

(٤) مسند أحمد ١٩/ ٢٠، ٢٠/ ٢١٣، ٣٦٤، ٣٩٠، ٢١/ ٢٤١، ٤٥٧.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ١٠٥.

(٦) السنن الكبرى ١٠/ ٥١.

(٧) جامع البيان ٦/ ٤٣ - ٤٤.

(٨) تفسير ابن المنذر ١/ ٣٧٣.

(٩) دلائل النبوة ٣/ ٢٦٢.

(١٠) جامع البيان ٦/ ٤٥ - ٤٦.

(١١) مسند أحمد ٩/ ٤٨٦.

(١٢) صحيح البخاري ٣/ ٢١٠.

(١٣) سنن الترمذي ٥/ ١٠٦.

(١٤) السنن الكبرى ١٠/ ٥٠.

(١٥) جامع البيان ٦/ ٤٧ - ٤٨.

والبيهقي[١] من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم العنْ أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سُهَيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية». فنزلت هذه الآية. قال: فتِيبَ عليهم كلهم.

وروىٰ الترمذي[٢] وصحَّحه وابن جرير[٣] وابن أبي حاتم من حديث ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يدعو علىٰ أربعة نفر، فأنزل الله هذه الآية، فهداهم للإسلام.

وروىٰ الشيخان وابن جرير[٤] وابن أبي حاتم وابن المنذر[٥] والبيهقي في السنن[٦] من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو علىٰ أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع: «اللهم أَنْجِ الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعيَّاش بن أبي ربيعة والمستضعَفين من المؤمنين، اللهم اشْدُدْ وطأتك علىٰ مُضَر، واجعلها عليهم سنين كسِني يوسف». يجهر بذلك. وكان يقول في بعض [صلاته في] صلاة الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» لأحياء من أحياء العرب حتىٰ أنزل الله هذه الآية. وفي لفظ: «اللهم العن لِحْيان ورِعْلاً وذَكْوان، وعُصَيَّة عصت الله ورسولَه». ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت هذه الآية.

وروىٰ ابن إسحاق في سيرته[٧] والنحاس في ناسخه[٨] من حديث سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلىٰ النبي ﷺ فقال: إنك تنهىٰ عن السبي. ثم تحوَّل فحوَّل قفاه للنبي ﷺ وكشف إسته، فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله هذه الآية.

---

(١) السنن الكبرىٰ ٢/ ٢٨٣، ٢٩٤.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ١٠٧.

(٣) جامع البيان ٦/ ٤٧.

(٤) السابق ٦/ ٤٨.

(٥) تفسير ابن المنذر ١/ ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٦) السنن الكبرىٰ ٢/ ٢٨١ - ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٤، ٩/ ٢٥.

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٢٣٤ (ط - دار الفكر).

(٨) الناسخ والمنسوخ ص ٩٢ (ط - المكتبة العلامية).

قال: ثم أسلم الرجل وحسُن إسلامُه.

(وكذلك مَن بانَ) أي ظهر **(لنا موتُه علىٰ الكفر جاز لعنُه وجاز ذمُّه إن لم يكن فيه أذىٰ علىٰ مسلم، فإن كان لم يجُز، كما رُوي أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر** رضي الله عنه **عن قبر مر به وهو يريد الطائف، فقال)** أبو بكر: **(هذا قبر رجل كان عاتيًا)** أي متمرِّدًا **(علىٰ الله ورسوله وهو سعيد بن العاص)** بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف **(فغضب ابنُه عمرو بن سعيد)** وهو ابن عمَّة خالد بن الوليد، صحابي كبير، من مهاجرة الحبشة، قدم عليهم بخيبر هو وأخوه خالد، قُتل بأجنادين، وقيل: باليرموك[١]. وابن أخيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص له رؤية، وحفيده عمرو بن سعيد بن العاص وهو الأصغر ويُعرَف بالأشدق **(وقال: يا رسول الله، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قُحافة)** يعني والد أبي بكر **(فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام؟! فقال ﷺ)** لعمرو بن سعيد: **(اكفُفْ عن أبي بكر. فانصرف)** عنه **(ثم أقبل)** رسول الله ﷺ **(علىٰ أبي بكر فقال: يا أبا بكر، إذا ذكرتم الكفار فعمِّموا)** أي اذكروهم بلفظ العموم **(فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناءُ للآباء. فكفَّ الناس عن ذلك)** قال العراقي[٢]: رواه أبو داود في المراسيل[٣] من رواية علي بن ربيعة قال: لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة توجَّه من فوره ذلك إلىٰ الطائف ومعه أبو بكر، ومعه ابنا سعيد بن العاص، فقال أبو بكر: لمَن هذا القبر؟ قالوا: قبر سعيد بن العاص. فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر، فإنه كان يحادُّ الله ورسوله ... الحديث، وفيه: «فإذا سببتم المشركين فسبُّوهم جميعًا».

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٩٣ - ٩٤. أسد الغابة ٤/ ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) المغني ٢/ ٧٨٨.

(٣) المراسيل ص ٣٤٥. وفيه بعد قوله «يحاد الله ورسوله»: «فقال ابنا سعيد: لعن الله أبا قحافة، فإنه كان لا يقري الضيف ولا يمنع الضيم. فقال رسول الله ﷺ: إن سب الأموات يغضب الأحياء، فإذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا».

(وشرب نُعَيمان) بن عمرو بن رفاعة النجَّاري، من بني مالك بن النجار، يقال: اسمه نعمان فصُغِّر، صحابي بدري، كان يمزح كثيرًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١) (**الخمر، فحُدَّ مرات في مجلس رسول الله ﷺ، فقال بعض الصحابة**) قال الحافظ في الفتح: اسمه عُمَير(٢) (**لعنه الله، ما أكثر ما يؤتَىٰ به! فقال ﷺ: لا تكن عونًا للشيطان علىٰ أخيك. وفي رواية: لا تقل هذا، فإنه يحب الله ورسوله. فنهاه عن ذلك**) قال العراقي(٣): رواه ابن عبد البر في الاستيعاب(٤) من طريق الزبير بن بكَّار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً، ومحمد هذا وُلد في حياته ﷺ، وسمَّاه محمدًا، وكنَّاه أبا عبد الملك.

قلت: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة من طريق أبي طُوالة عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: كان بالمدينة رجل يقال له النعيمان يصيب من الشراب ... فذكره.

ثم قال العراقي: وللبخاري(٥) من حديث عمر أن رجلاً علىٰ عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقَّب حمارًا، وكان يُضحِك رسولَ الله ﷺ، وكان قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا، فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنْه، ما أكثر ما يؤتَىٰ به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله». وله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان علىٰ أخيكم.

قلت: ورواه البخاري(٦) من طريق وُهَيب عن أيوب عن ابن أبي مُلَيكة عن

---

(١) انظر: أسد الغابة ٥/ ٣٣١ - ٣٣٢. الإصابة ١٠/ ١٧٩ - ١٨١.

(٢) الذي في فتح الباري ١٢/ ٧٩: «وقع في رواية الواقدي: فقال عمر».

(٣) المغني ٢/ ٧٨٨ - ٧٨٩.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٣١٤ - ٣١٦.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٦) السابق ٢/ ١٥٠، ٤/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

عُقْبة بن الحارث أن النبي ﷺ أُتي بالنعيمان، أو ابن النعيمان. كذا بالشك، والراجح «النعيمان» بلا شك. وفي لفظ لأحمد[١]: كنت فيمن ضربه. وقال فيه: أُتي بالنعيمان. من غير شك. ورواه بالشك أيضًا محمد بن سعد في الطبقات[٢] من طريق معمر عن زيد بن أسلم مرسلاً. وجزم ابن عبد البر أن صاحب القصة هو ابن النعيمان، وما مر من حديث عمر عند البخاري ربما يشهد له، فإنه قال فيه: إن اسمه عبد الله، ويلقَّب حمارًا. وهذا يقوِّي قوله، فيكون وقع ذلك له ولابنه، ومَن يشابه أباه فما ظلم. وحديث أبي هريرة رواه البخاري من طريق محمد ابن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وحديث عمر عند البخاري فيه قوله «لا تلعنوه». هكذا في سائر روايات البخاري، وعند الكشميهني: «ألا لا تلعنوه»[٣].

وروىٰ أحمد[٤] وأبو داود[٥] من حديث أبي هريرة قال: أُتي برجل قد شرب الخمر، فقال رسول الله ﷺ: «اضربوه». فقال بعض القوم: أخزاه الله تعالىٰ. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطانَ، ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٦] عن أيوب عن محمد مرسلاً: «لا تقولوا للنعيمان إلا خيرًا فإنه يحب الله ورسوله».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسدِّدوه ووفِّقوه،

---

(١) مسند أحمد ٣٢/ ١٦٦.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٤٥٨.

(٣) الذي في فتح الباري: «وقع في رواية أبي ذر عن الكشميهني: فوالله ما علمت إلا أنه قال يحب الله ورسوله».

(٤) مسند أحمد ١٣/ ٣٦٦.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ١١٩.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٤٥٨. ومحمد هو ابن سيرين.

وادعوا له بالتوبة، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه. ذكره صاحب «الكشاف» في سورة غافر، وفيه قصة، وقد تقدم ذِكرُها[١].

(**وهذا يدل على أن لعنة فاسق بعينه غير جائزة**) كما أن الفسق لا يُخرِج الإنسانَ عن أخوَّة الإيمان (**وعلى الجملة، ففي لعنة الأشخاص خطرٌ فليُجتنَب**) عنها (**ولا خطر في السكوت عن لعنة إبليس مثلاً**) وهو هو، مع قول الله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: ٧٨] (**فضلاً عن غيره**) فالساكت عن لعنه لا يلزمه شيءٌ، مع أن الاشتغال به اشتغال فيما لا فائدة فيه، فقد روى ابن أبي الدنيا[٢] عن داود بن عمرو، حدثنا عبَّاد بن العوام، أخبرنا حصين، سمعت مجاهدًا يقول: قلَّما ذكر الشيطانَ قومٌ إلا حضرهم، فإذا سمع أحدًا يلعنه قال: لقد لعنتَ ملعَّنًا، ولا شيء أقطع لظهره من «لا إله إلا الله».

(**فإن قيل: هل تجوز لعنة يزيد**) بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أميَّة بن عبد شمس، كنيته أبو خالد، وُلد في خلافة عثمان، وعهدَ إليه أبوه بالخلافة، فبويع له ببيت المقدس في يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب سنة ستين، وشخصَ إلى دمشق مسرعًا، ولم يشهد وفاةَ أبيه ولا صلى عليه لمقامه في ذلك الوقت ببيت المقدس، وأبى البيعةَ عبدُ الله بن الزبير ولاذ بمكة، والحسينُ ابن علي ونهض إلى الكوفة (**لأنه قاتِلُ الحسين**) بن علي رضي الله عنهما (**أو آمِر به**) أي بالقتل (**قلنا: هذا لم يثبُت أصلاً**) أما كونه لم يقتله بنفسه فهو ظاهر، وأما كونه لم يأمر بقتله فهذا فيه الاختلاف الشائع، وغاية ما ذُكر فيه أن يزيد لمَّا قلَّد عبيدَ الله بن زياد الكوفة مضافًا إلى ما تقلَّده من أمر البصرة وسار إليها مسرعًا متنكِّرًا حتى نزل قصر الإمارة بها كتب إليه يزيد: قد ابتُلي شأنك بالحسين، وابتُلي بلدك من بين البلدان، وأنت من بين العمال، وفي

---

(١) في كتاب آداب الصحبة.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٥.

هذا ما تُعتق أو تعود عبدًا لنا[١]. يريد أن الحسين رضي الله عنه إن ملكَ ردَّك إلىٰ نسبك، وردَّ مقالة معاوية إلىٰ ادِّعاء أبيك، فكان هذا القول ممَّا حرَّضه علىٰ الحسين رضي الله عنه، وهذا لا يدل علىٰ أنه أمره بقتله كما هو ظاهر، ويؤيِّد ذلك أن في سنة اثنتين وستين بعد قتل الإمام الحسين رضي الله عنه وفد أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية علىٰ يزيد باستدعاء منه، فلما صار إليه اعتذر ممَّا جرىٰ علىٰ الحسين رضي الله عنه وقال: لو كنتُ حاضرًا لَما جرىٰ ما جرىٰ. فقال له محمد بن علي: لا أحب أن أسمع في أخي إلا خيرًا، ولا أشك في أنك لو وليتَ أمره لَما جرىٰ ما جرىٰ، ولكن لكل أجلٍ كتابٌ. وقصة قتله رضي الله عنه مشهورة، وحاصلها أن في سنة إحدىٰ وستين أنفذ عبيد الله بن زياد شبث بن ربعي ليلقىٰ الحسينَ وحربه من طريق خَفَّان[٢] في اثنىٰ عشر ألفًا، وعمر بن سعد بن أبي وقاص من طريق الفرات ليأخذ عليه الطريقين في جيش آخر، وقال لعمر: مُرْه أن يرجع إلىٰ المدينة أو إلىٰ مكة أو يسير إلىٰ يزيد، فإن أبىٰ فاستأسِرْه، فإن أبىٰ فقاتِلْه، فأبىٰ الحسينُ أن يرجع أو يُستأسَر، فقاتلوه، فقُتل رضي الله عنه سعيدًا شهيدًا حميدًا بمكان يقال له: الطف، واختُلف في قاتله، فقيل: سنان بن أنس النخعي، وقيل: شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وكان سنُّه إذ ذاك رضي الله عنه ستًّا وخمسين سنة وخمسة أشهر، وحُمل رأسه إلىٰ عبيد الله بن زياد علىٰ خشبة، وهو أول رأس حُمل علىٰ خشبة، ودُفن جسده الشريف بكربلاء.

وبالجملة **(فإنه لا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر بقتله ما لم يثبُت)** من طرق صحيحة، كما نقله ابن عبد البر في التمهيد عن بعضهم أن يزيد لم يأمرهم بقتله، وإنما أمرهم بطلبه أو بأخذه وحمله إليه، فهم قتلوه من غير حكمه. وقد ذكر

---

(١) هذه الرسالة أوردها ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٤، ٦٥/ ٣٩٥ - ٣٩٦، ولكن مع اختلاف في اللفظ، ونصه: «إنه قد بلغني أن حسينا قد صار إلىٰ الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به أنت من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبدا كما يُعتبد العبيد».

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٣٧٩: «خفان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانًا».

شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما حاصله: أن جميع ما يُذكَر في ذلك لم يثبُت، وأن قتله إنما كان عن رأي عبيد الله ابن زياد[(١)] **(فضلاً عن اللعنة؛ لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلىٰ كبيرة)** كالقتل وغيره **(من غير تحقيق)** أو بصيرة، فحيث لم يثبُت ما يقتضي اللعنَ لا يجوز لعنه، وبه أفتىٰ المصنف. قال ابن حجر المكي: وهو الأليق بقواعد المذهب، فلا يجوز لعنه وإن كان فاسقًا خبيثًا. قال: وفي كلام ابن الصلاح ما يشهد لذلك، فلا تتولَّه ولا تلعنْه. وبالجملة، فالرجل من أهل القبلة ليس بكافر؛ لأن الأسباب الموجِبة للكفر لم يثبُت منها شيء، والأصل بقاؤه علىٰ إسلامه حتىٰ يُعلَم بخروجه عنه، وقد نهىٰ النبي ﷺ عن لعن أهل القبلة، ومقترف الذنوب والمعاصي لا يكفُر، وهو مذهب أهل السنة. وقد ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب[(٢)]، وقال فيه: إنه ليس أهلاً لأنْ يُروَىٰ عنه، وليست له رواية تُعتمَد. ثم اعتذر عن ذِكره فقال: إنما ذكرتُه للتمييز بينه وبين يزيد بن معاوية النخعي الكوفي العابد. قال: ثم وجدت له رواية في مراسيل أبي داود، وقد نبَّهت عليها في الاستدراك علىٰ الأطراف. ا.هـ.

ومنهم مَن أثبتَ مع فسقِه كفرَه نظرًا إلىٰ ما فعل بآل بيت رسول الله ﷺ من الإهانة والإذاية واستباحته المدينة في وقعة الحَرَّة، وبما حُكي عنه أنه لما طلب المبايعة من الحسين رضي الله عنه فأبىٰ وأراد أن يأمر بقتله تفاءل بالمصحف فخرج في أول سطر: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم: ١٥] فمزق المصحف[(٣)]. ونُقل عنه أنه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٩. وليس فيه (ليس أهلا لأن يروىٰ عنه).

(٣) المشهور في كتب التاريخ أن الذي فعل ذلك هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، قال ابن الجوزي في المنتظم ٧/ ٢٤٠ - ٢٤١: روىٰ أبو عبيدة المرزباني قال: حدثنا أحمد بن كامل قال: كان الوليد بن يزيد زنديقا، وأنه فتح المصحف يوما فرأىٰ فيه ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ فألقاه ورماه بالسهام وقال:

تهددني بجبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

لما بعث عبيد الله برأس الحسين رضي الله عنه إليه ومعه علي بن الحسين وأختاه سكينة وفاطمة أمر بهم فغُلُّوا في قيد، وأقبل على ثناياه بمخصرة معه وقال:

يفلقـن هامًـا مـن رجـال أعـزَّة ... علينا وكانـوا هـم أعـق وأظلمـا[(١)]

ونُقل عنه أيضًا أنه قال:

ليـت أشـياخي ببـدر شـهدوا ... جـزع الخـزرج مـن وقـع الأَسَـل[(٢)]

وهذا - كما ترى - تمنٍّ أن لو وجد كفار قريش الذين قُتلوا ببدر ورأوا إهانته لأهل المدينة وقتلهم واستباحة أعراضهم، وهو انتصار للكفر، والانتصار للكفر كفرٌ، إلى غير ذلك من المخزيات التي تُنسَب إليه، وقد شُحنت كتب التواريخ بذلك، وأخباره مستوفاة في تاريخ دمشق[(٣)] لابن عساكر، وهو اختيار بعض العراقيين، وإلى هذا ميل الشيخ سعد الدين التفتازاني، فإنه ذكر في شرح العقائد[(٤)] بعد أن نقل ما يقتضيه المقام: وأما نحن فلا نتوقَّف في شأنه [بل في إيمانه] فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه ا.هـ. انظر هذا الكلام من هذا المحقِّق مع أنه من كبار أئمَّة الشافعية، وقواعد مذهبه تقتضي عدمَ اللعن، ولكنه رُبِّيَ في بلاد العجم، وقد امتلأت مسامعهم من الأخبار والحكايات التي أكثرها لا يخلو من مجازفات، ثم إنها لم تثبُت من طرق تفيد اليقينَ والسكوت، فقال ما قال، وخالف مقتضَى مذهبه ولم يبالِ، وإلى مثله الإشارة بقول صاحب بدء الأمالي[(٥)]:

---

(١) البيت للحصين بن الحمام المري، وهو في ديوانه ص ٨٤ (ط - دار المنهاج بالأردن). ونقل المقريزي في إمتاع الأسماع ١٣/ ٩٦ (ط - دار الكتب العلمية) عن مغازي الأموي أن النبي ﷺ تمثل بهذا البيت يوم بدر.

(٢) البيت لعبد الله بن الزبعري السهمي، قاله يوم أحد، وهو في ديوانه ص ٤٢ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٣) تاريخ دمشق ٦٥/ ٣٩٤ - ٤١١.

(٤) شرح العقائد النسفية ص ٣٤٤ (ط - مكتبة المدينة بباكستان).

(٥) بدء الأمالي: قصيدة في العقائد، نظمها علي بن عثمان الأوشي الفرغاني الحنفي [توفي بعد سنة ٥٦٩] وهي تشتمل على ٦٨ بيتا، وقد شرحها كثيرون.

ولم يلعن يزيدَ بعد موتٍ سوىٰ المِكثار في الإغراء غالي

فالمِكثار هو: المُبالِغ في الكثرة، والإغراء: الإفساد والتحريض عليه، والغالي: المُبالِغ في التعصُّب، فمَن أجاز لعن يزيد فهو موصوف بهذه الصفات الثلاث. فهذان قولان متقابلان، وهناك[١] قول ثالث وهو التوقُّف في ذلك وتفويض أمره إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنه العالِم بالخفيَّات، والمطَّلِع علىٰ مكنونات الضمائر وهواجس السرائر، فلا يُتعرَّض لتكفيره ولعنه أصلاً؛ لأن هذا هو الأحرىٰ والأسلم، ومع القطع بإسلامه فإنه فاسق شِرِّير سِكِّير جائر، وقد أخرج الروياني في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «أول من يبدِّل سنَّتي رجلٌ من بني أمية يقال له يزيد»[٢]. وأخرج أبو يعلىٰ في المسند[٣] ونعيم بن حماد في الفتن[٤] وابن عساكر[٥] من حديث أبي عبيدة: «لا يزال أمر أمتي قائمًا بالقِسط حتىٰ يكون أول من يثلمه رجلٌ من بني أمية يقال له يزيد». وقد مال إلىٰ التوقُّف جماعةٌ من العلماء العاملين، وقالوا: الاشتغال بذكر الله تعالىٰ أَولىٰ من الاشتغال بلعنه، وهو اشتغال بما لا

(١) من هنا إلىٰ قوله (يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد) منقول عن كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٦٣٢.

(٢) روىٰ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٥٠ من طريق أبي العالية قال: حدثني أبو مسلم قال: غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس، فغنموا، فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل، فاغتصبها يزيد، فأتىٰ الرجل أبا ذر فاستعان به عليه، فقال له: رد علىٰ الرجل جاريته. فتلكأ عليه ثلاثا، فقال: أما والله لئن فعلت ذلك فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد». فقال له يزيد بن أبي سفيان: نشدتك بالله أنا منهم؟ قال: لا. فرد علىٰ الرجل جاريته. وقد روىٰ هذا الحديث بدون القصة: ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣١٦، والدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ٥٠٨، وابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٢٤، وليس عندهم (يقال له يزيد)، إلا أن ابن عدي قال: «وفي بعض الأخبار مفسرا زاد: يقال له يزيد».

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١٧٦.

(٤) الفتن ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٥) تاريخ دمشق ٦٣/ ٣٣٦، ٦٨/ ٤١. وليس في رواية نعيم وابن عساكر (يقال له يزيد).

يعني، وقد قال ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه».

وقد ذكر حاصل ذلك الفاضل مصطفىٰ بن إبراهيم التونسي الحنفي في كتابه «اقتباس الأنوار وجلب الأخبار في آيات النبي المختار» ﷺ، وهذا الكتاب كنت رأيته في سنة سبع وستين ومائة وألف عام قدومي إلىٰ مصر، وكان مصنِّفه إذ ذاك حيًّا بتونس، رحمه الله تعالىٰ. وسبقه إلىٰ ذلك الإمام الحافظ شرف الدين قاسم بن قطلوبغا اليكتمري الحنفي فذكر في شرحه علىٰ «بدء الأمالي» خلاصةَ ما أشرتُ إليه، ثم بعد نقلِه هذه الأقوال حسبما يقتضيه المقامُ قال: وأما نحن فبريئون من أعداء الله ورسوله وأهل بيته وممَّن عادَىٰ فردًا من أفراد عوامِّ المسلمين لكونه مسلمًا أو لكونه يُنسَب إلىٰ النبي ﷺ ولو بأدنىٰ نسبة. ا.هـ. ولا بأس بهذا الكلام علىٰ عمومه، فنحن كلنا بَراء ممَّن يحادُّ اللهَ ورسوله أو يؤذي مَن ينتسب إلىٰ ذلك المقام العليِّ ولو بأدنىٰ نسبة أو مَن ينتسب إلىٰ الإسلام. والله الموفِّق.

(**نعم، يجوز أن يقال: قتل ابنُ مُلجَم**) وهو[1] عبد الرحمن بن ملجم المُرادي، وكان قد أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ علىٰ معاذ بن جبل، ثم صار من كبار الخوارج، وهو أشقىٰ هذه الأمَّة (**عليًّا**) رضي الله عنه، وقصة قتله مشهورة، ثم قتله أولاد علي عليهم السلام في سنة أربع وأربعين (**وقتل أبو لؤلؤة**) غلام المغيرة بن شعبة (**عمر** رضي الله عنه) وقصته كذلك مشهورة (**فإنَّ ذلك ثبت متواترًا**) من طرق كثيرة تفيد اليقينَ والسكوت (**فلا يجوز أن يُرمَىٰ مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق**) وبصيرة، ففيه خطر (**قال ﷺ: لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدَّت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**) قال العراقي[2]: متفق عليه[3] - والسياق للبخاري - من

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٢٥٦. تاريخ مصر لابن يونس ص ٣١٤. وما ذكر في قتله أنه سنة ٤٤ خطأ، بل الثابت أنهم قتلوه بعد وفاة علي رضي الله عنه سنة ٤٠.

(٢) المغني ٢/ ٧٨٩.

(٣) ولفظ مسلم: «من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

حديث أبي ذر، مع تقديم ذكر الفسق.

(وقال ﷺ: ما شهد رجل علىٰ رجل بالكفر إلا باء به أحدُهما: إن كان كافرًا فهو كما قال، وإن لم يكن كافرًا فقد كفر بتكفيره إياه) قال العراقي[(١)]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[(٢)] من حديث أبي سعيد بسند ضعيف.

قلت: ورواه كذلك النقَّاش في كتاب القضاة، وفيه مندل بن علي، وهو ضعيف.

(وهذا معناه أن يكفِّره وهو يعلم أنه مسلم، فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئًا لا كافرًا).

وممَّا يناسب إيرادُه في هذا المقام ما أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[(٣)] من طريق [العلاء] ابن المسيب عن الفضيل بن عمرو أن رجلاً لعن شيئًا، فخرج ابن مسعود من البيت فقال: إذا لُعن شيء دارت اللعنةُ، فإن وجدتْ مَساغًا قيل لها: اسلكيه، فإن لم تجد مساغًا قيل لها: ارجعي من حيث جئتِ، فخفتُ أن ترجع وأنا في البيت.

ومن طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال: مَن لعن شيئًا من غير ذنب لم تزل اللعنة تتردَّد بين السماء والأرض حتىٰ تلزم تَرْقُوةَ صاحبها.

ومن طريق يزيد بن هلال الضُّبَعي، عن أبي بُرْدة، عن أبي موسىٰ الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «إن استطعتَ أن لا تلعن شيئًا فافعلْ، فإنَّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها فكان الملعون لها أهلاً أصابته، فإن لم يكن لها أهلاً وكان اللاعن لها

(١) المغني ٢/ ٧٨٩.
(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٠٧.
(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٤، ٢٠٦.

أهلاً رجعت عليه، فإن لم يكن لها أهلاً أصابت يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا، فإن استطعتَ أن لا تلعن أبدًا شيئًا فافعل».

ومن طريق الوليد بن رباح: سمعت نمران يذكر عن أم الدرداء قالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلىٰ السماء فتُغلَق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلىٰ الأرض فتُغلَق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلىٰ الذي لُعن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلىٰ قائلها.

(**وقال معاذ**) بن جبل رضي الله عنه: (**قال لي رسول الله ﷺ: أنهاك أن تشتم مسلمًا أو تعصي إمامًا عادلاً**) قال العراقي[١]: رواه أبو نعيم في الحلية[٢] في أثناء حديث له طويل تقدم.

قلت: رواه من طريق إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، انطلِقْ فأرحِلْ راحلتَك ثم ائتني أبعثك إلىٰ اليمن ...» فذكر الحديث، وفيه: «وأنهاك أن تشتم مسلمًا، أو تكذِّب صادقًا، أو تصدِّق كاذبًا، أو تعصي إمامًا عادلاً ...» الحديث.

(**والتعرُّض للأموات أشدُّ. قال مسروق**) بن[٣] الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، مخضرم، مات سنة اثنتين وستين (**دخلت علىٰ عائشة رضي الله عنها فقالت: ما فعل فلان لعنه الله؟ قلت: توفي. قالت: رحمه الله. قلت: وكيف هذا؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: لا تسبُّوا الأموات، فإنهم قد أفضوا**

(١) المغني ٢/ ٧٨٩.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ - ٢٤١.
(٣) تقريب التهذيب ص ٩٣٥.

إلىٰ ما قدَّموا) قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢]، وذكر المصنف في أوله قصة لعائشة ﷺ، وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق[٣] مع القصة.

قلت: رواه البخاري من طريق مجاهد عن عائشة، وكذلك رواه أحمد[٤] والنسائي[٥] لكن بدون تلك القصة، وفي تاريخ ابن النجار بلفظ «إلىٰ ما كسبوا».

وقال ابن أبي الدنيا[٦]: حدثنا أبو عبيدة بن عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا إياس الأفطس، حدثنا عطاء بن أبي رباح قال: ذُكر رجل عند عائشة، فنالت منه، فقالوا: إنه قد مات. فترحَّمت عليه وقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير».

(**وقال ﷺ: لا تسبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء)** قال العراقي[٧]: رواه الترمذي[٨] من حديث المغيرة بن شعبة، ورجاله ثقات، إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يُسَمَّ.

---

(١) المغني ٢/ ٧٨٩.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٢٩، ٤/ ١٩٤.

(٣) لم أقف عليه في كتاب الزهد والرقائق. والحديث مع القصة عند ابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٩١، وفيه تسمية الرجل المبهم، ولفظه: «عن مجاهد قال: قالت عائشة: ما فعل يزيد بن قيس عليه لعنة الله؟ قالوا: قد مات. قالت: فأستغفر الله. فقالوا لها: ما لك لعنتيه ثم قلت: أستغفر الله؟ قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات، فإنهم أفضوا إلىٰ ما قدموا». وقال ابن حجر في فتح الباري ٣/ ٣٠٥: «أخرج عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة من طريق مسروق أن عليا بعث يزيد بن قيس الأرحبي في أيام الجمل برسالة، فلم ترد عليه جوابا، فبلغها أنه عاب عليها ذلك، فكانت تلعنه، ثم لما بلغها موته نهت عن لعنه وقالت: إن رسول الله ﷺ نهانا عن سب الأموات».

(٤) مسند أحمد ٤٢/ ٢٩٦.

(٥) سنن النسائي ص ٣١١.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٣٠٢.

(٧) المغني ٢/ ٧٩٠.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٣.

قلت: وكذلك رواه أحمد[١] والطبراني[٢]. ورواه الطبراني[٣] أيضًا من حديث صخر الغامدي.

(**وقال ﷺ: أيها الناس، احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهاري ولا تسبُّوهم. أيها الناس، إذا مات الميت فاذكروا منه خيرًا**) قال العراقي[٤]: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري: «احفظوني في أصحابي وأصهاري». وإسناده ضعيف. وللشيخين[٥] من حديث أبي سعيد وأبي هريرة: «لا تسبُّوا أصحابي». ولأبي داود[٦] والترمذي[٧] - وقال: غريب - من حديث ابن عمر: «اذكروا محاسن موتاكم، وكُفُّوا عن مساوئهم». وللنسائي[٨] من حديث عائشة: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير». وإسناده جيد.

قلت: حديث عياض تمامه: «فمَن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة، ومَن لم يحفظني فيهم تخلَّىٰ الله عنه، ومَن تخلَّىٰ الله عنه أوشك أن يأخذه». رواه كذلك البغوي والطبراني[٩] وأبو نعيم في المعرفة[١٠] وابن عساكر[١١]. وأما حديث أبي سعيد وأبي هريرة عند الشيخين فتمامه: «فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

---

(١) مسند أحمد ٣٠/ ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) المعجم الكبير ٢٠/ ٤٢٠.

(٣) السابق ٨/ ٢٩.

(٤) المغني ٢/ ٧٩٠.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ١٢. صحيح مسلم ٢/ ١١٨١ - ١١٨٣.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣١٣.

(٧) سنن الترمذي ٢/ ٣٢٨.

(٨) سنن النسائي ص ٣١٠.

(٩) المعجم الكبير ١٧/ ٣٦٩.

(١٠) معرفة الصحابة ٤/ ٢١٦٨.

(١١) تاريخ دمشق ٥٩/ ١٠٤.

وكذلك رواه الطيالسي[١] وأحمد[٢] وابن أبي شيبة[٣] وعبد بن حميد[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] وابن حبان[٧] من حديث أبي سعيد. ورواه ابن ماجه[٨] وابن حبان من حديث أبي هريرة. وعند الدارقطني في الأفراد[٩] من حديث أبي سعيد: «لا تسبُّوا أصحابي، لعن الله مَن سب أصحابي، فوالذي نفسي بيده ...» الحديث. وعند[١٠] ابن النجار من حديثه: «لا تسبُّوا أصحاب محمد، فواللهِ لئن سلكتم طريقهم لقد سُبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا». وأما حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم، وكُفُّوا عن مساوئهم» فرواه أبو داود في الأدب والترمذي في الجنائز من طريق معاوية بن هشام، عن عمران بن أنس المكي، عن عطاء، عن ابن عمر رفعه بهذا، ورواه أيضًا الطبراني[١١] وقال كالترمذي: إنه غريب. ورواه الحاكم[١٢] وقال: إنه صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وعند أبي داود[١٣] من طريق وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت [قال رسول الله ﷺ]: «إذا مات صاحبكم فدَعُوه لا

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٦٣٧.

(٢) مسند أحمد ١٧/ ١٣٨، ١٨/ ٨٠، ١٥٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٥٥.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٩٢.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٢٠٩.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ١٦٩.

(٧) صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٥٥، ١٦/ ٢٣٨، ٢٤٢.

(٨) سنن ابن ماجه ١/ ١٦٧.

(٩) أطراف الغرائب والأفراد ٢/ ٢٣١.

(١٠) كنز العمال ١١/ ٥٤٢ - ٥٤٣.

(١١) المعجم الكبير ١٢/ ٤٣٨. المعجم الأوسط ٤/ ٥٨.

(١٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٣٧.

(١٣) سنن أبي داود ٥/ ٣١٣.

تقعوا فيه». وكذا هو عند الطيالسي[١] من طريق عبد الله بن عثمان عن هشام. وأما حديث عائشة عند النسائي «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» فقد رواه من طريق منصور ابن صفية عن أمه عنها قالت: ذُكر عند النبي ﷺ هالك بسوء، فقال: «لا تذكروا هَلْكاهم إلا بخير».

(**فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتِلُ الحسين لعنه الله، أو: الآمِر بقتله لعنه الله؟ قلنا: الصواب أن يقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله؛ لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة**) وقد تقدم أنه لا يجوز لعنُ أحد إلا إذا تُحُقِّق موته على الكفر، فإن تاب قبل موته لم يجُز لعنُه (**فإنَّ وحشيًّا**) بن حرب، من سودان مكة (**قاتِل حمزة**) سيد الشهداء (**عم رسول الله ﷺ**) يوم أُحُد (**قتله وهو كافر، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعًا**) وأسلم وحسُن إسلامُه وقتل مسيلمة الكذَّاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه (**ولا يجوز أن يُلعَن، والقتل كبيرة، ولا تنتهي إلىٰ رتبة الكفر، فإذا لم يقيَّد بالتوبة**) والإقلاع عن المعاصي (**وأُطلِق كان فيه خطر**) إذ لعن غير ملعَّن (**وليس في السكوت خطر، فهو أَولىٰ**) وأليق بحال المسلم (**وإنما أوردنا هذا**) البحثَ (**لتهاوُن الناس باللعنة**) وكثرة استعمالها (**وإطلاق اللسان بها**) أي في محاوراتهم (**والمؤمن**) أي الكامل (**ليس بلعَّان**) أي ليس بذي لعنٍ، فالصيغة للنسبة كالتَّمَّار واللَّبَّان، أو للمبالغة فإنه ربما يصدر عن المؤمن في حال من أحوال الغضب أو الغفلة، وهو مذموم، وهذا قد تقدم من حديث ابن عمر: «لا يكون المؤمن لعَّانًا» (**فلا ينبغي أن يُطلَق اللسان باللعنة إلا علىٰ مَن مات علىٰ الكفر**) وتُحُقِّق منه ذلك بأمارات ظاهرة (**أو علىٰ الأجناس المعروفين بأوصاف**) كالكافرين والظالمين وآكلي الربا وشاربي الخمر وقاتلي النفس (**دون الأشخاص المعيَّنين**) فلان وفلان (**فالاشتغال بذكر الله أَولىٰ**) من هذا (**فإن لم يكن**) ذِكرُ الله (**ففي السكوت سلامة**) ونجاة. وقال[٢] ابن

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٦٠ مختصرا بلفظ: «إذا مات الميت فدعوه».

(٢) شرح بدء الأمالي لملا علي القاري ص ٢٨ (ط - مطبعة العالم بإسطانبول).

عبد البر في التمهيد: الأصح هو أن نقول بأن يزيد لو أمر بقتل الحسين أو رضي بذلك فإنه يجوز اللعن عليه، وإلا فلا، وكذا قاتله لا يكفُر من غير استحلال. ا.هـ. ولا يخفَىٰ ما فيه من التناقض، حيث أطلق اللعنَ علىٰ مجرَّد الأمر بقتله ورضاه وقيَّد قاتله بغير استحلال، فإنَّ من المعلوم أن القتل أشد من الأمر بالقتل، مع أن قتل غير الأنبياء ليس بكفر عند أهل السنة، خلافًا للخوارج وأهل البدعة، فلا شك أن السكوت أسلم.

(وقال مكي بن إبراهيم) بن[1] بشير بن فرقد التميمي البلخي، أبو السكن، ثقة، ثبت، مات سنة خمس عشرة ومائتين وله تسعون سنة، روىٰ عنه البخاري، وروىٰ له الباقون **(كنا عند ابن عون)** وهو[2] أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم البصري، رأىٰ أنس بن مالك، ولم يثبُت له منه سماعٌ، وقال ابن مهدي: لم يكن بالعراق أعلم بالسنة منه. مات بالبصرة سنة إحدىٰ وخمسين ومائة، وروىٰ له الجماعة **(فذكروا)** عنده **(بلال بن أبي بُرْدة)** بن[3] أبي موسىٰ الأشعري، أبو عمرو، أمير البصرة وقاضيها، أخو سعيد بن أبي بردة، وطالت ولايته، فمدحه الشعراء، منهم رؤبة وذو الرُّمة والفرزدق. ذكره البخاري في الأحكام، وروىٰ له الترمذي حديثًا واحدًا **(فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه)** بالسب والشتم **(وابن عون ساكت)** لا يتكلم بشيء **(فقالوا: يا ابن عون، إنما نذكره)** بالسوء **(لِما ارتكبه منك)** وكان قد آذاه **(فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: لا الله إلا الله ولعن الله فلانًا، فلأنْ يخرج من صحيفتي «لا إله إلا الله» أحب إليَّ من أن يخرج منها «لعن الله فلانًا»)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[4] قال: حدثني

(١) تقريب التهذيب ص ٩٦٩.
(٢) تهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤ - ٤٠٢.
(٣) السابق ٤/ ٢٦٦ - ٢٨٢.
(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٣٠٩.

عبد الله بن محمد، سمعت مكي بن إبراهيم قال: كنا عند ابن عون ... فساق القصة كما هنا سواء.

(وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصِني. فقال: أوصيك أن لا تكون لعَّانًا) أي لا تكن ذا لعنٍ، وصيغة المبالغة هنا غير مرادة. قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والطبراني[٣] وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني[٤] من حديث جُرموز الهُجَيمي، وفيه رجل لم يُسَمَّ أسقط ذِكره ابنُ أبي عاصم.

قلت: وكذلك[٥] رواه البخاري في التاريخ[٦]، كلهم من طريق عبيد الله بن هَوْذة عن رجل من بلهُجَيم عن جرموز القُرَيعي البصري، قال ابن أبي حاتم[٧] وابن السكن: له صحبة. ونسبه ابن قانع[٨] فقال: جرموز بن أوس بن [عبد الله بن] جرير الهجيمي. قال الحافظ ابن حجر: ورأيت في رواية: قال ابن هوذة: حدثني جرموز ... فذكره، فلعله سمعه منه بواسطة ثم سمعه منه. والرجل المبهم في الرواية الأولىٰ جزم البغويُّ[٩] وابن السكن بأنه أبو تميمة الهجيمي.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[١٠] عن إبراهيم بن زياد سَبَلان،

---

(١) المغني ٢/ ٧٩٠.

(٢) مسند أحمد ٣٤/ ٢٧٨.

(٣) المعجم الكبير ٢/ ٢٨٣.

(٤) الآحاد والمثاني ٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦ من ثلاث طرق، ذكر الرجل المجهول في اثنتين منها، وأسقطه في الثالث.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٧٣.

(٦) التاريخ الكبير ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٧) الجرح والتعديل ٢/ ٥٤٤.

(٨) معجم الصحابة ١/ ١٤٨، وفيه: ... عبد الله بن جرموز.

(٩) معجم الصحابة ١/ ٥٠٢ - ٥٠٣.

(١٠) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٢.

حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبيد الله بن هوذة القُرَيعي، عن جرموز الهجيمي قال: قلت: يا رسول الله، أوصِني. قال: «أوصيك أن لا تكون لعَّانًا».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(أبغضُ الناسِ إلىٰ الله كل طَعَّان لَعَّان)** أخرجه ابن أبي الدنيا[1] عن علي بن الجعد، حدثنا أبو هلال الراسبي، عن قتادة قال: قال ابن عمر: أبغض عِباد الله إلىٰ الله كلُّ طعَّان لعَّان.

(وقال بعضهم: لعنُ المؤمن كعدل قتله. وقال حماد بن زيد) بن[2] درهم الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، ثقة، ثبت، فقيه، مات سنة تسع وسبعين [ومائة] وله إحدىٰ وثمانون سنة **(بعد أن روىٰ هذا: لو قلتُ إنه مرفوع)** إلىٰ رسول الله ﷺ **(لم أبالِ)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[3] عن عبيد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن ثابت بن الضحَّاك - وكانت له صحبة، قال حماد: ولو قلتُ إنه مرفوع لم أبالِ - أنه قال: لعنُ المؤمن كعدل قتلِه، ومَن دعاه بالكفر فهو كقتله، ومَن حلف بملَّة سوىٰ الإسلام كاذبًا فهو كما قال.

(وعن أبي قتادة) الحارث[4] بن رِبْعي بن بُلْدُمة السَّلَمي - بفتحتين - المدني، شهد أحدًا وما بعدها، ومات سنة أربع وخمسين **(قال: كان يقال: مَن لعن مؤمنًا فهو مثل أن يقتله. وقد نقل ذلك حديثًا مرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ)** قال العراقي[5]: روىٰ الشيخان[6] من حديث ثابت بن الضحاك: «لعنُ المؤمن كقتله».

---

(١) السابق ص ٢٩٢.

(٢) تقريب التهذيب ص ٢٦٨.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٢.

(٤) تقريب التهذيب ص ١١٩٢.

(٥) المغني ٢/ ٧٩٠.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٩٩، ١١١، ٢١٩. صحيح مسلم ١/ ٦٢.

قلت: وقد رواه الطبراني في الكبير[١] بزيادة: «ومَن قذف مؤمنًا أو مؤمنة بكفر فهو كقتله». وروىٰ أيضًا: «لعنُ المؤمن كقتله، ومَن أكفرَ مسلمًا فقد باءَ به أحدُهما». وثابت بن الضحاك بن خليفة أنصاري، ممَّن بايع تحت الشجرة[٢]. ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٣] من حديث عبد الله بن عامر وأبي مسعود بلفظ الشيخين من غير زيادة. وأخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن عبيد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا إسحاق بن سُوَيد العَدَوي، عن أبي قتادة قال: كان يقال: مَن لعن مؤمنًا فهو مثل أن يقتله.

(ويقرُب من اللعن الدعاءُ علىٰ الإنسان بالشر) قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ [الإسراء: ١١] **(حتىٰ الدعاء علىٰ الظالم، كقول الإنسان مثلاً: لا صحَّح اللهُ جسمه، ولا سلَّمه الله، وما يجري مَجراه، فكل ذلك مذموم. وفي الخبر: إن المظلوم لَيدعو علىٰ الظالم حتىٰ يكافئه)** أي يماثله في الظلم **(ثم يبقىٰ للظالم عنده فضلة)** أي زيادة **(يوم القيامة)** أي إن زاد علىٰ مثله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] قال العراقي[٥]: هذا الحديث لم أقف له علىٰ أصل. وللترمذي[٦] من حديث عائشة بسند ضعيف: «مَن دعا علىٰ مَن ظلمه فقد انتصر».

قلت: رواه كذلك ابن أبي شيبة[٧] وابن أبي الدنيا في ذم الغضب. وهو مطابق

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ٧٢ - ٧٥.

(٢) انظر: الاستيعاب ١/ ١٢٨. أسد الغابة ١/ ٤٤٦ - ٤٤٧. الإصابة ٢/ ١١.

(٣) مساوئ الأخلاق ص ٢٧، وفيه: «عن يحيىٰ بن أبي قلابة عن أبي المهلب أن عبد الله بن عامر قال: يا أبا مسعود: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول؟ قال: سمعته يقول: لعن المؤمن كقتله».

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٣.

(٥) المغني ٢/ ٧٩١.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٥١٨ - ٥١٩.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٥١.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى: ٤١ - ٤٢] أي ابتداءً، أو بالتجاوز عن الحد انتهاءً.

الآفة التاسعة: الغنـاء

وهو رفعُ الصوت بالتطريب والإيقاع (والشِّعر.

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرُم من الغناء وما يحل) مفصَّلاً **(فلا نعيده)** ثانيًا **(وأما الشعر فكلام حَسنه حسن، وقبيحه قبيح)** رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه أبو يعلىٰ من حديث عائشة بلفظ: «الشعر بمنزلة الكلام، فحَسنه كحَسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام». وقد تقدم القول في ذلك مفصَّلا[1] **(إلا أن التجرُّد له)** بحيث يهتمُّ له ويعنىٰ به حتىٰ يُنسَب إليه **(مذموم. قال رسول الله ﷺ: لأنْ يمتلئ بطن)** وفي[2] لفظ: جوف **(أحدكم)** يحتمل أن المراد الجوف كله وما فيه من القلب وغيره، وأن يُراد القلب خاصةً، وهو الظاهر[3]؛ لقول الأطباء: إذا وصل القلبَ شيءٌ من قيح حصل الموتُ **(قيحًا)** أي مِدَّة لا يخالطها دمٌ[4] **(حتىٰ يَرِيه)** بفتح المثنَّاة التحتية، من الوَرْي مثل الرمي غير مهموز، أي حتىٰ يغلبه حتىٰ يشغله عن ذكر الله أو حتىٰ يفسده، قال الزمخشري[5]: وَرَىٰ الداءُ جوفَه يَريه: أفسده. ولفظ البخاري بإسقاط «حتىٰ»، وعليه ضبط «يريه» بإسكان ثالثه. قال ابن الجوزي[6]: وكان جماعة من المبتدئين ينصبون «يريه» هنا جريًا علىٰ العادة في قراءة الحديث الذي فيه «حتىٰ»، وليس هنا ما يُنصَب. وتعقَّبه

---

(١) في كتاب آداب السماع.

(٢) فيض القدير ٥/ ٢٥٩.

(٣) هذان الاحتمالان ذكرهما ابن أبي جمرة في كتاب بهجة النفوس شرح مختصر البخاري ٤/ ١٧٢.

(٤) العين للخليل بن أحمد ٣/ ٢٥٦.

(٥) الفائق في غريب الحديث ٣/ ٢٣٨.

(٦) كشف المشكل من أحاديث الصحيحين ٣/ ٤٥٦.

الزركشي(١) بأن الأصيلي رواه بالنصب علىٰ بدل الفعل من الفعل (**خير له من أن يمتلئ شعرًا**) أنشأه أو أنشده؛ لِما يؤول إليه أمرُه من تشاغُله به عن عبادة ربه، والمراد بالشعر: ما يتضمَّن تشبيبًا أو هجاء أو مفاخرة، كما هو الغالب في أشعار الجاهليين(٢). وقال بعضهم(٣): قوله «شعرًا» ظاهره العموم في كل شعر، لكنه مخصوص بما لم يشتمل علىٰ الذكر والزهد والمواعظ والرقائق ممَّا لا إفراط فيه. وقال النووي(٤): هذا الحديث محمول علىٰ التجرُّد للشعر بحيث يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر. وقال القرطبي(٥): مَن غلب عليه الشعر لزمته بحكم العادة الأدبية الأوصافُ المذمومة، وعليه يُحمَل الحديث، وقول بعضهم «عنىٰ به الشعر الذي هُجي به هو أو غيره» رُدَّ بأن هجوه كفرٌ كثُر أو قلَّ، وهجو غيره حرام وإن قل، فلا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنىٰ.

قال العراقي(٦): رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه، والبخاري من حديث ابن عمر، ومسلم من حديث أبي سعيد(٧).

قلت: وعند مسلم زيادة قبل الحديث: قال أبو سعيد: بينا نحن نسير مع

---

(١) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ص ١١٦٧.
(٢) ذكره البيضاوي في تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٣/ ٢٣١.
(٣) هو ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٥٦٥.
(٤) شرح صحيح مسلم ١٥/ ٢١، وعبارته: «المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالىٰ، وهذا مذموم من أي شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا؛ لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا».
(٥) المفهم ٥/ ٥٣٠.
(٦) المغني ٢/ ٧٩٢.
(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٢٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٣.

رسول الله ﷺ [بالعَرْج] إذ عرض شاعرٌ ينشد، فقال: «خذوا الشيطان – أو: أمسِكوا الشيطان ...» ثم ذكره. ورواه أحمد[(١)] من حديث ابن عمر ومن حديث أبي سعيد. ورواه الطيالسي[(٢)] والترمذي[(٣)] من حديث سعد بن أبي وقاص. ورواه الطبراني في الكبير[(٤)] من حديث أبي الدرداء. ورواه ابن جرير[(٥)] وصحَّحه وأبو عوانة والطحاوي[(٦)] وتمام[(٧)] والضياء من حديث عمر بن الخطاب. ولفظ حديث أبي هريرة عند الشيخين: «لأنْ يمتلئ جوف رجل قيحًا حتىٰ يَريه خير له من أن يمتلئ شعرًا». وكذلك رواه أحمد[(٨)] وأبو داود[(٩)] والترمذي[(١٠)] وابن ماجه[(١١)]. ورواه أيضًا أحمد[(١٢)] وأبو داود وابن ماجه[(١٣)] من حديث سعد بن أبي وقاص. ورواه الطبراني في الكبير[(١٤)] من حديث سلمان ومن حديث ابن عمر. ورواه ابن عدي في الكامل[(١٥)] من حديث جابر بلفظ: «لأنْ يمتلئ جوف الرجل قيحًا أو دمًا خير له من

(١) مسند أحمد ٩/ ٣٢، ٥١٦، ١٧/ ١١١، ٤٦١.
(٢) مسند الطيالسي ١/ ١٦٥.
(٣) سنن الترمذي ٤/ ٥٣٣.
(٤) وكذلك ابن عدي في الكامل ١/ ٤٠٦.
(٥) تهذيب الآثار – مسند عمر ص ٦١٦.
(٦) شرح معاني الآثار ٤/ ٢٩٥.
(٧) فوائد تمام ٣/ ٣٨٧.
(٨) مسند أحمد ١٣/ ٢٥٨، ١٤/ ١٠٩، ٢٩٤، ١٥/ ٤٢، ١٦/ ١٥٣، ١٦٤.
(٩) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٦.
(١٠) سنن الترمذي ٤/ ٥٣٢.
(١١) سنن ابن ماجه ٥/ ٣١٣.
(١٢) مسند أحمد ٣/ ٩٦، ١١٦، ١٣٩.
(١٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣١٣.
(١٤) المعجم الكبير ٦/ ٢٥٣، ١٢/ ٣١٨.
(١٥) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٤٩٤.

أن يمتلئ شعرًا ممَّا هُجيتُ به». ورواه الطبراني في الكبير[١] من حديث عوف بن مالك بلفظ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم من عانته إلىٰ لَهاته قيحًا يتخضخض خير له من أن يمتلئ شعرًا». ورواه[٢] أيضًا من حديث مالك بن عمير بلفظ: «لأن يمتلئ ما بين لَبَّتك إلىٰ عانتك قيحًا خير من أن يمتلئ شعرًا».

(وعن مسروق) بن الأجدع الهَمْداني، التابعي الثقة **(أنه سُئل عن بيت من الشعر، فكرهه)** أي كره إنشادَه **(فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر)** إذ ليس هو من صالح الأعمال. أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق أنه سُئل ... فذكره.

(وسُئل بعضهم عن شيء من الشعر، فقال: اجعل مكان هذا ذكرًا، فإنَّ ذِكر الله خير من الشعر) وكأنه خاف من التجرُّد له فيكون شاغلاً له عن الذكر. أخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن علي بن أبي مريم، عن حسين الجُعْفي، حدثنا هلال أبو أيوب الصيرفي قال: سألت طلحة بن مصرِّف عن شيء من الشعر، قال: اجعلْ مكان هذا ذكرًا، فإنَّ ذِكر الله خير من الشعر.

(وعلىٰ الجملة، فإنشاد الشعر) لنفسه أو لغيره **(ونظمُه)** أي إنشاؤه **(ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكرَه)** فقد رُوي أن النبي ﷺ كان ينقل اللَّبِن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول:

هـذا الحِمـال لا حِمـال خيـبر ... هــذا أبــرُّ ربنــا وأطهــر

---

(١) المعجم الكبير ١٨/ ٧٨.

(٢) السابق ١٩/ ٢٩٥.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٨٢.

(٤) السابق ص ٢٨٢.

أخرجه البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلاً، قال الزهري: ولم يبلغنا في الأحاديث أنه ﷺ أنشد بيت شعر تام غير هذا البيت. وقد تقدم ذلك. وفي الصحيحين من حديث أنس ارتجازهم وهو ﷺ معهم، وكذا إنشاد حسان كما عند مسلم من حديث عائشة، وإنشاد ابن رواحة كما عند البخاري، وإنشاد النابغة الجعدي كما في معجم البغوي والاستيعاب، وإنشاد بلال وهو محموم بالمدينة كما في الصحيحين من حديث عائشة. وكان الصحابة يتناشدون الأشعار وهو ﷺ يتبسم، كما عند الترمذي من حديث جابر بن سمرة. وإنشاد الشريد مائة قافية من قول أميَّة بن أبي الصَّلْت، في كل ذلك يقول ﷺ «هيه» كما عند مسلم. وكل ذلك قد تقدم في كتاب السماع. فنفس الإنشاد والسماع جائزان بالإجماع، كيف وقد **(قال ﷺ: إن من الشعر لَحكمةٌ)** تقدم في كتاب العلم **(نعم، مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب)** بذكر القامة والخد والصدغ والخال **(وقد يدخله الكذبُ)** أحيانًا **(وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري)** رضي الله عنه **(بهجاء الكفار)** فقد روى الشيخان من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان: «اهجهم وجبريل معك». وفي لفظ: هاجِهم». وروى أبو داود والترمذي والحاكم من حديث عائشة: كان ﷺ يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا فيفاخر عن رسول الله ﷺ - أو ينافح - ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيِّد حسان بروح القُدس ما نافح أو فاخر [عن رسول الله ﷺ]». قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وأخرجه البخاري تعليقًا. وقد تقدم في كتاب السماع.

(والتوسُّع في المدح وإن كان كذبًا فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب، كقول الشاعر) وهو المتنبي[1]:

(ولو لم يكن في كفِّه غير روحه ... لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُه

(١) هذا خطأ، فالبيت لأبي تمام الطائي، وهو في ديوانه ص ٢٣٢ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله العباسي. وقد نُسب هذا البيت أيضا لبكر بن النطاح البصري [توفي سنة ١٩٢ هـ].

فإنَّ هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء، فإن لم يكن صاحبه) الذي مُدح به (**سخيًّا كان**) القائل (**كاذبًا**) في مدحه (**وإن كان سخيًّا فالمبالغة من صنعة الشعر، ولا يُقصَد منه أن يعتقد صورته**) وقد قيل: أعذبُ الشعر أكذبُه (**وقد أُنشدتْ أبيات بين يدي رسول الله ﷺ، ولو تُتبِّعتْ لوُجد فيها مثل ذلك**) من المبالغات (**فلم يمنع منه**) فمن ذلك إنشاد كعب بن زهير بين يديه قصيدته اللاميَّة، وفيها من التشبيب والمبالغات ما لا يخفَىٰ، ولم ينكر عليه ذلك. ومن ذلك: (**قالت عائشة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، وكنت جالسة أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولَّد نورًا، فبُهِتُّ، فنظر إليَّ**) رسولُ الله ﷺ (**وقال: ما لكِ بُهتِّ؟ فقلت: يا رسول الله، نظرت إليك، فجعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولَّد نورًا، ولو رآك أبو كبير الهُذَلي**) أحد شعراء هُذَيل، واسمه [عامر بن] ثابت بن عبد شمس، من بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل[1] (**لعلمَ أنك أحق بشعره. قال**) ﷺ: (**وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي؟ قلت: يقول هذين البيتين:**

ومبـرَّأ مـن كل غُبَّـر حيضـةٍ ... وفسـاد مرضعـة وداء مُغِيـل

فـإذا نظـرتَ إلـىٰ أسِـرَّة وجهـه ... برقتْ كبرق العـارض المتهلِّل)[2]

غُبَّر الحيض كسكر: بقاياه، وكانوا يزعمون أن المرأة إذا جومِعت في غُبَّر الحيض وأراد الله تعالىٰ تكوين الولد جاء فاسدًا. وداء مغيل: من الغيلة، كانوا يزعمون أن المرضع إذا جومعت فسد لبنُها، فإذا شربه الرضيع كان فاسدًا. وأسِرَّة الوجه: خطوط تُرَىٰ في الجبهة. والعارض: السحاب. والمتهلِّل: المترقرق ماءً (**قالت: فوضع** ﷺ **ما كان بيده**) أي من آلة الخصف (**وقام إليَّ وقبَّل ما بين عينيَّ**) فرحًا وسرورًا (**وقال: جزاكِ الله خيرًا يا عائشة، ما سُرِرتِ مني كسروري منكِ**)

---

(١) الإكمال لابن ماكولا ٧/ ١٦١. توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٧/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٢) البيتان في ديوان الهذليين بشرح أبي سعيد السكري ٢/ ٩٣ - ٩٤ (ط - دار الكتب المصرية).

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة[(١)].

(ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حُنَين) بعد الانصراف منه (أمر) بإعطائها للمؤلَّفة قلوبهم، فأمر (للعباس بن مِرداس) السلمي، وكان مُطاع قومه (بأربع قلائص) أي النُّوق، فاستقلَّها (فاندفع يشكو في شعره يقول):

أتجعل نهبي ونهب العُبَيـ ـد بين عُيَينة والأقرع

(وفي آخره:

وما كان بدر ولا حابس يفوقان مِرداس في مَجمع

وما كنتُ دون امرئ منهما ومَن تضع اليومَ لا يُرفَع)[(٢)]

يريد ببدر وحابس: أبا عيينة والأقرع. والنهب: اسم لِما يؤخذ من الغنائم. والعُبَيد بالتصغير: اسم فرس له (فقال ﷺ: **اقطعوا عني لسانه. فذهب به أبو بكر** رضي الله عنه **حتىٰ اختار مائة من الإبل، ثم رجع وهو من أرضىٰ الناسِ، فقال له** ﷺ: **أتقول فيَّ الشعرَ؟ فجعل**) العباس (يعتذر إليه ويقول: **بأبي أنت وأمي، إني لأجدُ للشعر دبيبًا علىٰ اللسان كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النملُ، فلا أجد بُدًّا من قول الشعر. فتبسَّم** ﷺ **وقال: لا تدع العرب الشعر حتىٰ تدع الإبل الحنينَ**) قال العراقي[(٣)]: رواه مسلم[(٤)] من حديث رافع بن خديج: أعطىٰ رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطىٰ عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس ابن مرداس:

---

(١) لم يخرجه في الدلائل، وإنما في السنن الكبرىٰ ٧/ ٦٩٤. وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٤٥ وهو غريب والله أعلم.

(٢) الأبيات في ديوان العباس بن مرداس ص ١١٠ - ١١٢.

(٣) المغني ٢/ ٧٩٣.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٤٦٩ - ٤٧٠.

أتجعل نهبي ونهب العُبَيد بين عُيَينة والأقرع
وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداسَ في مَجمع
وما كنتُ دون امرئ منهما ومَن تخفض اليومَ لا يُرفَع

قال: فأتمَّ له رسول الله ﷺ مائة. وزاد في رواية: وأعطىٰ علقمةَ بن عُلاثة مائة. وأما زيادة «اقطعوا عني لسانه» فليست في شيء من الكتب المشهورة، وذكرها ابن إسحاق في السيرة[1] بغير إسناد.

قلت: وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: ورواه إسماعيل القاضي من طريق عروة مرسلاً بالقصة، وأنه قال: «يا بلال، اذهب فاقطع لسانه ...» الحديث، أخرجه في النوادر له[2]. والله أعلم.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٣٣.

(٢) وأخرجه أيضا ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ١٦١ - ١٦٢، وفيه: «فقال رسول الله ﷺ: لأقطعن لسانك. وقال لبلال: إذا أمرتك أن تقطع لسانه فأعطه حُلة. ثم قال: يا بلال، اذهب به فاقطع لسانه. فأخذ بلال بيده ليذهب به، فقال: يا رسول الله، أيُقطع لساني؟! يا معشر المهاجرين، أيقطع لساني؟! يا للمهاجرين، أيقطع لساني؟! وبلال يجره، فلما أكثر قال: إنما أمرني أن أكسوك حلة أقطع بها لسانك. فذهب به، فأعطاه حلة».

الآفة العاشرة: المزاح

بكسر الميم مصدر مزح أو مازَح، وبالضم اسم ما يُمزَح به، وهو المطايبة في الكلام باللسان (**وأصله**) وكذا كثيره (**مذموم**) وكذا فاعله مذموم، وهو (**منهيٌّ عنه إلا قدرًا يسيرًا يُستثنَىٰ منه**) وهو ما خلا عن الباطل (**قال ﷺ: لا تُمارِ أخاك ولا تمازحه**) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس، وقد تقدم. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن أبي شيبة، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة، عن ابن عباس ... فساقه.

(**فإن قلت: المُماراة فيها إيذاء؛ لأن فيها تكذيبًا للأخ**) المؤمن (**والصديق**) المرافق (**أو تجهيلاً له**) وهي لا تخلو من هذين، فوجه النهي عنها ظاهر (**وأما المزاح فمطايبة**) في الكلام باللسان (**وفيه انبساط وطِيب قلب**) أي سبب لهما (**فلم يُنْهَ عنه**) وليس فيه ما ينشأ عنه المكروه شرعًا (**فاعلمْ أن المنهيَّ عنه**) أحد شيئين: (**الإفراط فيه**) وفي نسخة: منه. بأن يتجاوز عن الحد (**أو المداومة عليه**) فيتخذه ديدنًا له وصنعة (**أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل، واللعب مباح، ولكن المواظبة عليه مذمومة**) وفي نسخة: مذموم (**وأما الإفراط فيه**) أو منه (**فإنه يورث كثرةَ الضحك**) لأن الذي يفرط فيه إنما غرضه أن يُضحِك الناسَ (**وكثرة الضحك تميت القلبَ**) كما ورد في الخبر: «إياك وكثرة الضحك، فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب». والمراد بإماتته: غشيان الظُّلمة عليه الناشئة من الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ (**وتورث الضغينةَ في بعض الأحوال**) كما قاله عمر بن عبد العزيز، وسيأتي (**وتُسقِط المهابةَ**) والجلالة (**والوقار**) من أعين الأبرار، كما سيأتي من قول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**فما يخلو من هذه الأمور فلا يُذَم، كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: إني أمزح، ولا أقول إلا**

حقًّا) تقدم في كتاب أخلاق النبوة. وقال ابن أبي الدنيا[1]: حدثنا سعيد بن سليمان، عن أبي معشر، عن سعيد المقبُري، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، تمزح؟ قال: «نعم، ولا أقول إلا حقًّا» **(إلا أن مثله)** ﷺ **(يقدر علىٰ أن يمزح ولا يقول إلا حقًّا)** لكمال مشاهدته لجلال الحق سبحانه **(وأما غيره إذا فتح باب المزاح)** علىٰ نفسه **(كان غرضه أن يُضحِك الناسَ كيفما كان)** وإضحاك الناس سبب لإمالة قلوبهم، ولا يخفَىٰ ما فيه، كيف **(وقد قال** ﷺ**: إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة)** الواحدة لأجل أن **(يُضحِك بها جُلَساءه)** ومُعاشريه **(يهوي)** أي يسقط **(بها في النار)** أي نار جهنم **(أبعد من الثريّا)** وهو النجم المعروف. وفي لفظ: أبعد من صنعاء. وفي آخَر: سبعين خريفًا. وكل ذلك قد تقدم.

(وقال عمر رضي الله عنه**: مَن كثُر ضحكُه قلَّت هيبتُه)** أي وقاره من أعيُن الناس **(ومَن مزحَ استُخِفَّ به)** أي صار مَهينًا **(ومَن أكثرَ من شيء عُرف به)** وأشيرَ إليه به **(ومَن كثُر كلامُه)** ولو من غير مزاح **(كثُر سقطُه)** أي سقوطه في الكلام وكذبُه **(ومَن كثُر سقطُه قلَّ حياؤه)** فلا يبالي بما يفعله **(ومَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعُه)** أي خوفه من جلال هيبة الله تعالىٰ **(ومَن قلَّ ورعُه مات قلبه)** قال ابن أبي الدنيا[2]: حدثني أحمد بن عبيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي، حدثنا دُرَيد بن مُجاشِع، عن غالب القَطَّان، عن مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: مَن مزح استُخِفَّ به. وحدثني الحسن بن الصبَّاح، حدثنا محمد ابن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن موسىٰ بن عقيل أن الأحنف بن قيس كان يقول: من كثُر كلامه وضحكه ومزاحه قلَّت هيبته، ومَن أكثرَ من شيء عُرف به.

وروىٰ الطبراني في الأوسط والقُضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الأمثال من حديث ابن عمر: «مَن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر كذبه،

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢١١.

(٢) السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠.

ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أَولىٰ به». وقد تقدم.

وروىٰ ابن عساكر من حديث أبي هريرة: «مَن كثر ضحكه استُخِفَّ بحقه، ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته، ومن كثر مزاحه ذهب وقاره، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت خطاياه، ومن كثرت خطاياه كانت النار أَولىٰ به». قال: وهو غريب المتن والإسناد.

وقد روىٰ الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدًّا من حديث أنس: «الصمت سيد الأخلاق، ومَن مزح استُخِفَّ به»[1].

(**ولأن الضحك يدل علىٰ الغفلة عن الآخرة**) وما فيها من الأهوال (**قال ﷺ: لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرًا**) أي[2] لغلبة الخوف واستيلاء الحزن (**ولضحكتم قليلاً**) أي لتركتم الضحك، أو لم يقع منكم إلا نادرًا.

قال العراقي[3]: متفق عليه[4] من حديث أنس وعائشة بلفظ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا».

قلت: وكذلك رواه أحمد[5] والدارمي[6] والترمذي والنسائي[7] وابن

(١) تقدمت هذه الأحاديث الثلاثة قبل ذكر الآفة الأولىٰ.

(٢) فيض القدير ٥/ ٣١٥ - ٣١٦.

(٣) المغني ٢/ ٧٩٤.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٣٢٨، ٣/ ٢٢٥، ٣٩٣، ٤/ ١٨٨، ٢١٥. صحيح مسلم ١/ ٢٠٢، ٤٠٠، ٢/ ١١٠٧.

(٥) مسند أحمد ١٩/ ٥٦، ٢٩٥، ٢٠/ ٣٣، ٢٢٤، ٣١٢، ٤١٧، ٤٢٢، ٢١/ ١١، ١٦٥، ١٩٣، ٢٢٩، ٣٣٣، ٤٦٣.

(٦) سنن الدارمي ٢/ ٣٩٦.

(٧) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٨٧.

ماجه[١] وابن حبان[٢] كلهم من حديث أنس قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت بمثلها قط ... ثم ذكره. وجاء في رواية أن تلك كانت خطبة الكسوف.

ورواه أحمد[٣] والبخاري[٤] والترمذي[٥] من حديث أبي هريرة.

ومعنىٰ قوله «لو تعلمون ما أعلم» أي من عِظَم انتقام الله من أهل الجرائم وأهوال يوم القيامة وأحوالها ما علمتُه لَما ضحكتم أصلاً؛ إذ القليل بمعنىٰ العديم، علىٰ ما يقتضيه السياق[٦]؛ لأن «لو» حرف امتناع لامتناع. وقيل: معناه: لو تعلمون ما أعلم ممَّا أُعِدَّ في الجنة من النعيم وما حُفَّت به من الحُجُب لسهُل عليكم ما كُلِّفتم به، ثم إذا تأمَّلتم ما وراء ذلك من الأمور الخطرات وانكشاف الغطاء يوم العرض[٧] لاشتد خوفكم ولبكيتم كثيرًا، فالمعنىٰ منعُ البكاء لامتناع علمكم بالذي أعلم. وفيه من أنواع البديع: مقابلة الضحك بالبكاء، والقلة بالكثرة، ومطابقة كلٍّ منهما بالآخَر، وفيه ترجيح الخوف علىٰ الرجاء.

وروىٰ الحاكم في الأهوال وابن عساكر من طريق يونس بن خَبَّاب عن مجاهد عن أبي ذر رفعه: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ولَما ساغ لكم الطعام والشراب»[٨]. قال الحاكم: صحيح علىٰ شرطهما. وتعقَّبه الذهبي

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠٥.

(٢) صحيح ابن حبان ١٣/ ١٠٩.

(٣) مسند أحمد ١٢/ ٤٦٧، ١٣/ ٤٧٨، ١٥/ ٢٤٢، ٣٥٤، ٥٢٧، ١٦/ ٧٦، ١٤٨، ٣١٣.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٨٨، ٢١٦.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٤٥.

(٦) ذكره الكرماني في الكواكب الدراري ٦/ ١٣١.

(٧) في الفيض: وانكشاف المعظمات يوم العرض علىٰ فاطر السموات.

(٨) رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٤٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٢١٤ موقوفا علىٰ أبي ذر، وتمامه: «ولما نمتم علىٰ الفرش، ولهجرتم النساء، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون وتبكون، ولوددت أن الله خلقني شجرة تعضد». قال الذهبي في التلخيص: منقطع، ثم يونس رافضي لم يخرجا له.

وقال: بل هو منقطع.

وروىٰ ابن عساكر[١] من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعامًا علىٰ شهوة أبدًا، ولا شربتم شرابًا علىٰ شهوة أبدًا، ولا دخلتم بيتًا تستظلُّون به، ولمررتم إلىٰ الصعدات تكدمون صدوركم وتبكون علىٰ أنفسكم».

وروىٰ الطبراني والبيهقي[٢] والحاكم[٣] من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا، ولضحكتم قليلاً، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون».

وروىٰ الحاكم[٤] من حديث أبي هريرة: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا، ولضحكتم قليلاً، يظهر النفاق، وترتفع الأمانة ...» الحديث، وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي.

(وقال رجل لأخيه) وقد رآه يضحك: **(أأُنبئتَ)** أي أأُخبرتَ **(أنك وارد النار؟ قال: نعم)** وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١] **(قال: فهل أُنبئتَ أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيمَ الضحك؟ قيل: فما رؤيَ ضاحكًا حتىٰ مات)**[٥] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال يوسف بن أسباط) الشيباني رحمه الله تعالىٰ: **(أقام الحسن)** البصري

---

(١) تاريخ دمشق ٧٢/ ١٤٤.

(٢) شعب الإيمان ٢/ ٢٣٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٤.

(٤) السابق ٥/ ٤٢.

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٢٤ عن الحسن البصري. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٠٠ بلفظ: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد؟ فيقول: نعم. فيقول: هل أتاك أنك خارج منها؟ فيقول: لا. فيقول: ففيم الضحك إذًا»؟

رحمه الله تعالىٰ (**ثلاثين سنة لم يضحك**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[1].

(**وقيل: أقام عطاء السُّلَيمي أربعين سنة لم يضحك**) وكان شديد الخوف. قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو محمد ابن حيَّان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثني أبو عبد الله ابن عبيدة قال: سمعت عفيرة تقول: لم يرفع عطاء رأسه إلىٰ السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففُتق فتقًا في بطنه.

(**ونظر وُهَيب بن الورد**) المكي، قيل: اسمه عبد الوهاب، و«وهيب» لقب له (**قومًا يضحكون في**) يوم (**عيد فطر، فقال: إن كان هؤلاء قد غُفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يُغفَر لهم فما هذا فعل الخائفين**) قال أبو نعيم في الحلية[3]: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبيد، حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا سفيان قال: رأىٰ وهيب قومًا يضحكون يوم الفطر، فقال: إن كان هؤلاء تُقُبِّل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان هؤلاء لم يُتقبَّل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين.

وحدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين الحَذَّاء، حدثنا أحمد ابن إبراهيم، حدثني محمد بن يزيد بن خُنَيس قال: رأيت وهيب بن الورد صلىٰ ذات يومِ العيدَ، فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به، فنظر إليهم شَزَرًا ثم زفر ثم قال: لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مشفقين أنه قد تُقُبِّل منهم شهرهم هذا لكان ينبغي لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عمَّا هم فيه، وإن كانت الأخرىٰ لقد كان ينبغي أن يصبحوا أشغل وأشغل.

(**وكان عبد الله بن أبي يعلىٰ**) رحمه الله تعالىٰ (**يقول: أتضحك ولعل**

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٠ بلفظ: «مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وأربعين سنة لم يمزح، ويقول: لقد أدركت أقواما ما أنا عندهم إلا لص».

(٢) السابق ٦/ ٢٢١.

(٣) السابق ٨/ ١٤٩.

أكفانك قد خرجت من عند القَصَّار) وأنت لا تدري. هكذا هو في سائر النسخ: عن عبد الله بن أبي يعلىٰ. ولم أجد له ذكرًا. وفي نسخة المقاصد[١] للسخاوي: قال عبد الله بن ثعلبة. فانظرْه.

(وقال ابن عباس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(مَن أذنب ذنبًا وهو يضحك)** استخفافًا بما اقترفه **(دخل النار وهو يبكي)** جزاء وفاقًا وقضاء عدلاً. أخرجه أبو نعيم في الحلية[٢] عنه مرفوعًا، وفيه عمر بن أيوب المدني، قال الذهبي في الضعفاء[٣]: روىٰ عن أبي ضمرة وجماعة، جرَّحه ابنُ حبان[٤].

(وقال) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري رحمه الله تعالىٰ: **(إذا رأيتَ في الجنة رجلاً يبكي ألستَ تعجب من بكائه؟ قيل: بلىٰ. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلىٰ ماذا يصير هو أعجب منه.**

فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا، والمحمود منه التبسُّم الذي ينكشف فيه السن ولا يُسمَع له صوت، كذلك كان ضحكُ رسول الله ﷺ) أي التبسم، وقد ذُكر في كتاب أخلاق النبوَّة.

(قال القاسم مولىٰ معاوية) بن أبي سفيان، وكأنه القاسم[٥] بن عبد الرحمن الدمشقي، مولىٰ خالد بن يزيد بن معاوية، صاحب أبي أمامة [صدوق] يُغرِب كثيرًا، قال الذهبي في الضعفاء: قال أحمد: حدَّث عنه علي بن يزيد بأعاجيب، وما

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٣١٤. وكذا هو في حلية الأولياء ٦/ ٢٤٦ وشعب الإيمان ٢/ ٢٤٨ وقصر الأمل لابن أبي الدنيا ص ٤٧. وسيذكره الغزالي في كتاب المراقبة والمحاسبة علىٰ الصواب.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٩٦.

(٣) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢٩٠.

(٤) المجروحون من المحدثين ٢/ ٦٦، ونصه: «شيخ يروي عن أبي ضمرة وابن أبي فديك وعبد الله ابن نافع المقلوبات، وغيرهم من الثقات الملزقات، لا يحل الاحتجاج به».

(٥) تقريب التهذيب لابن حجر ص ٧٩٢. ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ص ٣٢٤.

أراها إلا من قِبَل القاسم[١]. وقد روىٰ له الأربعة. قال: (**أقبل أعرابي إلىٰ النبي ﷺ علىٰ قلوص له صعب، فسلَّم، فجعل كلما دنا من النبي ﷺ ليسأله نفرَ به**) ومُنع من القُرب (**وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون منه**) ممَّا صنع به قلوصُه (**ففعل ذلك مِرارًا**) وفي نسخة: ثلاث مرات (**ثم وقصه**) أي ألقاه علىٰ رأسه فاندقَّت عنقُه (**فقتله، فقيل: يا رسول الله، إن الأعرابي قد صرعه قلوصُه، وقد هلك**) أي مات (**قال: نعم، وأفواهكم ملأىٰ من دمه**) يشير إلىٰ ما صنعوا من الضحك عليه. قال العراقي[٢]: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق، وهو مرسل.

(**وأما إذا أدَّىٰ المزاح إلىٰ سقوط الوقار فقد قال عمر** رضي الله عنه: **مَن مزحَ استُخِفَّ به**) أخرجه ابن أبي الدنيا، وقد تقدم.

(**وقال**) أبو عبد الله (**محمد بن المنكدر**) بن[٣] عبد الله بن الهُدَير التيمي المدني، ثقة، فاضل، روىٰ له الجماعة (**قالت لي أمي**) قال[٤] أبو القاسم اللالكائي: كان المنكدر خال عائشة، فشكا إليها الحاجةَ، فقالت له: إن لي شيئًا يأتيني أبعث به إليك. فجاءتها عشرة آلاف، فبعثت بها إليه، فاشترىٰ جارية من العشرة آلاف فولدت له محمدًا وأبا بكر وعمر (**يا بني، لا تمازح الصبيان فتهون عندهم**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر

---

(١) نقله عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٧/ ١١٣. وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١/ ٥٦٥: «سمعت أبي يقول وذكر القاسم أبا عبد الرحمن فقال: قال بعض الناس: هذه الأحاديث المناكير التي يرويها عنه جعفر ابن الزبير وبشر بن نمير ومطرح، قال أبي: علي بن يزيد من أهل دمشق، حدث عنه مطرح، ولكن يقولون: هذه من قبل القاسم، في حديث القاسم مناكير مما يرويها الثقات يقولون: من قِبل القاسم».

(٢) المغني ٢/ ٧٩٤.

(٣) تقريب التهذيب ص ٨٩٩.

(٤) تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٨.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٩.

قال: قالت لي أمي: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم.

(وقال) أبو عثمان **(سعيد بن العاص)** بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أميَّة القرشي الأموي، أحد أشراف قريش وأجوادها **(لابنه)** وهو عمرو بن سعيد، ويُعرَف بالأشدق، وقد تقدم ذِكرُه **(يا بني، لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك)** أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن أبي صالح المروزي، حدثنا عبد العزيز بن أبي رِزْمة، عن عبد الله بن المبارك قال: قال سعيد بن العاص لابنه ... فساقه. وأخرجه الدينوري في المجالسة[٢] من طريق أبي عبيدة قال: قال سعيد ... فذكره.

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ: اتقوا الله، وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينةَ، ويجرُّ إلىٰ القبيح، تحدَّثوا بالقرآن وتَجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديثٌ حسنٌ من حديث الرجال) أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن أبي كُرَيب، حدثنا زكريا بن عدي، عن عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد قال: قال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله، وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينةَ ويجرُّ القبيحةَ، تحدَّثوا بالقرآن وتجالسوا به ... والباقي سواء.

(وقال عمر رضي الله عنه**: أتدرون لِمَ سُمِّي المزاح مزاحًا؟ قالوا: لا. قال: لأنه زاح صاحبَه عن الحق)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٤] عن علي بن الحسن، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث بن سعد أن عمر بن الخطاب قال: هل تدرون ... فساقه.

(وقيل: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح) أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن

---

(١) السابق ص ٢١١.

(٢) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٢٤٥.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢١١.

(٤) السابق ص ٢١١.

(٥) السابق ص ٢١١ - ٢١٢.

الحسين بن عبد الرحمن قال: قال خالد بن صفوان: كان يقال: لكل شيء بذر ... فساقه.

(**ويقال: المزاح مَسلبة للنُّهَىٰ**) هكذا في النسخ، أي العقول (**مَقطعة للأصدقاء**) أخرجه ابن أبي الدنيا[1] عن الحسين بن عبد الرحمن قال: كان يقال: المزاح مَسلبة للبهاء، مَقطعة للصداقة.

(**فإن قلتَ: فقد نُقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه**) الكرام (**فكيف يُنهَىٰ عنه؟ فأقول**): إنه[2] ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم علىٰ غاية من سعة الصدر، ودوام البِشر، وحُسن الخُلق، وإفشاء السلام، والبدار به علىٰ مَن لقيه، والوقوف مع مَن استوقفه، والمشي مع مَن أخذ بيده حتىٰ من الولدان والإماء، والمزاح بالحق أحيانًا، وإجابة الداعي، ولِين الجانب، حتىٰ يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه، وهذا ميدان ليس فيه إلا واجب أو مستحَب، ولو لم يكن من مباسطته لهم إلا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألُّفهم حتىٰ يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون علىٰ الاجتماع به والأخذ عنه لكان ذلك هو الغاية العظمىٰ في الكمال. وأنت (**إن قدرتَ علىٰ ما قدر عليه رسول الله ﷺ وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقًّا ولا تؤذي قلبًا ولا تُفرِط فيه وتقتصر عليه أحيانًا علىٰ الندور**) والقلة (**فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة**) وصنعة (**يواظب عليه ويُفرِط فيه ثم يتمسَّك بفعل الرسول ﷺ**) ويقول: أنا مقتدٍ به (**وهو كمَن يدور نهاره**) أجمع (**مع الزنوج**) والحبشة (**ينظر إليهم وإلىٰ رقصهم**) ولعبهم (**ويتمسَّك بأن رسول الله ﷺ أذنَ لعائشة**) ﵂ (**في النظر إلىٰ رقص الزنوج في يوم عيد**) كما تقدم في كتاب السماع، يقال: هو يوم عيد فطر (**وهو خطأ؛ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار**) عليه (**ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار، فلا ينبغي**

---

(١) السابق ص ٢١٢.

(٢) أشرف الوسائل إلىٰ فهم الشمائل لابن حجر الهيتمي ص ٣٢٧.

أن يُغفَل عن هذا. نعم، روىٰ أبو هريرة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما رواه الترمذي في السنن[١] وفي الشمائل[٢] وحسَّنه وقال: رجاله موثَّقون **(أنهم قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا. قال: إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقًّا)** والمداعبة[٣] هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره، وكأنَّهم قصدوا بذلك إما السؤال عن المداعبة هل هي من خواصِّه فلا يتأسَّون به فيها؟ فبيَّن لهم أنها ليست من خواصِّه، وأن جوازها منوط بقول الحق. وإما استبعادهم وقوع المزاح منه ﷺ لجليل مكانته وعظيم مرتبته، فكأنَّهم سألوه عن حكمته فأجابهم. قال ابن حجر المكي في شرح الشمائل: وهذا أَولىٰ من قول الطيبي[٤]: فكأنهم أنكروه فردَّ عليهم من باب القول بالموجَب. فإن المداعبة لا تنافي الكمالَ، بل هي من توابعه ومتمِّماته إذا كانت جارية علىٰ القانون الشرعي بأن تكون علىٰ وفق الصدق والحق وبقصد تألُّف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور عليهم والرفق بهم، والمنهيُّ عنه منها في الحديث السابق من رواية الترمذي «لا تُمارِ أخاك ولا تمازحه» إنما هو الإفراط فيها والدوام عليها؛ لأنه يورث آفات كثيرة ظاهرة وباطنة من القسوة والغفلة والإيذاء وإيراث الحقد وإسقاط المهابة وغير ذلك، ومزاحه ﷺ سالم من جميع هذه الأمور، ويقع منه علىٰ جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسة بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنَّة، وما قيل إن الأظهر أنه مباح لا غير فضعيف؛ إذ الأصل في أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسِّي به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه، فتعيَّن الندبُ، كما هو مقتضَىٰ كلام الفقهاء والأصوليين.

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٩.

(٢) الشمائل المحمدية ص ١١٢.

(٣) أشرف الوسائل ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣١٤٠، وعبارته: «تصدير الجملة بـ «إن» المؤكدة يدل علىٰ إنكار أمر سابق، كأنهم قالوا: لا ينبغي لمثلك في صدر الرسالة ومكانتك من الله تعالىٰ المداعبة، فأجابهم بالقول الموجب، أي نعم أداعب ولكني لا أقول إلا قولا حقا».

(**وقال عطاء**) بن أبي رباح (**أن رجلاً سأل ابن عباس**) رضي الله عنه فقال: (**أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ قال: نعم. قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان مزاحه أنه ﷺ كسا ذات يوم امرأةً من نسائه ثوبًا واسعًا، فقال لها: البسيه واحمدي وجُرِّي منه ذيلاً كذيل العروس**) قال العراقي[1]: لم أقف عليه[2].

قلت: والذي رُوي عن ابن عباس فيما أخرجه الطبراني وابن عساكر أنه سُئل: هل كان ﷺ يداعب؟ فقال: كان فيه دعابة قليلة.

(**وروىٰ أنس**) رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه**) أي أمزحهم إذا خلا بنحو أهله. رواه ابن عساكر في التاريخ، وقد تقدم في كتاب النبوة.

(**ورُوي أنه**) ﷺ (**كان كثير التبسُّم**) تقدم في كتاب أخلاق النبوة. وروىٰ أحمد والترمذي والحاكم من حديث جابر بن سمرة: كان لا يضحك إلا تبسمًا. وقد تقدم أيضًا.

(**وعن الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ (**قال: أتت عجوز**) قيل[3]: هي عمَّته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير رضي الله عنها (**إلىٰ النبي ﷺ، فقال لها ﷺ: لا يدخل الجنة عجوزٌ. فبكت، فقال: إنكِ لستِ بعجوز يومئذٍ**) بل شابة، قيل: كأنَّه ﷺ فهم أنها تطلب أن تدخل الجنة علىٰ هيئتها وقت موتها فردَّ اعتقادَها فداعبها، ويحتمل أن لا يكون مداعبة، ويكون عدُّها مداعبةً من فهم الحاضرين. وهذا قد ردَّه ابن حجر في شرح الشمائل فقال: فيما قاله أولاً نظرٌ؛ إذ لا يحتاج في عدِّه مداعبةً إلىٰ دعوىٰ أنه ﷺ فهم ذلك، بل إلىٰ لفظ أوهمَ ذلك، واحتماله المذكور ليس في محلِّه لا سيَّما وفيه سوء أدب علىٰ الصحابة الحاضرين بجعله نفسه فهم أنه غير مداعبة

---

(١) المغني ٢/ ٧٩٥.

(٢) بل رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٤١ بهذا اللفظ.

(٣) أشرف الوسائل ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

وهم فهموا المداعبة، وهو فهمُ غير صحيح، وفي ذلك من قلة الأدب ما لا يخفىٰ، بل فيه عدم حفظ القواعد الأصولية المصرِّحة بأن فهم الصحابي مقدَّم علىٰ فهم غيره؛ لأنه أعرف بمرويِّه؛ لمشاهدته من القرائن الحاليَّة والمقالية ما لم يشاهده غيره، فوجب تقديم فهمه علىٰ فهم غيره، وتأملْ مزحه ﷺ تجده لا يخلو من بشرىٰ عظيمة أو فائدة عزيزة أو مصلحة تامة، فهو في الحقيقة غاية الجد، وليس مزاحًا إلا باعتبار الصورة فقط (**قال الله تعالىٰ**: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾) أي خلقناهن من غير توسُّط ولادة (﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾) [الواقعة: ٣٥ - ٣٦] أي كلما جاء الرجل وجدها بكرًا، ويحتمل أن المراد: ثم ربَّيناهن حتىٰ وصلن لحدِّ التمتُّع، ويحتمل - وهو الظاهر - أنهن خُلقن ابتداءً كاملات من غير تدريج في التربية والسن، وهذا بناء علىٰ ما يصرِّح به سياق القرآن أن الضمير للحور، وحينئذٍ فوجه المطابقة بين هذا وما نحن فيه أنه يُعلَم به أن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالىٰ خلقًا آخر يناسب الدوامَ والبقاء، وذلك يستلزم كمالَ الخلق وتوفُّر القوىٰ البدنية كلها وانتفاء صفات النقص عنها، ثم قال: ﴿عُرُبًا﴾ أي متحبِّبات إلىٰ أزواجهن بحسن التبعُّل ﴿أَتۡرَابٗا ٣٧﴾ علىٰ سن واحد ثلاثة وثلاثين؛ إذ هو كمال أسنان نساء الدنيا.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي في الشمائل[٢] هكذا مرسلاً، وأسنده ابن الجوزي في الوفاء[٣] من حديث أنس بسند ضعيف.

(**وروىٰ زيد بن أسلم**) أبو[٤] عبد الله، مولىٰ عمر بن الخطاب، ثقة، عالم، وكان يرسل، روىٰ له الجماعة (**أن امرأة يقال لها أم أيمن**) هي بركة الحبشية مولاة رسول الله ﷺ، أعتقها وزوَّجها زيدَ بن حارثة، فهي أم أسامة بن زيد (**جاءت إلىٰ**

(١) المغني ٢/ ٧٩٥.

(٢) الشمائل المحمدية ص ١١٣.

(٣) الوفا بتعريف فضائل المصطفىٰ ٢/ ١٠٨ (تحقيق: محمد زهري النجار).

(٤) تقريب التهذيب ص ٣٥٠.

النبي ﷺ فقالت: إن زوجي) عنت به زيدَ بن حارثة **(يدعوك. فقال: ومَن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ قالت: واللهِ ما بعينه بياض. فقال: بلىٰ، إن بعينه بياضًا. فقالت: لا واللهِ. فقال ﷺ: ما من أحد إلا وبعينه بياض. وأراد به البياض المحيط بالحَدَقة)** لا البياض العارض علىٰ الحدقة كما يتبادر إليه الفهم. قال العراقي[١]: رواه الزبير بن بكَّار في كتاب الفكاهة والمزاح، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن سهم الفِهْري مع اختلاف.

(وجاءت امرأة أخرىٰ فقالت: يا رسول الله، احملني علىٰ بعير. فقال: بل نحملكِ علىٰ ابن البعير. فقالت: ما أصنع به؟ إنه لا يحملني. فقال ﷺ: وهل بعير إلا وهو ابن بعير؟ فكان يمزح به) قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] والترمذي[٤] وصحَّحه من حديث أنس بلفظ: «إنَّا حاملوكِ علىٰ ولد الناقة».

قلت: وأخرجه الترمذي في الشمائل[٥]، وفيه أن الذي استحمله رجل، فقال له: «إني حاملك علىٰ ولد ناقة». وفيه: «وهل تلد الإبلَ إلا النوقُ».

(وقال أنس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(كان لأبي طلحة)** زيد بن سهل الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو زوج أم أنس **(ابن يقال له أبو عُمَير)** وهو أخو أنس لأمه **(وكان رسول الله ﷺ يأتيهم)** تأنيسًا لخاطرهم ويخالطهم **(ويقول)** مداعبًا مع الصبي: **(يا أبا عُمَير ما فعل النُّغَير)**؟ أي ما شأنه؟ وما حاله؟ وهو مصغَّر النغرة **(لنُغَير كان يلعب به، وهو ولد العصفور)** أو طائر يشبه العصفور. رواه البخاري ومسلم بلفظ: كان ﷺ أحسن الناس خُلقًا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان له نُغَير يلعب به، فمات، فدخل

---

(١) المغني ٢/ ٧٩٦.

(٢) السابق ٢/ ٧٩٦.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٢.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٩.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١١٢.

عليه النبي ﷺ فرآه حزينًا فقال: «ما شأنه»؟ فقالوا: مات نغيره. فقال: «يا أبا عمير ما فعل النغير». وقد تقدم ذلك في كتاب أخلاق النبوة.

(وقالت عائشة ﵂: خرجتُ مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر، فقال: تعالي حتىٰ أسابقكِ. فشددتُ عليَّ درعي) وفي نسخة: فشددت درعي **(علىٰ بطني، ثم خططنا خطًّا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال: هذه مكان ذي المجاز)** وهو اسم مكان بمكة **(وذلك أنه جاء يومًا ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال: أعطنيه. فأبيتُ وسعيت، وسعىٰ في أثري فلم يدركني)** قال العراقي[1]: لم أجد له أصلاً، ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر.

(وقالت) عائشة ﵂ **(أيضًا: سابقني رسولُ الله ﷺ فسبقتُه، فلما حملتُ اللحم سابقني فسبقني وقال: هذه بتلك)** رواه النسائي وابن ماجه، وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وقالت) عائشة ﵂ **(أيضًا: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زَمْعة)** ابن[2] قيس بن عبد شمس العامرية، أم المؤمنين ﵂، تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، ولما أسنَّت وهبت يومها لعائشة ﵂، ولها حديث في مسند أحمد[3]، وتوفيت في آخر خلافة عمر[4] ﵁ **(فصنعتُ خزيرة وجئت بها، فقلت لسودة: كلي. فقالت: لا أحبه. فقلت: واللهِ لتأكلن أو لألطِّخن وجهك)** به **(فقالت: ما أنا بذائقته. فأخذت بيدي من الصحفة شيئًا منه فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ**

---

(١) المغني ٢/ ٧٩٦. هو عند الطحاوي في ثم مشكل الآثار ٥/ ١٤٤ وغزوة بدر هي الأخرىٰ

(٢) تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٠٠ - ٢٠٣. الإصابة ١٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤. الاستيعاب ٢/ ٥٣٦.

(٣) بل ثلاثة أحاديث [مسند أحمد ٤٥/ ٤٠٧ - ٤٠٩]. وذكر لها المزي حديثين عند البخاري والنسائي وأبي داود.

(٤) وذكر ابن حجر قولا آخر فقال: «ويقال: ماتت سنة أربع وخمسين، ورجحه الواقدي». قلت: وما رجحه الواقدي أخذ به الزركلي في الأعلام ٣/ ١٤٥.

جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ﷺ ركبته لتستقيد مني، فتناولتْ من الصحفة شيئًا فمسحت به وجهي، وجعل رسول الله ﷺ يضحك) قال العراقي[١]: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح وأبو يعلىٰ[٢] بإسناد جيد.

(ورُوي أن الضحَّاك بن سفيان) بن[٣] عوف العامري **(الكلابي)** كنيته أبو سعيد، ولاَّه رسول الله ﷺ علىٰ قومه الذين أسلموا، وكان أحد الأبطال، يُعَدُّ بمائة فارس، ولما سار رسول الله ﷺ إلىٰ مكة أمَّره علىٰ بني سليم. روىٰ له الأربعة **(كان رجلاً دميمًا)** بالدال المهملة، أي قصيرًا[٤] **(قبيحًا)** أي في الصورة **(فلما بايعه النبي ﷺ قال)** أي الضحاك: **(إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحُمَيراء)** يعني بها عائشة ﵂ **(وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب - أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟ وعائشة)** ﵂ **(جالسة تسمع، فقالت)** عائشة: **(أهن أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منهن وأكرمُ. فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه؛ لأنه كان دميمًا)** أي حقيرًا قصيرًا. قال العراقي[٥]: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح من رواية عبد الله بن حسن بن حسن مرسلاً أو معضلاً. وللدارقطني[٦] نحو هذه

---

(١) المغني ٢/ ٧٩٧.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٤٤٩. وتمام الحديث: «فضحك النبي ﷺ ووضع يده لها وقال لها: الطخي وجهها. فضحك النبي ﷺ لها، فمر عمر، فقال: يا عبد الله، يا عبد الله. فظن أنه سيدخل، فقال: قوما فاغسلا وجوهكما. قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ». وقد رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ٨/ ١٦٢ بنحوه.

(٣) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٦١ - ٢٦٢. الإصابة ٥/ ١٨٤ - ١٨٥. الاستيعاب ١/ ٤٤٥ - ٤٤٦. أسد الغابة ٣/ ٤٧ - ٤٨.

(٤) في تاج العروس ٣٢/ ١٧٤: «الدميم: الحقير والقبيح، وقال ابن الأعرابي: الدميم بالدال في قده، وبالذال في أخلاقه».

(٥) المغني ٢/ ٧٩٧.

(٦) سنن الدارقطني ٤/ ٣٠٩ - ٣١٠، ولفظه: «كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: =

القصة مع عيينة بن حصن الفَزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

قلت: وروىٰ[١] سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: جاء عيينة بن حصن إلىٰ النبي ﷺ وعنده عائشة، فقال: مَن هذه؟ وذلك قبل أن ينزل الحجاب، فقال: «هذه عائشة». فقال: ألا أنزل لك عن أم البنين؟ فغضبت عائشة وقالت: مَن هذا؟ فقال: «هذا الأحمق المطاع» يعني في قومه. هكذا رواه مرسلاً، ورجاله ثقات. وأخرجه الطبراني[٢] من وجه آخر موصولاً عن جرير أن عيينة بن حصن دخل علىٰ النبي ﷺ فقال وعنده عائشة: مَن هذه الجالسة إلىٰ جنبك؟ قال: «عائشة». قال: أفلا أنزل لك عن خير منها؟ يعني امرأته، فقال له النبي ﷺ: «اخرج فاستأذِنْ». فقال: إنها يمين عليَّ أن لا أستأذن علىٰ مُضَريٍّ. فقال عائشة: من هذه؟ ... فذكره.

(وروىٰ أبو سلمة) بن[٣] عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، ثقة، مكثر، مات سنة أربع وتسعين (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (أنه ﷺ كان يدلع لسانه للحسن بن علي) رضي الله عنهما (فيرىٰ الصبي لسانه فيهش له) أي يفرح له ويُقبِل إليه (فقال له عُيَينة بن بدر الفَزاري) هو[٤] عيينة بن حصن بن حذيفة

= تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ فدخل عيينة بن حصن الفزاري علىٰ رسول الله ﷺ وعنده عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له رسول الله ﷺ: يا عيينة فأين الاستئذان؟ فقال: يا رسول الله، ما استأذنت علىٰ رجل من مضر منذ أدركت. قال: من هذه الحميراء إلىٰ جنبك؟ قال رسول الله ﷺ: هذه عائشة أم المؤمنين. قال: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ فقال: يا عيينة، إن الله قد حرم ذلك. فلما أن خرج قالت عائشة: يا رسول الله، من هذا؟ قال: أحمق مطاع، وإنه علىٰ ما ترين لَسيد قومه».

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) المعجم الكبير ٢/ ٣٠٥.

(٣) تقريب التهذيب ص ١١٥٥.

(٤) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٤٣٢.

ابن بدر الفزاري ، من المؤلَّفة قلوبهم، شهد حنينًا والطائف، وكان أحمق مطاعًا، دخل علىٰ النبي ﷺ بغير إذن وأساء الأدب، فصبر النبي ﷺ علىٰ جفوته وأعرابيَّته، وقد ارتدَّ[١]، وكان يتبعه عشرة آلاف قناة. كان من الجرارة، واسمه حذيفة، ولقبه عيينة لشترِ عينه (**والله ليكونن لي الابن رجلاً قد تزوج وبقل وجهُه وما قبَّلتُه قط. فقال ﷺ: إَن من لا يَرحم لا يُرحَم**) قال العراقي[٢]: رواه أبو يعلىٰ[٣] من هذا الوجه بسند جيد دون ما في آخره من قول عيينة، وهو عيينة بن حصن بن بدر، نُسب إلىٰ جده، وحكىٰ الخطيب في المبهمات[٤] قولين في قائل ذلك، أحدهما: أنه عيينة بن حصن، والثاني: أنه الأقرع بن حابس. وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبِّل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم. فقال رسول الله ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم».

قلت: وحديث «مَن لا يَرحم لا يُرحم» رواه الشيخان[٥] والطبراني[٦] من حديث جرير. ورواه أحمد[٧] والشيخان[٨] وأبو داود[٩] والترمذي[١٠] وابن حبان[١١] من حديث أبي هريرة. ورواه الطبراني[١٢] أيضًا من حديث ابن عمر. ورواه أبو نعيم

(١) بعده في التجريد: «وآمن بطليحة، ثم أُسر فمنَّ عليه الصديق، ثم لم يزل مظهرا للإسلام».

(٢) المغني ٢/ ٧٩٧.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ٢٩٧، ٣٨٥، ٥٠٠. وقد رواه بتمامه مع قول عيينة: ابن حبان في صحيحه ١٢/ ٤٠٨ - ٤٠٩، ١٥/ ٤٣١.

(٤) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة ص ٤٠١ - ٤٠٢.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٩٤، ٣٧٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٥.

(٦) المعجم الكبير ٢/ ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٧) مسند أحمد ١٢/ ١٧، ٢٣٦، ١٣/ ٨٨، ١٦/ ٣٩٣.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ٩١. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٥.

(٩) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٨.

(١٠) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٤.

(١١) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٠٢، ٢١٠، ١٢/ ٤٠٦ - ٤٠٩.

(١٢) المعجم الكبير ١٢/ ٤٠٣، ١٣/ ١٦٩.

في الحلية عن الأقرع بن حابس. وهو في الأدب المفرد للبخاري عن الأقرع ابن حابس مع القصة التي ذكرها المصنِّف.

(**فأكثرُ هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان، وكان يفعل ذلك ﷺ معالجةً لضعف قلوبهم**) وتأنيسًا لخواطرهم، مع إرشادهم لِما فيه مصلحة تامة (**من غير ميل إلىٰ هزل**) أو سخرية؛ إذ كان انبساطه مع الغير سالمًا من الإيذاء، وبه فارق الهزلَ والسخرية.

(**وقال ﷺ مرةً لصهيب**) بن[١] سنان بن خالد الربعي النمري، كنيته أبو يحيىٰ، وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبتْه وهو صغير فنشأ فيهم، ثم ابتاعته كلب، وأُبيعَ بمكة (**وبه رمدٌ وهو يأكل تمرًا: أتأكل التمر وأنت رَمِدٌ؟! فقال: إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله**) وكأنَّه كان رَمِدًا بإحدىٰ عينيه، وقد صرَّح الأطباء أن أكل مثل التمر للعين الرمداء مضرٌّ (**فتبسم ﷺ**) قال العراقي[٢]: رواه ابن ماجه[٣] والحاكم[٤] من حديث صهيب، ورجاله ثقات (**قال بعض الرواة**) لهذا الحديث: (**حتىٰ نظرت إلىٰ نواجذه**) أي[٥] أضراسه أو أنيابه أو ضواحكه، أقوال، والحاصل من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد علىٰ التبسم، وربما زاد علىٰ ذلك حتىٰ تبدو نواجذه، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه والإفراط فيه، كما تقدم.

(**ورُوي أن خَوَّات بن جبير**) بن[٦] النعمان بن أميَّة (**الأنصاري**) الأوسي، كنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو صالح، أحد فرسان رسول الله ﷺ، شهد بدرًا، وقال ابن

(١) تجريد أسماء الصحابة ١/ ٢٦٩.

(٢) المغني ٢/ ٧٩٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ١١٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٩٠، ٤/ ٥٧١.

(٥) أشرف الوسائل ص ٣٢١.

(٦) تجريد أسماء الصحابة ١/ ١٦٣.

إسحاق[١]: لم يشهدها، وأُسهِم له. وقيل: هو صاحب ذات النحيين: امرأة من بني تيم الله كانت تبيع السمن، وقصتها مشهورة[٢]، توفي سنة أربعين وله أربع وسبعون سنة (**كان جالسًا إلىٰ نسوة من بني كعب**) وفي بعض النسخ: من قريش (**بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: أبا عبد الله، ما لك مع النسوة؟ فقال: يفتلن ضفيرًا**) أي حبلاً يضفرنه (**لجمل لي شَرُود**) أي نَفُور (**قال: فمضىٰ رسول الله ﷺ لحاجته، ثم عاد**) أي رجع عليه (**فقال له: أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجملُ الشرادَ**) أي النفرة (**بعدُ؟ قال: فسكتُّ واستحييتُ، وكنت بعد ذلك أتفرَّر منه كلما رأيته حياءً منه**) أن يكلمني بذلك الكلام (**حتىٰ قدمت المدينة وبعدما قدمت المدينة. قال: فرآني في المسجد يومًا أصلي، فجلس إليَّ، فطوَّلت**) في الصلاة (**فقال: لا تطوِّل، فإني أنتظرك. فلما سلَّمت**) من الصلاة (**قال: أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجملُ الشرادَ بعدُ؟ قال: فسكتُّ واستحييتُ، فقام، وكنت بعد ذلك أتفرَّر منه، حتىٰ لحقني يومًا وهو علىٰ حمار وقد جعل رجليه في شق واحد، فقال: أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعدُ؟ فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. فقال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهدِ أبا عبد الله. قال: فحسن إسلامُه وهداه الله**) ببركة دعوة النبي ﷺ. قال العراقي[٣]: رواه الطبراني في الكبير[٤] من رواية زيد بن أسلم عن خوَّات بن جبير مع اختلاف، ورجاله ثقات، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعةَ بن عمرو.

قلت: وكذلك رواه الإمام البغوي في معجم الصحابة[٥] روياه من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم أن خوَّات بن جبير قال: نزلت مع النبي ﷺ بمر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٣٢.

(٢) تقدمت هذه القصة في كتاب العلم.

(٣) المغني ٢/ ٧٩٨.

(٤) المعجم الكبير ٤/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٥) معجم الصحابة ٢/ ٢٧٦.

الظهران. قال: فخرجت من خبائي، فإذا بنسوة يتحدَّثن، فأعجبنني، فرجعت إلىٰ خِبائي فأخذت حُلَّتي فلبستها وجلست إليهن، وخرج رسول الله ﷺ من قُبَّته، فلما رآني هبته فقلت: يا رسول الله، جمل لي شرود، فأنا أبتغي له قيدًا ... الحديث بطوله.

وربيعة[1] بن عمرو المذكور هو الدمشقي، أبو الغاز الجُرَشي، مختلَف في صحبته، قُتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين.

(وكان نعيمان) بن عمرو بن رفاعة النجَّاري **(الأنصاري)** رضي الله عنه **(رجلاً مَزَّاحًا)** أي كثير المزح والدعابة **(وكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتَىٰ به إلىٰ النبي ﷺ فيضربه بنعليه، ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: لعنك الله. فقال له النبي ﷺ: لا تفعل، فإنه يحب الله ورسوله)** رواه البخاري من حديث عمر نحوه، وفيه: فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله». وقد تقدم ذلك قريبًا في الآفة الثامنة. قال: **(وكان)** نُعَيمان المذكور **(لا يدخل المدينة رسلٌ ولا طرفة إلا اشترىٰ منها ثم جاء به إلىٰ النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله، هذا قد اشتريته لك وأهديته لك. فإذا جاء صاحبه يطالب نعيمانَ بثمنه)** وفي نسخة: يتقاضاه بالثمن **(جاء به إلىٰ رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله، أعطِه ثمن متاعه. فيقول له ﷺ: أوَ لم تُهدِه لنا؟! فيقول: يا رسول الله، إنه والله لم يكن عندي ثمنه، وأحببتُ أن تأكل منه. فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بالثمن)** قال العراقي[2]: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة ومن طريقه ابنُ عبد البر[3] من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً.

قلت: رواه من طريق أبي طُوالة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن

---

(١) تقريب التهذيب ص ٣٢٣.

(٢) المغني ٢/ ٧٩٩.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٣١٦.

أبيه. وروىٰ أبو يعلىٰ في مسنده[1] أن رجلاً كان لا يدخل المدينةَ طرفةٌ إلا اشترىٰ منها ... فذكره، وقال أيضًا: كان يُهدِي إليه ﷺ العُكَّة من السمن أو العسل، فإذا طولِب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبي ﷺ: أعطِه [ثمن] متاعه. فما يزيد ﷺ علىٰ أن يتبسَّم ويأمر به فيعطَىٰ.

(**فهذه مطايبات يباح مثلُها علىٰ الندور**) والقلة (**لا علىٰ الدوام، والمواظبة عليها هزلٌ مذموم وسبب للضحك المميت للقلب**) المورِث للغفلة والقساوة والإعراض عن ذكر الله وعن التفكُّر في مهمَّات الدين، وغير ذلك ممَّا سبق ذِكرُ بعضه. والله الموفِّق.

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١/ ١٦١ من طريق زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رجلا كان يلقب حمارا، وكان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاه جاء به إلىٰ رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ علىٰ أن يبتسم ويأمر به فيعطَىٰ.

الآفة الحادية عشر: السخرية والاستهزاء

(وهذا محرَّم مهما كان مؤذيًا، كما قال الله تعالىٰ) في الزجر عنه: (﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾) تمامه: (﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾) [الحجرات: ١١] قال[١] مجاهد: أي لا يستهزئ قوم بقوم، إن يكن رجلاً فقيرًا أو غنيًّا أو تفضَّل رجلٌ عليه فلا يستهزئ به. أخرجه عبد بن حميد وابن جرير[٢] وابن المنذر. وقال مقاتل: هذه الآية نزلت في قوم من بني تميم استهزءوا من بلال وسلمان وعمار وخَبَّاب وصُهَيب وابن فهيرة وسالم مولىٰ أبي حذيفة. أخرجه ابن أبي حاتم (ومعنىٰ السخرية: الاستحقار والاستهانة والتنبيه علىٰ العيوب والنقائص علىٰ وجه يُضحَك منه) علىٰ الملأ (وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء) وهو بجميع أنواعه حرام؛ لأنه إيذاء (وإذا كان) ذلك (بحضرة المستهزأ به لم يُسَمَّ ذلك غيبة) لأنها - كما سيأتي - ذِكرُ العيب علىٰ الغيب (و) لكن (فيه معنىٰ الغيبة. قالت عائشة ﷺ: حاكيتُ إنسانًا، فقال لي النبي ﷺ: والله ما أحب أني حاكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا) قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] والترمذي[٥] وصحَّحه.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا[٦] عن علي بن الجعد، أخبرنا سفيان بن سعيد،

(١) الدر المنثور ١٣/ ٥٦٠ - ٥٦١.

(٢) جامع البيان ٢١/ ٣٦٥.

(٣) المغني ٢/ ٨٠٠.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٤.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٥.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٨.

عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة، عن عائشة قالت ... فذكره.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما **(في قوله تعالىٰ:** ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] **الصغيرة التبسُّم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة القهقهة بذلك)** أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن محمد بن عمران بن أبي ليلىٰ، حدثنا بِشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحَّاك، عن ابن عباس ... فذكره.

(وهو إشارة إلىٰ أن الضحك علىٰ الناس من جملة الجرائم والذنوب) وفي بعض النسخ: من جملة الذنوب الكبائر.

(وعن عبد الله بن زَمْعة) بن[٢] الأسود بن المطَّلب بن أسد القرشي الأسدي، ابن أخت أم سلمة، أحد الأشراف، كان يأذن علىٰ النبي ﷺ، استشهد يوم الدار مع عثمان، روىٰ له الجماعة، وعنه عروة وأبو بكر بن عبد الرحمن **(أنه قال: سمعت النبي ﷺ وهو يخطب، فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال: علامَ يضحك أحدكم ممَّا يفعل)** قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤].

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا[٥] عن الحسين بن الحسن، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ ... فذكره.

(وقال ﷺ: إن المستهزئين بالناس يُفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال) له: **(هلمَّ هلم)** أي تعالَ تعال، والقائل لذلك بعض الملائكة **(فيجيء)** ذلك المستهزئ

---

(١) السابق ص ١٧٠.

(٢) تهذيب الكمال ١٤/ ٥٢٥ - ٥٢٦. تجريد أسماء الصحابة ١/ ٣١١. تقريب التهذيب ص ٥٠٧.

(٣) المغني ٢/ ٨٠٠.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٣٢٤. صحيح مسلم ٢/ ١٣٠٧.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٨.

(**بكربه وغمِّه**) ممَّا أصابه من هول الموقف والحساب (**فإذا أتاه أُغلِق دونه**) ذلك الباب ومُنع من الدخول منه (**ثم يُفتح له باب آخر فيقال: هلم هلم، فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتاه أُغلِق دونه، فما يزال كذلك حتىٰ إن الرجل لَيُفتحُ له الباب فيقال: هلم هلمَّ، فلا يأتيه**) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] من حديث الحسن مرسلاً، ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هُدبة - أحد الهالكين - عن أنس.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الله بن أبي بدر، أنبأنا رَوْح بن عُبادة، عن مبارك، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

(**وقال معاذ بن جبل**) رضي الله عنه: (**قال النبي ﷺ: مَن عيَّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمُتْ حتىٰ يعمله**) قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] دون قوله «قد تاب منه» وقال: حسن غريب، وليس إسناده بمتصل. قال الترمذي: قال أحمد بن منيع: قالوا: من ذنب قد تاب منه.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٥] وفي ذم الغيبة[٦] وابن منيع والبغوي[٧] والطبراني[٨] وغيرهم كلهم عن معاذ به مرفوعًا. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد ابن منيع، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهَمْداني، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن عيَّر

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٠.
(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٩.
(٣) المغني ٢/ ٨٠٠.
(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٦.
(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٧٠.
(٦) ذم الغيبة والنميمة ص ١٢٩.
(٧) شرح السنة ١٣/ ١٤٠.
(٨) المعجم الأوسط ٧/ ١٩١.

أخاه بذنب - قال ابن منيع: قال أصحابنا: قد تاب منه - لم يمُتْ حتىٰ يعمله».
ثم قال: حدثنا خالد بن خِداش، حدثني صالح المُرِّي، سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون: مَن رمىٰ أخاه بذنب قد تاب إلىٰ الله منه لم يمُت حتىٰ يبتليه الله به. قال البغوي: هو منقطع؛ لأن خالد بن معدان لم يدرك معاذًا. ومحمد ابن الحسن بن أبي يزيد، قال أبو داود وغيره: كذاب[١]. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٢] نظرًا إلىٰ ما ذكرنا، وفيه نظرٌ، فقد رواه الترمذي من هذا الطريق، وغاية ما في الباب أنه ضعيف من جهة محمد بن الحسن. وقول الحسن الذي أسنده ابن أبي الدنيا فيه صالح المُرِّي، وهو ضعيف أيضًا، إن سَلِمَ منه فهو شاهد جيد لحديث معاذ، ونحوه[٣]: «فليجلدها الحدَّ ولا يثرِّب» أي لا يوبِّخ ولا يقرع بالزنا بعد الجَلد، وحديث ابن مسعود: لو سخرتُ من كلب لخشيت أن أحوَّل كلبًا. ولابن أبي شيبة[٤] عن أبي موسىٰ من قوله نحوه. وعزاه الزمخشري في الحجرات من الكشاف[٥] لعمرو بن شرحبيل بلفظ: لو رأيتُ رجلاً يرضع عنزًا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع. وللبيهقي[٦] [عن يحيىٰ بن جابر قال]: ما عاب رجلٌ قط رجلاً بعيب إلا ابتلاه الله بذلك العيب. وعن إبراهيم النخعي قال: إني لأرىٰ الشيء فأكرهه فلا يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أُبتلَىٰ بمثله.

---

(١) في ميزان الاعتدال ٣/ ٥١٤: «قال ابن معين: لم يكن بثقة. وقال مرةً: كان يكذب. وقال أحمد: ما أراه يسوىٰ شيئا. وقال النسائي: متروك. وقال أبو داود ضعيف. وقال مرة: كذاب. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي».
(٢) الموضوعات ٣/ ٨٢.
(٣) من هنا إلىٰ قوله (أبتلىٰ بمثله) عن المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٤٢١.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٤١٦، ولفظه: «لو رأيت رجلا يرضع شاة في الطريق فسخرت منه خفت أن لا أموت حتىٰ أرضعها». وفيه أيضا قول ابن مسعود.
(٥) الكشاف ٥/ ٥٧٦.
(٦) شعب الإيمان ٩/ ١١٨ - ١١٩.

وهذه كلها شواهد لحديث معاذ، وبمجموع ذلك كيف يورَد في الموضوعات؟!

(وكل هذا يرجع إلىٰ استحقار الغير والضحك عليه استهانةً به واستصغارًا له) أي استحقارًا **(وعليه نبَّه قولُه تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي لِمَ تسخر به استصغارًا)** لشأنه **(فلعله خير منك)** عند الله تعالىٰ؟ **(وهذا إنما يحرُم في حق من يتأذَّىٰ به)** ولو باطنًا **(فأما مَن جعل نفسه مَسخرة)** أي محلاً للسخرية يُسخَر به **(وربما فرح من أن يُسخَر به)** ولا يتأذَّىٰ بباطنه منه **(كانت السخرية في حقه من جملة المزح)** إذ هو مطايبة اللسان بالكلام بحيث لا يغمُّه ذلك ولا يتكدَّر به، فأما إذا آذىٰ فقد خرج من حد المزاح ولحق بالسخرية **(وقد سبق ما يُذَم منه وما يُحمَد، وإنما المحرَّم)** شرعًا **(استصغارٌ يتأذَّىٰ به المستهزأ به؛ لِما فيه من التحقير والتهاون، وذلك تارةً)** يجري **(بأن يُضحَك علىٰ كلامه إذا تخبَّط)** أي زال عن القصد **(فيه ولم ينتظم)** في نفسه، أو لم ينتظم أوله مع آخره. وفي بعض النسخ: بأن يُضحَك منه إذا تخبَّط في كلامه ولم ينتظم **(أو علىٰ أفعاله إذا كانت مشوَّشة)** أي مضطربة غير منتظمة **(كالضحك علىٰ خطِّه)** إذا كان رديئًا **(أو علىٰ صنعته)** إذا كانت دنيئة **(أو علىٰ صورته)** إذا كانت قبيحة **(وخِلقته إذا كان قصيرًا)** أو طويلاً جدًّا بحيث يتجاوز عن طول أمثاله **(أو ناقصًا بعيب من العيوب)** الظاهرة كالعمش والعرج والأُدَرة وداء الفيل وما أشبهَ ذلك **(فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهيِّ عنها)** في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ والله الموفِّق.

الآفة الثانية عشر: إفشاء السر

أي إظهاره (**وهو منهيٌّ عنه؛ لِما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء. قال رسول الله ﷺ: إذا حدَّث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة**) قال العراقي[١]: رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه من حديث جابر، وقد تقدم[٢].

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا[٣] عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا ابن أبي ذئب، أخبرني عبد الرحمن بن عطاء، عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: إذا حدَّث ... فساقه.

(**وقال**) ﷺ (**مطلقًا: الحديث بينكم أمانة**) رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا حيوة بن شُرَيح، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره، هكذا رواه مرسلاً، وهو إسناد جيد.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**إن من الخيانة أن تحدِّث بسر أخيك**) رواه ابن أبي الدنيا[٥] عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا المبارك ابن فضالة، عن الحسن قال سمعته يقول: إن من الخيانة ... فذكره.

(**ويُروَىٰ أن معاوية**) بن أبي سفيان (رضي الله عنه **أسرَّ إلىٰ الوليد بن عُتبة**) بن أبي سفيان، وهو ابن أخي معاوية (**حديثًا، فقال**) الوليد (**لأبيه**) عتبة[٦] بن أبي سفيان،

---

(١) المغني ٢/ ٨٠١.

(٢) في كتاب آداب الصحبة.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢١٣.

(٤) السابق ص ٢١٤.

(٥) السابق ص ٢١٤.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٢٢٨.

وهو أخو معاوية لأبويه. قال ابن منده: وُلد في عهد النبي ﷺ، وولاَّه عمر الطائف. وأنكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال: لم أجد بعد التتبُّع ما يدل[١] علىٰ أنه وُلد في العهد النبوي، وهو محتمل، وإنما ولاَّه الطائف أخوه معاوية، وحج بالناس سنة إحدىٰ وأربعين وبعدها، ثم ولاَّه بمصر الجند بعد عزله عبد الله بن عمرو بن العاص، فمات بالإسكندرية. هذا لفظه في الإصابة. ورجَّح تلميذه الحافظ السخاوي أن الموصوف بما ذُكر في كلام ابن منده هو عنبسة بن أبي سفيان لا عتبة[٢]. وقد وجدت في كتاب الأنساب لأبي عبيد القاسم بن سلام ما يشهد لِما ذكره الحافظ، قال: ومن بني حرب بن أمية: معاوية وعتبة ويزيد وعنبسة ومحمد وعمرو وحنظلة بنو أبي سفيان بن حرب، وأم معاوية وعتبة هند بنت عتبة بن ربيعة، وأم عنبسة ومحمد عاتكة بنت أبي أزيهر الدوسي[٣]. وكان معاوية ولَّىٰ عنبسة الطائف ثم عزله وولاَّها عُتبة **(يا أبتِ، إن أمير المؤمنين)** يعني عمَّه معاوية **(أسرَّ إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلىٰ غيرك. قال: فلا تحدثني به، فإنَّ مَن كتم سره كان**

---

(١) في الإصابة: «لم أر له بعد التتبع الكثير ذكرًا قبل شهوده الدار حين قتل عثمان، ولم أر في ترجمته عند ابن عساكر ما يدل ...» الخ.

(٢) الذي في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي ٣/ ١٤٢ - ١٤٣ في ترجمة عتبة موافق لما ذكره ابن منده ونقله عنه ابن حجر، وإنما أورد عنه حديثا ثم ذكر قول ابن عساكر: إنه غريب من حديث عتبة ومحفوظ من حديث عنبسة. وهذا نص السخاوي: «عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية الأموي، شقيق معاوية، ولد في حياة النبي ﷺ، ولاه عمر الطائف، وشهد الجمل مع عائشة فذهبت عينه، وشهد صفين مع أخيه، ومات بمصر سنة أربع وأربعين، وقيل: ثلاث. روىٰ عن أخته أم حبيبة أم المؤمنين، وكان خطيبا بليغا مفوها، وولاه أخوه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص، وحج بالناس سنة إحدىٰ وأربعين والتي بعدها، ثم سنة ست وسبع. روىٰ عنه ابنه الوليد، وحديثه في مسند الإمام أحمد من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: لما نزل بعتبة بن أبي سفيان الموت اشتد جزعه، فسئل، فقال: إني سمعت أم حبيبة ... فذكر حديث التطوع بالصلاة. قال ابن عساكر: وهو غريب من حديث عتبة، محفوظ من حديث عنبسة. وروىٰ عنه أيضا ابنه عمرو ومولاه سعد، ومات مرابطا بالإسكندرية».

(٣) ذكر ذلك ابن حزم في جمهرة الأنساب ص ١١١.

الخيار له، ومَن أفشاه كان الخيار عليه. قال: قلت: يا أبتِ، وإنَّ هذا لَيدخلُ بين الرجل وبين أبيه؟ قال: لا واللهِ يا بني، ولكن أحب أن لا تذلِّل لسانك بأحاديث السر. قال) الوليد: (**فأتيت معاوية فحدثتُه**) بما جرىٰ (**فقال: يا وليد، أعتقك أخي من رق الخطأ**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[1] فقال: وحدثني أبي عن بعض أشياخه قال: أسرَّ معاوية إلىٰ الوليد بن عتبة ... فذكر القصة، ثم قال: وحدثني أبي عن رجل من هَمْدان قال: سمعت أعرابيًّا يقول لابن عمٍّ له: إن سرك من دمك، فلا تضعه إلا عند من تثق به. قال: وحدثنا يوسف بن موسىٰ، حدثنا جرير، عن حمزة الزيَّات قال: قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2]:

ولا تفشِ سرك إلا إليك فإنَّ لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت غُواة الرجال لا يتركون أديمًا صحيحا

(**فإفشاء السر خيانة، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم**) طبع (**إذا لم يكن فيه إضرار.**

وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة) وفصَّلناه (**فلا نعيده**) ثانيًا. والله الموفِّق.

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) البيتان في ديوانه ص ٣٣.

الآفة الثالثة عشر: الوعد الكاذب

(فإنَّ اللسان سبَّاق إلىٰ الوعد) أي كثير السبق إليه **(ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء، فيصير الوعد خُلفًا، وذلك من أمارات النفاق)** وعلامته الدالَّة عليه، وقد **(قال الله تعالىٰ)** في كتابه العزيز: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾) [المائدة: ١] قال البيضاوي[١]: الوفاء هو القيام بمقتضَىٰ العهد، وكذلك الإيفاء، والعقد: العهد الموثَّق، وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسُر الانفصالُ، ولعل المراد بالعقود ما يعمُّ العقودَ التي عقدها الله تعالىٰ علىٰ عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها ممَّا يجب الوفاء به أو يحسُن، إن حملنا الأمر علىٰ المشترك بين الوجوب والندب.

(وقال ﷺ: العِدة عطيةٌ)[٢] أي بمنزلتها، فلا ينبغي الخُلف فيها كما لا ينبغي الرجوع فيها. قال العراقي[٣]: رواه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلاً، وقد تقدم.

قلت: في سند الطبراني أصبغ بن عبد العزيز الليثي، قال أبو حاتم: مجهول. ورواه الديلمي أيضًا عن ابن مسعود. وأصله أن رجلاً جاء إلىٰ النبي ﷺ فسأله شيئًا، فقال: ما عندي ما أعطيكه». فقال: فعِدْني. فقال: «العِدة عطية». وسياق أبي نعيم في الحلية: قال ابن مسعود: إذا وعد أحدكم أخاه فلينجز له، فإني سمعت رسول الله

---

(١) أنوار التنزيل ٢/ ١١٣.

(٢) تقدم هذا الحديث مع شرحه في كتاب آداب الصحبة.

(٣) المغني ٢/ ٨٠٢.

ﷺ يقول ... فذكره، ثم قال: غريب، تفرَّد به إبراهيم الفزاري. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن أبي عدي، عن يونس، عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «العدة عطية». وقال الخرائطي في مكارم الأخلاق: حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي، حدثنا أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا وهيب بن خالد، أخبرنا يونس، عن الحسن أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا، فلم تجده عنده، فقالت: عِدْني. فقال رسول الله ﷺ: «إن العدة عطية».

(وقال ﷺ: الوَأْي مثل الدَّين أو أفضل. والوأي: الوعد) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] من رواية ابن لهيعة مرسلاً، وقال: الوأي يعني الوعد. ورواه الديلمي في مسند الفردوس[٣] من حديث علي بسند ضعيف.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن لهيعة قال: قال رسول الله ﷺ: «الوأي - يعني الوعد - مثل الدَّين أو أفضل».

وقال الفضل بن عباس اللَّهَبي:

إنَّا أُناس من سَجِيَّتنا ... صِدقُ الحديث ووَأْيُنا حَتْمُ

في أبيات أُخَر ذكرها ابن أبي الدنيا[٤].

(وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ نبيِّه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) السابق ٢/ ٨٠٢.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٤٣٥ بلفظ: «الواعد بالعدة مثل الدين أو أشد».

(٤) وهي:

لبسوا الحياء فإن نظرت حسبتهم ... سقموا ولم يمسسهم سقم

شر الإخاء إخاء مزدرد ... مزج الإخاء إخاؤه وهم

زعم ابن عمي أن حلمي ضرني ... ما ضر قبلي أهله الحلم

صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤] **فيقال: إنه واعَدَ إنسانًا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي، فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يومًا في انتظاره)** أخرجه ابن أبي الدنيا(١) عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا كعب بن فَرُّوخ الرَّقاشي، حدثنا يزيد الرقاشي أن إسماعيل نبي الله وعد رجلاً ميعادًا، فجلس له إسماعيل اثنين وعشرين يومًا مكانه لا يبرح لميعاده، ولهَىٰ الآخَرُ عن ذلك حتىٰ جاء بعد ذلك.

(ولما حضرت عبدَ الله بن عمرو) بن العاص ﷺ **(الوفاةُ قال: إنه كان خطب إليَّ ابنتي رجلٌ من قريش، وقد كان مني إليه شِبهُ الوعد، فوالله لا ألقىٰ اللهَ بثلث النفاق)** يشير إلىٰ الحديث الذي رواه هو ويأتي قريبًا، وفيه: «وإذا وعد أخلفَ». فخُلفُ الوعد ثلث النفاق **(اشهدوا أني قد زوَّجته ابنتي)** أخرجه ابن أبي الدنيا(٢) عن أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب قال: لما حضرت عبدَ الله بن عمرو الوفاةُ ... فذكره، وفيه: اشهدوا أني قد زوَّجتُها إياه.

(وعن عبد الله بن أبي الحَمْساء) بالمهملتين المفتوحتين بينهما ميم ساكنة، العامري، وقيل: هو عبد الله بن أبي الجدعاء، قال المزي(٣): والراجح أنه غيره **(قال: بايعت رسولَ الله ﷺ ببيع قبل أن يُبعَث، فبقيتْ له بقيةٌ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: يا فتىٰ، لقد شققتَ عليَّ، أنا هٰهنا منذ ثلاث أنتظرك)** قال العراقي(٤): رواه أبو داود(٥)،

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٢.

(٢) السابق ص ٢٣١.

(٣) تهذيب الكمال ١٤/ ٤٣٣.

(٤) المغني ٢/ ٨٠٢.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٥١.

واختُلف في إسناده، وقال ابن مهدي: ما أظن إبراهيم بن طَهْمان إلا أخطأ فيه.

قلت: قال الحافظ في الإصابة(١) في ترجمته: له حديث عند أبي داود والبزار من طريق عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عنه قال: بايعت النبيَّ ﷺ ... الحديث.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت(٢): حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سنان العوفي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بُدَيل بن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبيَّ ﷺ ... فذكره. وقال الخرائطي في مكارم الأخلاق(٣): حدثنا نصر بن داود الخَلَنْجي، حدثنا محمد بن سنان أبو بكر العوفي. ح. وحدثنا عباس بن محمد الدُّوري، حدثنا معاذ بن هانئ القَنَّاد قالا: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل ابن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ ... فذكره. قلت: وقد وقع هكذا في نسخة الصمت ونسخة مكارم الأخلاق: عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه. والصواب: عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق، كما في نسخ سنن أبي داود. وعبدالكريم هذا روىٰ عن أبيه، مجهول. وأبوه عبد(٤) الله بن شقيق العُقَيلي - بالضم - البصري، ثقة، فقيه، مات سنة ثمان ومائة.

(وقيل لإبراهيم) النخعي: **(الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء. قال: ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء)** أخرجه ابن أبي الدنيا(٥) عن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٦٠.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣١.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٧٩.

(٤) تقريب التهذيب ص ٥١٥، وفيه: «ثقة، فيه نصب».

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٢.

أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن الصباح البزَّار، حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن الحسن بن عبيد الله قال: قلت لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء. قال: لينتظره ... والباقي سواء.

(وكان رسول الله ﷺ: **إذا وعد وعدًا قال: عسىٰ**) قال العراقي[1]: لم أجد له أصلاً.

(**وكان ابن مسعود**) رضي الله عنه (**لا يعد وعدًا إلا ويقول: إن شاء الله**) قال ابن أبي الدنيا[2] حدثنا [أحمد بن إبراهيم، حدثنا] أبو معاوية، حدثنا حجاج، عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب عبد الله يقولون: إذا وعد فقال «إن شاء الله» فلم يخلف.

وروىٰ الطبراني في الكبير[3] عن ابن مسعود موقوفًا: مَن حلف علىٰ يمين فقال «إن شاء الله» فقد استثنىٰ.

(**وهو الأولىٰ**) أي قول «إن شاء الله» عند الوعد، ووجه الأولويَّة خروجه عن صورة الكذب (**ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد**) بالهبة وغيرها (**فلا بد من الوفاء**) استحبابًا مؤكَّدًا، وقيل: وجوبًا، وهو قول الحسن، واختاره بعض المالكية[4] (**إلا أن يتعذَّر**) أي يتعسَّر الوفاء بسبب من الأسباب، وإن لم يتعذَّر كُره الإخلاف كراهة تنزيه لا تحريم علىٰ قول مَن قال باستحباب الوفاء (**فإن كان عند الوعد عازمًا علىٰ أن لا يفي به فهذا هو النفاق**) صرَّح به النووي في شرح مسلم؛ لأنه خالف في الظاهر ما في باطنه (**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: ثلاث**

(١) المغني ٢/ ٨٠٢.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٣.

(٣) المعجم الكبير ٩/ ٢٨٠.

(٤) اختلف الفقهاء في حكم الوفاء بالوعد في شيء مباح أو مندوب إليه علىٰ سبعة أقوال، انظرها في الموسوعة الفقهية الكويتية ٤٤/ ٧٤ – ٧٨. وانظر أيضا: الفتوحات الربانية لابن علان ٦/ ٢٥٦– ٢٦١.

مَن كنَّ فيه) أي ثلاث خصال مَن وُجدت فيه **(فهو منافق وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)** قال العراقي[١]: متفق عليه[٢]، وقد تقدم[٣].

قلت: ولكن ليس بلفظ المصنف، وبهذا اللفظ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] فقال: حدثنا محمد بن جابر، حدثنا يوسف بن كامل، حدثنا حماد ابن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَن كنَّ فيه فهو منافق وإن صام وصلىٰ وقال إني مسلم: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف». وأما لفظ البخاري فقال في الإيمان: حدثنا أبو الربيع، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». وأخرجه كذلك في الوصايا عن أبي الربيع، وفي الشهادات عن قتيبة، وفي الأدب عن ابن سلام. وأخرجه مسلم في الإيمان عن قتيبة ويحيىٰ بن أيوب، كلهم عن إسماعيل بن جعفر. وأخرجه أيضًا الترمذي[٥] والنسائي[٦]. فهذا ما يتعلق بحديث أبي هريرة.

وأخرج رُسته في الإيمان وأبو الشيخ في التوبيخ[٧] من حديث أنس: «ثلاث مَن كنَّ فيه فهو منافق وإن صام وصلىٰ وحج واعتمر وقال إني مسلم: مَن إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٣.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٧، ٢/ ٢٦٢، ٢٨٩، ٤/ ١٠٩. صحيح مسلم ١/ ٤٦ - ٤٧.

(٣) في كتاب آداب الصحبة.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٧٨، ٨٠.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٣٧٣.

(٦) سنن النسائي ص ٧٦٢.

(٧) وأخرجه أيضا أبو يعلىٰ في مسنده ٧/ ١٣٦.

وقال الخرائطي[١]: حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة الورَّاق، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن منصور قال: سمعت أبا وائل يحدِّث عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث مَن كنَّ فيه فهو منافق، ومن كانت فيه خصلة منها ففيه خصلة من النفاق: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

وأخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن أبي حفص الصيرفي عن أبي داود - وهو الطيالسي - بلفظ: «آية المنافق ثلاث».

وقال الخرائطي[٣]: حدثنا سعدان بن يزيد البزَّار، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن كعب القُرَظي أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». ثم قال: تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية [المنافقون: ١] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآية [التوبة: ٧٥] وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢].

(وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص (رضي الله عنهما): **قال رسول الله ﷺ: أربع مَن كنَّ فيه كان منافقًا، ومن كان فيه خلَّة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتىٰ يَدَعها)** أي يتركها **(إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)** قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥].

قلت: هذا لفظه عند الخرائطي في مكارم الأخلاق[٦] قال: حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة، عن الأعمش، عن

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٧٧ - ٧٨.
(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٥.
(٣) مكارم الأخلاق ص ٧٥، ٨٠.
(٤) المغني ٢/ ٨٠٣.
(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٨، ٢/ ١٩٤، ٤١٤. صحيح مسلم ١/ ٤٦.
(٦) مكارم الأخلاق ص ٨٠.

عبد الله بن مُرَّة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أربع مَن كنَّ فيه فهو منافق، ومَن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يَدَعها: مَن إذا حدَّث ...» فساقه. وقال البخاري في الإيمان: حدثنا قبيصة بن عُقبة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مُرَّة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «أربع مَن كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتىٰ يَدَعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». ثم قال: تابعه شعبة عن الأعمش. وقد أوصلها هو في كتاب المظالم، وكذلك أوصلها مسلم. وقد أخرجه أيضًا أحمد[١] وأبو داود[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤]، وأخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن زهير بن حرب، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش بلفظ البخاري.

قال النووي[٦]: لا منافاة بين الحديثين من ثلاث خصال أو أربع؛ لأن الشيء الواحد قد تكون له علامات، كل واحدة منهن تحصل بها صفته، ثم قد تكون تلك العلامة شيئًا واحدًا، وقد تكون أشياء.

وروىٰ أبو أمامة مرفوعًا: «وإذا غنمَ غلَّ، وإذا أُمِر عصىٰ، وإذا لقيَ جَبُن»[٧].

وقال الطيبي[٨]: لا منافاة؛ لأن الشيء الواحد قد تكون له علامات، فتارةً

(١) مسند أحمد ١١/ ٣٨٠، ٤٤٩، ٤٦٧.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٢٠.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٣٧٤.

(٤) سنن النسائي ص ٧٦٢.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٦.

(٦) شرح صحيح مسلم ٢/ ٦٣.

(٧) رواه جعفر الفريابي في صفة النفاق ص ٣٧ (ط - دار ابن زيدون) موقوفا، وفي آخره: «فمن كن فيه ففيه النفاق كله، ومن كان فيه بعضهن ففيه بعض النفاق».

(٨) شرح مشكاة المصابيح ٢/ ٥١٠.

يُذكَر بعضها، وأخرىٰ جميعها أو أكثرها.

وقال القرطبي[(١)]: يحتمل أن النبي ﷺ استجدَّ له من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده.

قال العيني[(٢)]: الأَولىٰ أن يقال إن التخصيص بالعدد لا يدل علىٰ الزائد والناقص.

وقال الحافظ في الفتح[(٣)]: لا تعارُض بين الحديثين؛ لأنه لا يلزم من عدِّ الخصلة المذمومة الدالَّة علىٰ كمال النفاق كونُها علامة علىٰ النفاق؛ لاحتمال أن تكون العلامات دالاَّت علىٰ أصل النفاق، والخصلة الزائدة إذا أضيفت إلىٰ ذلك كمُل خلوصُ النفاق، علىٰ أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ما يدل علىٰ إرادة عدم الحصر، فإنَّ لفظه: «من علامة المنافق ثلاث». وكذا أخرج الطبراني في الأوسط[(٤)] من حديث أبي سعيد، وإذا حُمل اللفظ الأول علىٰ هذا لم يَرِد السؤالُ، فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وببعضها في وقت آخر. ا.هـ.

ووجه[(٥)] الحصر علىٰ الأربع أن إظهار خلاف الباطن إما في الماليات فهذا إذا اؤتمن، وإما في غيرها فهو إما في حالة الكدورة فهو إذا خاصم، وإما في حالة الصفاء فهو إما مؤكَّدة باليمين فهو إذا عاهد، وإلا فهو إما بالنظر إلىٰ المستقبل فهو إذا وعد، وإما بالنظر إلىٰ الحال فهو إذا حدَّث.

قال العيني: ومرجع الأربع إلىٰ ثلاث؛ لأن قوله «إذا عاهد غدر» داخل في

---

(١) المفهم ١/ ٢٥١.

(٢) عمدة القاري ١/ ٣٤٩.

(٣) فتح الباري ١/ ١١٢.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٢١٣، وفيه: «من أعلام المنافق: إذا حدث ...» الخ.

(٥) الكواكب الدراري للكرماني ١/ ١٥١.

قوله «إذا اؤتمن خان»، و«إذا خاصم فجر» داخل في قوله «إذا حدَّث كذب»، ووجه الحصر علىٰ الثلاث هو التنبيه علىٰ فساد القول والفعل والنية، فبقوله «إذا حدَّث» نبَّه علىٰ فساد القول، وبقوله «إذا اؤتمن» نبَّه علىٰ فساد الفعل، وبقوله «إذا وعد» نبَّه علىٰ فساد النية.

وإليه أشار المصنف بقوله: (**وهذا ينزَّل علىٰ مَن وعد وهو علىٰ عزم الخُلف أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما مَن عزم علىٰ الوفاء**) مقارنًا بوعده (**وعنَّ له**) أي عرَضَ له (**عذرٌ منعه من الوفاء**) أو بدا له رأيٌ (**لم يكن منافقًا**) أي لم توجد فيه صفة النفاق (**وإن جرىٰ عليه ما هو صورة النفاق**) ويشهد لذلك ما رواه الطبراني[١] بإسناد لا بأس به في حديث طويل من حديث سلمان رضي الله عنه: «إذا وعد وهو يحدِّث نفسه أن يُخلِف». وكذا قال في باقي الخصال. وسيأتي للكلام تتمَّة في آخر هذا السياق من هذه الآفة (**ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضًا كما يحترز من حقيقته**) التي هي إظهار ما يبطن خلافه (**ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورًا من غير ضرورة حاقَّة**) وفي بعض النسخ: حافزة (**فقد رُوي أنه ﷺ كان وعد أبا الهيثم**) مالك[٢] (**بن التَّيِّهان**) بن مالك بن عبيد الأنصاري، من سابقي الأنصار، توفي سنة عشرين[٣]. والتَّيِّهان بفتح المثناة من فوق وتشديد المثناة التحتية المكسورة (**خادمًا، فأُتي**) ﷺ (**بثلاثة من السبي، فأعطىٰ اثنين**) لجماعة (**وبقي واحد، فجاءت فاطمة**) بنت رسول الله ﷺ (**تطلب منه خادمًا و**) هي (**تقول: ألا ترىٰ أثر الرحىٰ**) يا رسول الله (**في يدي؟ فذكر**) ﷺ (**موعده لأبي الهيثم، فجعل يقول: كيف بموعدتي لأبي الهيثم؟ فآثره به**) أي بالواحد من السبي (**علىٰ فاطمة**) ﷺ (**لمَّا كان قد سبق من موعده له، مع أنها كانت تدير الرحىٰ بيدها الضعيفة**) قال العراقي[٤]: تقدَّم ذِكرُ

---

(١) المعجم الكبير ٦/ ٢٧٠.

(٢) تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٤٢.

(٣) وحكىٰ ابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ١٩٨ قولين آخرين، الأول: أنه قتل بصفين سنة سبع وثلاثين، والثاني: أنه مات بعد صفين بيسير.

(٤) المغني ٢/ ٨٠٣.

قصة أبي الهيثم في آداب الأكل، وهي عند الترمذي من حديث أبي هريرة، وليس فيها ذِكر لفاطمة ﷺ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية(١): حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الجريري، عن أبي الورد، عن ابن أعبد قال: قال لي عليٌّ: يا ابن أعبد، ألا أخبرك عني وعن فاطمة بنت محمد؟ كانت أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرت بالرحىٰ حتىٰ أثَّر الرحىٰ بيدها، واستقت بالقِربة حتىٰ أثَّرت القربة بنحرها، وقمَّت البيت حتىٰ اغبَّرت ثيابها، وأوقدت تحت القِدر حتىٰ دنَّست ثيابها، فأصابها من ذلك ضرٌّ، فقَدِمَ علىٰ رسول الله ﷺ سبيٌ أو خدم، فقلت لها انطلقي إلىٰ رسول الله ﷺ فسليه خادمًا يقيكِ ضر ما أنتِ فيه. فأتت أباها حين أمستْ، فقال لها: ما لكِ يا بنيَّة؟ قالت: لا شيء، جئت لأسلِّم عليك. واستحيت أن تسأل شيئًا، فلما رجعت قلت لها: ما فعلتِ؟ ... فساق الحديث، وفيه: فقال ﷺ: «هل أدلُّكما علىٰ خير لكما من حُمر النعم؟ تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدان أن تناما ...» الحديث، وليس فيه أيضًا ذِكر لأبي التيهان. وابن أعبد، قال الذهبي في الضعفاء(٢): قال ابن المديني: ليس بمعروف.

(ولقد كان رسول الله ﷺ جالسًا يقسم غنائم هوازن بحنين): اسم(٣) موضع بين مكة والطائف، وكان قد خرج لقتال هوازن وثقيف، فسار إلىٰ حنين، فلما التقىٰ الجمعان انكشف المسلمون، ثم أمدَّهم الله بنصره فعطفوا وقاتلوا المشركين فهزموهم وغنموا أموالهم وعيالهم، ثم سار إلىٰ أوطاس [فاقتتلوا] فانهزم المشركون إلىٰ الطائف، وغنم المسلمون منها أيضًا أموالهم وعيالهم، ثم

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٦٩ - ٧٠.

(٢) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٤٧٤.

(٣) المصباح المنير ص ١٥٤ - ١٥٥.

سار إلىٰ الطائف فقاتلهم، فلما أهلَّ ذو القعدة ترك القتال؛ لأنه شهر حرام، ورحل راجعًا، فنزل الجِعِرَّانة، وقسم بها غنائم أوطاس وحنين، ويقال: كانت ستة آلاف سبي (**فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعدًا يا رسول الله. فقال: صدقتَ، فاحتكِمْ ما شئتَ**) أي لك الحكم في طلب ما تريد (**فقال: أحتكمُ ثمانين ضائنة**) الضأن[1] [ذوات الصوف] من الغنم، فالذكر ضائن، والأنثىٰ ضائنة، قال ابن الأنباري: الضأن مؤنثة، والجمع: أَضْؤُن كأفلُس، وجمع الكثرة: ضَئِين ككريم (**وراعيها**) أي الخادم الذي يرعاها (**فقال**) رسول الله ﷺ: (**هي لك، ولقد احتكمتَ يسيرًا، ولَصاحبةُ موسىٰ** عليه السلام) وهي العجوز من عُجز مصر (**التي دلَّته علىٰ عظام يوسف**) عليه السلام، أي جسده الشريف، وكان في صندوق من رخام في قعر النيل تتلاطم عليه الأمواج (**كانت أحزم منك**) أي أكثر حزمًا (**وأجزل حكمًا منك حين حكَّمها موسىٰ** عليه السلام) فإنه لما سأل عن يوسف عليه السلام لم يجد عند أحد علمًا لتقادُم العصر ومرور الأزمنة، وأجمع رأيهم علىٰ عجوز كانت من بقايا القبط وقد أتت عليها سنون، فطلبها سيدنا موسىٰ عليه السلام وسألها، فقالت: عندي علمٌ من ذلك. فقال: أخبرينا ولكِ ما تريدين (**فقالت: حكمي أن تردَّني شابة**) كأحسن ما كنتُ عليه من الشباب (**وأدخل معك الجنة**) فأخبرته عن محله، فدعا الله تعالىٰ بأن يردَّها شابة، فارتدَّت في الحال شابة ورجع إليها حسنها وجمالها، ودعا الله تعالىٰ أن يجعلها معه في الجنة، فاستُجيب له، ودلَّته علىٰ محله في قعر النيل، فأتىٰ إليه، وأشار بعصاه، فانفرق البحر وظهر الصندوق، فحمله موسىٰ عليه السلام إلىٰ بيت المقدس، فدفنه عند آبائه الكرام عليهم السلام (**قيل: فكان الناس يضعِّفون ما احتكم به حتىٰ جُعل مثلاً يقولونه: هو أشحُّ من صاحب الثمانين والراعي**) يعنون به ذلك الرجل الدنيء الهمة. قال العراقي[2]: رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك[3] من حديث

(١) المصباح المنير ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) المغني ٢/ ٨٠٣.

(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ٥٠٠ - ٥٠١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٧٦، ٦٧٢. ولفظ الحديث=

أبي موسىٰ مع اختلاف، قال الحاكم: صحيح الإسناد، قلت: فيه نظرٌ.

(وقد قال النبي ﷺ: ليس الخُلف أن يَعِدَ الرجلُ الرجلَ وفي نيَّته أن يفي) بما وعد به. وتمامه: «ولكن الخُلف أن يَعِد الرجل وفي نيَّته أن لا يفي». أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده وابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث زيد بن أرقم، وهو حديث حسن **(وفي رواية)** في هذا الحديث: **(اذا وعد الرجل)** يعني[1] الإنسان، فذِكر الرجل طرديٌّ **(أخاه)** أي في الإسلام وإن لم يكن من النسب بأن يفعل له شيئًا يسوغ له شرعًا **(وفي نيَّته)** وفي لفظ: ومن نيَّته **(أن يفي)** له، وفيه دليل علىٰ أن النية الصالحة يُثاب عليها الإنسان وإن تخلَّف عنها المَنْويُّ **(فلم يجد)** ما يفي به **(فلا إثم عليه)** قال العراقي[2]: رواه أبو داود[3] والترمذي[4] وضعَّفه من حديث زيد بن أرقم، إلا أنهما قالا: فلم يفِ.

قلت: لفظ أبي داود في الأدب: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيَّته أن يفي له فلم يفِ ولم يجئ للميعاد فلا إثم عليه». ومثله للترمذي في الإيمان، إلا أنه قال:

= عندهما: «أتىٰ النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه، فقال له: ائتنا. فأتاه، فقال له رسول الله ﷺ: سل حاجتك. قال: ناقة برحلها نركبها، وأعنز يحلبها أهلي. فقال رسول الله ﷺ: أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ قالوا: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسىٰ لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتىٰ ننقل عظامه معنا. قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز من بني إسرائيل. فبعث إليها فأتته، فقال: دليني علىٰ قبر يوسف. قالت: لا حتىٰ تعطيني حكمي. قال: وما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة. فكره أن يعطيها ذلك، فأوحىٰ الله إليه: أن أعطها حكمها. فأعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلىٰ بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا الماء. فأنضبوه، فقالت: احتفروا. فاحتفروا فاستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلوها إلىٰ الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار».

(١) فيض القدير ١/ ٤٥٣ بتصرف.

(٢) المغني ٢/ ٨٠٤.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٥١.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٣٧٥.

«فلا جُناح عليه»، وقال: غريب، وليس سنده بالقوي. قال الذهبي في المهذب[1]: وفيه أبو النعمان يُجهَل كشيخه أبي الوقاص. وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح: اشتمل سنده علىٰ مجهولين.

فإن[2] قلت: الخصال التي ذُكرت في الأحاديث السابقة الدالَّة علىٰ النفاق قد توجد أحيانًا في المسلم المصدِّق بقلبه ولسانه، مع أن الإجماع حاصل علىٰ أنه لا يُحكَم بكفره ولا بنفاق يجعله في الدرك الأسفل من النار. أجيبَ بأوجه، فقيل: معناه أن هذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه ومتخلِّق بأخلاقهم[3]، لا أنه منافق في الإسلام مبطن للكفر. وقيل: هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما مَن ندر ذلك منه فليس داخلاً فيه. وقيل: هذا القول تحذير من اعتياد هذه الخصال خوفًا أن يفضي به إلىٰ النفاق دون مَن وقعت منه نادرة من غير اختيار أو اعتياد. وقيل: بل الوارد في تلك الأحاديث في حق رجل بعينه منافق؛ إذ لم يكن من عادته ﷺ أن يواجه أحدًا بما يكره، وإنما كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا»؟ فهذه مثله، أشار بالآية إليه حتىٰ يُعرَف ذلك الشخص بها. وقيل: المراد به المنافقون الذين كانوا في زمانه ﷺ، حدَّثوا بأنهم آمنوا فكذبوا، واؤتمِنوا علىٰ دينهم فخانوا، ووعدوه في نصرة الدين فأخلفوا. وهو قول عطاء بن أبي رباح، وإليه رجع الحسن البصري، وهو مذهب ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القُرَظي وغيرهم. وقيل: المراد بالنفاق هنا نفاق العمل لا نفاق الكفر، ومنه قول عمر لحذيفة ﷺ: هل تعلم فيَّ شيئًا من النفاق؟ وقال بعضهم: الألف واللام في «المنافق» لا يخلو إما أن تكون للجنس أو للعهد، فإن كانت للجنس يكون علىٰ سبيل التشبيه والتمثيل لا علىٰ الحقيقة، وإن كانت للعهد فيكون من منافق خاص بعينه أو من المنافقين الذين كانوا في زمنه ﷺ.

---

(١) المهذب في اختصار السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٢٠٧.

(٢) عمدة القاري ١/ ٣٥٠ - ٣٥١ باختصار.

(٣) بعده في عمدة القاري: «ويكون نفاقه خاصا في حق من حدثه ووعده وائتمنه».

الآفة الرابعة عشر: الكذب في القول واليمين

وهو[١] الإخبار عن الشيء بخلافه، سواء فيه العمد والخطأ؛ إذ لا واسطة بين الصدق والكذب علىٰ مذهب أهل السنة، والإثم يتبع العمد، وقد كذب يكذب كَذِبًا ككتف، ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الذال **(وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب)** أي من الذنوب القبيحة والعيوب الفاحشة **(قال إسماعيل بن أوسط)** هكذا في سائر النسخ، والصواب: أوسط بن إسماعيل، كما نبَّه عليه العراقيُّ، وهو[٢] أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي، شامي، ثقة، مخضرم، مات سنة تسع وسبعين، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه **(سمعت أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكىٰ وقال: إياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار)** قال العراقي[٣]: رواه ابن ماجه[٤] والنسائي في اليوم والليلة[٥]، وجعله المصنف من رواية إسماعيل بن أوسط عن أبي بكر، وإنما هو أوسط بن إسماعيل بن أوسط، وإسناده حسن.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا[٦] عن علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن يزيد ابن خُمَير، سمعت سليم بن عامر يحدِّث عن أوسط بن إسماعيل بن أوسط، سمع أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه يخطب بعدما قُبض رسول الله ﷺ بسنة فقال: قام رسول الله

---

(١) المصباح المنير ص ٥٢٨.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٥٥.

(٣) المغني ٢/ ٨٠٥.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٨.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٢٦.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٢٢٥.

ﷺ عام أول مقامي هذا. ثم بكي أبو بكر، ثم قال: «عليكم بالصدق، فإنه مع البِر، وهما في الجنة. وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار». ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[1] عن علي بن حرب، حدثنا أبو النضر هاشم ابن القاسم، حدثنا شعبة. ورواه أيضًا عن الدوري، حدثنا زيد بن الحُباب، عن معاوية بن صالح، حدثني سليم بن عامر. ورواه كذلك أحمد[2] وابن حبان[3] والحاكم[4]، ولفظهم كالنسائي وابن ماجه من طريق أوسط: خطبنا أبو بكر الصدِّيق فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول فقال: «سلوا الله المعافاة – أو قال: العافية – فلم يؤتَ أحدٌ قط بعد اليقين أفضل من العافية – أو: المعافاة – عليكم بالصدق، فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تَقاطعوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله». ورواه ابن جرير في تهذيب الآثار وابن مردويه[5] بلفظ: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «سلوا الله العافية، فإنه لم يُعطَ أحد أفضل من معافاة بعد يقين. وإياكم والرِّيبة، فإنه لم يؤتَ أحدٌ أشد من ريبة بعد كفر. وعليكم بالصدق، فإنه مع البِر، وهما في الجنة. وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار».

وروىٰ سفيان بن عيينة في الجامع وابن المبارك[6] وهناد[7] وابن أبي الدنيا في الصمت[8] وخشيش بن أصرم في الاستقامة وابن مردويه والبيهقي[9] – وسنده

---

(١) مكارم الأخلاق ص ١٨٤.

(٢) مسند أحمد ١/ ١٨٤.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٣٣.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٩ حتىٰ قوله (من العافية).

(٥) وكذلك الطبراني في مسند الشاميين ٣/ ١٥١.

(٦) الزهد والرقائق ص ٢٢٩.

(٧) الزهد ٢/ ٦٣٢.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٧.

(٩) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٢.

أصح الأسانيد - من طريق قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر يقول: إياكم والكذب، فإنَّ الكذب مُجانِب للإيمان.

(وقال أبو أُمامة) صُدَيُّ بن عجلان الباهلي رضي الله عنه: (قال النبي ﷺ: **إن الكذب باب من أبواب النفاق**) قال العراقي[١]: رواه ابن عدي في الكامل[٢] بسند ضعيف فيه عمر بن موسىٰ الوجيهي، ضعيف جدًّا، ويغني عنه قولُه ﷺ: «ثلاث مَن كنَّ فيه فهو منافق»، وحديث «أربع مَن كنَّ فيه فهو منافق»، قال في كلٍّ منهما: «وإذا حدَّث كذب»، وهما في الصحيحين، وقد تقدَّما في الآفة التي قبلها.

(وقال **الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**كان يقال: إن من النفاق اختلاف السر والعلانية**، و) اختلاف (**القول والعمل**، و) اختلاف (**المدخل والمَخرج، وإن الأصل الذي بُني عليه النفاق الكذب**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن أحمد ابن إبراهيم، حدثنا إسحاق الأزرق، عن عوف، عن الحسن قال: يُعَدُّ من النفاق اختلاف القول والعمل، واختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بُني عليه النفاق الكذب.

(**وقال ﷺ: كبرت خيانةٌ**) تأنيثه[٤] باعتبار التمييز، وهو فاعل معنًىٰ (**أن تحدِّث أخاك**) في الدين وإن لم يكن أخاك في النسب (**حديثًا هو لك به مصدِّق وأنت له به كاذب**) لأنه ائتمنك فيما تحدثه به، فإن كذَبته فقد خنت أمانته وخنت أمانة الإيمان فيما أوجب من نصيحة الإخوان. قال الطيبي[٥]: «أخاك» فاعل

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ١/ ٤٣، وتمامه: «وإن آية النفاق أن يكون الرجل جدلا خصما».

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٠.

(٤) فيض القدير ٤/ ٥٤٦ - ٥٤٧.

(٥) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣١٦ - ٣١٧.

«كبرت»[١]، وأنَّث الفعل له باعتبار المعنىٰ؛ لأنه نفس الخيانة، وفيه معنىٰ التعجُّب كما في ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٣٥، الصف: ٣] والمراد: خيانة عظيمة منك إذا حدثتَ أخاك المسلم بحديث كذب وهو يعتمد عليك اعتمادًا علىٰ أنك مسلم[٢] لا تكذب فيصدقك والحال أنك كاذب. وقال النووي[٣]: التورية [والتعريض]: إطلاق لفظ هو ظاهر في معنىٰ وتريد به معنىٰ آخر يتناوله ذلك اللفظُ لكنه خلاف ظاهره، وهو ضرب من التغرير والخداع، فإن دعت إليه مصلحة شرعية راجحة [علىٰ خداع المخاطَب أو حاجة] لا مندوحة عنها إلا به فلا بأس، وإلا كُره، فإن توصَّل به إلىٰ أخذ باطل أو دفع حق حرُم، وعليه ينزَّل هذا الخبر.

قال العراقي[٤]: رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد[٥] وأبو داود[٦] من حديث سفيان بن أسيد، وضعَّفه ابن عدي[٧]. ورواه أحمد[٨] والطبراني[٩] من حديث النَّوَّاس بن سمعان بإسناد جيد.

قلت: ورواه أيضًا ابن سعد [١٠] والبغوي [١١] وابن قانع[١٢]

---

(١) في هامش المطبوعة ما نصه: «قوله: أخاك ... الخ، هكذا هو بخط المؤلف، ولعل صوابه: أن تحدث؛ لأنه هو الفاعل، و«خيانة» تمييز، وبه تعلم ما في كلام الشارح السابق». قلت: وهكذا هو في الفيض. وفي شرح المشكاة: «قوله: أن تحدث أخاك، هو فاعل كبرت».

(٢) في شرح المشكاة: «وهو يعتمد عليك ويثق بقولك ويظن بك أنك مسلم».

(٣) الأذكار ص ٣٢٧.

(٤) المغني ٢/ ٨٠٥.

(٥) الأدب المفرد ص ١٢٤.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٣.

(٧) الكامل في الضعفاء ١/ ٥٠، ٤/ ١٤٢٢.

(٨) مسند أحمد ٢٩/ ١٨٣.

(٩) مسند الشاميين ١/ ٢٨٤.

(١٠) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٤٢٦.

(١١) معجم الصحابة ٣/ ٢٠٢.

(١٢) معجم الصحابة ١/ ٣١٤.

والبيهقي[(١)] عن سفيان بن أَسِيد - بفتح الهمزة وكسر السين المهملة - الحضرمي. قال البغوي: ولا أعلم لسفيان غيره. ورواه أبو نعيم في الحلية[(٢)] والبيهقي[(٣)] أيضًا عن النواس ابن سمعان. وقد سكت أبو داود على حديث سفيان، فاقتضى كونَه حسنًا عنده، إلا أن النووي في الأذكار قال: هو ضعيف. وكأنه تبع فيه ابنَ عدي، فإنَّ فيه بقية ابن الوليد، والكلام فيه مشهور. وكون سند حديث النواس جيدًا فيه خلاف أيضًا، فقد ذكر المنذري[(٤)] أن شيخ أحمد فيه عمر بن هارون فيه خُلف، وبقية رجاله ثقات. وقال الهيثمي[(٥)]: عمر ضعيف، وبقية رجاله ثقات.

(وقال ابن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ: لا يزال العبد يكذب ويتحرَّىٰ الكذب حتىٰ يُكتَب عند الله كذَّابًا)** قال العراقي[(٦)]: متفق عليه[(٧)].

(ومر رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان، يقول أحدهما: واللهِ لا أنقصك من كذا وكذا، ويقول الآخَر: واللهِ لا أزيدك علىٰ كذا وكذا. فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما، فقال: أوجب أحدهما بالإثم والكفَّارة) قال العراقي[(٨)]: رواه أبو الفتح الأزدي في كتاب «الأسماء المفردة» من حديث ناسح الحضرمي، وهكذا رويناه في أمالي ابن سمعون[(٩)]. وناسح ذكره البخاري هكذا في التاريخ[(١٠)]، وقال

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٦.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٩٩.
(٣) شعب الإيمان ٦/ ٤٦١.
(٤) الترغيب والترهيب ص ١٠٨٣.
(٥) مجمع الزوائد ١/ ٣٦٢، وفيه: «عمر بن هارون وثقه قتيبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره».
(٦) المغني ٢/ ٨٠٦.
(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٠٩. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٨.
(٨) المغني ٢/ ٨٠٦.
(٩) أمالي ابن سمعون ص ١٧٤ (ط - دار البشائر الإسلامية).
(١٠) التاريخ الكبير ٨/ ١٣٥.

أبو حاتم: هو عبد الله بن ناسح.

قلت: ذكره[١] الأزدي في «مفردات أسماء الصحابة»، وذكره البخاري فقال: ناسح، عن النبي ﷺ، وعنه شرحبيل بن شُفعة. وأخرج ابن شاهين من طريق الوليد بن مسلم، عن حريز بن عثمان، عن شرحبيل بن شُفعة، عن ناسح الحضرمي عن النبي ﷺ أنه مر برجلين يتبايعان شاة ... فذكر الحديث. وقال ابن أبي حاتم[٢]: أخرجه البخاري في النون، وخطَّأه في ذلك أبي وأبو زُرعة وقالا: إنما هو عبد الله بن ناسح. وقال الحسن بن سفيان في الصحابة: عبد الله بن ناسح الحضرمي الحمصي. وأخرج له حديثًا آخر[٣] من طريق سعيد بن سنان عن شُرَيح بن المسيب عنه. وقال أبو نعيم[٤]: لا تصح له صحبة.

قال الحافظ السخاوي: وحديثه المذكور - أعني الذي أورده ابن شاهين - أخرجه أيضًا الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٥].

وقال الحافظ في الإصابة: ناسح بنون ومهملتين على الراجح، وقيل: بمعجمة وجيم، وقيل: بمعجمة ثم مهملة؛ حكاها أبو أحمد العسكري.

(**وقال ﷺ: الكذب يُنقِص الرزقَ**) قال العراقي[٦]: رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين[٧] من حديث أبي هريرة، ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر، وإسناده ضعيف.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٢٨، ١٠/ ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) الجرح والتعديل ٥/ ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) وهو: «لا تزال شعبة من اللوطية في أمتي إلىٰ يوم القيامة».

(٤) معرفة الصحابة ٤/ ١٧٩٤.

(٥) مساوئ الأخلاق ص ٦٣.

(٦) المغني ٢/ ٨٠٦.

(٧) طبقات المحدثين بأصبهان ٤/ ٢٩٥.

(وقال ﷺ: إن التجار هم الفجَّار. فقيل: يا رسول الله، أليس الله قد أحلَّ البيع؟ قال: نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدِّثون فيكذبون) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والحاكم[٣] - وقال: صحيح الإسناد - والبيهقي[٤] من حديث عبد الرحمن بن شبل.

قلت: عبد[٥] الرحمن بن شبل أوسي أنصاري، أحد نقباء الأنصار. قال البخاري[٦]: له صحبة. وقال ابن منده: عداده في أهل المدينة. روىٰ عنه تميم ابن محمود ويزيد بن خُمَير وأبو راشد الحُبْراني وأبو سلاَّم الأسود. ذكره عبد الصمد بن سعيد فيمن نزل حِمص من الصحابة. وقال أبو زُرعة الدمشقي: نزل الشام. وأخرج الجوزجاني في تاريخه من طريق أبي راشد الحُبْراني قال: كنا بمَسْكِن[٧] مع معاوية، فبعث إلىٰ عبد الرحمن بن شبل: إنك من فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ وقدمائهم، فقُمْ في الناس وعِظْهم. وأخرج أحمد من طريق أبي سلام عن أبي راشد قال: كتب معاوية إلىٰ عبد الرحمن بن شبل: أنْ أعلِم الناسَ بما سمعتَ. فجمعهم فذكر لهم أحاديث منها حديث «إن التجار هم الفجار». وأخرج له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي وابن ماجه حديثًا من رواية تميم بن محمود عنه، وابن ماجه آخر من طريق أبي راشد عنه.

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٦.

(٢) مسند أحمد ٢٤/ ٢٩٠، ٤٣٨، ٤٤٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٩.

(٤) السنن الكبرىٰ ٥/ ٤٣٧. شعب الإيمان ٦/ ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٨٨.

(٦) التاريخ الكبير ٥/ ٢٤٥.

(٧) قال ياقوت في معجم البلدان ٥/ ١٢٧: «مسكن: موضع قريب من أوانا علىٰ نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢، فقتل مصعب، وقبره هناك معروف».

(**وقال ﷺ: ثلاثة نفر لا يكلِّمهم الله**) تكليم[١] رضا عنهم، أو كلامًا يسرُّهم، أو لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية أو ملائكة الرحمة. ولمَّا كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقَّة الخزي قال: (**يوم القيامة**) الذي مَن افتضح في جمعه لم يفُز (**ولا ينظر إليهم**) نظر رحمة وعطف ولطف، أحدهم: (**المَنَّان بعطيَّته**) من المنَّة التي هي الاعتداد بالصنيعة، وهي إن وقعت في صدقة أحبطت الثواب، أو في معروف أبطلت الصنيعة (**و**) الثاني: (**المنفِّق**) كمحدِّث، أي المروِّج (**سلعته**) أي متاعه (**بالحَلِف**) بكسر اللام، ويُروَىٰ بسكونها أيضًا (**الفاجر**) أي الكاذب (**و**) الثالث: (**المسبل إزاره**) أي الجارُّ له بإرخاء طرفيه خيلاءً، وخص الإزار لأنه عامة لباسهم، فلغيره من نحو قميص حكمُه. قال الطيبي[٢]: جمع الثلاثة في قرن؛ لأن المسبل إزاره هو المتكبِّر المترفِّع بنفسه علىٰ الناس ومحتقِرهم، والمَنَّان إنما منَّ بعطائه لما رأىٰ من علوِّه علىٰ المعطَىٰ له، والحالف البائع يراعي غبطة نفسه وهضم صاحب الحق، والحاصل من المجموع احتقار الغير وإيثار نفسه، ولذلك يجازيه الله باحتقاره له وعدم التفاته إليه كما لوَّح به قولُه «لا يكلمهم».

قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث أبي ذر.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٥] وأبو داود[٦] والترمذي[٧] والنسائي[٨] وابن

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٢٩ - ٣٣١.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٧/ ٢١١٧.

(٣) المغني ٢/ ٨٠٦ - ٨٠٧.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٦٠.

(٥) مسند أحمد ٣٥/ ٢٤٥، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٤٤، ٣٨١، ٤٣٠.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٤١٥.

(٧) سنن الترمذي ٢/ ٥٠٠.

(٨) سنن النسائي ص ٣٩٩، ٦٨٤، ٨٠٢.

ماجه[١] بلفظ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم». وكرَّرها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر رضي الله عنه: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل إزاره، والمَنَّان الذي لا يعطي شيئًا إلا منةً، والمنفِّق سلعته بالحلف الفاجر».

وروىٰ الشيخان[٢] من حديث أبي هريرة، واللفظ للبخاري: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف علىٰ سلعته لقد أعطىٰ بها أكثر ممَّا أعطىٰ [وهو كاذب] ورجل حلف علىٰ يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم ...» الحديث.

وروىٰ الطبراني في الكبير[٣] من حديث ابن عمر: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: المَنَّان عطاءه، والمسبل إزاره خيلاءً، ومدمن الخمر».

(وقال ﷺ: ما حلف حالفٌ بالله فأدخلَ فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلىٰ يوم القيامة) قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] والحاكم[٦] وصحَّح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس.

قلت: وكذلك رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٧].

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: ثلاثة)** من الناس **(يحبهم الله: رجل كان في فئة)** أي جماعة من أصحابه **(فنصب نحره)** أي رقبته

---

(١) سنن ابن ماجه ٣/ ٥٥٤ - ٥٥٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٦٤، ١٦٦، ٢٥٩، ٤/ ٣٤٥. صحيح مسلم ١/ ٦١.

(٣) المعجم الكبير ١٢/ ٣٩٠ - ٣٩١.

(٤) المغني ٢/ ٨٠٧.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ١١٧. وعنده وعند الحاكم: «ما حلف حالف بالله يمين صبر».

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٥.

(٧) مساوئ الأخلاق ص ٦٦.

للعدو (**حتىٰ يُقتَل أو يفتح الله عليه وعلىٰ أصحابه. ورجل كان له جار سوء يؤذيه**) بقول أو فعل (**فصبر علىٰ أذاه حتىٰ يفرِّق بينهما موتٌ لأحدهما أو ظعنٌ**) أي رحلة (**ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السُّرَىٰ**) أي سير الليل (**حتىٰ أعجبهم أن يمسُّوا الأرض**) وهو كناية عن غلبة النوم (**فنزلوا**) عن دوابِّهم (**فتنحَّىٰ**) ذلك الرجل (**يصلي**) وهم نيام (**حتىٰ**) يصبح و(**يوقظ أصحابه للرحيل**) من ذلك المكان (**وثلاثة**) من الناس (**يشنؤهم الله**) أي يبغضهم: (**التاجر**) الحلاَّف (**أو**) قال: (**البيَّاع الحلاَّف**) أي كثير الحلف علىٰ سلعته، وفيه إشعار بأن القليل الصدق[1] ليس محلاً للذم (**والفقير المختال**) أي المتكبر (**والبخيل المَنَّان**) بعطيته. قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] واللفظ له، وفيه ابن الأحمس، ولا يُعرَف حاله. ورواه هو والنسائي[4] بلفظ آخر بإسناد جيد. ورواه النسائي[5] من حديث أبي هريرة: «أربعة يبغضهم الله: البيَّاع الحلاَّف ...» الحديث، وإسناده جيد.

قلت: لفظ أحمد في مسنده: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يَشنؤهم الله [فأما الذين يحبهم الله]: الرجل يلقَىٰ العدوَّ في فئة فينصب لهم نحره حتىٰ يُقتَل أو يُفتَح لأصحابه. والقوم يسافرون فيطول سُراهم حتىٰ يحبوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون عن دوابِّهم فيتنحَّىٰ أحدهم فيصلي حتىٰ يوقظهم لرحيلهم. والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر علىٰ أذاه حتىٰ يفرَّق بينهما بموت أو ظعن. والذين يشنؤهم الله: التاجر الحلاَّف، والفقير المختال، والبخيل المَنَّان».

وأما حديث النسائي الذي أشار إليه العراقي فلفظه في كتاب الزكاة من سننه من

---

(١) كذا هنا وفي فيض القدير ٣/ ٣٣٥، ولعل الصواب: القليل الحلف.

(٢) المغني ٢/ ٨٠٧.

(٣) مسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨، ٢٨٥ - ٢٨٧، ٤٢١.

(٤) سنن النسائي ص ٢٦٦ - ٢٦٧، ٤٠١.

(٥) السابق ص ٤٠١.

حديث أبي ذر: «ثلاثة يحبهم الله تعالىٰ وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتىٰ قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم، فمنعوه، فتخلَّف رجل بأعقابهم فأعطاه سرًّا لا يعلم بعطيَّته إلا الله والذي أعطاه. وقوم ساروا ليلتهم، حتىٰ إذا كان النوم أحب إليهم ممَّا يُعدَل به [نزلوا] فوضعوا رؤوسهم، فقام أحدهم يتملَّقني ويتلو آياتي. ورجل كان في سرية فلقوا العدو فهُزموا فأقبل بصدره حتىٰ يُقتَل أو يفتح الله له. والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظَّلُوم». ورواه كذلك الترمذي[1] في صفة الجنة وابن حبان[2] والحاكم[3] في الزكاة والجهاد. وقال الترمذي: حديث صحيح. وقال الحاكم: علىٰ شرطهما. وأقرَّه الذهبي في التلخيص.

ورواه ابن عساكر في التاريخ[4] من حديث مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير قال: بلغني عن أبي ذر حديث، فكنت أحب أن ألقاه، فلقيته فسألته عنه ... فذكره.

وأما حديث أبي هريرة عند النسائي الذي أشار إليه العراقي فلفظه: «أربعة يبغضهم الله: البيَّاع الحَلاَّف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر». وهكذا رواه البيهقي أيضًا في السنن[5].

(**وقال ﷺ: ويلٌ للذي يحدِّث**) الناسَ (**فيكذب**) في حديثه (**ليُضحِك به القومَ، ويل له، ويل له**) كرَّره[6] إيذانًا بشدة هلكته، وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجُمَّاع كل فضيحة، فإذا انضمَّ إليه استجلاب الضحك الذي يميت

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) صحيح ابن حبان ٨/ ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٧٦، ٢/ ١٣٦.

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٩٢.

(٥) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٧٨ بلفظ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم: شيخ يزني، وملك كذاب، وعائل مستكبر». ورواه في شعب الإيمان ٦/ ٤٨٨، ٩/ ٤٧٣ بلفظ النسائي.

(٦) فيض القدير ٦/ ٣٦٨.

القلبَ ويجلب النسيان ويورث الرعونةَ كان أقبح القبائح.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وحسَّنه والنسائي في الكبرى[٤] من رواية بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٥] والطبراني في الكبير[٦] والحاكم[٧] والبيهقي[٨]، كلهم عن جد حكيم معاوية بن حَيْدة القُشَيري رضي الله عنه.

(**وقال ﷺ: رأيت كأنَّ رجلاً جاءني فقال لي: قمْ. فقمت معه، وإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس، بيد القائم كَلُّوب من حديد**) وهو مثل تَنُّور: خشبة في رأسها حديدة (**يلقمه في شدق الجالس**) أي في فمه كما يُلقَم الجمل (**فيجذبه حتىٰ يبلغ كاهلَه**): رأس الكتف (**ثم يجذبه فيلقمه الجانبَ الآخَر فيمده، فإذا مدَّه رجع الآخَر كما كان، فقلت للذي أقامني: ما هذا؟ قال: هذا رجل كذاب يعذَّب في قبره إلىٰ يوم القيامة**) رواه[٩] البخاري[١٠] من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل.

(**وعن عبد الله بن جراد**) بن[١١] المنتفِق بن عامر بن عقيل العامري العقيلي.

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٧.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٩.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٤٧.

(٤) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٧٤، ٣٢٧.

(٥) مسند أحمد ٣٣/ ٢٢٥، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٦٢.

(٦) المعجم الكبير ١٩/ ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٩٩.

(٨) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٢.

(٩) المغني للعراقي ٢/ ٨٠٨.

(١٠) صحيح البخاري ١/ ٤٢٥، ٤/ ١٠٩، ٣١٠. وفيه: «هذا رجل كذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاق فيصنع به إلىٰ اليوم القيامة».

(١١) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٣٧ - ٣٨.

هكذا نسبه ابن ماكولا[١]، وأما يعلىٰ بن الأشدق فقال: حدثني عمي عبد الله ابن جراد بن معاوية بن فرح بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، قال البخاري[٢]: له صحبة. روىٰ عنه يعلىٰ بن الأشدق أحد الضعفاء، وأبو قتادة الشامي راوٍ وثَّقه ابن حبان (**أنه سأل النبيَّ ﷺ فقال: يا نبي الله، هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: يا نبي الله، هل يكذب المؤمن؟ فقال: لا. ثم أتبعها رسولُ الله ﷺ فقال هذه الكلمة:** ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) [النحل: ١٠٥] قال العراقي[٣]: رواه ابن عبد البر في التمهيد[٤] بسند ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٥] مقتصرًا علىٰ الكذب، وجعل السائل أبا الدرداء[٦].

قلت: لفظ الصمت: حدثنا إسماعيل بن خالد الضرير، حدثنا يعلىٰ بن الأشدق، حدثنا عبد الله بن جراد قال: قال أبو الدرداء: يا رسول الله، هل يكذب المؤمن؟ قال: «لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخِر مَن حدَّث فكذب».

وروىٰ مالك في الموطأ[٧] عن صفوان بن سُلَيم مرسلاً أو معضلاً: قيل: يا رسول الله، المؤمن يكون جبانًا؟ قال: «نعم». قيل: يكون بخيلاً؟ قال: «نعم». قيل: يكون كذابًا؟ قال: «لا».

---

(١) الإكمال ٢/ ١٧٤.

(٢) التاريخ الكبير ٥/ ٣٥.

(٣) المغني ٢/ ٨٠٨.

(٤) لم أره في التمهيد مسندا، وإنما هو مذكور في الموطأ من رواية صفوان بن سليم كما سيورده الشارح بعد أسطر، قال ابن عبد البر ١٦/ ٢٥٣: «لا أحفظ هذا الحديث مسندا بهذا اللفظ من وجه ثابت، وهو حديث حسن».

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٧.

(٦) وأخرجه الطبري في التهذيب مسند علىٰ صـ١٣٥، ١٣٦ من حديث أبي الدرداء، البغوي في المعجم (٤/ ١٠٨) من حديث عبد الله بن جراد. وانظر الجرح والتعديل ٥/ ٢١، والكامل للعقيلي ٩/ ١٨٤، ولسان الميزان ٣/ ٢٦٦.

(٧) الموطأ ٢/ ٩٩٠.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(سمعت رسول الله ﷺ يدعو ويقول في)** جملة **(دعائه: اللهم طهِّرْ قلبي من النفاق)** أي[١] من إظهار خلاف ما في الباطن، وهذا قاله تعليمًا لغيره **(وفرجي من الزنا، ولساني من الكذب)** قال العراقي[٢]: هكذا وقع في نسخ الإحياء: عن أبي سعيد، وإنما هو: عن أم معبد، كذا رواه الخطيب في التاريخ[٣] دون قوله «وفرجي من الزنا»، وزاد: «وعملي من الرياء، وعيني من الخيانة». وسنده ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الحكيم الترمذي في النوادر[٤]، ولفظهما: «اللهم طهِّرْ قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدورُ».

وأم معبد هي عاتكة بنت خالد الخُزاعية الكعبية التي نزل عليها النبي ﷺ في الهجرة.

وإنما قال كذلك مع أن ذاته الشريفة قد جُبلت علىٰ الطهارة ابتداءً ونُزِع من قلبه حظ الشيطان وأُعينَ عليه فأسلم تشريفًا من قبيل قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدثر: ٤] وتعليمًا لأمَّته.

(وقال ﷺ: ثلاثة) من[٥] الناس **(لا يكلِّمهم الله)** كلام رضا **(ولا ينظر إليهم)** نظر رحمة **(ولا يزكِّيهم)** أي لا يطهِّرهم من دنس قلوبهم[٦]، أو لا يثني عليهم **(ولهم)** مع ذلك الأمر المهول **(عذاب أليم)** مؤلم موجع يعرفون به ما جهلوا من

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٤٣.

(٢) المغني ٢/ ٨٠٨.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٧٥.

(٤) نوادر الأصول ص ٦٣٩.

(٥) فيض القدير ٣/ ٣٢٩، ٣٣١.

(٦) في الفيض: من الذنوب.

عظمته واجترحوا من مخالفته (**شيخ زانٍ**) لاستخفافه بحق الحق وقلة مبالاته به ورذالة طبعه؛ إذ داعيته قد ضعفت، وهمَّته قد فترت، فزناه عناد ومراغَمة (**وملك كذاب**) لأن الكذب يكون غالبًا لجلب نفع أو دفع ضرٍّ، والملك لا يخاف أحدًا فيصانعه، فهو منه قبيح، لفقد الضرورة (**وعائل**) أي فقير (**مستكبر**) لأن كبره مع فقدِ سببه فيه من نحو مال وجاه أنه كونه مطبوعًا عليه مستحكمًا فيه فيستحق أليم العذاب وفظيع العقاب.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك رواه النسائي[٣]، وابن أبي الدنيا في الصمت[٤] قال: حدثنا سَوَّار بن عبد الله، حدثنا الضحَّاك بن مَخلد، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المَزْهوُّ». ورواه أيضًا عن محمد بن عمرو الباهلي، حدثنا أبو زُكَير يحيىٰ بن محمد بن قيس، حدثنا ابن عجلان.

(**وقال**) أبو[٥] محمد (**عبد الله بن عامر**) بن ربيعة بن مالك بن عامر العَنْزِىُّ - بسكون النون - حليف بني عدي ثم الخطَّاب والد عمر، وأبوه من كبار الصحابة، قال الهيثم بن عدي: مات سنة بضع وثمانين. وقال الطبري في الذيل: مات سنة خمس وثمانين (**جاء رسول الله ﷺ إلىٰ بيتنا وأنا صبي صغير، فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعالَ حتىٰ أعطيك. فقال رسول الله ﷺ: وما أردتِ أن تعطيه؟ فقالت: تمرًا. فقال: أما إنكِ لو لم تفعلي لكتُبت عليك كذبة**) قال العراقي[٦]: رواه

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٨.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٦٠.

(٣) سنن النسائي ص ٤٠٢.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٧، ٢٤٥.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٢٧ - ١٢٩.

(٦) المغني ٢/ ٨٠٨ - ٨٠٩.

أبو داود[١]، وفيه مَن لم يُسَمَّ، وقال الحاكم[٢]: إن عبد الله ابن عامر وُلد في حياته ﷺ ولم يسمع منه. قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود، ورجالهما ثقات، إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة.

قلت: وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] فقال: حدثنا أبو بدر الغُبري، حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن مولىٰ لعبد الله بن عامر بن ربيعة، عن عبد الله بن عامر قال: جاء رسول الله ﷺ إلىٰ بيتنا ... فساقه كسياق المصنِّف، ووقع في روايته كأبي داود: عن مولىٰ لعبد الله بن عامر. ولذا قال العراقي: فيه مَن لم يُسَمَّ. وقد سمَّاه غيرُهما، كما يأتي. وعبد الله بن عامر ذكره الترمذي في الصحابة[٤]. وقال[٥] أبو حاتم الرازي: رأىٰ النبي ﷺ، دخل علىٰ أمه وهو صغير. وقال أبو زُرعة: أدرك النبيَّ ﷺ. وقال ابن حبان[٦] لما ذكره في الصحابة: أتاهم النبي ﷺ في بيتهم وهو غلام. وأشاروا كلُّهم إلىٰ هذا الحديث، وقد أخرجه الضياء[٧] والبخاري في التاريخ[٨] وابن سعد[٩] والطبراني والذُّهلي من طريق محمد بن عجلان عن زياد مولىٰ عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر قال: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أمي وأنا غلام، فأدبرت خارجًا، فنادتني أمي: يا عبد الله، تعالَ هاك. فقال لها النبي ﷺ: «ما تعطينه»؟ قالت: أعطيه تمرًا. قال: «أما إنك

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٩.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٢٠٨.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٨١.

(٤) في الإصابة: «ذكره الترمذي في الصحابة وقال: رأىٰ النبي ﷺ وما سمع منه حرفا، وإنما روايته عن الصحابة».

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ١٢٢.

(٦) الثقات ٣/ ٢١٩.

(٧) الأحاديث المختارة ٩/ ٤٨٣.

(٨) التاريخ الكبير ٥/ ١١.

(٩) الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٥٥٧، ٧/ ٩.

لو لم تفعلي لكتُبت عليكِ كذبة». ورواية البخاري مختصرة: جاء رسول الله ﷺ إلىٰ بيتنا وأنا صبي. وذكره العِجلي[1] في كبار التابعين. قال الحافظ في الإصابة: جُلّ روايته عن الصحابة، فروىٰ عن أبيه، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وحارثة بن النعمان، وعائشة، وجابر. روىٰ عنه الزهري، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، وعاصم بن عبيد الله، ومحمد ابن زيد بن المهاجر، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وآخرون.

(وقال ﷺ: **لو أفاء الله عليَّ نعمًا**) أي إبلاً (**عدد هذا الحصىٰ**) وفي لفظ: عدد هذه العِضاه (**لقسمتها بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذابًا، ولا جبانًا**) رواه مسلم، وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوة مبسوطًا.

(وقال ﷺ **وكان متكئًا**) علىٰ[2] وسادة (**ألا أنبِّئكم بأكبر الكبائر**) جمع كبيرة، وهي كل ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو السنَّة وإن لم يكن فيه حدٌّ، علىٰ الأصح (**الإشراك بالله**) أي الكفر به (**وعقوق الوالدين**) أو أحدهما، وجمعهما لأن عقوق أحدهما يستلزم عقوقَ الآخَر غالبًا أو يجرُّ إليه، وضابطه أن يفعل معهما ما يتأذَّيان به تأذِّيًا ليس بالهيِّن، وليس المَناط وجود التأذِّي الكثير، بل أن يكون ذلك من شأنه أن يُتأذَّىٰ منه كثيرًا. فإن قلت: أكبر الكبائر لا يكون إلا واحدًا وهو الشرك، فكيف تعدَّد ههنا؟ وأيضًا فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق، فلِمَ حُذفا وذُكر هو؟ قلت: ادِّعاء أن الأكبر لا يكون إلا واحدًا إنما هو إن أريدَ الحقيقة، أما إن أريدَ بالأكبر النسبي فهو يكون متعدِّدًا، ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلىٰ بقية الكبائر أمور أشار إليها ﷺ بقوله: «اتقوا السبع الموبِقات ...» الحديث، وحينئذٍ فالأكبر ههنا لتعدُّده في الجواب يُراد به الأمر النسبي. وإنما ترك ذِكر القتل ونحوه في هذا الحديث لأنه عُلم من أحاديث أُخَر أن ذلك أكبر الكبائر بعد الشرك. علىٰ أنه ﷺ

---

(١) معرفة الثقات ٢/ ٤٠.

(٢) أشرف الوسائل إلىٰ فهم الشمائل ص ١٩٦ - ١٩٨.

كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين، كقوله مرةً: «أفضل الأعمال الصلاة لأول وقتها - أو: لوقتها». وأخرىٰ: «أفضل الأعمال الجهاد». وأخرىٰ: «أفضل الأعمال بر الوالدين»، وغير ذلك من نظائر له ممَّا لا يخفَىٰ **(ثم قعد)** بعد أن كان متكئًا، تنبيهًا علىٰ عظيم إثم ما يقوله **(فقال: ألا وقول الزور)** وإنما خُصَّ بذلك لأنه يترتَّب عليه الزنا والقتل وغيرهما، فكان أبلغ ضررًا من هذه الحيثيَّة.

قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي بكرة.

قلت: ورواه أيضًا الترمذي في الشمائل[٣]، ولفظه: وجلس وكان متكئًا فقال: «ألا وشهادة الزور، أو وقول الزور». وعند البخاري: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يقولها حتىٰ قلنا ألا ليته سكت.

وروىٰ البخاري[٤] أيضًا من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور».

(وقال ابن عمر) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ: إن العبد لَيكذبُ الكذبة فيتباعد المَلَك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به)** قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] وقال: حسن غريب.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٧] فقال: حدثني أبو محمد عبد الله ابن أيوب المُخَرَّمي، حدثنا عبد الرحيم بن هارون أبو هشام الغَسَّاني، عن عبد العزيز بن

---

(١) المغني ٢/ ٨٠٩.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٥٢، ٤/ ٨٨، ١٤٦، ٢٧٨. صحيح مسلم ١/ ٥٤.

(٣) الشمائل المحمدية ص ٦١.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٥١، ٤/ ٨٨، ٢٦٦. وقد رواه أيضا مسلم في صحيحه ١/ ٥٤.

(٥) المغني ٢/ ٨٠٩.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٥١٧.

(٧) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٩.

أبي رَوَّاد، عن نافع، عن ابن عمر رفعه قال: «إن العبد لَيكذبُ الكذبة فيتباعد المَلَك منه ميلاً أو ميلين ممَّا جاء به».

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه: (قال النبي ﷺ: **تقبَّلوا إليَّ بست**) أي[1] تكفَّلوا لي بست خصال (**أتقبَّل لكم بالجنة**) أي أتكفَّل لكم بدخولها (**قالوا: وما هن**)؟ وفي لفظ: وما هي؟ (قال: **إذا حدَّث أحدُكم فلا يكذب**) أي إلا لضرورة أو مصلحة محقَّقة (**وإذا وعد**) إنسانًا بشيء (**فلا يخلف**) وعده (**وإذا اؤتمِن**) أي جُعل أمينًا على سر (**فلا يخُنْ**) فيما جُعل أمينًا عليه (**غُضُّوا أبصارَكم**) عن النظر إلى ما لا يجوز (**وكُفُّوا أيديكم**) فلا تبسطوها لِما لا يحلُّ (**واحفظوا فروجكم**) عن الزنا واللواط ومقدماتهما والسحاق ونحوه، ومَن تكفَّل بالتزام هذه المذكورات فقد توقَّى أكثر المحرَّمات، فهو حريٌّ بأن يُتكفَّل له بالجنة.

قال العراقي[2]: رواه الحاكم في المستدرك[3] والخرائطي في مكارم الأخلاق[4]، وفيه سعد بن سِنان، ضعَّفه أحمد[5] والنسائي[6]، ووثَّقه ابن معين[7]. ورواه الحاكم[8] بنحوه من حديث عُبادة بن الصامت وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٢٦٤.

(٢) المغني ٢/ ٨٠٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥١٠.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٧٧.

(٥) العلل ومعرفة الرجال ١/ ٥١٧، وفيه: «سعد بن سنان تركت حديثه، ويقال: سنان بن سعد، حديثه حديث مضطرب».

(٦) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٢٥، وفيه: «ليس بثقة». وفي موضع آخر ص ١٣٠: «منكر الحديث».

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٢٥١.

(٨) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥١٠.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة في المصنَّف وأبو يعلىٰ[١] والبيهقي[٢]. وسياق المصنِّف هو سياق الخرائطي في مكارم الأخلاق، قال: حدثنا عباس بن محمد، حدثنا يونس بن محمد المؤدِّب، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه كما للمصنف سواء. وأما سياق الحاكم والبيهقي فليس فيه «قالوا وما هن»[٣]؟ وفيه «غُضُّوا أبصاركم» من غير واو. وأخرجه ابن أبي الدنيا[٤] مختصرًا فقال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يحيىٰ بن إسحاق السَّيْلحيني، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حدَّثتم فلا تكذبوا، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا». وسعد بن سنان أورده الذهبي في الضعفاء[٥] وقال: ضعَّفوه. وفي الميزان[٦]: [قال الجوزجاني[٧]]: أحاديثه واهية، وقال النسائي: منكر الحديث. ثم ساق له ممَّا أُنكِر عليه هذا الخبر. وقال المنذري[٨]: رُواته ثقات إلا سعد بن سنان. وقال الهيثمي[٩]: رجاله رجال الصحيح، غير أن ابن سنان لم يسمع من أنس.

وأما حديث عبادة بن الصامت من رواية الحاكم الذي أشار إليه العراقي فقد أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[١٠] وقال: حدثنا أبو غالب البصري محمد

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٢٤٩.

(٢) شعب الإيمان ٦/ ١٩٨.

(٣) بل روياه بهذا اللفظ.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٦.

(٥) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٥٤.

(٦) ميزان الاعتدال ٢/ ١٢١.

(٧) أحوال الرجال ص ١٥٤. وتمام كلامه: «لا تشبه أحاديث الناس عن أنس».

(٨) الترغيب والترهيب ص ١٠٨٠.

(٩) مجمع الزوائد ١٠/ ٥٤١.

(١٠) مكارم الأخلاق ص ٧٨.

ابن أحمد، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عمرو ابن أبي عمرو، عن المطلب بن حنطب، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغُضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم». ورواه كذلك أحمد[١] وابن حبان[٢] والبيهقي[٣].

(وقال ﷺ: **إن للشيطان كحلاً**) أي[٤] شيئًا يجعله في عينَي الإنسان لينام (**ولَعُوقًا**) بالفتح، أي شيئًا يجعله في فيه لينذلق لسانه بالفُحش (**ونَشُوقًا**) بالفتح، وهو ما يُنشِقه الإنسانَ إنشاقًا وهو جعلُه في أنفه ويُلعِقه إياه ويدسُم به أذنيه، أي يسد، يعني أن وساوسه ما وجدت فيه منفذًا دخلت فيه[٥] (**فأما لعوقه فالكذب**) أي المحرَّم شرعًا (**وأما نشوقه فالغضب**) أي لغير الله (**وأما كحله فالنوم**) أي الكثير المفوِّت للقيام بوظائف العبادات الفرضية والنفلية كالتهجُّد.

قال العراقي[٦]: رواه الطبراني[٧] وأبو نعيم[٨] من حديث أنس بسند ضعيف، وقد تقدم[٩].

قلت: ورواه كذلك البيهقي[١٠]، وفيه عاصم بن علي شيخ البخاري، قال

---

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٤١٧.

(٢) صحيح ابن حبان ١/ ٥٠٦.

(٣) السنن الكبرىٰ ٦/ ٤٧١.

(٤) فيض القدير ٢/ ٤٩٨.

(٥) ذكره الزمخشري في الفائق ٣/ ٤٢٨.

(٦) المغني ٢/ ٨٠٩ - ٨١٠.

(٧) لم يروه من حديث أنس، وإنما رواه في المعجم الكبير ٧/ ٢٥٠ من حديث سمرة بن جندب.

(٨) حلية الأولياء ٦/ ٣٠٩.

(٩) في كتاب ترتيب الأوراد، ولكن بلفظ آخر.

(١٠) شعب الإيمان ٦/ ٤٦٠.

يحيىٰ: لا شيء. وضعَّفه ابن معين. قال الذهبي[١]: وذكر له ابن عدي[٢] أحاديث مناكير. والربيع بن صبيح ضعَّفه النسائي، وقوَّاه أبو زرعة[٣]. ويزيد الرَّقاشي، قال النسائي[٤] وغيره: متروك.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب مكائد الشيطان والطبراني في الكبير والبيهقي[٥] أيضًا بسند ضعيف من حديث سمرة بن جندب: «إن للشيطان كحلاً ولعوقًا، فإذا كحل الإنسانَ من كحله نامت عيناه عن الذكر، وإذا لعَّقه من لعوقه ذربَ لسانُه بالشر».

(وخطب عمر) بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **يومًا بالجابية**) لمَّا قدم الشامَ، والجابية: موضع قرب دمشق (**فقال**) في خطبته: (**قام فينا رسول الله ﷺ كمقامي هذا فيكم فقال: أحسِنوا إلىٰ أصحابي، ثم الذين يلونهم**) وهم التابعون لهم بإحسان (**ثم يفشو الكذبُ**) أي يظهر (**حتىٰ يحلف الرجل علىٰ اليمين ولم يُستحلَف، ويشهد**) علىٰ الشيء ابتداءً (**ولم يُستشهَد**) أي لم يُطلَب للشهادة. قال العراقي[٦]: رواه الترمذي[٧] وصحَّحه والنسائي في الكبرىٰ[٨] من رواية ابن عمر عن عمر. ا.هـ.

وخطبته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالجابية طويلة مشهورة قد نُقلت من عدة طرق وتواترت.

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨٧٥ - ١٨٧٦. وفيه: «لا أعرف له شيئا منكرا في رواياته إلا هذه الأحاديث، وقد حدثنا عنه جماعة فلم أر بحديثه بأسا إلا فيما ذكرت، وقد ضعفه ابن معين، وصدقه أحمد بن حنبل».

(٣) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٤٦٥: «سئل أبو زرعة عن الربيع بن صبيح، فقال: شيخ صالح صدوق».

(٤) الضعفاء والمتروكون ص ٢٥٣.

(٥) شعب الإيمان ٧/ ٣٦.

(٦) المغني ٢/ ٨١٠.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ٣٨.

(٨) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٨٤ - ٢٨٧.

(**وقال النبي ﷺ: مَن حدَّث**) وفي[١] رواية لابن ماجه: مَن روىٰ (**عني بحديث**) وفي رواية: حديثًا. ولفظ ابن ماجه: مَن روىٰ عني حديثًا (**وهو**) أي والحال أنه (**يرىٰ**) بضم ففتح أي يظن، وبالفتح أي يعلم (**أنه كذب**) بكسر فسكون، أو بفتح فكسر (**فهو أحد الكاذبين**) بصيغة الجمع باعتبار كثرة النَّقَلة، وبالتثنية باعتبار المفتري والناقل عنه. وقال النووي[٢]: «يُرَىٰ» ضبطناه بضم الياء، و«الكاذِبِينَ» بكسر الباء الموحدة وفتح النون علىٰ الجمع. قال: وهذا هو المشهور في اللفظين. وقال عياض[٣]: الرواية عندنا «الكاذبينَ» علىٰ الجمع. وقال الطيبي[٤]: وقوله «أحد الكاذبين» من باب: القلم أحد اللسانين، والخال أحد الأبوين.

قال العراقي[٥]: رواه مسلم في مقدمة صحيحه[٦] من حديث سمرة بن جندب.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي[٧] وأحمد[٨] وابن ماجه[٩] وابن حبان[١٠]، كلهم من حديث سمرة. ورواه أيضًا أحمد[١١] وابن ماجه[١٢] وابن جرير من حديث

---

(١) فيض القدير ٦/ ١١٦.
(٢) شرح صحيح مسلم ١/ ١٠٠.
(٣) إكمال المعلم ١/ ١١٥.
(٤) الكاشف عن حقائق السنن ٢/ ٦٦٠.
(٥) المغني ٢/ ٨١٠.
(٦) صحيح مسلم ١/ ٤ - ٥.
(٧) مسند الطيالسي ٢/ ٢١٧.
(٨) مسند أحمد ٣٣/ ٣٣٣، ٣٧٤، ٣٧٦.
(٩) سنن ابن ماجه ١/ ٦٩.
(١٠) صحيح ابن حبان ١/ ٢١٣.
(١١) مسند أحمد ٢/ ٢٣٥.
(١٢) سنن ابن ماجه ١/ ٦٨، ٧٠.

علي. ورواه أيضًا أحمد[١] ومسلم والترمذي[٢] وابن ماجه[٣] وابن جرير من حديث المغيرة بن شعبة.

وقال ابن أبي الدنيا[٤]: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة وقيس، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «مَن حدَّث عني بحديث وهو يرىٰ أنه كذب فهو أحد الكاذبين». وحدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلىٰ يحدِّث عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «مَن روىٰ عني حديثًا وهو يرىٰ أنه كذب فهو أحد الكاذبين.

واستُنبط من الحديث أنه ليس لراوي حديث أن يقول «قال رسول الله ﷺ» إلا إن علم صحته، ويقول في الضعيف «رُوي» أو «بلغنا»، فإن روىٰ ما علم أو ظن وضعه ولم يبيِّن حاله اندرج في جملة الكذابين[٥]؛ لإعانته المفتري علىٰ نشر فِريته، فيشاركه في الإثم، كمَن أعان ظالمًا، ولهذا بعض التابعين كان يهاب الرفعَ ويوقِف قائلاً: الكذب علىٰ الصحابي أهون.

(وقال ﷺ: مَن حلف علىٰ يمين) أي[٦] محلوف يمين **(بإثم)** وإنما قال «علىٰ يمين» تنزيلاً للحلف منزلة المحلوف عليه اتساعًا **(ليقتطع بها)** أي بسبب اليمين **(مال امرئ مسلم)** قيدٌ اتفاقيٌّ لا احترازي، فالذمِّي كذلك، بل حقه أوجبُ رعايةً؛ لإمكان أن يُرضِي اللهُ المسلمَ المظلوم يوم الجزاء برفع درجاته فيعفو عن

(١) مسند أحمد ٣٠/ ١٢١، ١٥٠، ١٧٤.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٩٧.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٧٠.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٦.

(٥) هذا الكلام مأخوذ عن شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٠٠.

(٦) فيض القدير ٦/ ١٢٠. عمدة القاري ١٢/ ٢٧٥. عارضة الأحوذي ٦/ ٢٤. تحفة الأبرار للبيضاوي ٢/ ٥٦٥.

ظالمه، والكافر لا يصلُح لذلك (بغير حق) شرعي بأن يكون كذبًا وزورًا (لقي اللهَ) يوم القيامة (وهو عليه غضبان) فيعامله معاملة المغضوب عليه، فلا ينظر إليه ولا يكلمه، أو وهو عليه غضبان أي مريد لعقوبته، وإذا لقيه وهو يريدها جاز بعد ذلك أن يرفع عنه تماديه بشرط أن لا يكون متعلق إرادته عذاب واصب، فإنَّ ما تعلَّق به وصفُ الإرادة لا بد من وقوعه، وغفران الجرائم أصل من أصول الدين إما بالموازنة أو بالطَّوْل المحض. والتنوين في «غضبان» للتهويل، أو للإشارة إلىٰ عِظَم هذه الجريمة.

قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث ابن مسعود.

قلت: ولفظهما: «مَن حلف علىٰ يمينِ صبرٍ يقتطع بها مالَ امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي اللهَ يوم القيامة وهو عليه غضبان». وهكذا رواه الطيالسي في مسنده[3] وعبد الرزاق في المصنَّف[4] وأحمد[5] وأبو داود[6] والترمذي[7] والنسائي[8] وابن ماجه[9] وابن خزيمة وابن الجارود[10] وابن حبان[11] من حديث الأشعث بن قيس وابن مسعود معًا، وذلك أن ابن مسعود لمَّا ذكر ذلك في مجلسه دخل الأشعث

---

(١) المغني ٢/ ٨١٠.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٦٣، ١٨١، ٢١١، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣/ ٢٠٧، ٤/ ٢٢١، ٢٢٤، ٣٣٩، ٣٩٤. صحيح مسلم ١/ ٧٣ - ٧٤.

(٣) مسند الطيالسي ١/ ٢١٠، ٢/ ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٤) بل في تفسيره ١/ ١٢٤ مختصرا.

(٥) مسند أحمد ٦/ ٤٧، ٨١، ٧/ ٥٩، ١٤٠، ٢٦١، ٤٠٣، ٣٦/ ١٥٧ - ١٦٧.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٧٢ - ٧٣.

(٧) سنن الترمذي ٢/ ٥٤٧، ٥/ ١٠١.

(٨) السنن الكبرىٰ ٥/ ٤٢٦ - ٤٢٧، ١٠/ ٢١، ٤٢.

(٩) سنن ابن ماجه ٤/ ١٥ - ١٦.

(١٠) المنتقىٰ ٣/ ٢٠٠.

(١١) صحيح ابن حبان ١١/ ٤٧٨ - ٤٨٢.

فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قالوا: كذا وكذا. قال: صدق، فيَّ نزلت، كان بيني وبين رجل مخاصمة، فخاصمتُه إلىٰ النبي ﷺ، فقال: «هل لك بيِّنة»؟ قلت: لا. قال: «فيمينه». قلت: إذًا يحلف. فقال عند ذلك ... فذكره. فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]. ورواه أحمد[1] والطبراني[2] وأبو نعيم من حديث معقل بن يسار. ورواه الطبراني[3] أيضًا من حديث وائل بن حُجْر. ورواه الحاكم[4] وحده من حديث الأشعث بن قيس بلفظ: «مَن حلف علىٰ يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم وهو فاجر لقي الله تعالىٰ وهو أجذم». ورواه هو والطبراني[5] أيضًا من حديثه بلفظ: «مَن حلف علىٰ يمينِ صبرٍ ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي اللهَ وهو عليه غضبان[6]، عفا عنه أو عاقبه». ورواه الشافعي في سننه[7] تخريج الطحاوي والبزار من حديث معبد بن كعب عن أبي أمامة الحارثي بلفظ: «مَن حلف علىٰ يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان». قيل: يا رسول الله، وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: «وإن كان سواكًا من أراك». ورواه ابن عساكر[8] من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ. ورواه عبد الرزاق وأحمد[9] والحاكم[10] والطبراني[11] من حديث عمران ابن حصين بلفظ: «مَن

---

(١) مسند أحمد ٣٣/ ٤١٢، ٤١٤.

(٢) المعجم الكبير ٢٠/ ٢٢٧.

(٣) السابق ٢٢/ ١٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٥) المعجم الكبير ١/ ٢٣٥.

(٦) لفظ الحاكم: «وهو مجتمع عليه غضبا».

(٧) ومن طريقه رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار ١٤/ ٣٠٥.

(٨) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٩٤، ٥٢/ ٢٩٥، ٥٤/ ٤٠١.

(٩) مسند أحمد ٣٣/ ١٤٢، ١٨١.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٣.

(١١) المعجم الكبير ١٨/ ١٤٩.

حلف علىٰ يمين مصبورة بالله كاذبًا متعمدًا ليقتطع بها مال امرئ مسلم فليتبوَّأ مقعده من النار». ورواه الطبراني في الكبير[1] من حديث أبي موسىٰ بلفظ: «مَن حلف علىٰ يمين يريد أن يقتطع بها حق أخيه ظالمًا لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكِّه وله عذاب أليم». ورواه أحمد[2] وعبد بن حميد والنسائي[3] والطبراني[4] والبيهقي[5] من حديث عدي بن عميرة الكِندي، والطبراني[6] وحده من حديث العرس بن عميرة بلفظ: «مَن حلف علىٰ يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان».

ورواية «حق امرئ» أحقُّ بالترجيح من رواية «مال امرئ» لعمومها وشمولها غيرَ المال كحد قذفٍ ونصيب زوجة في قسم ونحو ذلك. وقوله «وهو فيها فاجر» أقام الفجور مقام الكذب؛ ليدلَّ علىٰ أنه من أنواعه. ورواية «لقي اللهَ أجذم» وكذا «فليتبوَّأ مقعده من النار» خرج مَخرج الزجر والمبالغة في المنع، والمقام يقتضي التأكيدَ؛ إذ مرتكب هذه الجريمة قد بلغ في الاعتداء الغايةَ حيث اقتطع حق امرئ لا تعلُّق له به واستخفَّ بحرمة الإسلام، ومع ذلك فلا يجري علىٰ ظاهره. وفيه أن اقتطاع الحق يوجب دخولَ النار إلا أن يبرئ صاحبُ الحق أو يعفو الحق.

(**ورُوي أن النبي ﷺ ردَّ شهادة رجل في كذبة كذبها**) قال العراقي[7]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[8] من رواية موسىٰ بن شيبة مرسلاً، وموسىٰ روىٰ معمر عنه

---

(١) ورواه أيضا في المعجم الأوسط ٢/ ١٩.

(٢) مسند أحمد ٢٩/ ٢٥٤.

(٣) السنن الكبرىٰ ٥/ ٤٢٨.

(٤) المعجم الكبير ١٧/ ١٠٩.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٠٠، ٤٣٠.

(٦) المعجم الكبير ١٧/ ١٣٨،

(٧) المغني ٢/ ٨١٠.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٢.

مناكير؛ قاله أحمد بن حنبل[١].

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو حذيفة الفَزاري، حدثنا عبد الرحمن بن مسعود الزَّجّاج الموصلي، عن معمر، عن موسىٰ بن شيبة أن النبي ﷺ رد شهادة رجل في كذبة.

قال الحافظ في التهذيب[٢]: موسىٰ بن شيبة أو ابن أبي شيبة، مجهول، روىٰ له أبو داود في المراسيل.

وقال الذهبي في الكاشف[٣]: قال أحمد: أحاديثه مناكير. وقال أبو حاتم[٤]: صالح [الحديث]. روىٰ عنه الحميدي.

(وقال ﷺ: **كل خصلة يُطبَع**) أي[٥] يمكن أن يُطبَع، وهي رواية الجماعة، كما سيأتي (**أو**) قال: (**يُطوَىٰ**) وهي رواية حديث أبي مسعود (**عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب**) فلا يُطبَع عليهما وإنما يحصل له ذلك بالتطبُّع، ولهذا صح سلبُ الإيمان عنه في قوله «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، ولا معارضة بين استثناء الخصلتين هنا وخبر «مَن كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومَن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق»؛ لأن خلف الوعد داخل في الكذب، والفجور من لوازم الخيانة.

قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٧] من حديث أبي أمامة،

---

(١) العلل ومعرفة الرجال ٣/ ١١٦ - ١١٧.

(٢) تقريب التهذيب ص ٩٨١.

(٣) بل في ميزان الاعتدال ٤/ ٢٠٧.

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٥) فيض القدير ٥/ ١٩.

(٦) المغني ٢/ ٨١٠ - ٨١١.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٤٢٧، ١٠/ ٩٣.

ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل[١] من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي أمامة أيضًا، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] من حديث سعد مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أشبه بالصواب؛ قاله الدارقطني في العلل[٣].

قلت: ورواه أيضًا أبو يعلىٰ في المسند[٤] والضياء في المختارة[٥] من حديث سعد بلفظ: «كل خلَّة يُطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب». ورواه البزار[٦] من حديثه بلفظ: «يُطبع المؤمن علىٰ كل خلة غير الخيانة والكذب». ورواه الدارقطني في الأفراد[٧] وابن عدي والبيهقي[٨] وابن النجار من حديثه بلفظ: «يُطبع المؤمن علىٰ كل شيء إلا الخيانة والكذب». ورواه البيهقي[٩] من حديث ابن عمر بلفظ: «يُطبع المؤمن علىٰ كل خُلق ليس الخيانة والكذب». ورواه الطبراني[١٠] كذلك. ورواه أحمد[١١] من حديث أبي أمامة: «يُطبع المؤمن علىٰ الخِلال كلها إلا الخيانة والكذب».

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا داود بن رُشَيد، حدثنا علي بن هاشم، سمعت الأعمش، ذكره عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال:

---

(١) الكامل في الضعفاء ١/ ٤٤.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٦، ٢٤٣.

(٣) العلل ٤/ ٣٢٩ - ٣٣١.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٦٧.

(٥) الأحاديث المختارة ٣/ ٢٥٨.

(٦) مسند البزار ٣/ ٣٤٠.

(٧) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ١٣٠.

(٨) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٢.

(٩) شعب الإيمان ٦/ ٤٥٦.

(١٠) المعجم الكبير ١٣/ ١٤٠.

(١١) مسند أحمد ٣٦/ ٥٠٤.

قال رسول الله ﷺ: «علىٰ كل خَلَّة يُطبع - أو يُطوىٰ - عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب». وهذا أشبهُ بسياق المصنف. ثم قال: وحدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا سفيان وشعبة، عن سلمة بن كُهَيل، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال: كل الخِلال يُطبع عليها المؤمن إلا الخيانة الكذب. قال: وأنبأنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا سفيان، عن منصور، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود قال: كل الخلال يُطوَىٰ عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب.

قال الحافظ السخاوي في المقاصد[١]: وأمثلُها حديث سعد، لكن ضعَّف البيهقيُّ رفعه، وقال الدارقطني: الموقوف أشبهُ بالصواب. ومع ذلك فهو ممَّا يُحكَم له بالرفع علىٰ الصحيح؛ لكونه ممَّا لا مجال للرأي فيه.

(**وقالت عائشة** ﵂: **ما كان من خُلق أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطَّلع علىٰ الرجل من أصحابه علىٰ الكذبة، فما تنحلُّ من صدره حتىٰ يعلم أنه قد أحدثَ لله** ﷿ **منها توبة**) قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] من حديث عائشة، ورجاله ثقات، إلا أنه قال: عن ابن أبي مليكة أو غيره. وقد رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين[٤] فقال: عن ابن أبي مليكة. ولم يشك، وهو صحيح.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن علي بن الجعد، أنبأنا نصر بن طريف الباهلي، حدثنا إبراهيم بن ميسرة، عن عبيد بن سعد، عن عائشة قالت: ما كان ...

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٣١٥.

(٢) المغني ٢/ ٨١١.

(٣) مسند أحمد ٤٢/ ١٠١.

(٤) طبقات المحدثين بأصبهان ٤/ ٥٣.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٨.

فذكره.

(**وقال موسىٰ** عليه السلام**: يا رب، أيُّ عِبادك خير لك عملاً؟ قال: مَن لا يكذب لسانُه، ولا يفجُر قلبُه، ولا يزني فرجُه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي، أنبأنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن ثَرْوان أبي قيس، عن هُزَيل بن شرحبيل قال: قال موسىٰ عليه السلام: ربِّ، أيُّ عبادك ... فساقه.

(**وقال لقمان لابنه: يا بني، إياك والكذب، فإنه شهيٌّ كلحم العصفور، عمَّا قليل يقلاه صاحبُه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن إبراهيم بن عبد الله، أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: قال لقمان لابنه ... فساقه.

(**وقال** ﷺ **في مدح الصدق: أربع**) خصال[٣] (**إذا كنَّ فيك فلا يضرُّك ما فاتك من الدنيا**) أي لا بأس عليك وقتَ فوت الدنيا إن حصلت هذه الخلال: (**صِدق حديث**) أي ضبط اللسان وعفَّته عن الكذب والبُهتان (**وحفظ أمانة**) بأن يحفظ جوارحه وما اؤتمن عليه (**وحُسن خليقة**) بأن يكون حَسن العِشرة مع الناس (**وعفَّة طُعمة**) بأن لا يَطعم حرامًا ولا ما قويت الشبهةُ فيه، ولا يزيد علىٰ الكفاية حتىٰ من الحلال، ولا يُكثِر الأكلَ. وأطلق الأمانة لتشيع في جنسها، فيراعي أمانة الله في التكاليف، وأمانة الخلق في الحفظ والأداء.

قال العراقي[٤]: رواه الحاكم[٥] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٦] من حديث

---

(١) السابق ص ٢٤١.

(٢) السابق ص ٢٥٧.

(٣) فيض القدير ١/ ٤٦١ - ٤٦٢. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ١٠/ ٣٣٠٦.

(٤) المغني ٢/ ٨١١.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٦.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٣٣، ٧٠، ١٨٤.

عبد الله بن عمرو، وفيه ابن لهيعة.

قلت: قال الخرائطي: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ابن حُجَيرة، عن عبد الله ابن عمرو، عن النبي ﷺ ... فذكره مثل سياق المصنف. ورواه كذلك الطبراني في الكبير[١]. ورواه أحمد[٢] والطبراني[٣] أيضًا والبيهقي[٤] من حديث ابن عمر بلفظ: «صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحُسن الخُلق، وعفَة مطعم». وفي سند البيهقي شعيب بن يحيىٰ، قال ابن أبي حاتم[٥]: ليس بمعروف. وقال الذهبي: بل ثقة، عن ابن لهيعة، وفيه ضعفٌ[٦]. ورواه ابن عدي[٧] وابن عساكر[٨] من حديث ابن عباس. قال الهيثمي[٩]: إسناد أحمد والطبراني حسن. وقال المنذري[١٠]: رواه أحمد وابن أبي الدنيا[١١] والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة.

(وقال أبو بكر رضي الله عنه **في خطبته بعد وفاة رسول الله ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامي هذا عامَ أول. ثم بكىٰ)** أبو بكر **(وقال: عليكم بالصدق، فإنه مع البِر،**

---

(١) المعجم الكبير ١٤/ ١٠٧.

(٢) مسند أحمد ١١/ ٢٣٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٣٢٢.

(٤) شعب الإيمان ٧/ ٢٠٢.

(٥) الجرح والتعديل ٤/ ٣٥٣ عن أبيه.

(٦) الذي في المغني للذهبي ١/ ٤٢٨: «شعيب بن يحيىٰ التجيبي، عن حيوة بن شريح، ثقة، قال أبو حاتم: ليس بمعروف».

(٧) الكامل في الضعفاء ١/ ١٦٧.

(٨) تاريخ دمشق ٧٢/ ١٠٤.

(٩) مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٧، ١٠/ ٥٢٩.

(١٠) الترغيب والترهيب ص ١٠٨٠.

(١١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٢٧.

وهما في الجنة) وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار. أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أوسط بن إسماعيل البَجَلي. وقد تقدَّم الكلام عليه في أول هذه الآفة.

وقد رُوي نحو ذلك من قول ابن مسعود، قال ابن أبي الدنيا[١]: حدثنا علي ابن الجعد، أنبأنا شعبة، أخبرني عمرو بن مُرَّة، سمعت مرة الهَمْداني قال: كان عبد الله يقول: عليكم بالصدق، فإنه يهدي إلىٰ الجنة، وما يزال الرجل يصدُق حتىٰ يُكتَب عند الله صِدِّيقًا ويثبُت البرُّ في قلبه فلا يكون للفجور موضعُ إبرة يستقر فيها.

وقد رُوي ذلك مرفوعًا، قال ابن أبي الدنيا[٢]: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل لَيصدُقُ حتىٰ يُكتَب صدِّيقًا».

تنبيه: إيراد المصنِّف هذا هنا وفيما تقدَّم يوهم أن ذلك الكلام مرفوع إلىٰ النبي ﷺ، وإنما هو من كلام أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن ضمير «ثم بكىٰ» و«قال» يرجع إليه لا إلىٰ رسول الله ﷺ، فعلىٰ هذا لو ذكره في الآثار كان أليق.

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ لي: أوصيك بتقوىٰ الله، وصِدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبذل السلام، وخفض الجناح)** قال العراقي[٣]: رواه أبو نعيم في الحلية[٤]، وقد تقدم.

قلت: رواه من طريق إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، انطلق فأرحِلْ راحلتك

(١) السابق ص ٢٢٦.
(٢) السابق ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
(٣) المغني ٢/ ٨١١ - ٨١٢.
(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ - ٢٤١.

ثم ائتني أبعثك إلىٰ اليمن ...» فذكر الحديث، وفيه: فقال: «يا معاذ، أوصيك بتقوىٰ الله، وصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولِين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقُّه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقِصَر الأمل، وحُسن العمل ...» الحديث بطوله. وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[1] مختصرًا من طريق عبادة بن نُسَيٍّ عن عبد الرحمن بن غُنْم، عن معاذ قال: لمَّا بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن قال لي: «أوصيك بتقوىٰ الله، وصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار». ورواه في موضع آخر بمثل سياق المصنف.

(**وأما الآثار. فقد قال علي** رضي الله عنه: **أعظمُ الخطايا**) أي الذنوب الصادرة عن عمد، يقال: خَطِئَ: إذا أذنب متعمدًا. ذكره الزمخشري[2] (**عند الله اللسان الكذوب**) أي الكثير الكذب؛ لأن اللسان أكثر الأعضاء عملاً (**وشر الندامة ندامة يوم القيامة**) أخرجه ابن أبي الدنيا[3] عن عبد العزيز بن بحر، أنبأنا أبو عقيل، عن محمد بن نعيم مولىٰ عمر بن الخطاب، عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن جده علي رضي الله عنه قال: أعظم الخطايا ... فساقه.

قلت: الجملة الأولىٰ من الأثر قد رُويت مرفوعة، أخرجه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث طويل ومن طريقه الديلمي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب». وفيه الحسن بن عمارة، قال

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٦٥، ٧٧، ١٨٥.

(٢) أساس البلاغة ١/ ٢٥٤، ونصه: «وخطئ خطأ عظيما: إذا تعمد الذنب».

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٩.

الذهبي: هو متروك بالاتفاق[١]. وأخرجه ابن عدي في الكامل[٢] عن يعقوب بن إسحاق، حدثنا أحمد بن المفرج، عن أيوب بن سُوَيد، عن الثوري، عن ابن أبي نجيح [عن طاووس] عن ابن عباس قال: كان من خطبة رسول الله ﷺ: «إن أعظم الخطايا اللسان الكذوب»[٣]. قال ابن عدي: تفرَّد به أيوب عن الثوري. ثم قال: وحدثنا محمد بن أحمد الوَرَّاق، حدثنا موسىٰ بن سهل النسائي، عن أيوب ابن سويد، عن المثنَّىٰ بن صبَّاح، عن عمرو بن شعيب، عن طاووس، عن ابن عباس. ثم قال: وهذا إنما يرويه أيوب بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي الدنيا[٤] أيضًا من قول عبد الله، يعني ابن مسعود، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، حدثني عبد الرحمن بن عابس، حدثني ناس من أصحاب عبد الله، عن عبد الله أنه كان يقول في خطبته: شر الرَّوايا روايا الكذب، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب.

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ: ما كذبتُ كذبة منذ شددت عليَّ إزاري) أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن خالد النيلي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن مالك بن أنس قال: قال عمر بن عبد العزيز ... فذكره.

(وعن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه) **قال: أحبُّكم إلينا ما لم نَرَكم أحسنكم أسماءً، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خُلقًا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا**

---

(١) في ديوان الضعفاء للذهبي ص ٨٤: «تركوا حديثه». وفي المغني له ١/ ٢٤٤: «متروك عندهم».

(٢) الكامل في الضعفاء ١/ ٥٥.

(٣) لفظ ابن عدي: «إن أعظم الخطيئة عند الله اللسان الكاذب».

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٩.

(٥) السابق ص ٢٤١.

أصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة) أخرجه ابن أبي الدنيا[1] عن محمد بن إدريس، حدثنا محمود بن خالد، حدثنا أبي، حدثني عيسىٰ بن المسيَّب، عن عدي بن ثابت قال: قال عمر ... فذكره.

(**وعن ميمون بن أبي شبيب)** الربعي[2] الكوفي، كنيته أبو نصر، صدوق، كثير الإرسال، مات سنة ثلاث وثمانين في وقعة الجماجم، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد والأربعة **(قال: قعدت أكتب كتابًا، فمررت بحرف إن أنا كتبته زيَّنت الكتاب، وكنت قد كذبت، فعزمت علىٰ تركه، فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾)** [إبراهيم: ٢٧] أخرجه ابن أبي الدنيا[3] عن عبد الله بن عمر بن محمد القرشي وعبد الرحمن ابن صالح العَتكي قالا: حدثنا حسين الجُعْفي، عن الحسن بن الحُر، عن ميمون ابن أبي شبيب قال: قعدت ... فذكره، وزاد في آخره: قال: وتهيَّأت للجمعة في زمن الحجاج، فجعلت أقول: أذهب، لا أذهب. فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] قال: فذهبت.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية[4] فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي قال: حدثنا الحسين بن علي الجُعْفي، عن الحسن ابن الحر، عن ميمون بن أبي شبيب قال: جلست مرةً أكتب كتابًا. قال: فعرضَ لي شيءٌ إذا أنا كتبته في كتابي زُيِّنَ كتابي، وكنت قد كذبت، وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القبح، وكنت قد صدقت. قال: فقلت مرةً: أكتبه، وقلت مرة: لا أكتبه. قال:

(١) السابق ص ٢٤١.
(٢) تقريب التهذيب ص ٩٨٩.
(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٦.
(٤) حلية الأولياء ٤/ ٣٧٥.

فأجمعَ رأيي علىٰ تركه، فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية. ثم ذكر القول الثاني بهذا الإسناد.

(وقال) عامر بن شُراحيل (**الشعبي**) رحمه الله تعالىٰ: (**ما أدري أيّهما أبعد غَوْرًا في النار الكذب أو البخل**) أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا جرير، عن بيان، عن الشعبي ... فذكره.

(وقال) محمد بن صبيح (**ابن السَّمَّاك**) البغدادي الواعظ: (**ما أراني أؤجر**) أي أُثاب (**علىٰ ترك الكذب؛ لأني إنما أدعُه**) أي أتركه (**أَنَفة**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن هارون بن سفيان، حدثنا عبد الله بن صالح العِجْلي، سمعت ابن السمَّاك يقول ... فذكره. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبيه عن أبي الحسن بن أبان عن ابن أبي الدنيا بهذا الإسناد.

(**وقيل لخالد بن صبيح: أرأيت من يكذب كذبة واحدة هل يسمَّىٰ فاسقًا؟ قال: نعم**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن أبي صالح المروزي، سمعت رافع بن أشرس قال: قلت لخالد بن صبيح ... فذكره.

(وقال) أبو يحيىٰ (**مالك بن دينار**) البصري التابعي رحمه الله تعالىٰ: (**قرأت في بعض الكتب: ما من خطيب**) يخطب (**إلا عُرضت خطبته علىٰ عمله، فإن كان صادقًا**) بأن كان عمله موافقًا لقوله (**صُدِّقَ، وإن كان كاذبًا قُرضت**) أي قُطِّعت (**شفتاه بمِقْراضين من نار**) وإنما ثنَّاهما لكونهما قطعتان رُكِّبتا بمسمار واحد، ولذلك يسمَّىٰ المِقْراض: الجَلَمان (**كلما قُرضتا نبتتا**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٤]

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٧.

(٢) السابق ص ٢٥٩.

(٣) السابق ص ٢٥٩.

(٤) السابق ص ٢٤٥.

عن محمد بن عمرو بن العباس الباهلي، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز، سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت ... فذكره.

وقال أبو نعيم في الحلية[١]: حدثنا الحسين بن محمد بن العباس الزَّجَّاجي الفقيه الآمُلي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحَدَّادي وأحمد بن محمد اللآلئي قالا: حدثنا أبو حاتم، حدثنا عُبَيس بن مرحوم، حدثنا أبي قال: سمعت مالك ابن دينار يقول: ما من خطيب يخطب ... فذكره. وليس فيه «قرأت في بعض الكتب».

وقد روىٰ مالك بن دينار بعضَ ذلك عن الحسن مرسلاً، قال ابن أبي الدنيا[٢]: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة: ما أردتَ بها»؟ قال: فكان مالك إذا حدثني بهذا بكىٰ ثم يقول: أتحسبون أن عيني تَقَرُّ بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردتَ به؟ أنت الشهيد علىٰ قلبي، لو أعلم أنه أحب إليك لم أقرأ علىٰ اثنين أبدًا.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق المغيرة بن حبيب وصدقة بن موسىٰ كلاهما عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس رفعه: «أتيت ليلة أُسريَ بي إلىٰ السماء، فإذا أنا برجال تُقرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض. فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل»؟ قال: هم خُطَباء من أمَّتك». هذا لفظ حديث المغيرة، ولفظ حديث صدقة: «أتيت ليلة أُسريَ بي علىٰ قوم تُقرَض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرِضت وفت، قلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمَّتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به».

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٧٩.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٩.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٦.

وأخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن حمزة بن العباس، حدثنا عبدان، أنبأنا عبد الله ابن المبارك، أنبأنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه نحوه.

(**وقال مالك بن دينار**) رحمه الله تعالىٰ: (**الصدق والكذب يعتركان في القلب حتىٰ يُخرِج أحدُهما صاحبَه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن أسد بن عمار التميمي، حدثنا سعيد بن عون البصري، حدثنا جعفر، سمعت مالك بن دينار يقول ... فذكره.

(**وكلَّم عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ (**الوليد بن عبد الملك**) بن مروان (**في شيء، فقال له الوليد: كذبتَ. فقال عمر: واللهِ ما كذبتُ منذ علمتُ أن الكذب يشين صاحبَه**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] عن محمد بن أبي عمر المكي وسفيان بن وكيع قالا: حدثنا ابن عيينة، عن رجل قال - وقال سفيان: عن الماجشون قال: - كلَّم عمر بن عبد العزيز ... فساقه.

وقد بقيت آثار[٤] هي علىٰ شريطة المصنف، فمن ذلك: قول أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: أيها الناس، إياكم والكذب، فإنه مُجانِب الإيمان. رواه أحمد[٥] وابن أبي شيبة[٦] عن وكيع، ورواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، عن سفيان كلاهما، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم عنه هكذا موقوفًا عليه، ورُوي مرفوعًا، وهكذا رواه يحيىٰ بن عبد الملك وجعفر الأحمر

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٩.

(٢) السابق ص ٢٥٠.

(٣) السابق ص ٢٥٤.

(٤) هذه الآثار رواها ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ٢٣٤ - ٢٦١.

(٥) مسند أحمد ١/ ١٩٨.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

وعمرو بن ثابت كلهم عن إسماعيل، قال الدارقطني في العلل[1]: الموقوف أشبهُ بالصواب.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: ليس فيما دون الصدق من الحديث خيرٌ، من يكذب يفجُر، ومن يفجُر يهلك. رواه الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبي هريرة قال: كان عمر ... فذكره.

وقال أيضًا: لا تجد المؤمن كذابًا. رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق حسان بن عطية عنه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن المبارِز لله تعالىٰ بالمعصية كمَن حلف باسمه كاذبًا، وإن الكذبة لَتفطرُ الصائمَ. رواه ابن أبي الدنيا من طريق المسعودي عن رجل من بني أسد قال: قال ابن مسعود ... فذكره.

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يقولون: إن الكذب يفطر الصائمَ. رواه ابن أبي الدنيا من طريق الأعمش عنه.

وقال مطرِّف بن طريف: ما أحب أني كذبت وأن لي الدنيا وما فيها. رواه سفيان الثوري عنه.

وقال يزيد بن ميسرة: إن الكذب يسقي بابَ كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر.

وقال الحسن البصري: الكذب جماع النفاق.

وقال شقيق بن سلمة: قال أخي عبد الرحمن بن سلمة: ما كذبت منذ أسلمت، إلا أن الرجل يدعوني إلىٰ طعامه فأقول: ما أشتهيه، فعسىٰ أن يُكتَب.

وقال الأحنف بن قيس: ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة، فإنَّ عمر

---

(١) العلل ١/ ٢٥٨.

سألني عن ثوب: بكم أخذتَه؟ فأسقطت ثلثي الثمن.

وقال إسماعيل بن عبد الله المخزومي: أمرني عبد الملك بن مروان أن أجنِّب بنيه الكذبَ وإن كان فيه. يعني القتل.

وقال سفيان بن عيينة: حدثني رجل قال: حدَّثتُ سليمان بن علي بحديث، فقال لي: كذبتَ. قال: فقلت: ما يسرُّني أني كذبت وأن لي ملء بَهْوِك هذا ذهبًا. قال: فانكسر عني.

وقال الشعبي: مَن كذب فهو منافق.

وقال الأعمش: لقد أدركت قومًا لو لم يتركوا الكذب إلا حياءً لتركوه.

وقال ابن المبارك: أول عقوبة الكاذب من كذبه أنه يُرَدُّ عليه صدقُه.

وقال أبو بكر بن عياش: إذا كذبني الرجلُ كذبة لم أقبل منه بعدها.

وقال رافع بن أشرس: كان يقال: إن من عقوبة الكذاب أن لا يُقبَل صدقه. قال: وأنا أقول: ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تُذكَر محاسنه.

وقال مسروق: ليس شيء أعظم عند الله من الكذب.

وقال لقمان لابنه: يا بني، مَن ساء خُلقُه عذَّب نفسه، ومَن كذب ذهب جماله.

وكل ذلك في كتاب الصمت.

بيان ما يُرخَّص فيه من الكذب

قال[1] أبو بكر ابن الأنباري: الكذب ينقسم إلىٰ خمسة أقسام:

أحدها: تغيير الحاكي ما يسمع وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية، وهذا القسم هو الذي يؤثِم ويهضم المروءة.

والثاني: هو أن يقول قولاً يشبه الكذب، والمتكلم به لا يقصد إلا الحق، ومنه الخبر: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات: في قوله: إني سقيم، وفي قوله: بل فعله كبيرهم هذا، وفي قوله: سارة أختي». فتأويل هذا القول: أي قال قولاً يشبه الكذبَ، وهو صادق في الكلمات الثلاث.

والثالث: يقال: كذب بمعنىٰ أخطأ.

والرابع: يقال: كذب الرجل: بمعنىٰ بطل أملُه وما رجاه، ومنه قول الشاعر[2]:

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مغالبةً ما دام للسيف قائمُ

أي كذبكم أملُكم وبطل تقديرُكم.

والخامس: يطلق الكذب ويُراد به الإغراء ومطالبة المخاطَب بلزوم الشيء المذكور، كقول العرب: كذب عليك العسلُ. يريدون كل العسل، تلخيصه: أخطأ تاركُ العسل ورافضه، فغلب المضافُ إليه علىٰ المضاف، قال عمر رضي الله عنه: كذب عليكم الحج. معناه: الزموا الحجَّ.

---

(١) خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ٦/ ١٨٤ - ١٩٦. تاج العروس ٤/ ١١٨، ١٢٩.

(٢) هو عمرو بن براقة الهمداني [شاعر مخضرم]. كما نسبه إليه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٣، وابن عبد ربه في العقد الفريد ١/ ١٠٧، والقالي في أماليه ٢/ ١٢٢، والتادلي في الحماسة المغربية ص ٦١٧ (ط - دار الفكر).

هذا خلاصة ما ذكره في هذه المسألة، والمشار إليه من قِبَل اعتوار الأحكام الشرعية عليه من الحرمة والإباحة هو القسم الأول منها، وقد أشار إليه المصنف فقال: (**اعلمْ أن الكذب ليس حرامًا لعينه بل لِما فيه من الضرر**) الحاصل (**علىٰ المخاطَب أو علىٰ غيره**) إما في الحال أو في المآل (**فإنَّ أقل درجاته أن يعتقد المخبرُ**) الذي أخبر بالقول (**الشيءَ علىٰ خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً، وقد يتعلق به ضررُ غيرِه، ورُب جهلٍ**) بالشيء (**فيه منفعة ومصلحة**) له أو لغيره (**فالكذب محصِّل لذلك الجهل، فيكون مأذونًا فيه**) نظرًا لتلك المنفعة والمصلحة (**وربما كان**) الكذب (**واجبًا**) إذا وقع في تركه ما هو أفحش منه (**قال ميمون بن مهران**) الجَزَري الثقة، كاتب عمر بن عبد العزيز: (**إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أرأيتَ لو أن رجلاً سعىٰ آخَر وراءه بالسيف ليقتله فدخل دارًا فانتهىٰ إليك فقال: أرأيت فلانًا؟ ما كنت قائلاً؟ ألست تقول: لم أرَه، وما تصدُق به؟ فهذا الكذب واجب**) أخرجه ابن أبي الدنيا[1] فقال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن سَوَّار بن عبد الله قال: نُبِّئْتُ أن ميمون بن مهران قال وعنده رجل من قرَّاء أهل الشام: إن الكذب في بعض المَواطن خيرٌ من الصدق. فقال الشامي: لا، الصدق في كل موطن خير. قال: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعىٰ وآخر يتبعه بالسيف فدخل دارًا فانتهىٰ إليك فقال: رأيتَ الرجل؟ ما كنت قائلاً؟ قال: كنت أقول لا. قال: فهو ذاك.

(**فنقول: الكلام وسيلة إلىٰ المقاصد**) أي يُتوصل به إلىٰ تحصيلها، سواء كانت دنيوية أو أُخروية، وسواء كانت محمودة أو مذمومة (**فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا فالكذب فيه حرام**) قولاً واحدًا (**وإن أمكن التوصُّل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه**) حينئذٍ (**مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، كما أن عصمة دم المسلم**)

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

وكذا عصمة ماله وعِرضه (**واجبة، فمهما كان في الصدق سفكُ دم امرئ مسلم قد اختفىٰ من ظالم**) يريد قتله أو أخذ ماله أو هتك عِرضه، وكذا في الستر علىٰ عورة أخيه إذا سُئل (**فالكذب فيه واجب**) ويدل علىٰ ذلك قولُ ميمون بن مهران السابق (**ومهما كان لا يتم مقصود حرب**) مع العدو (**أو إصلاح ذات البين**) بين رجلين أو بين رجل وامرأة أو بين طائفتين (**أو استمالة قلب المجنيِّ عليه**) وكذا الحديث مع المرأة (**إلا بكذب فالكذب**) حينئذٍ (**مباح. إلا أنه ينبغي أن يحترز عنه**) أي عن الكذب (**ما أمكن**) له ذلك (**لأنه إذا فتح باب الكذب علىٰ نفسه فيُخشىٰ أن يتداعَىٰ**) ويتسبَّب (**إلىٰ ما يستغني عنه وإلىٰ ما لا يقتصر علىٰ حد الضرورة، فيكون الكذب حرامًا في الأصل إلا لضرورة**) عارضة (**والذي يدل علىٰ الاستثناء**) أي الإخراج عن حدِّ الحرمة (**ما رُوي عن أم كلثوم**) بنت[١] عُقبة بن أبي معيط، أخت الوليد، وأخت عثمان لأمه، صلَّت القِبلتين، وهاجرت إلىٰ المدينة ماشية عام الحديبية، وفيها نزلت آية الامتحان، فتزوجها زيد بن حارثة، ثم الزبير، ثم عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميدًا، ومات عنها، فتزوجها عمرو بن العاص، فماتت بعد شهر. روىٰ لها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (**قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخِّص في شيء من الكذب إلا في ثلاث**) مَواطن: (**الرجل يقول القول يريد به الإصلاح**) أي إصلاح ذات البين (**والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدِّث امرأته والمرأة تحدِّث زوجها**)[٢] رواه مسلم في صحيحه، وقد تقدم. وعند ابن جرير[٣]: «لا يصلُح الكذبُ إلا في إحدىٰ ثلاث: الرجل يُصلِح بين الرجلين، وفي الحرب، والرجل يحدِّث امرأته». ورواه ابن جرير[٤] أيضًا من حديث أبي الطُّفَيل بلفظ: «رجل كذب امرأتَه ليستصلح خُلقها، ورجل كذب ليُصلِح بين

---

(١) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢/ ٣٣٣. تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ٧٠١.

(٢) هذا الحديث والذي بعده تقدما في كتاب آداب الصحبة.

(٣) تهذيب الآثار - مسند علي ص ١٣٣.

(٤) السابق ص ١٢٤.

امرأين مسلمينِ، ورجل كذب في خديعة حرب، فإنَّ الحرب خدعة». ورواه أبو عوانة(١) من حديث أبي أيوب بلفظ: «لا يحل الكذبُ إلا في ثلاث: الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك، والرجل يمشي بين رجلين يُصلِح بينهما، والحرب خدعة».

(**وقالت أم كلثوم أيضًا: قال رسول الله ﷺ: ليس بكذَّاب مَن أصلح بين اثنين فقال خيرًا أو نمىٰ خيرًا**) بتخفيف الميم وتشديدها، أي رفع خيرًا. رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن جرير من طريق حميد بن عبد الرحمن عن أم كلثوم، ولفظهم: «ليس الكذاب بالذي يُصلِح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا». وقد تقدم هذا الحديث.

وقال ابن أبي الدنيا(٢): حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا يونس، عن الزهري، أنبأنا حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أمه - وهي أم كلثوم بنت عقبة - أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فيقول خيرًا وينمي خيرًا». قال ابن شهاب: فلم أسمع يرخَّص فيما يقول الناس كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

(**وقالت أسماء بنت يزيد**) بن السكن الأنصارية، بنت عمَّة معاذ، روىٰ لها الأربعة (**أن رسول الله ﷺ قال: كل الكذب يُكتَب علىٰ ابن آدم إلا رجل كذب بين**) رجلين (**مسلمينِ**) بينهما إحَن وفتن (**ليُصلِح بينهما**) فلا يُكتَب عليه في ذلك إثم. قال العراقي(٣): رواه أحمد(٤) بزيادة فيه، وهو عند الترمذي(٥) مختصرًا وحسَّنه.

---

(١) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٤/ ٢١٢.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) المغني ٢/ ٨١٢.

(٤) مسند أحمد ٤٥/ ٥٥٠، ٥٧٤، ٥٨٢.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٤.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا[١] عن داود بن عمرو الضَّبِّي، حدثنا داود بن عبد الرحمن العَطَّار، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ خطب الناسَ فقال: «أيها الناس، ما يحملكم علىٰ أن تتتابعوا بالكذب كما يتتابع الفَراش في النار، كل الكذب يُكتَب علىٰ ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل كذب امرأتَه ليرضيها، ورجل كذب بين امرأينِ ليُصلِح بينهما، ورجل كذب في خديعة الحرب». وأخرجه ابن عدي في الكامل[٢] بمثل ذلك. وأخرجه الترمذي وحسَّنه بلفظ: «لا يصلُح[٣] الكذب إلا في ثلاث: حديث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليُصلِح بين الناس». ورواه ابن جرير[٤] وابن النجار بهذا اللفظ من حديث عائشة.

(ورُوي عن أبي كاهل) الأَحمسي[٥]، اسمه قيس بن عائذ، وقيل: عبد الله بن مالك. روىٰ عن النبي ﷺ، وروىٰ عنه إسماعيل بن أبي خالد بواسطة أخيه وبغير واسطة، وكان إمام الحي، ومات في زمن المختار. قال الحافظ في الإصابة: وفي الصحابة رجل آخر [يسمىٰ] أبو كاهل غير منسوب، له حديث طويل أخرجه أبو أحمد الحاكم **(قال: وقع بين رجلين من أصحاب النبي ﷺ كلامٌ حتىٰ تصارما)** أي تقاطعا **(فلقيتُ أحدَهما فقلت: ما لك ولفلان؟ فقد سمعتُه يُحسِن عليك الثناءَ. ثم لقيت الآخَر فقلت له مثل ذلك حتىٰ اصطلحا، ثم قلت: أهلكتُ نفسي)** بالكذب **(وأصلحت بين اثنين، فأخبرت النبيَّ ﷺ، فقال: يا أبا كاهل، أصلِحْ بين الناس ولو. يعني بالكذب)** قال العراقي[٦]: رواه الطبراني[٧]، ولم يصحَّ.

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ١/ ٥٤.

(٣) في سنن الترمذي: لا يحل.

(٤) تهذيب الآثار - مسند علي ص ١٢٣.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ١١/ ٣١٤.

(٦) المغني ٢/ ٨١٢.

(٧) المعجم الكبير ١٨/ ٣٦١.

قلت: ولفظه: ولو بكذا وكذا، يعني الكذب.

(وقال عطاء بن يسار) أبو محمد الهلالي المدني، ثقة، روىٰ له الجماعة **(قال رجل للنبي ﷺ: أكذب علىٰ أهلي؟ قال: لا خير في الكذب. قال: أَعِدُها)** وعدًا **(وأقول لها)** كذا وكذا أمنِّيها؟ **(قال: لا جُناح عليك)** وهذا مرسل. قال العراقي[١]: رواه ابن عبد البر في التمهيد[٢] من رواية صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار مرسلاً، وهو في الموطأ[٣] عن صفوان بن سليم معضلاً من غير ذِكر عطاء بن يسار.

(ويُرَوىٰ أن ابن أبي عذرة الدُّؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه يخلع النساء اللاتي يتزوج بهنَّ، فطارت له في الناس من ذلك أُحدوثة) أي سيرة يتناقلونها **(يكرهها)** حين يسمعها **(فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن أرقم)** بن[٤] عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري، أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر، ووليَ بيت المال لعمر ولعثمان يسيرًا، وكان من خيار عباد الله، روىٰ عنه عروة **(حتىٰ أدخله بيته، فقال لامرأته: أنشدكِ اللهَ)** أي أسألك بالله **(هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني)** أي لا تحلِّفني **(قال: فإني أنشدك بالله. قالت له: نعم)** أبغضك **(فقال لابن أرقم: أتسمع)** ما قالت؟ **(ثم انطلقا حتىٰ أتيا عمر رضي الله عنه)** أي هو وعبد الله بن أرقم **(فقال)** ابن أبي عذرة: **(إنكم لَتحدَّثون أني أظلِمُ النساءَ فأخلعهن، فاسأل ابن أرقم)** ما جرىٰ **(فسأله)** عمر **(فأخبره)** الخبر **(فأرسل إلىٰ امرأة ابن أبي عذرة، فجاءت هي وعمَّتها)** أي مع عمتها **(فقال: أنتِ التي تحدِّثين لزوجك أنكِ تبغضينه؟ فقالت: إني أول مَن تاب وراجع أمر الله تعالىٰ، إنه ناشدني)** أي حلَّفني بالله **(فتحرَّجت أن أكذب)** أي خِفتُ أن أقع في الإثم إن كذبت **(أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم،**

---

(١) المغني ٢/ ٨١٢.

(٢) التمهيد ١٦/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) الموطأ ٢/ ٩٨٩.

(٤) تجريد أسماء الصحابة ١/ ٢٩٦.

فاكذبي، فإن كانت إحداكن) يا معشر النساء **(لا تحب أحدنا)** معشر الرجال **(فلا تحدثه بذلك، فإن أقلَّ البيوت الذي يُبنَىٰ علىٰ الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب)**[1] أخرجه الذهبي والإسماعيلي في مناقب عمر.

(وعن النوَّاس بن سمعان) بن خالد العامري **(الكلابي)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافُت الفَراش)** أي تتساقطون فيه تساقُط هذا الحيوان الذي يرمي نفسه **(في النار)** أي علىٰ ضوئها **(كل الكذب مكتوب علىٰ ابن آدم كذبًا لا محالة)** لا يحل له **(إلا أن يكذب الرجل في الحرب)** فإنه[2] لا يُكتَب عليه إثم في ذلك **(فإنَّ الحرب خدعة)** بل قد يجب إذا دعت إليه ضرورة أهل الإسلام **(أو يكون بين رجلين)** أو قبيلتين أو بين رجل وامرأته **(شحناء)** أي عداوة وإحَن **(فيُصلِح بينهما أو يحدِّث امرأته يرضيها)** أي يمنِّيها ويَعِدُها لترضىٰ، فالكذب في هذه الأحوال غير محرَّم، بل قد يجب.

قال العراقي[3]: رواه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق، وفيه انقطاع وضعف.

قلت: ورواه أيضًا الطبراني وابن السني في اليوم والليلة[4] والخرائطي في مكارم الأخلاق[5] بنحوه.

(وقال ثوبان) رضي الله عنه: **(الكذب كله إثم إلا ما نُفع به مسلم أو دُفع عنه به ضررٌ)**[6].

---

(١) رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/ ٣٩٢، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٨٩.

(٢) فيض القدير ٥/ ١٠.

(٣) المغني ٢/ ٨١٣، وتمام كلامه: «بلفظ: تتبايعون، إلىٰ قوله: في النار، دون ما بعده فرواه الطبراني، وفيهما شهر بن حوشب».

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٣٨٢.

(٥) بل في مساوئ الأخلاق ص ٧٨، ٩٠.

(٦) سيأتي هذا الحديث مرفوعا في كتاب النية والإخلاص والصدق.

وقال إياس بن معاوية: الكذب عندي من يكذب فيما لا يضرُّه ولا ينفعه، فأما رجل كذب كذبة يردُّ عن نفسه بها بليَّة أو يجرُّ إلىٰ نفسه بها معروفًا فليس عندي بكذاب. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[١].

(**وقال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **إذا حدثتكم عن رسول الله** ﷺ **فلأن أخِرَّ**) أي أسقُط (**من السماء**) إلىٰ الأرض (**أحب إليَّ من أن أكذب عليه**) فإنَّ كذبًا عليه ليس ككذب علىٰ أحد (**وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم**) أي في المحاورات (**فالحرب خدعة**) وقد تقدَّم تحقيق هذه اللفظة في كتاب العلم، وتقدم بيان قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الحلال والحرام.

(**فهذه**) الخصال (**الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء، وفي معناها ما عداها**) أي لها حكمها في أن يُستثنىٰ من التحريم (**إذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره**) من إخوانه المسلمين (**أما ما له فمثل أن يأخذه ظالم**) فيعذبه ويهدده (**ويسأله عن ماله**) أين وضعه؟ (**فله أن ينكره**) ويقول: لا أدري، وليس عندي مال (**أو يأخذه السلطان ويسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالىٰ ارتكبها فله أن ينكر ذلك ويقول: ما زنيت ولا شربت. قال رسول الله** ﷺ: **مَن ارتكب شيئًا من هذه القاذورات**) جمع[٢] قاذورة وهي كل قول أو فعل يُستفحَش ويُستقبَح، وقيل: المراد هنا الفاحشة، يعني الزنا؛ لأن سبب الحديث أنه ذكره لمَّا رجم ماعزًا، سُمِّيت قاذورة لأن حقها أن تُقذَّر، فوُصفت بما يوصَف به صاحبها[٣] (**فليستتر بستر الله**) أي لا يخبر بذلك الناسَ، وفي معناه قول العامة: إذا بُليتم فاستتِروا.

قال العراقي[٤]: رواه الحاكم[٥] من حديث ابن عمر بلفظ: «اجتنِبوا هذه

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٠.

(٢) فيض القدير ١/ ١٥٥.

(٣) ذكره الزمخشري في الفائق ٣/ ١٦٩.

(٤) المغني ٢/ ٨١٣.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٧٤، ٥٣٨.

القاذورات التي نهىٰ الله عنها، فمَن ألَمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله». وإسناده جيد.

قلت: وتمامه: «ولَيَتُبْ إلىٰ الله، فإنه مَن يُبْدِ لنا صفحته نُقِمْ عليه كتاب الله». قال الحاكم: علىٰ شرطهما. وتعقَّبه[1] الذهبي فقال: غريب جدًّا. لكنه قال في المهذَّب[2]: إسناده جيد. وصحَّحه ابن السكن. وذكره الدارقطني في العلل[3] وصحَّح إرساله. وقول ابن عبد البر[4]: لا نعلمه [مسندًا بهذا اللفظ] بوجه من الوجوه. قال الحافظ ابن حجر[5]: مراده: من حديث مالك. ولما ذكر إمام الحرمين هذا الحديث في النهاية[6] قال: صحيح متفق علىٰ صحته. فتعجَّب منه ابن الصلاح[7] وقال: أوقعه فيه عدمُ إلمامه بصناعة الحديث التي يفتقر إليها كل عالِم.

(**وذلك لأن إظهار الفاحشة فاحشة أخرىٰ**) بل أعظم من الأولىٰ (**فللرجل أن يحفظ دمه**) عن السفك (**وماله**) عن السلب (**الذي يؤخَذ ظلمًا**) وعدوانًا (**وعِرضه**) عن الهتك (**بلسانه وإن كان كاذبًا**) في قوله (**وأما عِرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه، فله أن ينكره**) ولا يقرُّ، ولا يفشيه (**و**) له (**أن يُصلِح بين اثنين**) متخاصمين (**وأن يُصلِح بين الضَّرَّات من نسائه**) جمع[8] الضَّرَّة علىٰ القياس، وهي امرأة زوجها، ويُجمع أيضًا علىٰ: الضرائر، مثل كريمة وكرائم، ولا يكاد يوجد لها نظير (**بأن يُظهِر لكل واحدة**)

---

(١) لم يتعقبه الذهبي وإنما أقره.

(٢) المهذب في اختصار السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٤٧٧.

(٣) العلل ١٢/ ٣٨٥ - ٣٨٦.

(٤) التمهيد ٥/ ٣٢١.

(٥) التلخيص الحبير ٤/ ١٠٦.

(٦) نهاية المطلب ١٧/ ٢٨٠.

(٧) شرح مشكل الوسيط ٤/ ٤٤ (ط - دار كنوز إشبيلية بالرياض) وعبارته: «ما تمسك به الغزالي من حديث «فليستتر بستر الله»، فقد ذكر الإمام الشافعي أنه منقطع، وقول إمام الحرمين في نهايته أنه حديث متفق علىٰ صحته، يتعجب منه العارف بالحديث، وله أشباه كذلك كثيرة أوقعه فيها اطراحه صناعة الحديث التي يفتقر إليها كل فقيه وعالم».

(٨) المصباح المنير ص ٣٦٠.

منهن (**أنها أحب**) النساء (**إليه**) لتسكن بذلك (**أو كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعدٍ بما لا يقدر عليه، فيَعِدُها في الحال تطييبًا لقلبها**) وجبراً لخاطرها (**أو يعتذر إلىٰ إنسان وكان**) ممَّن (**لا يطيب قلبُه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودُّد**) مع وجود ذنب وقلة ودٍّ (**فلا بأس به**) أي يباح له ذلك (**ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولَّد منه محذور، فينبغي أن يقابل أحدَهما بالآخَر، ويزن بالميزان القسط**) أي العدل (**فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعًا في الشرع**) بأن يترتَّب عليه اختلال شيء من أموره الظاهرة وأعظم تأثيرًا (**من الكذب فله الكذب**) حينئذٍ (**وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق**) مراعاةً للأصل، ويلغىٰ النظر إلىٰ ذلك المقصود (**وقد يتقابل الأمر بحيث يتردَّد فيه**) أي يستوي طرفاه ولا بد من الترجيح (**وعند ذلك الميلُ إلىٰ الصدق أَولىٰ؛ لأن الكذب**) من أصله قبيح، وإنما قلنا إنه (**مباح لضرورة**) دعت (**أو حاجة مهمة**) ألمَّت (**فإذا شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم**) فيه (**فيرجع إليه، ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد**) وخفائه، فإنه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الأوقات والحالات (**فينبغي أن يحترز الإنسان عن الكذب ما أمكنه**) لأن الصدق أنجىٰ، والخلاص فيه أرجَىٰ (**وكذلك**) قالوا: (**مهما كانت الحاجة له**) أي لنفسه خاصةً (**فيُستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب**) ويختار الصدق (**وأما إذا تعلَّق بغرضِ غيرِه فلا تجوز المسامحة بحق الغير والإضرار به**) لأن حقه آكَدُ، والمراعاة فيه مطلوبة، والإضرار حرام (**وأكثر كذبِ الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم**) أي لأجل تحصيلها لها من حيث كانت (**ثم هو لزيادات المال والجاه**) وتكثير الحشم والخدم، والتبسُّط في أمور الدنيا (**ولأمور**) أُخَر (**ليس فواتها محذورًا**) شرعًا (**حتىٰ إن المرأة لَتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب**) في تعبيرها (**لأجل مراغمة الضَّرَّات**) وكسرِ قلبهن (**وذلك حرام، قالت أسماء**) بنت[1] أبي بكر الصدِّيق، زوجة الزبير، رضي اليه عنهم، وأمها قُتَيلة بنت عبد العزىٰ، من بني عامر بن

---

(١) تهذيب الكمال ٣٥/ ١٢٣ - ١٢٥. الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ١١٤ - ١١٥.

لؤي، أسلمت قديمًا بمكة، قال ابن إسحاق: بعد سبعة عشر نفسًا، وهاجرت وهي حامل من الزبير بولده عبد الله، فوضعته بقُباء، وعاشت إلىٰ أن وليَ ابنُها الخلافةَ، ثم إلىٰ أن قُتل، وماتت بعده بقليل، وكانت تلقَّب ذات النطاقين. وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وهي في الصحيحين وفي السنن، روىٰ عنها ابناها عبد الله وعروة، وأحفادها عَبَّاد بن عبد الله وعبد الله ابن عروة وفاطمة بنت المنذر بن الزبير وعَبَّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، ومولاها عبد الله بن كيسان، وابن عباس، وصفية بنت شيبة، وابن أبي مُلَيكة، ووهب بن كيسان، وغيرهم، وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سنٌّ ولم يُنكَر لها عقل (**سمعت امرأة تسأل رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة**) وهي امرأة زوجها (**وإني أتكثَّر من زوجي بما لا يفعل**) فأقول: أعطاني وكساني كذا، وهو كذب (**أضارُّها بذلك**) أي أطلب مَضَرَّتها، والمُضارَّة تكون من الجانبين (**فهل عليَّ فيه شيء؟ فقال: المتشبِّع**) متفعِّل[1] من الشبع، وصيغة التفعُّل للتكلُّف، ومعناها: المتكلِّف الإسراف في الأكل وزيادة علىٰ الشبع، أو المراد المتشبِّه بالشبعان وليس به (**بما لم يُعْطَ**) وفي رواية للعسكري: بما لم ينلْ. وكلاهما بالبناء للمجهول (**كلابس ثوبَي زورٍ**) أي ذي زور وهو من يزوِّر علىٰ الناس فيلبس لباس ذوي التقشُّف وليس هو بذلك، وأضاف الثوبين إلىٰ الزور لأنهما لُبسا لأجله، وثنَّىٰ باعتبار الرداء والإزار، يعني أن المتحلِّي بما ليس له كمَن لبس ثوبين من الزور فارتدَىٰ بأحدهما واتَّزر بالآخَر. وقيل: المراد بثوبَي زور: مَن يصل بكُمَّيه كُمَّينِ ليُرِي أنه لابس قميصين، أو مَن يلبس ثوبين لغيره موهمًا أنهما له. وكيفما كان فيتحصَّل منه أن تشبُّع المرأة علىٰ ضرتها بما لم يعطها زوجها حرام، وهذا من بديع التشبيه وبليغه.

قال العراقي[2]: متفق عليه[3] من حديث أسماء.

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢٦٠. شرح مشكاة المصابيح للطيبي ٧/ ٢٣٢٩. الفائق للزمخشري ٢/ ٢١٦. المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/ ١٤٠. المفهم للقرطبي ٥/ ٤٥١ - ٤٥٢.

(٢) المغني ٢/ ٨١٣.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ٣٩٣. صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٢ - ١٠٢٣.

قلت: وكذلك رواه أحمد[١] وأبو داود[٢]. ورواه مسلم[٣] أيضًا من حديث عائشة بهذه القصة. ورواه العسكري في الأمثال[٤] من طريق ابن جريج عن صالح مولىٰ التوأمة عن أبي هريرة مرفوعًا. وفي الباب سفيان بن الحكم الثقفي وجابر.

(**وقال ﷺ: مَن تطعَّم بما لم يَطعم أو قال**): هذا (**لي وليس له أو أُعطيتُ ولم يُعْطَ كان كلابس ثوبَي زور يوم القيامة**) قال العراقي[٥]: لم أجده بهذا اللفظ.

قلت: ولكن معناه صحيح، وروىٰ العسكري في الأمثال من طريق أيوب بن سويد عن الأوزاعي عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا: «مَن تحلَّىٰ بباطل كان كلابس ثوبَي زور»[٦].

وفي معناه ما رواه الديلمي من حديث ابن عباس[٧]: «مَن تزيَّن للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانَه الله عَزَّوَجَلَّ».

(**ويدخل في هذا فتوىٰ العالِم بما لم يتحقَّقه**) من نفسه (**وروايته الحديث الذي ليس يتثبَّت فيه**) لعدم تمكُّنه في صناعته (**إذ غرضه**) من إفتائه وتحديثه (**أن يُظهِر فضل نفسه**) علىٰ غيره (**فهو لذلك يستنكف من أن يقول: لا أدري، وهذا**

---

(١) مسند أحمد ٤٤/ ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٣٧.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٢.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٢.

(٤) وكذلك أبو الشيخ في أمثال الحديث ص ٦٢. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٧٢ - ٣٧٣ من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

(٥) المغني ٢/ ٨١٣.

(٦) ورواه أيضا بهذا اللفظ من حديث جابر: ابن حبان في صحيحه ٨/ ٢٠٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٤٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ١٠.

(٧) في كنز العمال ٣/ ٤٨٢: عن أبي موسىٰ. وقد روي هذا الحديث موقوفا علىٰ عمر بن الخطاب ضمن كتاب بعث به إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري، كما رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٨١ - ١٨٢ والدارقطني في سننه ٥/ ٣٦٩ - ٣٧٠ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٠.

حرام) ويلتحق به الانتصاب للتدريس والإفادة في العلوم الظاهرة أو الباطنه من غير تمكُّنه من الأهلية، فإنه لعبٌ في الدين وإزراء به، قال الشِّبْلي: مَن تصدَّر قبل أوانه فقد تصدَّىٰ لهوانه[1]. وفي المشهور علىٰ الألسنة: مَن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه[2] **(وممَّا يلتحق بالنساءِ الصبيانُ، فإنَّ الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد)** بشيء **(أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحًا)** وإن كان كذبًا في نفسه **(نعم، روينا في الأخبار أن ذلك يُكتَب كُذَيبة)** تصغير كذبة. فمن ذلك ما رُوي من حديث ابن مسعود مرفوعًا وموقوفًا في أثناء حديث طويل: «وإن الكذب لا يصلُح منه جِدٌّ ولا هزل، ولا يَعِد أحدُكم صبيًّا ولا ينجز له». ومن حديث أبي هريرة: «مَن قال لصبيِّه: ها أعطيك، فلم يعطِه شيئًا كُتبت كذبة». رواهما ابن أبي الدنيا في الصمت[3] **(ولكن الكذب المباح أيضًا قد يُكتب)** في صحيفة أعماله **(ويحاسَب عليه ويطالَب بتصحيح قصده)** وحُسن نيَّته **(فيه ثم يُعفَىٰ عنه)** بمحض فضله **(لأنه إنما أبيحَ بقصد الإصلاح، ويتطرَّق إليه غرور كثير، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغنٍ عنه، وإنما يتعلَّل ظاهرًا بالإصلاح، فلهذا يُكتب)** ومن ثَم شُدِّد فيه، فقال ابن مسعود: والذي نفسي بيده ما أحلَّ الله الكذب في جد ولا هزل قط، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] وقال الأعمش: ذكرت لإبراهيم حديث أبي الضحىٰ عن مسروق أنه رُخِّص في الكذب في الإصلاح بين الناس، فقال: ما كانوا يرخِّصون

---

(١) هذا القول نسبه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٥١٦ لأبي الطيب الصعلوكي النيسابوري الشافعي. وانظر أيضا: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٢٠٨. طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٤/ ٣٩٨.

(٢) هذه إحدىٰ القواعد الفقهية المشهورة.

انظر: المنثور في القواعد الفقهية للزركشي ٣/ ٢٠٥ (ط - وزارة الأوقاف الكويتية). الأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ٢٤٨ (ط - مكتبة نزار الباز). غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر للحموي ١/ ٤٥١.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٢، ٢٥٨.

في الكذب في جد ولا هزل. وقال عبد الله بن عون: ذُكر عند محمد بن سيرين أنه يصلُح الكذبُ في الحرب، فأنكر ذلك وقال: ما أعلم الكذب إلا حرامًا[١] **(وكل مَن أتىٰ بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب له)** أي لأجل تحصيله **(هل هو أهمُّ في الشرع من الصدق)** وآكَدُ **(أم لا، وذلك غامض)** أي خفيٌّ **(جدًّا، فالحزم)** كل الحزم في **(تركه)** من أصله **(إلا أن يصير واجبًا)** عليه **(بحيث لا يجوز تركُه، كما إذا كان)** الصدق **(يؤدي إلىٰ سفك دم)** أخيه بغير وجه شرعي **(أو ارتكاب معصية)** كبيرة يتسبَّب عنها الانحلال عن ربقة الدين **(كيف كان)** وهذا هو التحقيق في هذا المقام **(وقد ظن ظانُّون)** من الكَرَّامية ومَن تبعَهم من غيرهم من جهلة المتصوفة والقُصَّاص **(أنه يجوز وضعُ الأخبار)** علىٰ رسول الله ﷺ **(في)** الترغيب مثل **(فضائل الأعمال)** من صلاة وصوم في ساعات مخصوصة وأيام مخصوصة، وكذا فضائل القرآن **(وفي)** الترهيب مثل **(التشديد في المعاصي)** والزجر عنها **(وزعموا أن القصد منه صحيح، وهو خطأ محض)** وشذوذ عن طريق الاستقامة، بل[٢] غباوة ظاهرة وجهالة متناهية، قال ابن جماعة[٣] وغيره: وهؤلاء أعظم الأصناف ضررًا وأكثرهم خطرًا؛ إذ لسان حالهم يقول: الشريعة محتاجة لكذا فنكملها **(إذ قال ﷺ: مَن كذب عليَّ)** أي أخبر عني بشيء علىٰ خلاف ما هو عليه **(متعمِّدًا)** أي قاصدًا ذلك عن عمد **(فليتبوَّأ)** أي فليتَّخذ **(مقعده من النار)** أمرٌ بمعنىٰ الخبر، أو بمعنىٰ التهديد، أو بمعنىٰ التهكُّم، أو دعاء عليه، أي بوَّأه الله ذلك، أو خبر بلفظ الأمر ومعناه: استوجب ذلك فليوطِّن نفسه عليه، والمراد أن هذا جزاؤه، وقد يُغفر له. أو الأمر علىٰ حقيقته والمعنىٰ: مَن كذب فليأمر نفسه بالبواء [ويلزم عليه] قال الحافظ ابن حجر[٤]: وأول الوجوه أولاها. أخرج هذا

---

(١) هذه الآثار الثلاثة رواها ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٥، ٢٥٨.

(٢) فيض القدير ٦/ ٢١٤ - ٢١٦.

(٣) المنهل الروي في علوم الحديث النبوي لبدر الدين ابن جماعة ص ٥٣ - ٥٥ (ط - دار الفكر).

(٤) فتح الباري ١/ ٢٤٣.

الحديثَ الأئمة الستة في كتبهم من طرق متعددة تقدم ذِكرُها تفصيلاً في كتاب العلم، فراجعْه. وقال ابن الصلاح: ليس في مرتبته من التواتر غيره[١]. وخرج بقوله «متعمِّدًا» ما إذا كان عن ذهول ونسيان كما وقع لبعض الثقات، فإنَّ هذا ليس بكذب عليه (**وهذا لا يُرتكَب إلا لضرورة، ولا ضرورة هنا؛ إذ في الصدق مندوحة**) أي متسَع (**عن الكذب، ففيما ورد من الآيات والأخبار**) في الترغيب والترهيب (**كفاية**) ومَقنع (**عن غيرها**) فلا يُصار إليه (**وقول القائل**) منهم: (**إن ذلك قد تكرَّر علىٰ الأسماع**) وكثُر ورودُه عليها (**وسقط وقعُه**) وملَّت منه (**وما هو جديد**) طرأ لم يُسمَع (**فوقعُه**) علىٰ القلوب (**أعظم. فهذا هوسٌ**) وتخبيط وجهل عظيم (**إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذورَ الكذب علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ الله تعالىٰ، و**) إذا قيل بذلك علىٰ ما زعموا فإنه (**يؤدي فتحُ بابه إلىٰ أمور تشوِّش الشريعة**) وتقلبها (**فلا يقاوم خير هذا**) إن فُرض أنه خير (**شره أصلاً**) وإذا فهمتَ ذلك (**فالكذب علىٰ رسول الله ﷺ**) هو كذبٌ علىٰ الله تعالىٰ، وأنه (**من الكبائر التي لا يقاومها شيءٌ**) أي هو من أكبر الكبائر، وعليه الإجماع، وكون متعمِّد الكذب عليه يكفر ذهب إليه الشيخ أبو محمد الجويني، كما نقله ابن الجوزي والسيوطي وغيرهما، ولكن ضعَّفه ابنه إمام الحرمين، كما تقدم ذلك في كتاب العلم مفصَّلاً. وروىٰ أحمد[٢] من حديث عمر: «مَن كذب عليَّ فهو في النار». وظاهره ولو مرة،

---

(١) عبارة ابن الصلاح في معرفة علوم الحديث ص ٢٦٩: «حديث «من كذب علي متعمدا» نقله من الصحابة العدد الجم، وهو في الصحيحين مروي عن جماعة منهم. وذكر أبو بكر البزار في مسنده أنه رواه عن رسول الله ﷺ نحو من أربعين رجلا من الصحابة. وذكر بعض الحفاظ أنه رواه عنه ﷺ اثنان وستون نفسا من الصحابة، وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة. قال: وليس في الدنيا حديث اجتمع علىٰ روايته العشرة غيره، ولا يُعرف حديث يروىٰ عن أكثر من ستين نفسا من الصحابة عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث الواحد. قلت: وبلغ بهم بعض أهل الحديث أكثر من هذا العدد، وفي بعض ذلك عدد التواتر، ثم لم يزل عدد رواته في ازدياد وهلم جرا علىٰ التوالي والاستمرار».

(٢) مسند أحمد ١/ ٤١٠.

قال أحمد: يفسق وتُرَدُّ شهادته ورواياته كلها ولو تاب وحسنت توبته تغليظًا عليه. وغالب الكذَّابين علىٰ النبي ﷺ زنادقة أرادوا تبديل الدين، قال حماد[1]: وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث. والله أعلم. واستُشكِل هذا الحديث بأن الكذب معصية مطلقًا إلا لمصلحة، والمعاصي متوعَّد عليها بالنار، فما الذي امتاز به عنها الكاذب عليه؟ وأُجيبَ بأن الكذب عليه كبيرة، وعلىٰ غيره صغيرة، ولا يلزم أن يكون مَقرُّ الكاذبين واحدًا، ويدل لذلك ما رواه الطبراني في الكبير[2] وابن مردويه من حديث أبي أمامة: «مَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من بين عينَي جهنم». قالوا: يا رسول الله، نحدِّث عنك بالحديث نزيد وننقص. قال: «ليس ذاك أعنيكم، إنما أعني الذي يكذب عليَّ متحدِّثًا يطلب به شَيْن[3] الإسلام». قالوا: وهل لجهنم عين؟ قال: «نعم، أما سمعتموه يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢] فهل تراهم إلا بعينين»[4].

---

(١) هو حماد بن زيد البصري، وقد اختلفت المصادر في العدد، فرواه عنه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٨: أربعة عشر ألف، كما هنا. ورواه الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٤٣١ والعقيلي في الضعفاء الكبير ١/ ٣١: اثني عشر ألف. وفي اللآلئ المصنوعة للسيوطي ٢/ ٤٦٨: أربعة آلاف.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ١٥٥.

(٣) كذا هنا وفي مجمع الزوائد ١/ ٣٧٣ وكنز العمال ١٠/ ٢٣٦. وفي المعجم الكبير: (تشقيق) ولعله تحريف، وإن كان صحيح المعنىٰ.

(٤) انظر: تهذيب الآثار، للطبري (مسند علي بن أبي طالب صـ١٤٨).

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

جمع مِعْراض، والمراد به التعريض. قال السعد التفتازاني: التعريض: ذِكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم. وقال بعض المتأخرين: هو ذِكر شيء مقصود بلفظ حقيقي أو مجازي أو كِنائيٍّ ليدل به علىٰ شيء آخَر لم يُذكَر في الكلام. نقله المناوي في شرحه(١). وقيل: هو أن يتكلم الرجل بكلمة يُظهِر من نفسه شيئًا ومراده شيء آخر. كذا في البستان(٢). وتحقيقه في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وفي المغرب(٣): التعريض خلاف التصريح، والفرق بينه وبين الكناية هو أن التعريض تضمين الكلام دلالة ليس لها فيه ذِكر، كقولك: ما أقبح البخل! تعريض بأنه بخيل. والكناية ذِكر الملزوم وإرادة اللازم(٤)، كقولك: فلان طويل النِّجاد، كثير الرماد. والنجاد: حمائل السيف، والمعنىٰ أنه طويل القامة ومِضْياف.

(قد نُقل عن السلف) قولهم: (إن في المعاريض مندوحة) أي سعة وغُنية وفسحة (عن الكذب) وهذا قد رُوي مرفوعًا، أخرجه ابن عدي في الكامل(٥) من طريق أبي إبراهيم الترجماني، حدثنا داود بن الزبرقان، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زُرارة بن أبي أوفىٰ، عن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إن في

---

(١) فيض القدير ٢/ ٤٧٢. والذي في فتح الباري لابن حجر ٩/ ٨٥ أن صاحب التعريف الثاني - المنسوب لبعض المتأخرين - هو السعد التفتازاني.

(٢) بستان العارفين للسمرقندي ص ١٥٦ (ط - المطبعة اليوسفية).

(٣) المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٢/ ٥٤. وليس فيه (والنجاد حمائل السيف).

(٤) في المغرب: ذكر الرديف وإرادة المردوف.

(٥) الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٦٣.

المعاريض لَمندوحةٌ عن الكذب». قال: ولا أعلم رفعه غير داود[١]. ورواه البيهقي[٢] وابن السني[٣] عنه موقوفًا، قال البيهقي: الصحيح هكذا، ورواه الترجماني عن داود بن الزبرقان عن ابن أبي عروبة فرفعه. قال الذهبي[٤]: داود قد تركه أبو داود. وقد رواه كذلك البخاري في الأدب المفرد[٥] **(قال عمر** رضي الله عنه**)** في معنىٰ ذلك: **(أما في المعاريض ما يكفي الرجلَ عن الكذب)** أي يغنيه عنه ويجعله في فسحة منه. رواه البيهقي في الشعب[٦] من طريق أبي عثمان النهدي عنه بلفظ: أما إنَّ في المعاريض ما يكفي المسلمَ عن الكذب. ورواه[٧] العسكري في الأمثال من طريق محمد بن كثير عن ليث عن مجاهد قال: قال عمر: إن في المعاريض لَمندوحةٌ للرجل المسلم الحر عن الكذب **(ورُوي ذلك عن ابن عباس وغيره)** من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم عمران بن حصين، فقد رُوي ذلك من قوله كما في الأدب المفرد للبخاري، ومنهم مَن رفعه كما تقدم، والموقوف هو الصحيح؛ قاله البيهقي. ومنهم علي بن أبي طالب، رُوي عنه موقوفًا ومرفوعًا **(وإنما أرادوا بذلك إذا اضطرَّ الإنسان إلىٰ الكذب)** وأُلجئَ إليه **(فأما إذا لم تكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعًا، ولكن التعريض أهون)** في الجملة. وقال البيهقي بعد أن أورد الحديث المذكور: هذا يجوز فيما يردُّ به ضررًا ولا يضر الغيرَ **(ومثال المعاريض ما رُوي أن مطرِّفا)** هو ابن عبد الله بن الشِّخِّير البصري التابعي الثقة العابد، تقدَّم ذِكره **(دخل علىٰ زياد)** بن عبيد الله، وهو المعروف بابن سمية، ولاَّه يزيد بن معاوية

---

(١) عبارة ابن عدي: «وهذا يرفعه داود بن الزبرقان عن سعيد بن أبي عروبة، وغيره أوقفه».

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٦.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٢٠١ مرفوعا من غير طريق داود بن الزبرقان.

(٤) المهذب في اختصار السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٢٠٧.

(٥) الأدب المفرد ص ٢٥٤، ٢٦١.

(٦) شعب الإيمان ٦/ ٤٤٥، وكذا في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٥ بلفظ: «أما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب»؟

(٧) المقاصد الحسنة ص ١١٦.

البصرة والكوفة[١] **(فاستبطأه)** أي عاتبه في بطئه عنه للسلام عليه **(فتعلَّل)** مطرِّف **(بمرض)** أي أظهر له أنه كان مريضًا **(وقال: ما رفعت جنبي)** عن الفراش **(منذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله)**[٢] فإنه يشمل الرفع الاختياري والاضطراري.

(وقال إبراهيم) النخعي: **(إذا بلغ الرجلَ عنك شيءٌ فكرهتَ أن تكذب فقلْ: إن الله لَيعلمُ ما قلت من ذلك من شيء**[٣]**. فيكون قوله «ما» حرف نفي عند المستمع)** فيفهم من قوله أنه لم يقلْه **(وعنده)** أي عند القائل **(للإيهام)** إما موصولة أو استفهامية، وفي كلٍّ منهما الإيهام، وكذا لو قال: الله يعلم ما قلتُه. وهو أخصرُ من الأول.

(وكان معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(عاملاً لعمر** رضي الله عنه**)** علىٰ بعض الأعمال **(فلما رجع)** من عمله **(قالت له امرأته: ما جئتَ به ممَّا يأتي به العمال إلىٰ أهليهم)** وفي بعض النسخ: من عراضة أهليهم. والمراد الهدية والتحفة تُعرَض علىٰ الأهل **(ولم يكن جاء به)** وفي نسخة: وما كان قد أتاها بشيء فاعتذر إليها **(فقال: كان معي ضاغط)** قال ابن فارس في المجمل[٤]: يقال: أرسله ضاغطًا علىٰ فلان، وهو شِبه الرقيب يمنعه من الظلم **(قالت)** زوجته: **(كنتَ أمينًا عند رسول الله ﷺ وعند أبي بكر)** إذ استعملاك علىٰ أعمالهم **(فبعث معك عمر ضاغطًا)** أنكرتَ ذلك **(فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر، فلما سمع عمر ذلك دعا معاذًا وقال: بعثتُ معك**

---

(١) المقصود هنا زياد ابن أبي سفيان - أو ابن عبيد - المعروف بزياد ابن أبيه. وقول الشارح (ولاه يزيد) خطأ، وإنما الذي ولاه الكوفة والبصرة هو معاوية، وقد مات زياد سنة ٥٣، أي قبل خلافة يزيد بسبع سنوات.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١٤٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨/ ٣١٢.

(٣) رواه ابن الجوزي في كتاب الأذكياء ص ١٠٥ - ١٠٦ (ط - دار ابن حزم) بلفظ: أتىٰ رجل إبراهيم فقال: إني ذكرت رجلا بشيء فبلغه عني، فكيف لي أن أعتذر إليه؟ قال: تقول: والله إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء.

(٤) مجمل اللغة ص ٥٦٤.

ضاغطًا؟ قال: لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك. فضحك عمر) وعلم أن هذا من باب التعريض لمصلحةٍ تطييبًا لخاطرها (**وأعطاه شيئًا فقال: أرضِها به**[(١)].

وقوله: **ضاغطًا، يعني رقيبًا، يريد به**) معاذ (**ربَّه تعالىٰ**)[(٢)] أي محاسبًا ضابطًا.

(**وكان**) إبراهيم (**النخعي**) رحمه الله تعالىٰ (**لا يقول لابنته: أشتري لكِ سكرًا، بل يقول: أرأيتِ لو اشتريتُ لكِ سكرًا**) تحرِّيًا من الوقوع في الكذب (**فإنه ربما لا يتفق له ذلك**) فيكون كذبًا.

(**وكان إبراهيم**) النخعي (**إذا طلبه**) في الدار (**من يكرهه**) أي يكره لقيَّه (**وهو في الدار قال للجارية: قولي له: اطلبْه في المسجد**) أي مسجد الحي، وهو يكون في مسجد بيته (**ولا تقولي: ليس ههنا، كيلا يكون كذبًا**).

وكان[(٣)] بعضهم يقول لخادمه[(٤)]: قل له: ما هو هون. يريد به الهاون الذي يُدَقُّ فيه (**وكان**) عامر بن شُراحيل (**الشعبي إذا طُلب في البيت وهو يكرهه**) أي يكره أن يخرج إليه (**يخط دائرة ويقول للجارية: ضعي أصبعك فيها وقولي: ليس ههنا**) وفي رواية: كان يخط بإصبعه دارة في الحائط ويقول: قل له: ما هو في الدار. ويريد به جمع دارة. ومن ذلك قول سعيد بن جبير حين أراد الحجاج قتله وقد قال له: ما تقول فيَّ؟ قال: قاسط عادل. فقال الحاضرون: ما أحسن ما قال! ظنوا أنه وصفه بالقسط والعدل، قال الحجاج: يا جَهَلة، سمَّاني مشركًا ظالمًا. ثم تلا:

---

(١) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٥٨ والفاكهي في فوائده ص ٥١٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨/ ٤٣٤ - ٤٣٥ وأبو عبيد في الأموال ٢/ ٢٧٩ عن سعيد بن المسيب قال: بعث عمر معاذا ساعيا علىٰ بني كلاب، أو علىٰ بني سعد بن ذبيان، فقسم فيهم شياها حتىٰ لم يدع شيئا، حتىٰ جاء بحلسه الذي خرج به علىٰ رقبته، فقالت امرأته: ما جئت به ... الخ.

(٢) هكذا فسره به ابن جريج أحد رواة الخبر.

(٣) فيض القدير ٢/ ٤٧٢.

(٤) بعده في الفيض: إذا جاء من يطلبه ولا غرض له يلفيه.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الآية [الجن: ١٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

وقصد رجل باب المأمون فقال: قولوا: أحمد النبي بالباب. فاستحضره وهدَّده، فقال: أنا أحمد النبيّ، أنت لا تحمده؟ فضحك وقضىٰ حاجته[1].

ومن أحسن المعاريض ما رواه[2] الحسن بن سفيان والديلمي[3] من حديث أبي هريرة قال: ركب رسول الله ﷺ خلف ناقة أبي بكر وقال: «يا أبا بكر، ولِّه الناسَ عني، فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب». فجعل الناس يسألونه: من أنت؟ قال: باغٍ يبتغي. قالوا: ومَن وراءك؟ قال: «هادٍ يهديني»[4].

(وهذا كله في موضع الحاجة، فأما في غير موضع الحاجة فلا؛ لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبًا، فهو مكروه علىٰ الجملة، كما روىٰ عن عبد الله بن عُتبة) بن عبد الله بن مسعود الهُذَلي الكوفي، والد أبي العُمَيس **(قال: دخلت)** مع أبي عتبة بن عبد الله بن مسعود **(علىٰ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ، فخرجت**

---

(١) ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار ٤/ ٣٥٢ وابن حمدون في تذكرته ٨/ ٢٦١ هذه الحكاية بسياق آخر فقالا: «تنبأ رجل في أيام المأمون، وكان يقول: أنا أحمد النبي، فحُمل إليه، فقال له: أمظلوم أنت فتُنصف؟ فقال: ظُلمت في ضيعتي. فتقدم بإنصافه، ثم قال: ما تقول في دعواك؟ قال: أنا أحمد النبيّ، فهل تذمه أنت»؟ وفي سمط اللآلي شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري ١/ ٢٤٠: «أراد رجل الوصول إلىٰ المأمون في ظلامة فلم يصل إليه، فقال علىٰ الباب: أنا أحمد النبي المبعوث. فكتب بذلك صاحب الخبر يذكر أن رجلا تنبأ، فأُدخل علىٰ المأمون، فقال له: ما تقول؟ فذكر ظلامته، فقال له: ما تقول فيما حُكي عنك؟ قال: وما هو؟ قال: ذكروا أنك تقول إنك نبي. قال: معاذ الله، إنما قلت إني أحمد النبي المبعوث، أفلستَ يا أمير المؤمنين ممن يحمده؟ قال: نعم. واستظرفه ونظر في أمره».

(٢) كنز العمال ٣/ ٨٧٦.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٣٠٧ من أول قوله: يا أبا بكر وله الناس.

(٤) قوله أهاد يهديني. هو عند أحمد ١٢٢٥٩، وأبي يعلي ٦/ ٢٠٣. وإسناده صحيح. وبنحو ما ذكره المصنف أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٣٤.

وعليَّ ثوب) أي جديد **(فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أميرُ المؤمنين)** يعني عمر بن عبد العزيز **(فكنت أقول: جزىٰ الله أمير المؤمنين خيرًا. فقال لي أبي: يا بني، اتقِ الكذب وما أشبهَه)** والذي في كتاب الصمت لابن أبي الدنيا[1] قال: حدثنا المثنَّىٰ بن معاذ، ثنا سَلَم بن قتيبة، عن المسعودي، عن عون ابن عبد الله قال: كساني أبي حُلَّة، فخرجت فيها، فقال لي أصحابي: كساك هذه الأميرُ؟ فأحببت أن يروا أن الأمير كسانيها فقلت: جزىٰ الله الأمير خيرًا، كسا الله الأمير من كسوة الجنة. فذكرت ذلك لأبي، فقال: يا بني، لا تكذب ولا تَشَبَّهْ بالكذب.

فالمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، وعون هو ابن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، فالقصة لعون مع أبيه عتبة لا لعتبة مع أبيه عبد الله كما هو في سياق المصنِّف.

(فنهاه عن ذلك) أي عن التعريض **(لأن فيه تقريرًا لهم علىٰ ظنٍّ كاذب لأجل غرض المفاخرة، وهو غرض باطل ولا فائدة فيه)** ويكفي في تقبيح التقرير علىٰ الظن الكاذب ما تقدَّم من حديث سمرة بن جندب: «مَن حدَّث بحديث وهو يرىٰ أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبين» **(نعم، المعاريض تُباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح، كقوله ﷺ: لا تدخل العجوز الجنة)** وقد تقدم قريبًا **(وكقوله للأخرىٰ: الذي في عين زوجك بياض)** قاله لأم أيمن، وقد تقدم أيضًا **(و)** كقوله **(للأخرىٰ: نحملكِ علىٰ ولد البعير)** قاله لامرأة جاءته تستحمله، وقد تقدم أيضًا **(وما أشبهَه، فأما الكذب الصريح كما فعله نُعَيمان)** بن عمرو **(الأنصاري)** رضي الله عنه **(مع عثمان)** بن عفَّان رضي الله عنه **(في قصة الضرير)** يعني به مَخرمة[2] بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة الزهري، وهو أبو المسور رضي الله عنه، قال الواقدي: وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، وكان قد عمي **(إذ قال له إنه نعيمان)** فضربه حتىٰ شجَّه في وجهه، وكان يصلي،

(١) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) الإصابة ٩/ ١٤٦ - ١٤٧. الاستيعاب ٢/ ٢١٨ - ٢١٩.

وهذه القصة ذكرها الزبير بن بكّار في كتاب «الفكاهة والمزاح»[1] قال: حدثني عمي عن جدي قال: كان مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام في المسجد يريد أن يبول، فصاح به الناس: المسجد المسجد، فأخذ نعيمان بن عمرو بيده فتنحّىٰ به ثم أجلسه في ناحية أخرىٰ من المسجد فقال له: بل هنا. قال: فصاح به الناس، فقال: ويحكم! فمَن أتىٰ بي إلىٰ هذا الموضع؟ [قالوا: نعيمان] فقال: أما إن لله عليَّ إن ظفرتُ به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت. فبلغ ذلك نعيمانَ، فمكث ما شاء الله، ثم أتاه يومًا وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد، فقال لمخرمة: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم. فأخذ بيده حتىٰ أوقفه علىٰ عثمان، وكان [عثمان] إذا صلىٰ لا يلتفت، فقال: دونك هذا نعيمان. فجمع يديه بعصاه فضرب عثمان فشجَّه، فصاحوا به: ضربتَ أمير المؤمنين ... فذكر بقية القصة[2]

(وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقىٰ) الذين نقص جوهرُ عقولهم **(بتغريرهم)** أي بإيقاعهم في الغرور والغفلة **(بأن امرأة قد رغبت في تزويجك)** ويصوِّرون لهم كلامًا يصدِّقونه **(فإن كان فيه ضرر)** ظاهر **(يؤدي إلىٰ إيذاء قلب)** مسلم **(فهو حرام)** لا يجوز ارتكابه **(وإن لم يكن إلا مطايبةٌ)** بلِين كلامٍ **(فلا يوصَف صاحبها بالفسق، ولكن يُنقِص ذلك من درجة إيمانه)** العليا **(قال رسول الله ﷺ: لا يستكمل المؤمن إيمانَه حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وحتىٰ يجتنب الكذب في مزاحه)** قال العراقي[3]: ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب[4] من حديث أبي مُلَيكة الذِّماري، وقال: فيه نظرٌ. وللشيخين من حديث أنس: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما

---

(١) ومن طريقه: ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٢/ ١٤٧، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ٣١٥.

(٢) وهي: «فاجتمع بنو زهرة في ذلك، فقال عثمان: دعوا نعيمان، لعن الله نعيمان».

(٣) المغني ٢/ ٨١٤.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٤٦٩ حتىٰ قوله (ما يحب لنفسه) دون ذكر الكذب. وقوله (فيه نظر) ذكره ابن عبد البر لما أورد صاحبين، أحدهما أبو مليكة القرشي التيمي، والآخر أبو مليكة الكندي، ثم قال: وفيهما نظر. أي في صحبتهما نظر، ولم يُرِد الحديث.

يحب لنفسه»[1]. وللدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة: «لا يؤمن عبدٌ الإيمان كلَّه حتىٰ يترك الكذب في مزاحه». قال أحمد بن حنبل: منكر.

قلت: ذكره البخاري في الكنىٰ[2] وأورد له هذا الحديث من طريق راشد بن سعد عنه.

ورواه أبو نعيم في المعرفة[3] بلفظ: «وحتىٰ يخاف الله في مزاحه وجده».

وحديث أبي هريرة رواه أيضًا أحمد[4] والطبراني في الأوسط[5] بلفظ: «حتىٰ يترك الكذب في المزاحة، ويترك المِراء وإن كان صادقًا».

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت[6]: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن الحكم قال: قال ابن عمر: لا يبلغ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتىٰ يَدَع المِراء وهو مُحِقٌّ، والكذبَ في المزاح». ورواه أبو يعلىٰ من حديث عمر، وقد تقدم الكلام عليه في آفة المراء.

(**وأما قوله ﷺ: إن الرجل لَيتكلمُ بالكلمة ليُضحِك بها الناسَ يهوي بها في النار أبعد من الثريَّا**) تقدم في الآفة الثالثة مع نظائره (**أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح**) وقد تقدمت الإشارة إليه آنفًا.

(**ومن الكذب الذي لا يوجب الفسقَ**) أي ومن جنس الكذب الملحَق به ولا يوجب الفسقَ بسببه (**ما جرت به العادة في المبالغة**) في العدد (**كقوله: قلت لك كذا مائة مرة، وطلبتك مائة مرة**) وقد يُزاد في المبالغة فيقال: خمسمائة مرة،

(١) تقدم هذا الحديث غير مرة.

(٢) التاريخ الكبير ٩/ ٧٤.

(٣) معرفة الصحابة ٦/ ٣٠٢١.

(٤) مسند أحمد ١٤/ ٢٧٨، ٣٧١.

(٥) المعجم الأوسط ٥/ ٢٠٨.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٢٩٠.

أو ألف مرة (**فإنه لا يُراد به تفهيم المرَّات بعددها بل تفهيم المبالغة**) بأنْ وقع منه ذلك الفعل مرات (**فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبًا**) في قوله، وكذا في العشرة (**وإن كان طلبه مرات لا يُعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم يبلغ مائة**) أو أكثر (**وبينهما درجات يتعرَّض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب**) أي خطر الوقوع فيه، وكذا[1] الاستعارة قريبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة، ولكنها ليست بكذب، فإنَّ علماء البيان قد حقَّقوا ذلك بالبرهان وقالوا: الاستعارة تفارق الكذبَ من وجهين، أحدهما: البناء علىٰ التأويل، وثانيهما: نصب الدليل من القرينة علىٰ إرادة خلاف الظاهر، نحو: رأيت أسدًا في الحمَّام، ولكن عليك الاحتياط في مثل هذا الكلام.

(**وممَّا يُعتاد الكذب فيه ويُتساهَل به أن يقال: كل الطعامَ، فيقول: لا أشتهيه. وذلك منهيٌّ عنه، وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح**) وهو أن يكون شبعان ولا يرىٰ إدخال الطعام علىٰ الطعام، أو يكون الطعام فيه شُبهة أو قذارة لا يُشتهَىٰ لأجل ذلك أو غيره. وقد أخرج ابن أبي الدنيا من طريق شقيق بن سلمة قال: قال لي أخي عبد الرحمن بن سلمة: ما كذبت منذ أسلمت، إلا أن الرجل يدعوني إلىٰ طعامه فأقول: ما أشتهيه، فعسىٰ أن يُكتَب[2] (**قال مجاهد**) ابن جبر المكي التابعي الثقة : (**قالت أسماء بنت عُمَيس**) بن[3] معبد بن الحارث بن [تيم بن] كعب الخثعمية، هاجرت مع جعفر إلىٰ الحبشة، ثم تزوجها أبو بكر الصدِّيق، ثم علي بن أبي طالب، وكانت فاضلة جليلة (**كنت صاحبة عائشة**) ﵂ (**في الليلة التي هيَّأْتُها وأدخلتُها علىٰ رسول الله ﷺ، ومعي نسوة. قالت: فوالله ما وجدنا عنده قِرىٰ**) أي ضيافة (**إلا قدحًا من لبن، فشرب منه، ثم ناوله عائشة**) ﵂ (**قالت**) أسماء: (**فاستحيت الجارية. قالت: فقلت: لا تردِّي يد رسول الله ﷺ، خذي منه. قالت: فأخذته منه علىٰ حياء**

---

(١) مفاتيح الجنان شرح شرعة الإسلام لسيد علي زاده ص ٣٥٥.

(٢) تقدم هذا الأثر قريبا.

(٣) تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٤٤.

فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك) وهنَّ النسوة اللاتي أتينَ معها **(فقلن: لا نشتهيه)** وأبينَ أن يأخذنه **(فقال: لا تجمعن جوعًا وكذبًا. قالت)** أسماء: **(فقلت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه، أيُعَدُّ ذلك كذبًا؟ فقال: إن الكذب لَيُكتَب كذبًا حتىٰ تُكتَب الكُذَيبة كذيبة)** قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] والطبراني في الكبير[٣]، وله[٤] نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد، وهو الصواب، فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة، لكن في طبقات الأصبهانيين[٥] لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس: زففنا إلىٰ النبي ﷺ بعض نسائه ... الحديث. فإذا كانت غير عائشة ممَّن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عثمان ابن عمر، حدثنا يونس بن يزيد الأَيْلي، عن أبي شداد، عن مجاهد ... فذكره مثل سياق المصنف.

ورواه أحمد[٦] وابن ماجه[٧] والبيهقي[٨] من حديث أسماء بنت عميس قالت: أُتي النبي ﷺ بطعام، فعرض علينا، فقلنا: لا نشتهيه. فقال: «لا تجمعن جوعًا وكذبًا».

---

(١) المغني ٢/ ٨١٥.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٢.

(٣) المعجم الكبير ٢٤/ ١٥٦.

(٤) السابق ٢٤/ ١٧٢.

(٥) طبقات المحدثين بأصبهان ٤/ ٨٥.

(٦) مسند أحمد ٤٥/ ٤٦٤.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣ من حديث أسماء بنت يزيد، وكذا هو في كنز العمال ٣/ ٦٢٣، واللفظ المذكور هو لفظ ابن ماجه.

(٨) شعب الإيمان ٦/ ٤٦٣.

(**وقد كان أهل الورع**) من السلف (**يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب**) كما مر عن عبد الرحمن بن سلمة (**قال**) أبو[1] الحارث (**الليث بن سعد**) بن عبد الرحمن الفهمي المصري، ثقة، ثبت، إمام، فقيه مشهور، مات في شعبان سنة خمس وسبعين [ومائة] (**كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتىٰ يبلغ الرمصُ خارج عينيه، فيقال له: لو مسحتَ هذا الرمص**) بخرقة أو نحوها (**فيقول: فأين قولي للطبيب وهو يقول: لا تمسَّ عينيك، فأقول: لا أفعل**) أخرجه ابن أبي الدنيا[2] عن عيسىٰ بن عبد الله التميمي، أنبأنا يحيىٰ بن بُكَير المصري، سمعت الليث بن سعد ... فذكره، وفيه بعد قوله «خارج عينيه»: وصف يحيىٰ بيده إلىٰ المحاجر.

(**وهذه مراقبة أهل الورع**) وشدة احتياطهم (**ومَن تركه انسلَّ لسانُه في الكذب عن حدِّ اختياره فيكذب و**) هو (**لا يشعر**) به.

(**وعن جَوَّاب**) بن عبيد الله (**التيمي**) الكوفي، صدوق، رُمي بالإرجاء، وقد ذكره المصنف في كتاب الحلال والحرام، وأنه ضعيف عند أهل الحديث، وذُكر ما يتعلَّق به هناك، فراجعْه (**قال: جاءت أخت الربيع بن خثيم**) الثوري الكوفي العابد، تقدم ذِكرُه في كتاب تلاوة القرآن (**عائدةً**) من العيادة للمريض (**إلىٰ بُنَيٍّ له**) تصغير «ابن»، وقد كان مريضًا (**فانكبَّت عليه فقالت: كيف أنت يا بني؟ قال: فجلس الربيع**) بعد أن كان مضطجعًا (**فقال: أأرضعتيه؟ قالت: لا. قال: ما عليكِ لو قلتِ يا ابن أخي فصدقتِ**) أخرجه ابن أبي الدنيا[3] عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدثنا قيس بن سليم، عن جَوَّاب التيمي قال: جاءت أخت الربيع ... فذكره. وقال أيضًا: حدثنا عبد الرحمن بن يونس، حدثنا يحيىٰ بن يمان، أنبأنا سفيان بن سعيد، عن أبيه، عن محارب بن دِثار أن امرأة قالت لشُتَير بن شَكَل: يا بني. قال: كذبتِ، لم تلديني، أو: ما ولدتيني.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٨١٧.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٨.

(٣) السابق ص ٢٥٥.

(**ومن العادة أن يقول «يعلم الله» فيما لا يعلمه، قال عيسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إن من أعظم الذنوب عند الله تعالىٰ أن يقول العبد «إن الله يعلم» لِما لا يعلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عبد العزيز أن عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال ... فذكره.

(**وربما يكذب في حكاية المنام، والإثم فيه عظيم؛ إذ قال رسول الله** ﷺ: **إن من أعظم الفِرَىٰ**) بكسر[٢] الفاء وفتح الراء مقصورًا بوزن القِرَىٰ، ويُمَدُّ، أي من أكذبِ الكذبات الشنيعة، جمع فِرية بالكسر (**أن يُدعَىٰ الرجل إلىٰ غير أبيه**) فيقال: ابن فلان، وهو ليس بابنه (**أو يُرِي**) بضم أوله وكسر ثانيه (**عينَه**) بالإفراد (**في المنام ما لم ترَ**) لأنه جزء من الوحي، فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يُلْقِه إليه، وقال الطيبي[٣]: المراد بإراءته عينه وصفُها بما ليس فيها، ونسب الكذب إلىٰ الكذبات للمبالغة نحو: ليل أليل (**أو يَقُول**) بفتح أوله وضم القاف، ويُروَىٰ بفتح التاء الفوقية والقاف وتشديد الواو مفتوحة (**عليَّ ما لم أقل**) وجمع الثلاثة في حيِّز لشدة المناسبة بينها، وأنها من أفحش أنواع الافتراء، فالكذب علىٰ النبي ﷺ كذبٌ في أصول الدين وهدم لقاعدة من قواعد المسلمين، والكذب عليه كذب علىٰ الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣] والرؤيا جزء من أجزاء النبوة، والمنام طرف من الوحي، فإذا كذب فقد كذب في نوع من الوحي.

قال العراقي[٤]: رواه البخاري[٥] من حديث واثلة بن الأسقع. وله[٦] من

(١) السابق ص ٣٠٥.

(٢) فيض القدير ٢/ ٥٣٤. فتح الباري ٦/ ٦٢٤ - ٦٢٦. الشافي شرح مسند الشافعي لابن الأثير ٥/ ٥٦١ - ٥٦٢.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن ٩/ ٣٠١٦.

(٤) المغني ٢/ ٨١٥.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٥٠٦.

(٦) السابق ٤/ ٣٠٩.

حديث ابن عمر: «من أفرَىٰ الفِرَىٰ أن يُرِي عينيه ما لم تريا».

قلت: وحديث ابن عمر رواه أيضًا أحمد[١]، ولفظه: «إن من أعظم الفرىٰ»، وفيه العباس بن الفضل البصري، وهو متروك. وقد روىٰ النسائي نحو رواية البخاري، ورواه البيهقي[٢] من حديث واثلة.

ورُوي في معناه عن أوس بن أوس الثقفي مرفوعًا: «مَن كذب علىٰ نبيِّه أو علىٰ عينيه أو علىٰ والديه فإنه لا يريح ريحَ الجنة». رواه ابن جرير والطبراني[٣] وابن عدي[٤] والخرائطي في مساوئ الأخلاق[٥]. وهو ثالث حديث له، ولا رابع لها. قال ابن عدي: لا أعلم يرويه غير إسماعيل بن عيَّاش.

(وقال ﷺ: مَن كذب في حُلْمه) بضم فسكون، أي في منامه **(كُلِّف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين، وليس بعاقد بينهما أبدًا)** أي ولن يقدر علىٰ ذلك لصعوبته. قال ابن العربي[٦]: وخصَّ الشعير بذلك لِما بينهما من نسبة تلبُّسه بما لم يشعر به.

قال العراقي[٧]: رواه البخاري[٨] من حديث ابن عباس.

قلت: ورواه أحمد[٩] والترمذي[١٠] وابن جرير والحاكم[١١] من حديث علي

---

(١) مسند أحمد ٩/ ٥٢٢، ١٠/ ٢٠٢.

(٢) شعب الإيمان ٦/ ٤٧١.

(٣) المعجم الكبير ١/ ٢١٧.

(٤) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٤.

(٥) مساوئ الأخلاق ص ١٢٣.

(٦) عارضة الأحوذي ٩/ ١٣٥.

(٧) المغني ٢/ ٨١٥.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ٣٠٩ بلفظ: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل».

(٩) مسند أحمد ٢/ ١٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٧٥، ٣٢١، ٣٣٠.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ١٢٤.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥٤٨.

بلفظ «عقد شعيرة». قال الترمذي: حسن[١]. وقال الحاكم: صحيح. وتعقَّبه ابن القَطَّان بأن فيه عبد الأعلىٰ بن عامر، ضعَّفه أبو زُرعة وغيره[٢].

ورُوي من حديث صهيب: «مَن كذب عليَّ متعمِّدًا كُلِّف يوم القيامة أن يعقد طرفي شعيرة، ولن يقدر علىٰ ذلك». رواه ابن قانع[٣] والحاكم[٤] وابن عساكر[٥].

وعند أحمد من حديث علي: «مَن كذب في حلمه متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار»[٦].

---

(١) لم يحسنه الترمذي، وإنما رواه عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان عن عبد الأعلىٰ عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي. ثم رواه عن قتيبة عن أبي عوانة عن عبد الأعلىٰ. ثم قال: وهذا أصح من الأول.

(٢) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٥ - ٢٦.

(٣) معجم الصحابة ٢/ ١٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٩٣.

(٥) تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٣٧.

(٦) هكذا أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٥/ ٣٧٧، ولم أقف عليه في مسند أحمد بهذا اللفظ.

الآفة الخامسة عشر: الغِيبة

بكسر الغين (**والنظر فيها طويل، فلنذكر أولاً مَذَمَّة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع**) من الآيات والأخبار (**وقد نص الله تعالىٰ علىٰ ذمِّها في كتابه**) العزيز (**وشبَّه صاحبَها بآكل لحم الميتة فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾**) أي لا يذكر بعضكم بعضًا بسوء في غيبته (**﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾**) [الحجرات: ١٢] تمثيل لِما يناله المغتاب من عِرض المغتاب علىٰ أفحش وجه، مع مبالغات الاستفهام المقرَّر، وإسناد الفعل إلىٰ أحد للتعميم، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل اللحم، أي لحم الإنسان، وجعل المأكول أخًا وميتًا، وتعقيب ذلك بقوله «فكرهتموه» تقريرًا وتحقيقًا لذلك، والمعنىٰ: إن صح ذلك أو عُرِض عليكم هذا فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته، وانتصاب «ميتًا» علىٰ الحال من اللحم أو الأخ. قاله البيضاوي[1].

(**وقال ﷺ: كل**) مبتدأ[2] (**المسلم**) فيه ردٌّ علىٰ مَن زعم أن «كُلاًّ» لا تضاف إلا إلىٰ نكرة (**علىٰ المسلم حرام**) خبره، أي جميع أنواع ما يؤذيه حرام، ثم بيَّن ذلك بقوله: (**دمه**) أي إراقة دمه بلا حق (**وماله**) أي أخذ ماله بنحو غصب (**وعِرضه**) أي هتك عِرضه بلا استحقاق. وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة معروفة من الدين بالضرورة، وجعلها كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره إليها، فالدم به حياته، ومادَّته المال، فهو ماء الحياة، والعِرض به قيام صورته المعنوية، واقتصر عليها لأن ما سواها فرع عنها وراجع إليها؛ لأنه إذا قامت صورته البدنية والمعنوية فلا حاجة لغيرهما، وقيامهما إنما هو بتلك الثلاثة، ولكون حرمتها هي الأصل والغالب لم

---

(١) أنوار التنزيل ٥/ ١٣٦.

(٢) فيض القدير ٥/ ١١.

يحتجْ لتقييدها بـ «غير حق»، فقوله في رواية «إلا بحقِّها» إيضاح وبيان.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: هذا لفظ ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت[٣] قال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا داود بن قيس، حدثني أبو سعيد مولىٰ عبد الله بن عامر بن كُرَيز، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه هكذا. وأما لفظ مسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقِر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعِرضه». ورواه ابن ماجه[٤] في الزهد بلفظ: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام ماله وعِرضه ودمه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

وقد أشار المصنف إلىٰ وجه الاستشهاد به في الباب بقوله: (**والغيبة**) هي (**تناول العِرض**) بما يكره (**وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال**) في حيِّز واحد، فصارت حرمته كحرمتهما.

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: لا تَحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تناجشوا، ولا تَدابروا، ولا يغتَبْ بعضكم بعضًا، وكونوا عباد الله إخوانًا**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن إبراهيم بن المنذر الحِزامي، حدثنا سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ... فذكره.

وقال العراقي[٦]: متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله «ولا

---

(١) المغني ٢/ ٨١٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٣.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١١٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣١، ٦١٨ مفرقا.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١١٨.

(٦) المغني ٢/ ٨١٦.

يغتَبْ بعضُكم بعضًا». وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: وبدون هذه الزيادة أيضًا رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي بكر، وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(وعن جابر) بن عبد الله **(وأبي سعيد)** الخدري ﷺ **(قالا: قال رسول الله ﷺ: إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا)** أي من إثمه **(فإنَّ الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغفَر له حتىٰ يغفر له صاحبه)** وهيهات أن يغفر له! حُكي أن رجلاً اغتاب ابنَ الجَلاَّء، فأرسل يستحلُّه، فأبَىٰ وقال: ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها، فكيف أمحوها[١]؟!

قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٣] وابن حبان في الضعفاء[٤] وابن مردويه في التفسير.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا في كتاب ذم الغيبة[٥] وأبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ[٦]. ورواه الطبراني[٧] عن جابر وحده بلفظ: «الغيبة أشد من الزنا ...» والباقي سواء، وفيه عبَّاد بن كثير، وهو متروك. قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا يحيىٰ بن أيوب، حدثنا أسباط، عن أبي رجاء الخُراساني، عن عبَّاد بن كثير، عن الجُرَيري، عن أبي نضرة، عن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ ... فساقه كسياق المصنف سواء.

---

(١) سيذكر الغزالي هذه الحكاية في كتاب التوبة.

(٢) المغني ٢/ ٨١٦.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١١٩.

(٤) المجروحون من المحدثين ٢/ ١٥٨.

(٥) ذم الغيبة والنميمة ص ٤٦.

(٦) التوبيخ والتنبيه ص ٢٠٣.

(٧) المعجم الأوسط ٦/ ٣٤٨ عن جابر وأبي سعيد معا، وكذا هو في مجمع الزوائد ٨/ ١٧٣.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: مررت ليلة أُسري بي علىٰ قوم يخمشون)** أي يقطِّعون **(وجوههم بأظافيرهم)** جمع الأظفار جمع ظُفر **(فقلت: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس)** أي كانوا يذكرونهم بما يكرهون **(ويقعون في أعراضهم)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[١] فقال: حدثني أبو بكر محمد بن أبي عَتَّاب، حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه كما للمصنف سواء.

وقال أيضًا[٢]: حدثنا حسين بن مهدي، حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو السَّكْسَكي، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لمَّا عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نُحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم». وقد أخرجه أيضًا في كتاب ذم الغيبة[٣] باللفظ الأول.

وقال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥] مسندًا ومرسلاً، والمسند أصح.

(وقال سليم بن جابر) أبو جريٍّ الهُجَيمي، وقيل: جابر بن سليم، صحابي مشهور، كان ينزل البدو، وتقدم ذِكره قريبًا **(أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: علِّمْني خيرًا ينفعني الله به. قال: لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تُصِبْ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تلقَىٰ أخاك ببِشر حَسن)** أي بطلاقة وجه وبشاشة **(وإذا أدبر**

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١١٩.

(٢) السابق ص ٢٦٥.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٤٨.

(٤) المغني ٢/ ٨١٦.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٥.

فلا تغتابه) أي إذا ولَّىٰ بظهره فلا تذكره بما يكره. كذا في النسخ، وفي بعضها: فلا تغتابنَّه. رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[١] فقال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، عن زياد بن أبي زياد، عن محمد بن سيرين قال: قال سليم بن جابر: أتيت رسولَ الله ﷺ ... فساقه.

وقال العراقي[٢]: رواه أحمد في المسند[٣] وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له، ولم يقل فيه أحمد الجملة الأخيرة، وفي إسنادهما ضعفٌ.

قلت: وكذلك رواه أبو داود[٤] والبيهقي[٥]، وقد تقدم قريبًا، وذُكر أيضًا في آداب الصحبة. وليس في سند أحمد وابن أبي الدنيا من يُنظَر إلا زياد[٦] بن أبي زياد الجصَّاص، أبو محمد الواسطي، بصري الأصل، ضعيف.

(وقال البراء) بن عازب رضي الله عنه: **(خطبنا رسول الله ﷺ حتىٰ أسمع العواتقَ)** أي ذوات الخدور **(في بيوتهنَّ)** وهو كناية عن رفع صوته فيها **(فقال)** من جملة ما خطب: **(يا معشر مَن آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه)** أي لم يخلُص إليه **(لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم)** بكشفها وإظهارها **(فإنه مَن تتبَّع عورة أخيه)** المسلم **(تتبَّع الله عورته، ومَن تتبَّع الله عورته يفضحه)** وهو **(في جوف بيته)** رواه ابن أبي الدنيا[٧] عن إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام، عن حمزة بن حبيب الزيَّات، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ ... فذكره.

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١١٩ - ١٢٠.

(٢) المغني ٢/ ٨١٧.

(٣) مسند أحمد ٣٤/ ٢٣٤ - ٢٣٩.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤١٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٩٩. شعب الإيمان ١٠/ ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٦) تقريب التهذيب ص ٣٤٥.

(٧) ذم الغيبة والنميمة ص ٥٠ - ٥١.

قال العراقي[١]: وفيه مصعب بن سلاَّم، مختلَف فيه.

قلت: مصعب بن سلاَّم - بتشديد اللام - التميمي الكوفي، قال الذهبي في الضعفاء[٢]: قال ابن حبان: هو كثير الغلط، لا يُحتجُّ به[٣]. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب[٤]: صدوق، له أوهام.

ثم قال العراقي: ورواه أبو داود[٥] من حديث أبي برزة بإسناد جيد.

قلت: ورواه الترمذي[٦] من هذا الطريق بلفظ: «يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلىٰ قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيِّروهم ولا تتَّبعوا ...» الحديث، وقال: حسن غريب. ورواه ابن حبان[٧] من حديث ابن عمر. ورواه الطبراني في الكبير[٨] من حديث ابن عباس. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر: رواه الإسماعيلي من حديث ابن عوف، وابن قانع في معجمه في ترجمة سعد مولىٰ رسول الله ﷺ[٩]. ا.هـ. ما وجدتُه. وقد روىٰ نحوه الحكيم الترمذي في

---

(١) المغني ٢/ ٨١٧.

(٢) المغني في الضعفاء ٢/ ٣٠٢.

(٣) عبارة ابن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٣٦٧: «مصعب بن سلام التميمي، من أهل الكوفة، يروي عن عمرو بن قيس وشعبة، روىٰ عنه أهل العراق، انقلبت عليه صحائفه فكان يحدث بما سمع من هذا عن ذاك وهو لا يعلم، وبما سمع من ذاك عن هذا من حيث لا يفهم، فبطل الاحتجاج به، فكل ما روىٰ عن شعبة إنما هو ما سمع من الحسن بن عمارة».

(٤) بل في تقريب التهذيب ص ٩٤٦.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٥.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٥٥٤ من حديث ابن عمر، ثم قال: «وروي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا».

(٧) صحيح ابن حبان ١٣/ ٧٥.

(٨) المعجم الكبير ١١/ ١٨٦.

(٩) هذا وهم، فالحديث المذكور في معجم الصحابة لابن قانع ١/ ٢٥٧ عن سعد مولىٰ رسول الله ﷺ هو الحديث الآتي بعد أثر موسىٰ عليه السلام في المرأتين المغتابتين.

النوادر[١] عن جبير بن نُفَير مرسلاً. وقد أشرت إلىٰ ذلك في كتاب آداب الصحبة.

وأما حديث أبي برزة فقد أخرجه أيضا أبو بكر بن أبىٰ الدنيا فى الصمت[٢] إلا أنه فيه رجل مجهول، فقال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن رجل من أهل البصرة، عن أبي بَرْزة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «لا تتبَّعوا عَثَرات المسلمين، فإنه من يتتبَّع عثرات المسلمين يتتبَّع الله عثرته حتىٰ يفضحه في جوف بيته». وأخرجه أيضًا من طريق آخر فقال: حدثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحِمَّاني وأحمد بن عمران الأخنسي قالا: حدثنا أبو بكر ابن عيَّاش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر مَن آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتَّبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم ...» فساقه نحوه.

(**وقيل: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ** عليه السلام): يا موسىٰ (**مَن مات تائبًا من الغيبة فهو آخر مَن يدخل الجنة، ومن مات مصرًّا عليها فهو أول من يدخل النار**[٣]).

وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه: (**أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم**) من أيام السنة (**وقال: لا يفطرنَّ أحدٌ حتىٰ آذَنَ له. فصام الناس، حتىٰ إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله، ظللت صائمًا فائذن لي لأفطر. فيأذن له**) فيفطر (**والرجل والرجل يجيء**) فيستأذن فيأذن له (**حتىٰ جاء رجل فقال: يا رسول الله، فتاتان من أهلك**) يعني من قريش (**ظلَّتا صائمتينِ، وإنهما تستحييان أن تأتياك، فائذن لهما فلتفطرا. فأعرض عنه ﷺ**) بوجهه (**ثم عاودَه**) في الإذن (**فأعرض عنه، ثم عاوده، فقال: إنهما لم تصوما**) أي في حكم مَن لم يصُم (**وكيف صام مَن ظلَّ هذا**

---

(١) نوادر الأصول ص ٦٢١.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٢١.

(٣) ذكره القشيري في الرسالة ص ٢٨٤. وأورده السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٦٤ (ط - المطبعة اليوسفية) عن كعب الأحبار قال: قرأت في كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن من مات تائبا ... الخ.

اليوم يأكل لحوم الناس؟! اذهب فمُرْهما إن كانتا صائمتينِ أن تستقيئا) أي تطلبان إفراغ ما في بطونهما **(فرجع)** الرجل **(إليهما فأخبرهما، فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما عَلَقة من دم)** أي قطعة من دم غليظ متجمِّد **(فرجع إلىٰ النبي ﷺ فأخبره)** ما رأىٰ **(فقال: والذي نفس محمد بيده، لو بقيتا)** أي العَلَقتان **(في بطونهما لأكلتهما النار)** أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن علي بن الجعد، أنبأنا الربيع ابن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: أمر النبيُّ ﷺ ... فذكره.

قال العراقي[٢]: رواه ابن مردويه في التفسير من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيف.

قلت: وكذلك رواه البيهقي[٣] من هذا الوجه. ويزيد[٤] بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاصُّ، زاهد، ضعيف، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه.

(وفي رواية) أخرىٰ **(أنه)** ﷺ **(لمَّا أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول الله، إنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا. فقال النبي ﷺ: ائتوني بهما. فجاءتاه، فدعا رسول الله ﷺ بعُسٍّ أو)** قال: **(قدح)** شكٌّ من الراوي **(فقال لإحداهما: قيئي. فقاءت من قيح ودم وصديد حتىٰ ملأت القدح، وقال للأخرىٰ: قيئي. فقاءت كذلك)** أي قيحًا ودمًا وصديدًا **(فقال)** ﷺ: **(إن هاتين صامتا عمَّا أحلَّ اللهُ لهما)** وهو الطعام والشراب **(وأفطرتا علىٰ ما حرَّم الله عليهما)** ثم بيَّن ذلك بقوله: **(جلست إحداهما إلىٰ الأخرىٰ فجعلتا تأكلان لحوم الناس)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٥] عن عبد الله بن أبي بدر، أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا سليمان التيمي

---

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ٥٣ - ٥٥.

(٢) المغني ٢/ ٨١٧.

(٣) شعب الإيمان ٩/ ٨٨.

(٤) تقريب التهذيب ص ١٠٧١.

(٥) ذم الغيبة والنميمة ص ٥٥ - ٥٦.

قال: سمعت رجلاً يحدِّث في مجلس أبي عثمان النهدي، عن عبيد مولىٰ رسول الله ﷺ أن امرأتين من الأنصار صامتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فجلست إحداهما إلىٰ الأخرىٰ فجعلتا تأكلان لحوم الناس، فجاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: «إن ههنا امرأتين صامتا، وقد كادتا أن تموتا من العطش. فأعرض عنه النبيُّ ﷺ، فسكت. قال: ثم جاءه بعد ذلك - أحسبه قال: في الظهيرة - فقال: يا رسول الله، إنهما واللهِ لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا ... فساقه كسياق المصنف.

قال العراقي[1]: رواه كذلك أحمد[2] من حديث عبيد، وفيه رجل لم يُسَمَّ، ورواه أبو يعلىٰ في مسنده[3] فأسقط منه ذِكر الرجل المبهم.

قلت: ورواه أيضًا ابن مردويه في التفسير، وفيه رجل لم يُسَمَّ، وقد تقدم ذِكر هذه الرواية في كتاب آداب الصحبة والتعريف بحال راويه عبيد مولىٰ رسول الله ﷺ.

(**وقال أنس**) بن مالك رضي الله عنه: (**خطبنا رسولُ الله ﷺ، فذكر الربا وعظَّم شأنَه فقال: إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل**) قال[4] الطيبي[5]: إنما كان الربا أشد من الزنا لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله بعقله[6]، قال تعالىٰ: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي بحرب عظيم، فتحريمه محض تعبُّد، وأما قبحُ الزنا فظاهر عقلاً وشرعًا، وله روادع وزواجر سوىٰ الشرع، فآكِل الربا يهتك حرمة الله، والزاني يخرق جلباب

---

(١) المغني ٢/ ٨١٧.

(٢) مسند أحمد ٣٩/ ٥٩ - ٦١.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ١٤٧.

(٤) فيض القدير ٤/ ٥٠.

(٥) شرح مشكاة المصابيح ٧/ ٢١٣٤.

(٦) في شرح المشكاة: «لأن من ارتكب أكل الربا فقد حاول مخالفة الله ورسوله ومحاربتهما بعقله الزائغ».

الحياء، فريحه تهب حينًا ثم تسكن، ولواؤه يخفق برهةً ثم يقرُّ (**وأربَىٰ الربا عِرض الرجل المسلم**) أي[١] الاستطالة فيه بأن يتناول منه أكثر ممَّا يستحقُّه علىٰ ما قيل له أو أكثر ممَّا رُخِّص له فيه، ولذلك مثَّله بالربا وعدَّه من عداده، ثم فضَّله علىٰ جميع أفراده؛ لأنه أكثر مَضَرَّةً وأشد فسادًا، فإنَّ العِرض شرعًا وعقلاً أعزُّ علىٰ النفس من المال وأعظم منه خطرًا، ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال.

أخرجه ابن أبي الدنيا[٢] عن محمد بن علي بن شقيق قال: سمعت أبي، حدثنا أبو مجاهد، عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ ... فذكره.

قال العراقي[٣]: سنده ضعيف.

قلت: ليس فيه مَن وُصف بالضعف، وأبو مجاهد سعد الطائي ذكره ابن حبان في الثقات[٤]، وقال أحمد: إنه لا بأس به. ونسبه فقال: سعد بن عبيد الطائي الكوفي، روىٰ له البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه[٥]. وعلي بن شقيق وابنه محمد ما رأيت أحدًا وصفهما بضعف ولا غيره. وقال الكمال الدميري كما وُجد بخطه: هذا الحديث رويناه في مسند أحمد[٦]. وروىٰ ابن عساكر[٧] من حديث ابن عباس: «مَن أكل درهمًا ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية».

---

(١) تحفة الأبرار للبيضاوي ٣/ ٢٦٦.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ٥٩.

(٣) المغني ٢/ ٨١٨.

(٤) الثقات ٦/ ٣٧٩.

(٥) تهذيب الكمال ١٠/ ٣١٧ - ٣١٨.

(٦) مسند أحمد ٣٦/ ٢٨٨ من حديث عبد الله بن حنظلة مختصرا بلفظ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية».

(٧) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٢، ٣٢/ ٢٥٣.

(**وقال جابر**) بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**كنا مع رسول الله ﷺ في مسير**) أي سفر نسير معه فيه (**فأتىٰ علىٰ قبرين يعذَّب صاحباهما، فقال: ألا إنهما يعذَّبان، ولا يعذَّبان في كبيرة**) أي في خصلة ثقيلة عليهما (**أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخَر فكان لا يستنزه**) أي لا يتباعد (**من بوله. فدعا بجريدة رطْبة، أو جريدتين**) شكٌّ من الراوي (**فكسرهما، ثم أمر بكل كسرة فغُرست علىٰ قبر فقال**) ﷺ: (**أما إنه سيهوَّن من عذابهما ما كانتا رطبتين، أو**) قال: (**ما لم تيبسا**) شكٌّ من الراوي. أخرجه ابن أبي الدنيا[١] عن محمد بن علي، حدثنا النضر بن شُمَيل، أنبأنا أبو العوَّام واسمه عبد العزيز بن ربيع الباهلي، حدثنا أبو الزبير واسمه محمد، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير ... فساقه، إلا أنه قال: لا يعذَّبان في كبير. وفيه: وأما الآخَر فكان لا يتأذَّىٰ من بوله. وفيه: ثم أمر بكل كسرة فغُرست علىٰ قبر. والباقي سواء.

قال العراقي[٢]: ورواه أبو العباس الدغولي في كتاب الآداب بإسناد جيد. وهو في الصحيحين[٣] من حديث ابن عباس، إلا أنه ذكر فية بدل الغيبة: النميمة. وللطيالسي[٤] فيه: أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس. ولأحمد[٥] والطبراني[٦] من حديث أبي بكرة نحوه بإسناد جيد.

قلت: وأخرجه البخاري في الأدب المفرد[٧] من حديث جابر أيضًا، وفيه: إنهما لا يعذَّبان في كبير وبلَىٰ، أما أحدهما. وفيه: ما كانتا رطبتينِ. ولم يشكَّ. وفي

---

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ٦٠ - ٦١.
(٢) المغني ٢/ ٨١٨.
(٣) صحيح البخاري ١/ ٨٩، ٩٠، ٤١٨، ٤٢٣، ٤/ ١٠١. صحيح مسلم ١/ ١٤٧.
(٤) مسند الطيالسي ٤/ ٣٦٩ - ٣٧٠.
(٥) مسند أحمد ٣٤/ ٧.
(٦) المعجم الأوسط ٤/ ١١٣.
(٧) الأدب المفرد ص ٢٢٠.

بعض ألفاظ هذا الحديث: وأما الآخَر فكان لا يستتر من البول. وفي أخرىٰ: لا يستنزه. وفي أخرىٰ: لا يستبرئ. فهي خمس روايات مع رواية المصنِّف ورواية ابن أبي الدنيا.

(ولمَّا رجم رسول الله ﷺ الرجلَ في الزنا) وهو ماعز بن مالك الأسلمي (قال رجل لصاحبه: هذا أُقْعِصَ كما يُقْعَصُ الكلب) القَعْص[١]: الموت الوَحِيُّ[٢]، وقعصه كمنعه: قتله مكانه، كأقعصه، وانقعص: مات (فمر النبي ﷺ وهما معه بجيفة) أي ميتة حيوان (فقال) لهما: (انهشا منها) والنهش: الأكل بمقدَّم الفم (فقالا: يا رسول الله، ننهش جيفة؟! فقال: ما أصبتما من أخيكما أنتنُ من هذه) قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] والنسائي[٥] من حديث أبي هريرة [نحوه] بإسناد جيد.

قلت: وأخرجه[٦] أيضًا عبد الرزاق في المصنف[٧] والبخاري في الأدب المفرد[٨] وأبو يعلىٰ[٩] وابن المنذر والبيهقي في الشعب[١٠] بسند صحيح، ولفظهم: أن ماعزًا لمَّا رُجم سمع النبيُّ ﷺ رجلين أحدهما يقول لصاحبه: ألم ترَ إلىٰ هذا الذي ستر الله عليه فلم تَدَعْه نفسُه حتىٰ رُجِمَ رَجْمَ الكلب. فسار النبي ﷺ، ثم مر بجيفة حمار فقال: «أين فلان وفلان؟ انزلا فكُلا من جيفة هذا الحمار». فقالا:

(١) تاج العروس ١٨/ ١١٠ - ١١١.
(٢) الموت الوحي: أي: السريع. التاج ٤٠/ ١٧٣.
(٣) المغني ٢/ ٨١٨.
(٤) سنن أبي داود ٥/ ٩٧.
(٥) السنن الكبرىٰ ٦/ ٤١٥ - ٤١٧، ٤٣٣ - ٤٣٤.
(٦) الدر المنثور ١٣/ ٥٨١ - ٥٨٢.
(٧) مصنف عبد الرزاق ٧/ ٣٢٢.
(٨) الأدب المفرد ص ٢٢٠.
(٩) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ٥٢٤.
(١٠) شعب الإيمان ٩/ ٨٠، ١٢/ ١٥٨. وأخرجه أيضا في السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٩٦ - ٣٩٧.

وهل يؤكل هذا؟! قال: «فما نِلتما من أخيكما آنفًا أشد أكلاً منه، والذي نفسي بيده، إنه الآن لَفي أنهار الجنة ينغمس فيها».

(**وكان الصحابة** ﷺ **يتلاقون**) مع بعضهم (**بالبِشر**) والطلاقة (**ولا يغتابون**) أحدًا منهم (**عند الغيبة، ويرون ذلك أفضل الأعمال**) وأعلىٰ الأحوال (**ويرون خلافه عادة المنافقين**) وشيمة المطرودين.

(**وقال أبو هريرة**) ﷺ: (**مَن أكل لحم أخيه في الدنيا قُرِّب إليه لحمه في الآخرة فقيل له: كُلْه ميتًا كما أكلتَه حيًّا، فيأكله فيضج**) أي يصيح ويتململ (**ويكلح**) أي يعبس وجهه. رواه ابن أبي الدنيا[1] هكذا موقوفًا عن يحيىٰ بن يوسف الزِّمِّي، حدثنا محمد بن سلمة الحَرَّاني، عن [محمد بن إسحاق، عن] عمِّه موسىٰ بن يسار، عن أبي هريرة قال: مَن أكل ... فذكره. قال العراقي: رواه محمد بن إسحاق هكذا بالعنعنة (**ورُوي مرفوعًا كذلك**) إلىٰ رسول الله ﷺ. قال العراقي[2]: رواه ابن مردويه في التفسير[3].

قلت: وكذلك أبو يعلىٰ وابن المنذر، وعندهم: «فإنه لَيأكلُه ويكلح ويضج».

(**ورُوي أن رجلين كانا قاعدينِ عند باب من أبواب المسجد**) الحرام (**فمر بهما رجل كان مخنَّثًا**) أي كان يتشبَّه بالنساء (**فترك ذلك، فقالا: لقد بقي فيه منه شيءٌ. فأقيمت الصلاة، فدخلا فصلَّيا مع الناس، فجال في أنفسهما**) أي حدَّثت نفوسهما (**ما قالا، فأتيا عطاءَ**) بن أبي رباح مفتي مكة (**فسألاه، فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة، وإن كانا صائمينِ أن يقضيا صيام ذلك اليوم**) رواه ابن أبي الدنيا[4] عن إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا سعيد بن عامر، عن الربيع بن صبيح أن

---

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ٦٢.

(٢) المغني ٢/ ٨١٨ - ٨١٩.

(٣) ورواه أيضا مرفوعا: الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ١٨٢، ٦/ ٧٩، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٩٧، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ٢٢٧.

(٤) ذم الغيبة والنميمة ص ٦٣.

رجلين ... فذكره.

(وعن مجاهد) بن جبر المكي التابعي الثقة **(قال في)** قوله تعالىٰ: (﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١] **الهُمَزة: الطَّعَّان في الناس)** أي في أعراضهم **(واللُّمَزة: الذي يأكل لحوم الناس)** رواه ابن أبي الدنيا[1] عن أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك [أخبرنا سفيان] عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وروىٰ[2] بهذا السند أيضًا عن ابن المبارك، عن أبي مودود، عن زيد مولىٰ قيس الحَذَّاء، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] قال: لا يطعن بعضكم علىٰ بعض.

(وقال قتادة) بن دِعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري: **(ذُكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة)** رواه ابن أبي الدنيا[3] عن أحمد بن منيع، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة قال: ذُكر لنا ... فساقه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(واللهِ لَلغيبةُ أسرعُ في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد)** رواه ابن أبي الدنيا[4] عن محمد بن أبي حاتم الأزدي، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الربيع بن صبيح قال: سمعت الحسن يقول: واللهِ لَلغيبةُ ... فذكره.

(وقال بعضهم: أدركنا السلفَ وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس) رواه ابن أبي الدنيا[5] عن عيسىٰ بن عبد الله التميمي قال: بلغني عن عَتَّاب بن بشير، عن خَصَّاف وخصيف وعبد الكريم بن

---

(١) السابق ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) السابق ص ٦٥.

(٣) السابق ص ٦٩.

(٤) السابق ص ٧٠.

(٥) السابق ص ٧٠ - ٧١.

مالك قالوا: أدركنا السلف ... فذكره.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(إذا أردتَ أن تذكر عيوب صاحبك فاذكرْ عيوبك)** رواه ابن أبي الدنيا[١] عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، عن إسرائيل، عن أبي يحيىٰ، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إذا أردتَ ... فذكره.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(يبصر أحدهم القَذَىٰ في عين أخيه ولا يبصر الجِذْل[٢] في عينه)** رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن عبد الله بن أبي بدر، أنبأنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم قال: سمعت أبا هريرة قال: يبصر أحدُكم القَذَىٰ في عين أخيه وينسىٰ الجِذْل في عينه.

ورُوي ذلك أيضًا من قول الحسن، قال ابن أبي الدنيا[٤]: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا جعفر بن حَيَّان، عن الحسن قال: يا ابن آدم، تبصر القَذَىٰ في عين أخيك وتَدَعُ الجِذْل معترضًا في عينك.

وقد رواه ابن المبارك[٥] أيضًا وكذا العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «وينسىٰ الجذع - أو قال: الجذل - في عينه». وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(يقول: ابن آدم، إنك لن تصيب حقيقةَ الإيمان حتىٰ لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتىٰ تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلتَ ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأَحَبُّ العباد**

---

(١) مداراة الناس ص ١١٤.

(٢) في غير الزبيدي: أحدكم، الجذع.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٧٢.

(٤) السابق ص ٧٥ - ٧٦.

(٥) الزهد والرقائق ص ٩٨.

إلىٰ الله مَن كان هكذا) رواه ابن أبي الدنيا[١] عن نصر بن طرخان، حدثنا عمران بن خالد الخزاعي قال: كان الحسن يقول: يا ابن آدم، إنك لن تصيب ... فذكره.

(**وقال مالك بن دينار**) رحمه الله تعالىٰ: (**مر عيسىٰ**) ابن مريم (عليه السلام **والحواريُّون معه علىٰ جيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب! فقال عيسىٰ** عليه السلام: **ما أشد بياض أسنانه. نهاهم عن غيبة الكلب، ونبَّههم علىٰ أنه لا يُذكَر من شيء من خلق الله إلا أحسنه**) رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن محمد ابن عثمان العقيلي، حدثنا أبو عون صاحب القِرَب، عن مالك بن دينار قال: مر عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ... فذكره.

ورواه أبو نعيم في الحلية[٣] فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني سُوَيد بن سعيد، حدثنا الحكم بن سنان أبو عون، عن مالك بن دينار قال: مر عيسىٰ عليه السلام مع الحواريين علىٰ جيفة كلب ... فساقه، وقال في آخره: يعظهم وينهاهم عن الغيبة.

(**وسمع علي بن الحسين**) بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالىٰ (**رجلاً يغتاب آخَر فقال له: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس**) رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن الحسين بن عبد الرحمن قال: سمع علي بن الحسين رجلاً ... فذكره. قال: وحدثني الحسين بن عبد الرحمن قال: سمع المهلَّب بن أبي صُفرة رجلاً يغتاب رجلاً، فقال: اكفُفْ، فواللهِ لا ينقَىٰ فوك من سَهْكها. قال: وحدثنا حسين قال: سمع قتيبة بن مسلم رجلاً يغتاب رجلاً فقال: أما واللهِ لقد تلمَّظتَ بمُضغة طالما لفظتها الكرامُ.

---

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) السابق ص ١٣٣.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٢.

(٤) ذم الغيبة والنميمة ص ١٣٤.

(وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذِكر الناس فإنه داء) رواه ابن أبي الدنيا[١] عن العباس العنبري، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا مُحرِز وهو أبو رجاء الشامي، عن عمر بن عبد الله، عن عمران بن عبد الرحمن قال: قال عمر بن الخطاب: عليكم بذكر الله ... فساقه.

وروىٰ[٢] أيضًا عن خالد بن مِرْداس، حدثنا أبو عقيل، عن حفص بن عثمان قال: كان عمر بن الخطاب يقول: لا تشغلوا أنفسَكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة.

وقد رُوي ذلك أيضًا من قول سلمان، قال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثني أبو محمد الأزدي، حدثنا علي بن ثابت، عن صالح المزني قال: كتب سلمان إلىٰ أبي الدرداء: أما بعد، فإني أوصيك بذكر الله فإنه دواء، وأنهاك عن ذكر الناس فإنه داء.

وقد بقيت أخبار وآثار أحببت إيرادها في هذا الباب هي علىٰ شريطة المصنف:

قال السُّدِّي: كان سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما، وأن سلمان نام يومًا، فطلبه صاحباه فلم يجداه، فضربا الخِباء وقالا: ما يريد سلمان شيئًا غير هذا أن يجيء إلىٰ طعام معدود وخِباء مضروب. فلما جاء سلمان أرسلاه إلىٰ رسول الله ﷺ يطلب لهما إدامًا، فانطلق فأتاه فقال: يا رسول الله، بعثني أصحابي لتؤدِمهم إن كان عندك. قال: «ما يصنع أصحابك بالأُدْم؟ قد ائتدموا». فرجع سلمان فأخبرهما، فانطلقا فأتيا رسولَ الله ﷺ فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعامًا منذ نزلنا. قال: «إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما». فنزلت

(١) السابق ص ٧٦.
(٢) السابق ص ٧٢ – ٧٣.
(٣) السابق ص ٧٣.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ أخرجه ابن أبي حاتم(١).

وقال ابن جريج: زعموا أنها نزلت في سلمان، أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله ورقاده، فنزلت. أخرجه ابن المنذر.

وقال مقاتل: نزلت في رجل كان يخدم النبيَّ ﷺ، أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إدامًا فمنع، فقالوا له: إنه بخيل وخيم. فنزلت في ذلك. أخرجه ابن أبي حاتم(٢).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن حرام على المؤمن، لحمه عليه حرام أن [يأكله ويغتابه بالغيب، وعِرضه عليه حرام أن يخرقه، ووجهه عليه حرام أن] يلطمه». أخرجه ابن مردويه(٣).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مر على بغل ميت وهو في نفر من أصحابه، فقال: واللهِ لأنْ يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم. أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٤) وابن أبي شيبة(٥) وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في الصمت(٦) والخرائطي في مساوئ الأخلاق(٧).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فارتفعت لنا ريح جيفة منتنة، فقال: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس». أخرجه أحمد(٨)

---

(١) وأخرجه أيضا أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) تفسيره: ١٠/ ٣٣٠٦.

(٣) وأخرجه أيضا: الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٣٣٣، ٣٤٠، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ص٦٠٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٦/ ٣٠٠٧، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٧١.

(٤) الأدب المفرد ص ٢٢٠.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٤١٥.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٢٥، ١٢٨.

(٧) مساوئ الأخلاق ص ١٠١.

(٨) مسند أحمد ٢٣/ ٩٧.

وابن أبي الدنيا في الصمت[١].

وعن عائشة ﵂ قالت: لا يتوضأ أحدكم من الكلمة الخبيثة يقولها لأخيه ويتوضأ من الطعام الحلال. أخرجه البيهقي[٢].

وقال إبراهيم: الوضوء من الحدث وأذىٰ المسلم. كذا أخرجه البيهقي[٣].

وعن عائشة وابن عباس ﵄ قالا: الحدث حدثان: حدث من فيك وحدث من نومك، وحدث الفم أشد: الكذب والغيبة. أخرجه البيهقي[٤].

وعن ابن عباس ﵄ أن رجلين صلَّيا صلاة الظهر أو العصر، وكانا صائمينِ، فلما قضىٰ النبي ﷺ الصلاة قال: «أعيدا وضوءكما وصلاتكما، وامضيا في صومكما واقضيا يومًا آخر مكانه». قالا: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «قد اغتبتما فلانًا». أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٥] والبيهقي[٦].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «الربا سبعون حوبًا، أيسرُها كنكاح الرجل أمه، وأربَىٰ الربا عِرض الرجل المسلم». رواه ابن ماجه[٧] وابن أبي الدنيا[٨].

وقال عبيدة السلماني: اتقوا المفطرينِ: الغيبة والكذب. رواه ابن أبي الدنيا[٩].

وقال خالد الربعي: دخلت المسجد، فجلست إلىٰ قوم، فذكروا رجلاً،

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١٣٨. وعند أحمد وابن أبي الدنيا: يغتابون المؤمنين.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ٨٩.

(٣) السابق ٩/ ٩١.

(٤) السابق ٩/ ٨٩.

(٥) مساوئ الأخلاق ص ١٠٣.

(٦) شعب الإيمان ٩/ ٩١.

(٧) سنن ابن ماجه ٣/ ٥٩٧ حتىٰ قوله (أمه).

(٨) ذم الغيبة والنميمة ص ٥٨.

(٩) السابق ص ٦٣.

فنهيتهم عنه فكفُّوا، ثم جرىٰ بهم الحديث حتىٰ عادوا في ذكره، فدخلت معهم في شيء من أمره، فلما كان من الليل رأيت في المنام كأنَّ شيئًا أسود طويلا يشبه الرجل إلا أنه طويل جدًّا معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير فقال: كلْ. فقلت: آكل لحم خنزير؟! واللهِ لا آكله. فأخذ بقفاي وقال لي: كلْ. وانتهرني انتهارة شديدة، ودسَّه في فمي، فجعلت ألوكه ولا أسيغه، وأفرَقُ أن ألقيه، فاستيقظت. قال: فبمحلوفه لقد مكثت ثلاثين يومًا وثلاثين ليلة ما آكل طعامًا إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي. أخرجه ابن أبي الدنيا(١). قال: وسمعت يحيىٰ بن أيوب يذكر عن نفسه أنه رأىٰ في المنام صُنع به نحو هذا، وأنه وجد طعم الدَّسَم علىٰ شفتيه أيامًا، وذلك أنه كان يجالس رجلاً يغتاب الناس.

وعن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الأمم: ما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: إنا لا نتخادع، ولا يغتاب بعضُنا بعضًا. رواه ابن أبي الدنيا(٢).

وعن عكرمة رفعه أنه ﷺ لحق قومًا، فقال لهم: «تخلَّلوا». فقال القوم: يا نبي الله، واللهِ ما طعمنا اليوم طعامًا. فقال: «واللهِ إني لأرىٰ لحم فلان بين ثناياكم». وكانوا قد اغتابوه. رواه عبد بن حميد.

وقال كعب الأحبار: الغيبة تحبط العملَ. رواه ابن أبي الدنيا(٣).

وعن شُفَيٍّ بن ماتع الأصبحي أن النبي ﷺ قال: «أربعة يؤذون أهل النار علىٰ ما بهم من الأذىٰ، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور، يقول بعض أهل النار لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا علىٰ ما بنا من الأذىٰ؟ قال:

---

(١) السابق ص ٦٤ – ٦٥.

(٢) السابق ص ٦٦.

(٣) السابق ص ٦٨.

فرجل مغلَق عليه تابوت من جمر، ورجل يجرُّ أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحًا ودمًا، ورجل يأكل لحمه، فيقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا علىٰ ما بنا من الأذىٰ؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة. رواه ابن أبي الدنيا[١].

وقال عون بن عبد الله: ما أحسبُ أحدًا تفرَّغ لعيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه. رواه ابن أبي الدنيا[٢].

وقال بكر بن عبد الله المزني: إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس ناسيًا لعيبه فاعلموا أنه قد مُكر به. رواه ابن أبي الدنيا[٣].

---

(١) السابق ص ٦٧.

(٢) مداراة الناس ص ١١٤ - ١١٥.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٧٤.

بيان معنى الغيبة وحدِّها

(اعلمْ أن حد الغيبة) علىٰ ما ذكره العلماء: **(أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه)** وسواء بلغه أو لم يبلغه، وأحسن تعاريفها: ذِكر العيب بظهر الغيب[1] **(سواء ذكرتَ)** ممَّا يكرهه **(نقصًا في بدنه، أو في نسبه، أو في خُلقه)** بالضم **(أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، حتىٰ في ثوبه)** الذي يلبسه **(وفي داره)** التي يسكنها **(ودابَّته)** التي يركبها.

(أما البدن فكذكرك العَمَش) محرَّكة: سوء البصر **(والحَوَل)** محرَّكة: انقلاب الحَدَقة إلىٰ الموق **(والقَرَع)** محرَّكة: انحسار الشعر عن الرأس من مرض **(والقِصَر والطول)** كلاهما في القامة **(والسواد والصُّفرة)** كلاهما في اللون **(وجميع ما يُتصوَّر أن يوصف به ممَّا يكرهه كيفما كان.**

وأما النسب فأن يقول: أبوه نَبَطي) محرَّكة، أي ممَّن يخدم الأرض بالحراثة، وفي معنىٰ ذلك سوادي أو أكَّار أو فلاح **(أو هندي)** هذا إذا كان يكره الاعتزاء إلىٰ أحد هذين، وأما قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا سأله سائل عن نسبه فقال: نحن قوم من نبط كوثىٰ. يشير به إلىٰ أن جده سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وُلد بكوثىٰ، وهي قرية من سواد العراق. فهو لأجل الإرشاد إلىٰ عدم الافتخار بالأنساب **(أو فاسق، أو خسيس)** ويعني بهما مَن يرتكب مَذامَّ الأخلاق **(أو إسكاف)** وهو الذي يخرز النعال والجلود **(أو زبَّال)** وهو الذي يكنس زبالات البيوت **(أو شيء ممَّا يكرهه كيفما كان)** فالمَناط هو الكراهة، وأما من يعتاد شيئًا من ذلك فخرًا له فلا يكون إطلاق مثله علىٰ اللسان غيبة له.

---

(١) هذا التعريف ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٣٤. والمصنف ذكره من التوقيف للمنادي صـ٥٤٣ ط الراية.

(وأما الخُلق فأن يقول: إنه سيِّئ الخُلق) إما في المعاملة أو في المحاورة (بخيل) بماله (متكبِّر) على إخوانه (أبيٌّ)[(١)] أي ممتنع لا يوافق في كثير من الأمور (شديد الغضب) في أحواله (جبان) بارد الهمَّة (عاجز) في كثير من أموره (ضعيف القلب) لا جراءة له (متهوِّر) أي مفرط في الشجاعة حتى يرمي نفسه في النار (وما يجري مَجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك: هو سارق) أو لص، أو نَوَري، أو حرامي، أو مختلس (أو كذاب، أو شارب سكْر، أو خائن) الأمانة (أو ظالم) غشوم (أو متهاون بالصلاة) وبالطهارة (أو بالزكاة) فيؤخِّر الصلاة عن وقتها ويشتغل بغيرها، ولا يعطي زكاة ماله، (أو) يقول: هو (لا يُحسِن الركوعَ والسجود) في صلاته (أو لا يحترز عن النجاسات، أو ليس بارًّا بوالديه) أو بأحدهما (أو لا يضع الزكاة في مواضعها، أو لا يُحسِن قسمتَها، أو لا يحرس صومه من الرَّفَث) وهو الكلام القبيح (والغيبة والتعرُّض لأعراض الناس) بالاستطالة فيها.

(وأما فعلُه المتعلِّق بالدنيا فكقولك: إنه قليل الأدب، يتهاون بالناس) ويسخر منهم (أو لا يرى لأحد حقًّا على نفسه، أو يرى لنفسه حقًّا على الناس، أو إنه كثير الكلام، كثير الأكل، أو إنه نَوُّم) أي كثير النوم (وينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه.

وأما في ثوبه فكقولك: إنه واسع الكُم) كأنه الخرج، كبير العمامة كالبرج (طويل الذيل) يجرُّه إلى الأرض (وسخُ الثياب) دنسُ الجيب.

(وقد قال قوم: لا غيبة في الدين) ولو كان المغتاب يكره ذلك (لأنه ذم ما ذمَّه الله تعالى، فذِكره بالمعاصي وذمُّه بها يجوز) زجرًا له (بدليل ما رُوي أنه ذُكرت لرسول الله ﷺ امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكنها تؤذي جيرانها) وتلسبهم

---

(١) في غيره: مراءٍ. ولعلها كانت عنده: مرائي. فتحرفت لـ أبي. والله أعلم.

(بلسانها، فقال: هي في النار) قال العراقي[١]: رواه ابن حبان[٢] والحاكم[٣] وصحَّحه من حديث أبي هريرة.

(وذُكرت له) ﷺ **(امرأة أخرىٰ بأنها بخيلة، فقال: فما خيرها إذًا)؟** قال العراقي[٤]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٥] من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسلاً، ورويناه في أمالي ابن سمعون[٦] هكذا.

(وهذا فاسد؛ لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلىٰ تعرُّف الأحكام) الشرعية **(بالسؤال)** والبحث **(ولم يكن غرضهم)** من سياق قول من الأقوال **(التنقُّص)** ولا الهضم للجانب **(ولا يُحتاج إليه في غير مجلس رسول الله ﷺ)** أقول: وفيه بحثٌ؛ لأن الصحابة كانوا عارفين بأن أذىٰ الجار والبخل من الصفات الذميمة **(والدليل عليه إجماع الأمة علىٰ أن مَن ذكر غيره)** من ورائه **(بما يكرهه فهو مغتاب)** وقد يقال: إن هذا عامٌّ، وقد خُصَّ منها أحكام، فلا حُجة فيه ولا إلزام، فتأملْ **(لأنه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ في حد الغيبة)** كما يذكره بعد هذا **(فكل هذا وإن كنتَ صادقًا فيه فأنت به مغتاب، عاصٍ لربك، آكِل للحم أخيك، بدليل ما رُوي أن النبي ﷺ قال: هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذِكرُك أخاك)** أي في الإسلام ولو من غير نسب **(بما يكره)** لو بلغه **(قيل)**: يا رسول الله **(أرأيت إن كان في أخي ما أقول)** أي وُجد فيه **(قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه)** قال العراقي[٧]:

---

(١) المغني ٢/ ٨١٩.

(٢) صحيح ابن حبان ١٣/ ٧٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٠.

(٤) المغني ٢/ ٨١٩.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٩٥، وفيه: «امرأة متعبدة غنية غير أنها بخيلة».

(٦) أمالي ابن سمعون ص ١٥٨.

(٧) المغني ٢/ ٨١٩.

رواه مسلم[١] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة[٢] وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا[٣] - واللفظ له - وأبو داود[٤] والترمذي[٥] وصحَّحه وابن جرير[٦] وابن المنذر وابن مردويه. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا يحيىٰ بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني العلاء ابن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: هل تدرون ... فساقه كسياق المصنف. ورواه أبو داود مختصرًا فقال: «الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره».

وأخرج عبد بن حميد والخرائطي في مساوئ الأخلاق[٧] عن المطَّلب بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغيبة أن تذكر المرء بما فيه». فقيل: إنما كنا نرىٰ أن نذكره بما ليس فيه. قال: «ذلك البهتان».

وأخرج ابن المنذر عن الضحَّاك قال: الغيبة أن [يقول للرجل من خلفه: هو كذا، يسيء الثناء عليه.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير[٨] عن قتادة قال: ذُكر لنا أن الغيبة أن] تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه، فإن أنت كذبتَ عليه فذلك البهتان.

وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال: إذا قلتَ للرجل ما فيه فقد اغتبتَه، وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهتَّه.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٤١٥.
(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٠.
(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٣.
(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٠.
(٦) جامع البيان ٢١/ ٣٧٦، ٣٨٠.
(٧) مساوئ الأخلاق ص ١٠٣.
(٨) جامع البيان ٢١/ ٣٨٠.

وأخرج ابن مردويه[١] عن أم سلمة ﵂ أنها سُئلت عن الغيبة، فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسولُ الله ﷺ إلىٰ الصلاة، وأتتها جارتان لها من نسائه فاغتابتا وضحكتا برجال ونساء، فلم تبرحا علىٰ حديثهما من الغيبة حتىٰ أقبل النبي ﷺ منصرفًا من الصلاة، فلما سمعتا صوته سكتتا، فلما قام بباب البيت ألقىٰ طرف ردائه علىٰ أنفه ثم قال: «أف! اخرجا فاستقيئا ثم تطهَّرا بالماء». فخرجت أم سلمة فقاءت لحمًا كثيرًا قد أَصَلَّ، فلما رأت كثرة اللحم تذكَّرت أحدث لحمٍ أكلتْه فوجدته في أول جمعتين مضتا، فسألها عمَّا قاءت فأخبرتْه، فقال: «ذاك لحم ظللتِ تأكلينه، فلا تعودي أنتِ ولا صاحبتك فيما ظللتما فيه من الغيبة». وأخبرتْها صاحبتها أنها قاءت مثل الذي قاءت من اللحم.

وسُئل ابن عمر عن الغيبة فقال: أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه. أخرجه ابن أبي الدنيا[٢].

وقال ابن مسعود: الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه، وإذا قلتَ ما ليس فيه فذلك البهتان. أخرجه ابن أبي الدنيا[٣].

وقال هشام بن حسان: الغيبة أن تقول للرجل ما هو فيه مما يكره[٤].

(وقال معاذ بن جبل) ﵁: **(ذُكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا: ما أعجزه! فقال رسول الله ﷺ: اغتبتم صاحبكم. قالوا: يا رسول الله، قلنا ما فيه. قال: إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه)** قال العراقي[٥]: رواه الطبراني[٦] بسند ضعيف.

---

(١) وكذلك قوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ١٣٧، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ١٠٣٢.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٤.

(٣) السابق ص ٨٤.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة ص ٨٥.

(٥) المغني ٢/ ٨١٩.

(٦) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٩.

قلت: ورواه البيهقي[١] كذلك، وهو في كتاب الصمت[٢] من حديث عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ، رواه عن أحمد بن منيع، حدثنا علي بن عاصم، عن المثنّىٰ بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ذُكر رجل ... فساقه. وأخرجه ابن جرير[٣] من حديث معاذ بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ، فذكر القوم رجلاً فقالوا: ما يأكل إلا ما يُطعَم، ولا يرحل إلا ما رُحِّل، وما أضعفه! فقال رسول الله ﷺ: «اغتبتم أخاكم». قالوا: يا رسول الله، وغيبةٌ أن نحدِّث بما فيه؟ فقال: «بحسبكم أن تحدِّثوا عن أخيكم بما فيه». وقال ابن أبي الدنيا[٤]: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا قُرَّان بن تمام، عن محمد بن أبي حميد، عن موسىٰ بن وَرْدان، عن أبي هريرة قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فقال رجل من القوم: يا رسول الله، ما أعجز فلانًا! فقال رسول الله ﷺ: «أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه». وأخرجه ابن جرير[٥] وابن مردويه والبيهقي[٦] بلفظ: أن رجلاً قام من عند النبي ﷺ، فرُؤيَ في قيامه عجزٌ، فقال بعضهم: ما أعجز فلانًا ... والباقي سواء.

(وعن حذيفة عن عائشة ﷺ أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت: إنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: اغتبتيها) رواه ابن أبي الدنيا[٧] عن أبي خيثمة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن علي بن الأقمر، عن حذيفة، عن عائشة أنها ذكرت ... فساقه.

---

(١) شعب الإيمان ٩/ ٩٥.
(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٣٥.
(٣) جامع البيان ٢١/ ٣٨٠.
(٤) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٣.
(٥) جامع البيان ٢١/ ٣٧٩. هو عند أبي يعلي ١١/ ٦١.
(٦) شعب الإيمان ٩/ ٩٤.
(٧) الصمت وآداب اللسان ص ١٣٥.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢]، وأصله عند أبي داود[٣] والترمذي[٤] وصحَّحه بلفظ آخر[٥]، ووقع عند المصنف [عن حذيفة عن عائشة، وكذا هو في الصمت لابن أبي الدنيا، والصواب: عن أبي] حذيفة، كما عند أحمد وأبي داود والترمذي، واسم أبي حذيفة: سَلَمة بن صُهَيب.

قلت: الذي في النسخ الموجودة عندنا: حذيفة عن عائشة، ومثله في كتاب الصمت[٦].

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**ذِكرُ الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك، والكل**) مذكور (**في كتاب الله، فالغيبة أن تقول ما فيه، والإفك أن تقول ما بلغك، والبهتان أن تقول ما ليس فيه**) ولعل الثاني مأخوذ من القصة المعروفة، وتعميمه مستفاد من حديث «كفىٰ بالمرء كذبًا أن يحدِّث بكل ما سمع».

(**وذكر**) محمد (**ابن سيرين**) رحمه الله تعالىٰ (**رجلاً فقال: ذلك الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله، إني أراني قد اغتبتُه**) رواه ابن أبي الدنيا[٧] عن أحمد ابن منيع، حدثنا محمد بن ميسَّر أبو سعد، حدثنا جرير بن حازم قال: ذكر ابن سيرين رجلاً ... فساقه. وقال أيضًا[٨]: حدثني فضل بن إسحاق، حدثنا أبو قتيبة، حدثني جرير بن حازم قال: ذكر محمد بن سيرين رجلاً فقال: ذاك الأسود. ثم

---

(١) المغني ٢/ ٨١٩ - ٨٢٠.

(٢) مسند أحمد ٤٢/ ٤٦٧.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٤.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٥.

(٥) وهو: «قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني أنها قصيرة، فقال: لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته».

(٦) الذي في مطبوع الصمت: (عن أبي حذيفة عن عائشة) كما في سائر المصادر.

(٧) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٤ - ٨٥.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ٣١٣.

قال: أستغفر الله، أستغفر الله، اغتبتُه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية[١] من طريق جرير بن حازم. قال ابن أبي الدنيا[٢]: وحدثني فضل، حدثنا أبو قتيبة، عن الربيع، عن محمد بن سيرين قال: إذا قلتَ لأخيك من خلفه ما فيه ممَّا يكره فهي الغيبة، وإذا قلت ما ليس فيه فهو البهتان، وظلمك لأخيك أن تذكره بأقبح ما تعلم منه وتنسىٰ أحسنه.

(**وذكر ابن سيرين إبراهيمَ النخعي**) وكان أعور (**فوضع يده علىٰ عينه ولم يقل: الأعور**) وقال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثنا يحيىٰ بن أيوب، حدثنا مروان بن معاوية، عن عمر بن سيف قال: قال الحسن: يخشون أن يكون قولنا «حميد الطويل» غيبة.

وقال أيضًا[٤]: حدثني فضل بن إسحاق، حدثنا أبو قتيبة [عن شعبة] قال: سمعت معاوية بن قُرَّة قال: لو قلت للأقطع «فلان الأقطع» كانت غيبة. قال: فذكرت ذلك لأبي إسحاق فقال: صدق.

(**وقالت عائشة**) ﷺ: (**لا يغتابنَّ منكم أحدٌ أحدًا، فإني قلت لامرأة مرةً وأنا عند النبي ﷺ: إن هذه لَطويلةُ الذيل، فقال لي**) النبي ﷺ: (**الفظي، الفظي. فلفظتُ بضعة من لحم**) رواه ابن أبي الدنيا[٥] عن عبيد الله العَتَكي، حدثنا موسىٰ ابن إسماعيل، حدثنا الهُنَيد بن القاسم، سمعت غبطة بنت خالد قالت: سمعت عائشة تقول: لا يغتابنَّ منكن أحدٌ أحدًا ... فساقه. وكذلك أخرجه في كتاب ذم

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٨.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٣١٣.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٤.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٥) السابق ص ١٣٨.

الغيبة[١] والخرائطي في مساوئ الأخلاق[٢] وابن مردويه والبيهقي في الشعب. وفي لفظ بعضهم: لا يغتَبْ بعضكم بعضًا، فإني كنت عند رسول الله ﷺ ... الحديث.

وقال العراقي[٣] بعد أن عزاه لابن أبي الدنيا وابن مردويه: وفي إسناده امرأة لا أعرفها. ا.هـ. يشير إلىٰ غبطة بنت خالد. وفي سنن أبي داود: غبطة بنت عمرو. وهي غير هذه.

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ٧٧.

(٢) مساوئ الأخلاق ص ١٠٠.

(٣) المغني ٢/ ٨٢٠.

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

(اعلمْ أن الذكر باللسان إنما حُرِّم) شرعًا (لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك) وعيبه (وتعريفه بما يكرهه) إما باطنًا أو ظاهرًا، وقد يكون يكرهه باطنًا ولا يُظهِره من نفسه لموجِب، فهو داخل فيه (فالتعريض به) أي التلويح (كالتصريح، والفعل فيه كالقول، والإشارة والإيماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل ما يُفهِم المقصودَ فهو داخل في الغيبة، وهو حرام) فأنواع الغيبة أربعة، أحدها: التصريح، وهو ظاهر. والثاني: التلويح، ويتضمَّن أربعة أنواع: الإشارة، والإيماء، والرمز، والغمز إما بالعين أو بأخذ اليد. والثالث: الكتابة بالقلم أو بالأصبع. والرابع: الحركة، وهي المحاكاة. وكل ذلك حرام، وتتضمَّن هذه الأنواعُ فروعًا كثيرة، ولكن هذه الأصول، وما عداها يرجع إليها، وقد يفصِّلها المصنف في سياقه (فمن ذلك) أي من نوع الإشارة (قول عائشة ﵂: دخلت علينا امرأة) وعندنا النبي ﷺ (فلما ولَّت) أي انصرفت مولِّية بظهرها (أومأتُ) أي أشرت (بيدي) وفي رواية: بإبهامي (أنها قصيرة) قِصَر الإبهام (فقال ﷺ: قد اغتبتيها) قال العراقي[1]: رواه ابن أبي الدنيا[2] وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق عنها، وحسان وثَّقه ابن حبان[3]، وباقيهم ثقات.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، حدثنا أبو معاوية قال: ذكر الشيباني، عن حسان بن مخارق، عن عائشة قالت: دخلت امرأة قصير والنبي ﷺ جالس، فقلت بإبهامي هكذا وأشرت إلى النبي ﷺ أنها قصيرة، فقال

---

(١) السابق ٢/ ٨٢٠.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) الثقات ٤/ ١٦٣.

النبي ﷺ: «اغتبتيها». هذا لفظ ابن أبي الدنيا، وأما لفظ ابن مردويه في التفسير: أقبلت امرأة قصيرة والنبي ﷺ جالس. قالت: فأشرتُ بإبهامي إلىٰ النبي ﷺ، فقال: «لقد اغتبتيها». ورواه كذلك الخرائطي في مساوئ الأخلاق[١] والبيهقي في الشعب[٢].

وأخرج عبد بن حميد من حديث عكرمة أن امرأة دخلت علىٰ النبي ﷺ ثم خرجت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما أجملها وأحسنها لولا أن بها قِصَرًا. فقال لها النبي ﷺ: اغتبتيها ... الحديث.

(**ومن ذلك: المحاكاة**) يقال[٣]: حكاه وحاكاه: إذا فعل مثله فعله، وأكثر ما يُستعمَل في القبيح (**كأنْ يمشي متعارجًا**) أو مطأطئ رأسه (**أو كما يمشي**) أو غير ذلك من الهيئات كأنْ يحاكي خُطبته أو وعظه أو تدريسه أو غير ذلك (**فهو غيبة**) محرَّمة (**بل هو أشد من الغيبة**) أي من أشد أنواعها (**لأنه أعظم في التصوير والتفهيم**) للغير (**ولمَّا رأىٰ ﷺ عائشة**) ﵂ (**حاكت امرأةً قال: ما يسرُّني أني حاكيت**) وفي نسخة: حكيت (**إنسانًا ولي كذا وكذا**) تقدَّم في الآفة الحادية عشرة.

(**وكذلك الغيبة بالكتابة**) بالقلم علىٰ الورق (**فإنَّ القلم أحد اللسانين**)[٤] وهو من الكلمات الحكيمة، أي إن القلم في التصوير والتفهيم مثل اللسان (**وذِكر المصنِّف**) في كتابه (**شخصًا معيَّنًا وتهجينه**) أي نسبته إلىٰ الهجنة (**وذِكر كلامه في الكتاب**) علىٰ وجه التهوين والتنكيل والإزراء (**غيبة**) محرَّمة لا يجوز ارتكاب مثله (**إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلىٰ ذِكره، كما سيأتي بيانه**) فيما بعد (**وأما قوله**) في الكتاب: (**قال قوم كذا**) فهذا هو الإبهام (**فليس ذلك غيبة**) أي الإبهام

---

(١) مساوئ الأخلاق ص ١٠٢.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ٩٢.

(٣) النهاية لابن الأثير ١/ ٤٢١.

(٤) انظر: الحيوان، للجاحظ ١/ ٤٢.

في الغيبة ليس بغيبة، وهو جائز (**إنما الغيبة التعرُّض لشخص معيَّن، إما حي أو ميت**) بما يسوءه ويكرهه، ويُستثنىٰ من هذا الإبهام ما إذا فُهم منه المعيَّن بقرينة فإنه غيبة، وإليه أشار المصنف بقوله: (**ومن الغيبة أن تقول: بعض مَن مر بنا اليوم**) أو: بعض مَن قَدِمَ اليوم (**أو: بعض مَن رأيناه**) اليوم (**إذا كان المخاطَب**) به (**يفهم منه**) بقرينة قائمة (**شخصًا معينًا؛ لأن المحذور**) إنما هو (**تفهيمه دون ما به التهضيم، فأما إذا لم يفهم عينه جاز**) ولم يكن غيبة (**كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئًا قال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**) فهذا هو الإبهام في الغيبة. قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث عائشة، ورجاله رجال الصحيح (**وكان**) وفي نسخة: فكان (**لا يعيِّن**) شخصًا بعينه.

(**وقولك: بعض مَن قَدِمَ من السفر، أو: بعض مَن يدَّعي العلمَ**) أو: بعض مَن يوصَف بالصلاح، ونحو ذلك (**إذا كان معه قرينة**) قائمة (**تُفهِم عينَ الشخص فهو غيبة. وأخبث أنواع الغيبة غيبة القرَّاء**) أي العلماء (**المُرائين**) بعلومهم، وهم علماء الدنيا (**فإنهم يُفهِمون المقصودَ علىٰ صيغة أهل الصلاح؛ ليُظهِروا من أنفسهم**) للناس (**التعفُّفَ عن الغيبة**) والتباعُد عنها (**ويُفهِمون المقصودَ**) الذي سِيقَ الكلامُ لأجله (**ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين: الرياء والغيبة، وذلك مثل أن يُذكَر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا**) أي لم يمتحنَّا (**بالدخول علىٰ السلطان**) أو: بمخالطة الأمراء، أو: الحمد لله الذي عصمني من مخالطة السلطان (**والتبذُّل في طلب الحُطام**) أي متاع الدنيا من مال وغيره (**أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء، نسأل الله أن يعصمنا منها**) أو يقول: الله يلطف به، ونحو ذلك (**وإنما قصدُه**) بذلك (**أن يُفهِم**) الناسَ (**عيبَ الغير**) من الخلطة وطلب الحُطام وقلة الحياء (**فيذكره بصيغة الدعاء**) له (**وكذلك قد يقدِّم مدح مَن يريد غيبته**) أي

---

(١) المغني ٢/ ٨٢٠.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٧١.

اغتيابه (**فيقول: ما أحسن أحوال فلان! ما كان يقصِّر في العبادات**) ولم يشتغل بغيرها (**ولكن قد اعتراه**) الآن (**فتورٌ**) همَّةٍ وكسلٌ (**وابتُلي بما يُبتلَىٰ به كلنا وهو قلة الصبر**) علىٰ المكاره (**فيذكر نفسَه، ومقصودُه**) من ذلك (**أن يذمَّ غيرَه في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبُّه بالصالحين في ذم أنفسهم، فيكون**) بهذا الفعل (**مغتابًا**) لأخيه (**ومرائيًا**) بعمله (**ومزكّيًا نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش، وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعفِّفين عن الغيبة**) وهذا من أدقِّ ما يُبتلَىٰ به الخاصة فضلاً عن العامة.

(**وكذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل**) من العامة (**إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم**) يتعلَّمونه (**فإنه يتعبهم**) أي يوقِعهم في المشقَّة (**ويحبط بمكائده عملَهم**) فلا يكون مقبولاً (**ويضحك عليهم ويسخر منهم**) ويلعب بهم كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روىٰ أبو نعيم في الحلية[1] من حديث واثلة: «المتعبِّد بلا فقه كالحمار في الطاحونة».

(**ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبَّه له بعض الحاضرين**) في المجلس (**فيقول: سبحان الله! ما أعجب هذا**)! فينبِّهه (**حتىٰ يصغي**) بأُذن قلبه (**إلىٰ المغتاب ويعلم ما يقوله**) ويلقيه (**فيذكر اسم الله**) جلَّ اسمُه (**ويستعمل ذِكره آلةً له في تحقيق خبثه**) في طويَّته (**وهو يمتنُّ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بذكره جهلاً منه وغرورًا**) واستخفافًا (**وكذلك يقول: لقد ساءني ما جرىٰ علىٰ صديقنا**) الفلاني (**من الاستخفاف به**) والإزراء لشأنه (**فنسأل الله أن يروِّح سرَّه**) وفي نسخة: نفسه. أي يعطيه راحة سره. والمراد بالسر: الباطن (**ويكون**) هو (**كاذبًا في دعوىٰ الاغتمام**) عليه (**وفي إظهار الدعاء له، بل لو**) كان صادقًا في دعواه و(**قصد الدعاءَ له لأخفاه في خلوة**) عن الناس أو (**عقيب صلاته**) بينه وبين الله تعالىٰ (**ولو كان يغتمُّ به لاغتمَّ أيضًا بإظهار ما يكرهه**) ويسوءه لو بلغه (**وكذلك يقول: ذلك المسكين**) أو المُسَيكِين، بالتصغير

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢١٩.

(قد بُلِيَ بآفة عظيمة تاب الله عليه وعلينا) أو: علينا وعليه، كما في نسخة **(فهو في كل ذلك يُظهِر الدعاءَ)** له **(والله مطَّلع على خبث ضميره)** ورداءة طويَّته **(وخفيِّ قصده، وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرَّض لمقتٍ أعظم ممَّا يتعرَّض له الجُهَّال إذا جاهروا)** إذ نبَّه بقوله ذلك على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة منه.

(ومن ذلك: الإصغاء) أي الميل بأذن القلب **(إلى الغيبة على سبيل التعجُّب، فإنه إنما يُظهِر التعجُّبَ ليزيد نشاطَ المغتاب في الغيبة فيندفع فيها)** أي يسترسل **(فكأنَّه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق، فيقول: عجبٌ! ما علمتُ أنه كذلك، ما عرفتُه إلى الآن إلا بالخير)** والصلاح **(وكنت أحسب فيه غيرَ هذا، عافانا الله من بلائه)** أو: لطف اللهُ به **(فإنَّ كل ذلك تصديق للمغتاب، والتصديق بالغيبة غيبةٌ، بل الساكت شريك المغتاب، قال رسول الله ﷺ: المستمع أحد المغتابين)** أي المستمع والمغتاب شريكان في الإثم. قال العراقي[١]: روى الطبراني[٢] من حديث ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة، وعن الاستماع إلى الغيبة. وهو ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الخطيب[٣]، ولفظه: نهى عن الغناء والاستماع إلى الغناء، وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة، وعن النميمة والاستماع إلى النميمة.

قال الهيثمي[٤]: فيه فُرات بن السائب، وهو متروك.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمرو بن عُتْبة بن أبي سفيان أنه قال لمولًى له: نزِّهْ سمعَك عن استماع الخَنا كما تنزِّه لسانك عن القول به، فإنَّ المستمع شريك القائل[٥].

---

(١) المغني ٢/ ٨٢٠.

(٢) المعجم الكبير ١٣/ ٣٣١.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٢٥.

(٤) مجمع الزوائد ٨/ ١٧٢.

(٥) نص ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة ص ١٠٤: «حدثني أبي عن شيخ من قريش قال: =

(وقد رُوي عن أبي بكر وعمر ﷺ أن أحدهما قال لصاحبه: إن فلانًا لنَؤُومٌ) أي كثير النوم **(ثم إنهما طلبا أُدْمًا من رسول الله ﷺ ليأكلاه مع الخبز، فقال ﷺ: قد ائتدمتما. فقالا: ما نعلمه. فقال: بلىٰ، إنكما أكلتما من لحم صاحبكما)** قال العراقي[1]: رواه أبو العباس الدغولي في «الأدب» من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ مرسلاً نحوه، ورواه أيضًا المقدسي في المختارة[2] من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.

قلت: قال الخرائطي في مساوئ الأخلاق[3]: حدثنا أبو بدر عَبَّاد بن الوليد، حدثنا حبَّان بن هلال، عن حماد، عن ثابت، عن أنس قال: كانت العرب يخدم بعضُها بعضًا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما، فناما، فاستيقظا ولم يهيِّئ لهما طعامًا، فقال أحدهما: إن هذا لَنَؤُومٌ. فأيقظاه فقالا: ائتِ رسولَ الله ﷺ فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلامَ [وهما يستأدمانك] فقال: «ائتدما». فجاء فأخبرهم، فقالا: يا رسول الله، بأي شيء ائتدمنا؟ قال: «بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرىٰ لحمه بين ثناياكما». فقالا: استغفِرْ لنا يا رسول الله. فقال: «مُراه فليستغفرْ لكما».

(فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخَر مستمع) وقد رُويت هذه القصة من وجه آخر من مرسل يحيىٰ بن أبي كثير، أورده الحكيم الترمذي

= قال مولىٰ لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان: رآني عمرو بن عتبة وأنا مع رجل يقع في آخر، فقال: ويلك - ولم يقلها لي قبلها ولا بعدها - نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول به؛ فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلىٰ شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رددت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها».

(١) المغني ٢/ ٨٢١.

(٢) الأحاديث المختارة ٥/ ٧١ - ٧٢.

(٣) مساوئ الأخلاق ص ٩٥ - ٩٦.

في نوادر الأصول[١] قال: إن النبي ﷺ كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر، فأرسلوا إلىٰ رسول الله ﷺ يسألونه لحمًا، فقال: «أوَ ليس قد ظللتم من اللحم شباعًا»؟ قالوا: من أين؟ فوالله ما لنا باللحم عهدٌ منذ أيام. فقال: «من لحم صاحبكم الذي ذكرتم». قالوا: يا نبي الله، إنما قلنا: والله إنه لَضعيفٌ ما يعيننا علىٰ شيء. قال: «وذلك فلا تقولوا». فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال. قال: فجاء أبو بكر فقال: يا نبي الله، طأْ علىٰ صِماخي واستغفرْ لي. ففعل، وجاء عمر فقال: يا نبي الله، طأ علىٰ صماخي واستغفِرْ لي. ففعل.

وهذا السياق دلَّ علىٰ أنهما ﷺ كانا مستمعينِ وأن القائل بالكلام المذكور غيرهما بدليل قولهما «طأ علىٰ صماخي»، فأشار به إلىٰ أنه كان مستمعًا.

(**وقال للرجلين اللذين**) مرَّا علىٰ ماعز وهو يُرجَم و(**قال أحدهما**) للآخَر: (**أُقعِص الرجل كما يُقعَص الكلب**) ومقول القول: (**انهشا من هذه الميتة**) قد تقدَّم قبل هذا باثني عشر حديثًا (**فجمع بينهما**) مع أن القائل واحد (**فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر**) علىٰ المغتاب (**بلسانه**) إن قدر (**فإن خاف**) الضرر (**فبقلبه، وإن قدر علىٰ القيام**) من ذلك المجلس (**أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه**) الإثمُ (**وإن قال بلسانه «اسكت» وهو مشتهٍ لذلك بقلبه فذلك نفاق**) لمخالفة قلبه لسانه (**ولا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه**) مصمِّمًا عليه (**ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه أو جبينه**) أو طرف عينه (**فإنَّ ذلك استحقار للمذكور**) بالغيبة (**بل ينبغي أن يعظِّمه فيذب عنه صريحًا، قال رسول الله ﷺ: مَن أُذِلَّ**) بالبناء للمجهول (**عنده**) أي بحضرته، أو بعلمه (**مؤمن وهو يقدر**) أي والحال أنه يقدر (**علىٰ أن ينصره**) علىٰ مَن ظلمه (**فلم ينصره أذلَّه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق**) قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣]

(١) نوادر الأصول ص ٢٢٨.

(٢) المغني ٢/ ٨٢١.

(٣) مسند أحمد ٢٥/ ٣٦١.

والطبراني[1] من حديث سهل بن حنيف، وفيه ابن لهيعة.

قلت: قال الهيثمي[2]: وهو حسن الحديث، وفيه ضعفٌ، وبقية رجاله ثقات. وكذلك رواه ابن السني في اليوم والليلة[3]، ولفظهم جميعًا: «مَن أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر علىٰ أن ينصره أذلَّه الله علىٰ رؤوس الأشهاد يوم القيامة».

وروىٰ الخرائطي[4] من حديث عمران بن حصين: «مَن ذُكر عنده أخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر علىٰ أن ينصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة». ومن حديث أنس بزيادة: «ومَن لم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة»[5].

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: مَن ردَّ عن عِرض أخيه بالغيب)** بأنْ ردَّ علىٰ مَن اغتابه وشانه وعابه **(كان حقًّا علىٰ الله عز وجل أن يردَّ عن عِرضه يوم القيامة)** جزاءً وفاقًا. رواه ابن أبي الدنيا[6] عن أبي خيثمة، حدثنا جرير، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «مَن ردَّ عن عِرض أخيه بالغيبة ...» فساقه. وكذلك رواه في ذم الغيبة[7].

قال العراقي[8]: فيه شهر بن حوشب، وهو عند الترمذي[9] من وجه آخر بلفظ: «رد اللهُ عن وجهه النارَ يوم القيامة».

---

(١) المعجم الكبير ٦/ ٧٣.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ٥٢٦.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٢٥٧.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٥) هذه الزيادة ليست عند الخرائطي، وإنما هي عند عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٧٨.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٤٧.

(٧) ذم الغيبة والنميمة ص ٩٧.

(٨) المغني ٢/ ٨٢١ - ٨٢٢.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٤٨٨.

قلت: لفظ الترمذي أخرجه أيضًا أحمد[١] والطبراني[٢]. وفي رواية: «كان له حجابًا من النار». رواه كذلك عبد بن حميد[٣] وابن زنجويه والروياني والخرائطي في المكارم[٤] والطبراني وابن السني في اليوم والليلة[٥]. وفي رواية: «كان حقًا على الله أن يردَّ عنه نار جهنم يوم القيامة». رواه الطبراني والخرائطي[٦].

(وقال) ﷺ **(أيضًا: مَن ذبَّ عن عِرض أخيه بالغيب كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار)** رواه ابن أبي الدنيا[٧] عن أبي خيثمة، حدثنا عثمان بن عمر، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال ... فذكره. وكذلك رواه أحمد[٨] والطبراني[٩] ولكن بلفظ «مَن ردَّ» بدل «من ذبَّ». ورواه ابن المبارك[١٠] وأحمد أيضًا والخرائطي في مكارم الأخلاق[١١] والطبراني أيضًا والبيهقي[١٢] بلفظ: «مَن ذبَّ عن لحم أخيه بالغيبة ...» والباقي سواء.

(وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك أخبار كثيرة) وآثار شهيرة **(أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين، فلا نطوِّل بإعادتها)** فمن

---

(١) مسند أحمد ٤٥/ ٥٢٤، ٥٢٨.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٦٢.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ص ١٩٨.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٩١.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٢٥٨.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٢٨٩.

(٧) ذم الغيبة والنميمة ص ٩٨.

(٨) مسند أحمد ٤٥/ ٥٨٣ - ٥٨٤.

(٩) المعجم الكبير ٢٤/ ١٧٦.

(١٠) الزهد والرقائق ص ٢١٩.

(١١) مكارم الأخلاق ص ٢٩٢.

(١٢) شعب الإيمان ١٠/ ١٠٦.

ذلك: حديث أنس: «مَن حمىٰ عِرض أخيه في الدنيا بعث الله إليه مَلَكًا يوم القيامة يحميه من النار». وحديث جابر وأبي طلحة: «ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن تُنتهَك فيه حرمته ويُنتقَص فيه من عِرضه إلا خذله الله في موطن تجب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرءًا مسلمًا في موطن يُنتقَص فيه من عِرضه وتُنتهَك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن تجب فيه نصرته». وحديث أنس: «إذا وقع رجل في رجل وأنت في ملإ فكنْ للرجل ناصرًا، وللقوم زاجرًا، أو قمْ عنهم». ثم تلا هذه الآية: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] وحديثه أيضًا: «مَن اغتيبَ عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة». وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما يمنعكم إذا رأيتم السفيه يخرق أعراض الناس أن تعرِّبوا عليه؟ قالوا: نخاف لسانه. قال: ذلك أدنىٰ أن لا تكونوا شهداء. وكان ميمون بن سِياه لا يغتاب، ولا يَدَعُ أحدًا عنده يغتاب، ينهاه، فإن انتهىٰ وإلا قام.

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

(اعلمْ أن البواعث على الغيبة كثيرة، ولكن يجمعها أحد عشر سببًا، ثمانية منها تطَّرِد في حق العامة، وثلاثة) منها (تختصُّ بأهل الدين والخاصة. أما الثمانية) التي تطَّرِد في حق العامة:

(فالأول: أن يشفي الغيظ) أي الغضب الكامن في القلب (وذلك إذا جرىٰ سبب غضب به عليه، فإنه إذا هاج غضبُه) وثار من باطنه على الجوارح (تشفَّىٰ بذكر مساوئه) ومعايبه (فسبق اللسانُ إليه) أي إلىٰ ذكر المساوئ (بالطبع) المجبول عليه (إن لم يكن ثَم) أي هناك (دين وازع) أي مانع حاجز وورع جِبِلِّيٌّ (وقد يمتنع تشفِّي الغيظ عند) هيجان (الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدًا ثابتًا، فيكون سببًا دائمًا لذكر المساوئ) لا يفتر عنه (فالحقد والغضب من البواعث العظيمة علىٰ الغيبة) وقد وردت أخبار فيمَن لم يشفِ غيظَه بمعصية الله تعالىٰ سيأتي ذِكرُها.

(الثاني: موافقة الأقران) من إخوان الزمان (ومجاملة الرفقاء) والأصحاب (ومساعدتهم علىٰ الكلام، فإنهم إذا كانوا) من عادتهم أنهم (يتفكَّهون بذكر الأعراض) والوقوع فيها (فيرىٰ أنه لو أنكر عليهم) بلسانه (أو قطع المجلس) فإن قام منه ولم يَعُدْ (استثقلوه) أي عدُّوه ثقيلاً (ونفروا عنه) وقطعوا صحبته (فيساعدهم) علىٰ عوائدهم (ويرىٰ ذلك من حُسن المعاشرة) وجميل المجاورة (ويظن أنه) أي فعلُه ذلك (مجاملة) لهم (في الصحبة، وقد يغضب رُفَقاؤه فيحتاج إلىٰ أن يغضب لغضبهم إظهارًا للمساهمة) أي المشاركة (في السرَّاء والضرَّاء فيخوض معهم في ذِكر العيوب والمساوئ) ولم يعلم بأن الله تعالىٰ يغضب عليه إذا طلب سخطه في رضا المخلوقين، وقد وردت في ذلك أخبار سيأتي ذِكرُها.

(**الثالث**): التحامي عن ردِّ قوله لسبق الغير في تقبيحه، وبيانه: (**أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطوِّل لسانَه فيه أو يقبِّح**) مقالَه ويفضح (**حاله عند محتشم**) أي رئيس ذي جاه وحشمة (**أو يشهد عليه بشهادة**) علىٰ شيء يغضُّ منه (**فيبادره**) ويستعجل عليه (**قبل أن يقبِّح هو حاله ويطعن فيه؛ ليسقط أثر شهادته**) ومقالته (**أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقًا ليكذب عليه بعده فيروِّج**) أي يزيِّن (**كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول: ما من عادتي الكذب، فإني أخبرتكم**) آنفًا (**بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلتُ**) وكما إذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو، فيكون باعثًا لزيد أن يغتاب عمرًا ليحامي ما سبق من كلامه عن بطلان مرامه.

(**الرابع**) التبرِّي عن فاحشة منسوبة إليه بالنسبة إلىٰ الغير، وبيانه: (**أن يُنسَب إلىٰ شيء فيريد أن يتبرَّأ منه**) أي يتخلَّص منه (**فيذكر الذي فعله، وكان من حقِّه أن يبرِّئ نفسَه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيرَه إليه**) فيكون بهذا جمعًا بين الذنوب لديه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾ [النساء: ١١٢] (**أو يذكر غيره بأنه كان مشاركًا له في الفعل**) ولم يكن وحده (**ليمهِّد بذلك عذر نفسه في فعله.**)

الخامس: إرادة التصنُّع والمباهاة) أي المفاخرة (**وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل**) أو بليد (**وفهمُه ركيك**) أي سقيم (**وكلامه ضعيف**) ونحو ذلك (**وغرضه**) منه (**أن يُثبِت في ضمن ذلك فضل نفسه**) ورفعة مقامه (**ويريهم أنه أعلم منه**) وأدقُّ فهمًا (**أو يحذَر**) أي يخاف (**أن يعظَّم**) عندهم (**مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك**) حتىٰ ينقص مقامه عندهم.

(**السادس: الحسد، وهو أنه ربما يحسد مَن يثني عليه الناس**) ويشيرون له بالفضل (**ويحبُّونه ويكرمونه**) ويبجِّلونه (**فيريد زوالَ تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه**) والحط عليه (**فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتىٰ يكفُّوا**) أي يمتنعوا (**عن إكرامه والثناء عليه؛ لأنه يثقُل عليه أن يسمع ثناء الناس**

عليه وإكرامهم له، وهذا هو عين الحسد، وهو غير الغضب والحقد) المتقدم بذكرهما (فإنَّ ذلك يستدعي جنايةً من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق) فافترقا بهذه الحيثيَّة، فهو سبب مستقلٌّ للغيبة.

(السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت) أي سَوْقه وإمضاؤه (بالضحك) وغيره من أسباب المقت (فيذكر عيوب غيره بما يُضحِك الناسَ علىٰ سبيل المحاكاة، ومنشؤه التكبُّر والتعجُّب) ونحو ذلك.

(الثامن: السخرية والاستهزاء استحقارًا له، فإنَّ ذلك قد يجري في الحضور) أي في حضرة من يستحقره (ويجري أيضًا في الغَيبة) بفتح الغين، أي في حالة الغيب (ومنشؤه التكبُّر) والترفُّع (واستحقار[1] المستهزأ به) وهذا السبب مع ما قبله قد يتَّحدان، فإن تزجية الوقت كما تكون بالهزل واللعب تكون بالاستهزاء والاستخفاف. ونظرًا إلىٰ هذا جعل مؤلِّف مختصر هذا الكتاب المسمَّىٰ بـ «عين العلم»[2] البواعثَ سبعة لا غير، فتأملْ. وعلاج ذلك بما ذُكر في هذا الكتاب في محله، فإنَّ مساوئ الأخلاق إنما تعالَج بمعجون العلم والعمل المركَّب لها، وإنما علاج كل علَّة بضدها، فليُتفحَّص عن السبب ويعالَج بالضد.

(وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة) وأهل الدين (فهي أغمضُها وأدقُّها) وأخفاها (لأنها شرور خبَّأها الشيطان في معرض الخيرات، وفيها خير، ولكن شابَ الشيطانُ) أي خلط (بها الشرَّ:

الأول: أن تنبعث من الدين داعية التعجُّب في إنكار المنكر) الشرعي (والخطأ في الدين، فيقول: ما أعجب ما رأيتُ من فلان! فإنه قد يكون به صادقًا) في قوله (ويكون تعجُّبه من المنكر) الذي صدر منه (ولكن كان حقُّه أن يتعجَّب ولا

---

(١) في غير الزبيدي: استصغار.

(٢) انظر: عين العلم للبلخي مع شرحه لملا علي القاري ١/ ٤٧٨، ٤٧٩.

يذكر اسمه، فيسهِّل الشيطان عليه ذِكر اسمه في إظهار تعجُّبه، فصار به مغتابًا) له **(من حيث لا يدري)** لأنه لو بلغه ذلك لكرهه **(وآثمًا)** في ذلك، وقلَّ مَن يتفطَّن له إلا العارفون **(ومن ذلك: قول الرجل: تعجَّبتُ من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة)** الصورة **(وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل)** فإنَّ هذا القول وإن كان صدقًا في الحقيقة بأن تكون الجارية في نفس الأمر قبيحة والرجل الذي يجلس إليه جاهلاً ولكنه مخلوط بالغيبة بتعيين أشخاصهما وذِكرهما بما يكرهانه لو بلغهما.

(الثاني: الرحمة، وهو أن يغتمَّ بسبب ما يُبتلَىٰ به) أي يُمتحَن **(فيقول: مسكينٌ فلان، قد غمَّني أمرُه وما ابتُلي به. فيكون صادقًا في دعوىٰ اغتمامه، ويلهيه الغمُّ)** الذي عرض له **(عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره، فيصير به مغتابًا)** له **(فيكون غمُّه ورحمته خيرًا، وكذا تعجُّبه، ولكنه ساقه الشيطانُ إلىٰ)** معرض **(شر من حيث لا يدري، والترحُّم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه، فيهيِّجه الشيطان علىٰ ذكر اسمه ليُبطِل به ثوابَ اغتمامه وترحُّمه.**

الثالث: الغضب لله تعالىٰ، فإنه قد يغضب علىٰ منكر قارفه) أي ارتكبه **(إنسان إذا رآه أو سمعه، فيُظهِر غضبَه ويذكر اسمه، وكان الواجب عليه أن يُظهِر غضبَه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يُظهِر علىٰ غيره ويستر اسمه)** ويخفيه **(ولا يذكره بالسوء)** لحرمة عِرضه.

(فهذه الثلاثة ممَّا يغمُض) ويدق **(دركُها علىٰ العلماء)** الأجِلَّة **(فضلاً عن العوام، فإنهم)** أي العلماء **(يظنون أن التعجُّب والرحمة والغضب إذا كان)** كلٌّ منها **(لله تعالىٰ كان عذرًا)** مبيحًا **(في ذكر الاسم، وهو خطأ، بل المرخَّص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها)** أي لا سعة فيها **(عن ذكر الاسم، كما سيأتي بيانه. روىٰ عامر بن واثلة)** بن[1] عبد الله بن عمرو بن جحش الليثي، أبو الطفيل،

---

(١) تقريب التهذيب ص ٤٧٨.

وُلد عام أُحد، ورأىٰ النبيَّ ﷺ، وروىٰ عن أبي بكر فمَن بعده، وعُمِّرَ إلىٰ أن مات سنة عشر ومائة علىٰ الصحيح، وهو آخر مَن مات من الصحابة؛ قاله مسلم وغيره (أن رجلاً مر علىٰ قوم في حياة رسول الله ﷺ، فسلَّم عليهم، فردُّوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغضُ هذا في الله تعالىٰ. فقال أهل المجلس: لبئسما قلتَ، واللهِ لتبيننَّه) أي لَتُظهِرنَّ ما قلتَ (ثم قالوا: يا فلان - لرجل منهم - قُمْ فأدرِكْه وأخبِرْه بما قال. فأدركه رسولهم فأخبره) ما قال (فأتىٰ الرجل رسولَ الله ﷺ وحكىٰ له ما قال، وسأله أن يدعوه له، فدعاه، وسأله، فقال: قد قلتُ ذلك) ولم ينكر (فقال ﷺ: لِمَ تبغضه)؟ وهل لذلك سبب؟ (فقال: أنا جاره) الملاصق (وأنا به خابرٌ) أي مطَّلع علىٰ أحواله (واللهِ ما رأيتُه يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة) أي الفروض الخمسة (قال) الرجل: (فاسألْه يا رسول الله هل رآني أخَّرتُها عن وقتها أو أسأت الوضوءَ لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله، فقال: لا. فقال: واللهِ ما رأيتُه يصوم شهرًا قط) من شهور السنة (إلا هذا الشهر الذي يصومه البَر والفاجر) يعني شهر رمضان (قال) الرجل: (فاسألْه يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئًا؟ فسأله عنه، فقال: لا. قال: واللهِ ما رأيتُه يعطي سائلاً ولا مسكينًا قط، ولا رأيته يعطي من ماله شيئًا في سبيل الله سوىٰ هذه الزكاة التي يؤدِّيها البَر والفاجر. قال) الرجل: (فاسأله) يا رسول الله (هل رآني نقصت منها أو ماكست طالبَها الذي ينالها) أي ماطلته (فسأله، فقال: لا. فقال ﷺ للرجل: قُمْ، فلعله خيرٌ منك) قال العراقي[1]: رواه أحمد في مسنده[2] بإسناد صحيح.

(١) المغني ٢/ ٨٢٢.

(٢) مسند أحمد ٣٩/ ٢٢٠. وهو من مراسيل الزهري كما رجح الدارقطني في العلل (٧/ ٤٢)، ولعل قصد العراقي بإسناد صحيح إلىٰ الزهري.

بيان العلاج الذي به يُمنَع اللسان من الغيبة

اعلمْ أن مساوئ الأخلاق كلها إنما تعالَج بمعجون العلم والعمل) أي إذا عُجن العلم النافع الخالص عن الشوائب بالعمل الصالح الخالي عن الرياء والسمعة ورُكِّبا بالأوزان الشرعية واتُّخِذا معجونًا واستعمله مَن به داء مساوئ الأخلاق نفعه (وإنما علاج كل علة بمضادَّة سببها) كما إذا قويَ البردُ ونُظر إلىٰ سببه عولِج بالأدوية الحارة المزيلة لذلك السبب الذي نشأ بسببه ذلك البردُ العارض، وكذا بالعكس (فلنفحص) أي نبحث (عن سببها) فإنَّ معرفة الأسباب هو الركن الأعظم في المداواة للعلل الحادثة (وعلاج كفِّ اللسان عن الغيبة علىٰ وجهين، أحدهما علىٰ الجملة) أي الإجمال (والآخَر علىٰ التفصيل، أما علىٰ الجملة فهو أن يعلم تعرُّضه لسخط الله تعالىٰ بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها) وذكرناها آنفًا (وأن يعلم أنها تحبط حسناته يوم القيامة) وقد روىٰ ابن أبي الدنيا عن كعب قال: الغيبة تحبط العملَ (فإنها تنقل حسناته في القيامة إلىٰ مَن اغتابه بدلاً عمَّا اجتاحه) أي استأصله (من عِرضه، فإن لم تكن له حسنات نُقل إليه من سيئات خصمه) كما وردت بذلك الأخبار (وهو مع ذلك متعرِّض لمقت الله عَزَّوَجَلَّ، ومتشبِّه[1] عنده بآكِل الميتة) أي لحمها (بل العبد يدخل النار) أي يستحقُّ دخولها (بأن تترجَّح كفة سيئاته علىٰ كفة حسناته، وربما تُنقَل إليه سيئة واحدة ممَّن اغتابه فيحصل بها الرجحانُ) لكفة السيئات (ويدخل بها النار، وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب) والمناقشة في كل ذلك (قال ﷺ): واللهِ (ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد) قال

(١) في غير الزبيدي: مشبَّه. بلا تاء.

العراقي[1]: لم أجد له أصلاً.

قال الحافظ السخاوي: أي في المرفوع. نعم، جاء عن الحسن البصري: إياكم والغيبة، والذي نفسي بيده لَهي أسرعُ في الحسنات من النار في الحطب.

قلت: روىٰ ذلك ابن أبي الدنيا[2] عن أبي الحسن علي بن عبد الله الرقِّي، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني أبي، عن الحسن أنه كان يقول: إياكم والغيبة ... فذكره.

(ورُوي أن رجلاً قال للحسن) البصري: (بلغني أنك اغتبتني. فقال: ما بلغ من قَدْرك عندي أني أحكِّمك في حسناتي).

فمهما آمن العبدُ بما ورد من الأخبار في الغيبة) أي في ذمِّها (لم يطلق لسانَه بها) أصلاً (خوفًا من ذلك) أي من الوعيد الذي دلَّت عليه الأخبار (وينفعه أيضًا أن يتذكَّر في عيوب الناس عيبَ نفسه[3]، فإن وجد فيها عيبًا اشتغل بعيب نفسه، وذكر قولَه ﷺ: طوبَىٰ لمَن شغله عيبُه عن عيوب الناس) قال العراقي[4]: رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: تمامه: «وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنَّةُ ولم يَعْدُ عنها إلىٰ البدعة». وقد رواه كذلك الديلمي، وتقدم في أول الباب من هذا الكتاب.

(ومهما وجد عيبًا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره) فذمُّ نفسه أَولىٰ من ذم غيره (بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره في نفسه في التنزُّه) أي

(١) المغني ٢/ ٨٢٢.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ١٣٥.

(٣) في غير الزبيدي: أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها... إلخ. وهذا أقرب من عبارة الزبيدي والله أعلم.

(٤) المغني ٢/ ٨٢٢.

التباعُد (عن ذلك العيب كعجزه، هذا إذا كان عيبًا يتعلق بفعله واختياره، وإن كان أمرًا خِلقيًّا) قد خلقه الله كذلك وليس في اختياره تبديله (فالذم له ذمٌّ للخالق) أي يرجع إليه ولو لم يقصد (فإنَّ مَن ذم صنعة فقد ذم صانعَها) استلزامًا (قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه. قال: ما كان خَلْقُ وجهي إليَّ فأحسِّنه) أي أزيِّنه، وإنما هذه خِلقة الله تعالىٰ، فما من حسن أو قبيح إلا والله خالقه.

(وإذا لم يجد العبد عيبًا في نفسه) أي ظاهرًا له عند تأمُّله (فليشكر الله تعالىٰ) علىٰ هذه النعمة (ولا يلوِّثنَّ نفسَه بأعظم العيوب، فإنَّ ثلب أعراض الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب) وأشدِّها (بل لو أنصف لعلمَ أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب) ظنٌّ فاسد و(جهل بنفسه) وغرور (وهو من أعظم العيوب) فإن مقتضَىٰ البشرية يقتضي العيبَ إلا مَن برَّأه الله تعالىٰ (وينفعه أن يعلم أن تألُّم غيره بغيبته كتألُّمه بغيبة غيره له، فإذا كان لا يرضىٰ لنفسه أن يُغتاب) أي يغتابه غيره (فينبغي أن لا يرضىٰ لغيره ما لا يرضاه لنفسه) وهو كمال الإيمان (فهذه معالجات جُمَليَّة) أي إجمالية فيها مَقنع لكل متبصِّر يتطلَّع بعين بصيرته فيستفيد من هذه المعالجات شفاءً لأمراضه المستكنَّة.

(أما التفصيل) في ذلك (فهو أن ينظر في السبب الباعث له علىٰ الغيبة) ما هو (فإنَّ علاج العلَّة بقطع سببها، وقد قدَّمنا) ذِكر (الأسباب) الثمانية والثلاثة (أما الغضب فيعالجه بما سيأتي) في الذي يليه (في كتاب ذم الغضب، وهو أن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعلَّ الله يمضي غضبَه عليَّ بسبب الغيبة؛ إذ نهاني عنها) فقال: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ ﴾ [الحجرات: ١٢] (فاجترأت علىٰ الله تعالىٰ) بمخالفتي له (واستخففت بزجره) فلم أعمل به (وقد قال ﷺ: إن لجهنم بابًا) أي[١] عظيم المشقَّة (لا يدخل منه) وفي رواية: لا يدخله (إلا مَن شفىٰ غيظَه بمعصية الله تعالىٰ) أي أزال شدة حِنقه بإيصال المكروه إلىٰ المغتاظ عليه علىٰ وجه لا يجوز

---

(١) فيض القدير ٢/ ٥٠٤.

شرعًا؛ لأن الغضب الكامن كالداء، فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوِّه فكأنه برئ من دائه.

قال العراقي[(١)]: رواه البزار[(٢)] وابن أبي الدنيا وابن عدي[(٣)] والبيهقي في الشعب[(٤)] من حديث ابن عباس بسند ضعيف.

قلت: لفظ البزار «بسخط الله» بدل «بمعصية الله». وفي[(٥)] سنده قُدامة بن محمد عن إسماعيل بن شيبة، وهما ضعيفان، وقد وُثِّقا. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب، وابن عدي في الكامل في ترجمة قدامة بن محمد.

(وقال ﷺ: مَن اتَّقىٰ ربَّه كلَّ لسانُه ولم يشفِ غيظَه) قال العراقي[(٦)]: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف، ورويناه في الأربعين البلدانية[(٧)] للسِّلَفي.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب التقوىٰ[(٨)] وابن النجار في ذيل التاريخ.

(وقال ﷺ: مَن كظم غيظًا وهو يقدر علىٰ أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد حتىٰ يخيِّره في أيِّ الحور شاء) قال العراقي[(٩)]: رواه أبو داود[(١٠)]

---

(١) المغني ٢/ ٨٢٢ - ٨٢٣.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٤٣٩، ٤/ ١٨٧.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٧٤.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٥٥٣.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/ ٧٢٤.

(٦) المغني ٢/ ٨٢٣.

(٧) الأربعون البلدانية ص ١٦٦.

(٨) الورع لابن أبي الدنيا ص ٧٨.

(٩) المغني ٢/ ٨٢٣.

(١٠) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٧.

والترمذي[١] وحسَّنه وابن ماجه[٢] من حديث معاذ بن أنس.

قلت: ورواه الطبراني[٣] وأبو نعيم في الحلية[٤] من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه بلفظ: «مَن كظم غيظًا وهو قادر علىٰ إنفاذه خيَّره اللهُ من الحور العِين يوم القيامة ...» الحديث. ولفظ أبي داود والترمذي: «مَن كظم غيظًا وهو قادر علىٰ أن ينفذه دعاه الله علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يخيِّره من الحور العِين يزوِّجه منها ما شاء». وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب والطبراني والبيهقي[٥]. ورواه أحمد[٦] بلفظ: «مَن كظم غيظَه وهو يقدر علىٰ أن ينتصر دعاه الله علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخيِّره في الحور العِين أيتهنَّ شاء ...» الحديث. وروىٰ ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٧] من حديث ابن عمر: «مَن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبَه يوم القيامة رضا».

(وفي بعض الكتب) السماوية **(المنزَّلة علىٰ بعض النبيين: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحقُ)** رواه ابن شاهين في كتاب «الترغيب في الذكر» عن ابن عباس، وفيه عثمان بن عطاء الخراساني، ضعَّفوه[٨].

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٧، ٤/ ٢٦٩.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠٢.

(٣) المعجم الكبير ٢٠/ ١٨٨ - ١٨٩.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٤٧ - ٤٨، ٥٥.

(٥) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٧٩.

(٦) مسند أحمد ٢٤/ ٣٨٤.

(٧) وكذلك الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٣، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٥، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٨) كنز العمال ٣/ ٥٢٣. ورواه ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٣٨ والثعلبي في الكشف والبيان ٦/ ١٦٤ عن وهيب بن الورد قال: مكتوب في الإنجيل ... فذكره. وعند أحمد في الزهد ص ٤٥ وأبي نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٤٤: بلغني أنه مكتوب في التوراة أو في بعض الكتب ... الخ. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٦٥ عن طلق بن حبيب، و ٥/ ١٢٤ عن أبي إدريس عائذ الله، و٥/ ٢١٥ عن خالد بن معدان. ورواه الديلمي في الفردوس ٣/ ١٦٩ مرفوعا من حديث أنس.

(وأما الموافقة)[1] مع الرفقاء (فبأن تعلم أن الله تعالىٰ يغضب عليك إذا طلبتَ سخطه في رضا المخلوقين) ففي حديث عائشة: «مَن أرضىٰ الناسَ بسخط الله وكله الله إلىٰ الناس». رواه أبو نعيم في الحلية[2] (فكيف ترضىٰ لنفسك أن توقِّر غيرَك) وترضيه (وتحقِّر مولاك وتترك رضاه لرضاهم، إلا أن يكون غضبك لله تعالىٰ، وذلك يوجب أن لا تذكر المغضوبَ عليه بسوء) أصلاً (بل ينبغي أن تغضب لله أيضًا علىٰ رفقائك إذا ذكروه بالسوء، فإنهم عصوا ربَّك بأفحش الذنوب وهي الغيبة.

وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلىٰ الخيانة حيث يُستغنَىٰ عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرُّض لمقت الخالق أشدُّ من التعرُّض لمقت المخلوقين، وأنت بالغيبة متعرِّض لسخط الله تعالىٰ يقينًا) لاستخفافك بزجره (ولا تدري أنك تتخلَّص من سخط الناس أم لا، فتخلِّص نفسَك في الدنيا بالتوهُّم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذمُّ الله عَزَّوَجَلَّ نقدًا) حاضرًا (وتنتظر رفع ذمِّ الخَلق نسيئةً، وهذا غاية الجهل و) نهاية (الخذلان) نعوذ بالله من ذلك (وأما عذرك بقولك: إن أكلتُ الحرام ففلان يأكله) ويشربه، إلىٰ شخص معيَّن من المشهورين بالعلم والصلاح (وإن قبلتُ مال السلطان ففلان يقبله) ويشير كذلك إلىٰ أحد من أهل عصره ممَّن يُشار إليه بالفضل (فهذا جهل؛ لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به) ولا اتِّباع طريقته (فإنَّ مَن خالف أمر الله تعالىٰ لا يُقتدَىٰ به كائنًا مَن كان) والباطل لا يكون مقيسًا عليه (ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر علىٰ أن لا تدخلها لم توافقه، ولو وافقتَه لسُفِّهَ عقلُكَ) وضلَّ رشدُك (فما ذكرتَه غيبةٌ وزيادةُ معصيةٍ أضفتَها إلىٰ ما اعتذرتَ عنه، وسجلت مع الجمع بين المعصيتين علىٰ

---

(١) أي: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٨٨، وتمامه: «ومن أرضىٰ الناس برضا الله كفاه الله». هو عند الترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان في صحيحه ١/ ٥١٠، وروي موقوفًا علىٰ عائشة ﷺ أخرجه الترمذي بإثر الحديث المرفوع.

جهلك وعدوانك[١]، وكنت كالشاة تنظر إلىٰ المِعزَىٰ تُردِي نفسَها) أي تُسقِطها (من قُلَّة الجبل) أي من أعلاه (فهي أيضًا تردي نفسَها، ولو كان لها) أي للشاة (لسان ينطق بالعذر وصرَّحت بالعذر وقالت: العنز أكيَسُ مني وقد أهلكتْ نفسها فكذلك أفعلُ، لكنتَ تضحك من جهلها) هو جواب شرط مقدَّر (وحالك مثل حالها) وعذرك مثل عذرها (ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك) وتعجب من تقليد الشاة للمعزىٰ في التردِّي وتضحك عليها.

(وأما قصدُك المُباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأنْ تقدح في غيرك، فينبغي أن تعلم أنك بما قد ذكرتَه به أبطلت فضلَك عند الله، فإنك في اعتقاد الناس فضلك علىٰ خطر، وربما نقص اعتقادُهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس) في أعراضهم (فتكون قد بِعتَ ما عند الخالق يقينًا بما عند المخلوقين وهمًا) وظنًّا (ولو حصل لك من المخلوقين اعتقادُ الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئًا.

وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمعٌ بين عذابين؛ لأنك حسدته علىٰ نعمة الدنيا، وكنتَ في الدنيا معذَّبًا بالحسد، فما قنعتَ بذلك حتىٰ أضفتَ إليه عذابَ الآخرة، فتجمع بين النَّكالين، فكنت خاسرًا نفسك في الدنيا فصِرت أيضًا خاسرًا نفسك في الآخرة، فقد قصدتَ محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك؛ إذ لا تضرُّه غيبتُك، وتضرُّك وتنفعه؛ إذ تُنقَل إليه حسناتك، وتُنقَل إليك سيئاته، فلا تنفعك، وقد جمعتَ إلىٰ خبث الحسد جهل الحماقة) وقلة العقل (وربما يكون حسدك وقدحُك سبب انتشار فضل محسودك، كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ   طُويتْ أتاح لها لسانَ حسود)[٢]

طُويت: أي أُخفيت، وأتاح: ساق وقدَّر.

---

(١) في غير الزبيدي: غباوتك.

(٢) البيت لأبي تمام الطائي، وهو في ديوانه ص ٨٥.

(وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس) أي إفضاحه (بإخزاء نفسك عند الله تعالىٰ وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام) في يوم تجتمع فيه الخلائق (فلو تفكَّرتَ في حسرتك) وندامتك (وجنايتك) التي جنيتَها (وخجلتك وخزيك يوم القيامة) بين يدي هؤلاء (يوم تحمل سيئات غيرك الذي استهزأتَ به) في الدنيا (وتُساق) بسبب ذلك (إلىٰ النار) ودار البوار (لأدهشك ذلك) أي أوقعك في الدهشة (عن إخزاء أخيك) في الدنيا (ولو عرفتَ حالك) التي تؤول إليها (لكنت أَولىٰ مَن يضحك منك، فإنك سخرت منه عند نفر قليل) وهم رفقاؤك (وعرَّضت نفسك لأنْ يؤخَذ يوم القيامة بيدك علي ملأ من الناس ويسوقك) الذي استهزأت به (تحت سيئاته كما يُساق الحمار) ذليلاً منقادًا (إلىٰ النار، مستهزئًا بك، وفرِحًا بخزيك) وفضيحتك (ومسرورًا بنصرة الله تعالىٰ إياه عليك وتسلُّطه علىٰ الانتقام منك.

وأما الرحمة) والتحنُّن (له علىٰ إثمه) الذي ابتُلي به (فهو حَسن) في نفسه (ولكن حسدك إبليس فأضلَّك) عن الطريق (واستنطقك بما يُنقَل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جبرًا لإثم المرحوم) المشفق عليه (فيخرج) بذلك (عن كونه مرحومًا، وتنقلب أنت مستحقًّا لأنْ تكون مرحومًا؛ إذ حبط أجرُك، ونقصت من حسناتك. وكذلك الغضب لله عَزَّوَجَلَّ لا يوجب الغيبةَ، وإنما الشيطان حبَّب إليك الغيبةَ ليحبط أجر غضبك وتصير معرَّضًا لمقت الله تعالىٰ بالغيبة. وأما التعجُّب إذا أخرجك إلىٰ الغيبة فتعجَّب من نفسك أنت أنك كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك) ويفضحك (كما هتكت ستر أخيك) وفضحتَه (بالتعجُّب.

فإذًا، علاج جميع ذلك المعرفة فقط) وهي العلم (والتحقُّق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان) ومداخله (فمَن قويَ إيمانُه بجميع ذلك) انشرح صدره لمعرفته، واتسع النور فيه، وأقبل علىٰ مولاه بكلِّيته، و(انكفَّ لسانه عن الغيبة لا محالة).

بيان تحريم الغيبة بالقلب

(اعلمْ أن سوء الظن) بأخيك المسلم (حرام مثل سوء القول) فيه (فكما يحرُم عليك أن تحدِّث غيرك بلسانك) الظاهر (بمساوئ الغير) ومعايبه (فليس لك أن تحدِّث نفسك وتسيء الظنَّ بأخيك) المسلم (ولست أعني به إلا عقد القلب) المستكن فيه (وحكمه علىٰ غيره بسوء الظن، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفوٌّ عنه، بل الشك أيضًا معفوٌّ عنه) بدليل ما وردت به الأخبار وتقدَّم ذِكرُها في كتاب رياضة النفس (ولكن المنهي عنه أن يظن، والظن عبارة عمَّا تركن إليه النفس ويميل إليه القلب، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾) أي[١] كونوا علىٰ جانب منه، وإبهام الكثير ليُحتاط في كل ظن ويُتأمَّل حتىٰ يُعلَم أنه من أيِّ القبيل، فإنَّ من الظن ما يجب اتِّباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحُسن الظن بالله، وما يحرُم كالظن حيث يخالفه قاطعٌ وظن السوء بالمؤمنين، وما يباح كالظن في الأمور المعاشية (﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾) [الحجرات: ١٢] تعليل مستأنف للأمر، والإثم: الذنب الذي تُستحَق العقوبة عليه (وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علاَّم الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا إلا إذا انكشف لك بعيان) أي مشاهدة (لا يقبل التأويلَ، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمتَه وشاهدته) بعيانك (وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذِّبه، فإنه أفسقُ الفُسَّاق، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾) أي[٢] فتعرَّفوا وتفحَّصوا، وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم، وتعليق الأمر بالتبيُّن علىٰ

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ١٣٦.

(٢) السابق ٥/ ١٣٤.

فسق المخبِر يقتضي جوازَ قبول خبر العدل من حيث إن المعلَّق علىٰ شيء بكلمة إن عدم عند عدمه، وأن خبر الواحد العدل يوجب تبيُّنه من حيث هو كذلك[١] (﴿أَن تُصِيبُواْ﴾) كراهةَ إصابتكم (﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾) [الحجرات: ٦] جاهلين بحالهم. وتمام الآية: ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ أي مغتمِّينَ غمًّا لازمًا، متمنِّين أنه لم يقع (**فلا يجوز تصديق إبليس**) فيما يوقعه في القلب (**وإن كان ثَم مخيلة**[٢] **تدل علىٰ فساد واحتمل خلافه لم يجُز أن تصدِّقه؛ لأن الفاسق يُتصوَّر أن يصدُق في خبره، ولكن لا يجوز لك أن تصدِّقه، حتىٰ إن مَن استُنكِهَ**) أي شُمَّ فمه (**فوُجدت منه رائحة الخمر لا يجوز أن يُحَدَّ**) حد الشارب للخمر (**إذ يقال: يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجَّها**) أي ألقاها (**وما شربها، أو حُمل عليه**) أي علىٰ شربها (**قهرًا**) أي أُكرِه علىٰ ذلك (**فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة، فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها**) وقد قال الشاعر[٣]:

يقولون لي انكَهْ قد شربتَ مُدامة ... فقلت لهم لا بل أكلت السفرجلا

وقد اعتبر أصحابنا[٤] وجود الرائحة في إيجاب الحد بشروط، علىٰ ما هو مذكور في الفروع، وهو مذهب عمر وابن مسعود (**وقد قال ﷺ: إن الله حرَّم من المسلم دمه وماله وأن يُظَن به ظن السوء**) قال العراقي[٥]: رواه البيهقي في الشعب[٦]

---

(١) في أنوار التنزيل: «وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب علىٰ الفسق».

(٢) المخيلات: قضايا يُتخيل فيها فتتأثر النفس منها قبضًا وبسطًا. التوقيف صـ٦٤٤.

(٣) هو المغيرة بن عبد الله الأسدي المعروف بالأقيشر [من شعراء الدولة الأموية] والبيت في ديوانه ص ١١٢ (ط - دار صادر).

(٤) انظر: تبيين الحقائق للزيلعي ٣/ ١٩٦ - ١٩٧. الدر المختار للحصكفي ص ٣١٢. الاختيار لتعليل المختار لابن مودود الموصلي ٤/ ٩٧ - ٩٨ (ط - دار الكتب العلمية). المبسوط للسرخسي ٢٤/ ٣١. ولكن ذكر المرغيناني في الهداية أنه لا حد علىٰ من وجدت منه رائحة الخمر أو تقيأها؛ لأن الرائحة محتملة. البناية شرح الهداية ٦/ ٣٥٤.

(٥) المغني ٢/ ٨٢٣.

(٦) شعب الإيمان ٩/ ٧٦.

من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ولابن ماجه[1] نحوه بسند ضعيف أيضًا [من حديث ابن عمر].

(فلا يُستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بيِّنة عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرِّر عليها أن حاله عندك مستور كما كان، وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر.

فإن قلتَ: فبماذا يُعرَف عقدُ الظنِّ والشكوكُ تختلج والنفس تحدِّث؟ فنقول: أمارة عقدِ الظن أن يتغيَّر القلب معه عمَّا كان فينفر عنه نفورًا ما ويستثقله) أي يعدُّه ثقيلاً **(ويمسك عن مراعاته)** لأحواله **(وتفقُّده)** عند تأخُّره **(وإكرامه)** عند لقائه **(والاغتمام بسببه)** إن عرض له عارضٌ **(فهذه أمارات عقد الظن)** في القلب **(وتحقيقه، وقد قال ﷺ: ثلاث في المؤمن وله منهن مَخرج، فمَخرجه من سوء الظن أن لا يحقِّقه)** قال العراقي[2]: رواه الطبراني[3] من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف.

قلت: لفظ الطبراني في الكبير: «ثلاث لازمات لأمَّتي: سوء الظن والحسد والطِّيرة، فإذا ظننت فلا تحقِّق، وإذا حسدت فاستغفِر الله تعالىٰ، وإذا تطيَّرت فامْضِ». وفي سنده إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف. وكذلك رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ[4].

وروىٰ[5] [عبد الرحمن بن] عمر الأصبهاني الحافظ الملقَّب بـ «رُسْته» في

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٠، ولفظه: «لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة من الكعبة، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرًا».

(٢) المغني ٢/ ٨٢٣.

(٣) المعجم الكبير ٣/ ٢٥٧.

(٤) التوبيخ والتنبيه ص ١٨٥، ٢٥٥.

(٥) كنز العمال ١٦/ ٢٧ - ٢٨.

كتاب «الإيمان» له عن الحسن البصري مرسلاً: «ثلاث لم تَسلم منها هذه الأمَّة: الحسد والظن والطيرة. ألا أنبِّئكم بالمَخرج منها؟ إذا ظننت فلا تحقِّق، وإذا حسدت فلا تبغِ، وإذا تطيَّرت فامْضِ».

(أي لا يحقِّقه في نفسه بعقد ولا فعل، لا في القلب، ولا في الجوارح، أما في القلب فبتغيُّره إلىٰ النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجِبه) ومقتضاه (والشيطان قد يقرِّر علىٰ القلب بأدنىٰ مخيلة مساءةَ الناس، ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة تنبُّهك وذكائك) وحُسن تفرُّسك (وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالىٰ. وهو علىٰ التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظُلمته) فليحذَرْ من ذلك (وأما إذا أخبرك به غيرك من العدول فمال ظنُّك إلىٰ تصديقه كنت معذورًا) في الجملة (لأنك لو كذَّبته لكنت جانيًا علىٰ هذا العدل؛ إذ ظننت به الكذبَ، وذلك أيضًا من سوء الظن، فلا ينبغي أن تُحسِن الظنَّ بواحد وتسيء بالآخَر. نعم، ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنُّت) في خصومة أو معاملة (فتتطرَّق التهمة بسببه، فقد ردَّ الشرعُ شهادة الأب العدل للولد للتهمة، ورد شهادة العدو) وذلك فيما رُوي أنه ﷺ قال: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا مجلود حدًّا ولا مجلودة، ولا ذي غِمْر علىٰ أخيه، ولا مجرَّب عليه شهادة زور، ولا التابع مع آل البيت لهم، ولا الظَّنِين في ولاء ولا في قرابة». أخرجه الترمذي[1] وضعَّفه والبيهقي[2] من حديث عائشة. وروىٰ أبو داود[3] وابن ماجه[4] والبيهقي[5] وابن عساكر[6] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا زانٍ ولا

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٣٥.

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٦١، ٣٤٠.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ٢٢٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ٤٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٦١، ٣٣٨.

(٦) تاريخ دمشق ٥٣/ ٩٧.

زانية، ولا ذي غِمْر علىٰ أخيه في الإسلام». ورواه عبد الرزاق[١] وأحمد[٢] بلفظ: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا ذي غمر علىٰ أخيه، ولا شهادة التابع لأهل البيت، وتجوز شهادته لغيرهم». ورواه عبد الرزاق أيضًا عن عمر بن عبد العزيز بلاغًا: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا ذي غمر علىٰ أخيه، ولا محدِث في الإسلام ولا محدثة». ورواه أيضًا[٣] وكذا الحاكم[٤] والبيهقي[٥] من حديث أبي هريرة: «لا تجوز شهادة ذي الظِّنة ولا ذي الحِنَة» **(فلك عند ذلك أن تتوقَّف. وإن كان عدلاً فلا تصدِّقه ولا تكذِّبه، ولكن تقول في نفسك: المذكور حاله كان في ستر الله عندي، وكان أمره محجوبًا عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيءٌ من أمره)** وحاله **(وقد يكون الرجل ظاهره)** الستر و**(العدالة، ولا محاسدة بينه وبين المذكور)** ولا معاداة ولا تعنُّت **(ولكن قد يكون من عادته التعرُّض للناس وذِكر مساوئهم. فهذا قد يُظَن أنه عدل وليس بعدل؛ فإن المغتاب فاسق)** هذا إذا صدر منه الاغتياب علىٰ القلة **(وإن كان ذلك من عادته رُدَّت شهادته. إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة، ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق)** أي لم يبالوا، وهذه بليَّة عامة شاملة للعباد في جميع البلاد، فهي من أكبر الفساد إلا مَن عصمه الله تعالىٰ **(ومهما خطر لك خاطر بسوء علىٰ مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته)** وتفقُّده وإكرامه والسؤال عن حاله **(وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان)** ويغضبه **(ويدفعه عنك، ولا يلقي إليك الخاطرَ السوء خيفةً من اشتغالك بالدعاء)** له

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٨/ ٣٢٠.

(٢) مسند أحمد ١١/ ٢٩٩، ٥٠١، ٥٣١، ٦٧١.

(٣) لفظ حديث أبي هريرة عند عبد الرزاق: «بعث رسول الله ﷺ مناديا في السوق أنه لا تجوز شهادة خصم ولا ظنين. قيل: وما الظنين؟ قال: المتهم في دينه». أما اللفظ المذكور فقد رواه عن عبد الرحمن بن فروخ.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ١٩٩.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٣٩.

(والمراعاة) لحاله (ومهما عرفتَ هفوة مسلم بحُجة) ظاهرة (فانصحْه في السر) لا في العلانية (ولا يخدعنَّك الشيطان فيدعوك إلىٰ اغتيابه. وإذا وعظته فلا تعظْه وأنت مسرور باطِّلاعك علىٰ نقصه) وعيبه (لينظر إليك بعين التعظيم) والاحترام (وتنظر إليه بعين الاستحقار، وترفَّع عليه بدالَّة الوعظ) والنصح (وليكن قصدك تخليصه من الإثم) الذي وقع فيه (وأنت حزين، كما تحزن علىٰ نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك. وينبغي أن يكون تركُه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له علىٰ دينه.

ومن ثمرات سوء الظن: التجسُّس، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق) بمقتضاه (فيشتغل بالتجسس، وهو أيضًا منهيٌّ عنه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهيٌّ عنه) أي عن كلٍّ منها (في آية واحدة) وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] فقدَّم ذِكر سوء الظن، ثم أتبعَه بثمرته، ثم ذكر الغيبة (ومعنىٰ التجسس: أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوسَّل[١] إلىٰ الاطِّلاع) علىٰ ما وراءهم (وهتك الستر حتىٰ ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه. وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته) فلا نطوِّل بإعادته. والله الموفِّق.

---

(١) في غير الزبيدي: فيتوصل.

بيان الأعذار المرخِّصة في الغيبة

(اعلمْ أن المرخِّص في ذِكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به، فيدفع ذلك إثمَ الغيبة، وهي ستة أمور) نظمها بعضُهم[١] فقال[٢]:

لا تقـدح الغيبـةُ في سـتةٍ   متظلِّـم ومتحـذِّر ومتعـرِّف
ولمُظهِـر فسـقًا ومسـتفتٍ ومَـن   طلـب الإعانـةَ في إزالـة منكـر

(الأول: التظلُّم؛ فإنَّ مَن ذكر قاضيًا من القضاة بالظلم والخيانة وأخذِ الرشوة كان مغتابًا عاصيًا) لله تعالىٰ (إن لم يكن مظلومًا، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلَّم إلىٰ السلطان) الأعظم الذي ولاَّه القضاءَ (وينسبه إلىٰ الظلم) ويشكو منه (إذ لا يمكنه استيفاء حقِّه إلا به) فحصل الترخيص له من الشارع، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] و(قال ﷺ: إن لصاحب الحق مقالاً) أي إن لصاحب الدَّين صولة الطلب وقوة الحُجة. قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث أبي هريرة.

---

(١) هو كمال الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن أبي بكر المصري الشافعي الشهير بابن عوجان، كما ذكره نجم الدين الغزي في كتاب الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ١/ ١٠ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) وبعضهم في قوله:

لعقـبُ ومسـتفتٍ وفسـقٌ ظاهـرٌ   والظلـمُ تحذيـرٌ مزيـل المُنْكَـرِ

بداية المحتاج لابن قاضي شهبة ٣/ ٢٩ ط المنهاج.

(٣) المغني ٢/ ٨٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ١٤٧، ١٧٢، ١٧٥، ٢٣٨، ٢٣٩. صحيح مسلم ٢/ ٨٥٢.

قلت: روياه[١] من حديث سلمة بن كُهَيل، سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدِّث عن أبي هريرة أن رجلاً تقاضىٰ رسولَ الله ﷺ فأغلظ له، فهمَّ به أصحابُه، فقال: «دعوه، فإنَّ لصاحب الحق مقالاً». قال الحافظ السخاوي: وهو من غرائب الصحيح ، قال البزار : لا يُروَىٰ عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ومداره علىٰ سلمة بن كهيل، وقد صرَّح - يعني به في رواية البخاري - بأنه سمعه من أبي سلمة بمِنىٰ، وذلك لما حجَّ.

وقد رواه كذلك الترمذي[٢]، ورواه أحمد[٣] من حديث عائشة، وابن عساكر[٤] من حديث أبي حُمَيد الساعدي. وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٥] من حديث أبي هريرة: «دعوه، فإنَّ طالب الحق أعذَرُ من النبي».

(وقال ﷺ: **مَطْلُ الغنيِّ ظلمٌ**) أي[٦] تسويف القادر المتمكِّن من أداء الدَّين الحالِّ ظلمٌ منه لرب الدَّين، فهو حرام، والتركيب من قبيل إضافة المصدر إلىٰ فاعله، وقيل: من إضافة المصدر إلىٰ مفعوله، يعني: يجب وفاء الدَّين وإن كان مستحقُّه غنيًّا، فالفقير أَولىٰ، ولفظ المطل يؤذِن بتقديم الطلب، فتأخير الأداء مع عدم الطلب ليس بظلم، وقضية كونه ظلمًا أنه كبيرة يفسق به إن تكرَّر، وكذا إن لم يتكرَّر، علىٰ ما جرىٰ عليه بعضُهم.

قال العراقي[٧]: متفق عليه[٨] من حديث أبي هريرة.

---

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١١٧.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٥٨٤.

(٣) مسند أحمد ٤٣/ ٣٣٨.

(٤) تاريخ دمشق ٣٦/ ٣٨٨.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٠.

(٦) فيض القدير ٥/ ٥٢٣. وانظر: فتح الباري لابن حجر ٤/ ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٧) المغني ٢/ ٨٢٤.

(٨) صحيح البخاري ٢/ ١٣٩، ١٧٥. صحيح مسلم ٢/ ٧٣٦.

قلت: تمامه: «وإذا أُتبِعَ أحدكم علىٰ مَلِيء فليتبعْ». وكذلك رواه أبو داود[١] والنسائي[٢] والترمذي[٣] وابن ماجه[٤]، وفي رواية لبعضهم: «المَطْل ظلمُ الغنيِّ». وفي الباب عن عمران بن حصين عند القضاعي[٥]، وابن عمر عند أحمد[٦] والترمذي[٧].

(**وقال** ﷺ: **ليُّ الواجد**) أي[٨] الغنيِّ، واللَّيُّ: المطل (**يُحِلُّ**) بالضم من الإحلال (**عِرضه**) بأن يقول له المدين: أنت ظالم، أنت مماطل، ونحوه ممَّا ليس بفحش ولا قذف (**وعقوبته**) بأن يعزِّره القاضي علىٰ الأداء بنحو ضرب أو حبس حتىٰ يؤدي.

قال العراقي[٩]: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح.

قلت: رواه أبو داود[١٠] في الأقضية، والنسائي[١١] في البيع، وابن ماجه[١٢] في

(١) سنن أبي داود ٤/ ١٢٠.

(٢) سنن النسائي ص ٧١٤، ٧١٥.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٥٧٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ٦٦.

(٥) مسند الشهاب ١/ ٦٠، ولفظه: «مطل الغني ظلم، ومسألة الغني شين في وجهه، ومسألة الغني نار».

(٦) مسند أحمد ٩/ ٢٩٢.

(٧) هذا الحديث أورده الدكتور بشار عواد معروف في هامش السنن ٢/ ٥٧٧، وقال إنه ليس من سنن الترمذي، واستدل علىٰ ذلك بأمور.

(٨) فيض القدير ٥/ ٤٠٠.

(٩) المغني ٢/ ٨٢٤.

(١٠) سنن أبي داود ٤/ ٢٣١.

(١١) سنن النسائي ص ٧١٤.

(١٢) سنن ابن ماجه ٤/ ٨١.

الأحكام، وكذلك رواه أحمد[١] والحاكم[٢] من طريق عمرو بن الشريد عن أبيه، وقال الحاكم: صحيح. وأقرَّه الذهبي. وعلَّقه البخاري[٣].

وأخرج البيهقي في الشعب[٤] من طريق شعبة قال: الشكاية والتحذير ليسا من الغيبة. قال عقبَه: وهذا صحيح، فقد يصيبه من جهة غيره أذىٰ فيشكوه، ويحكي ما جرىٰ عليه من الأذىٰ، فلا يكون ذلك حرامًا، ولو صبر عليه كان أفضل.

(**الثاني: الاستعانة**) بالحاكم ونحوه (**علىٰ تغيير المنكر**) أي إزالته (**وردِّ العاصي إلىٰ منهج الصلاح**) بتركه وتوبته (**كما رُوي أن عمر** رضي الله عنه **مر علىٰ عثمان، وقيل: علىٰ طلحة،** رضي الله عنهما، **فسلَّم عليه، فلم يردَّ السلام**) لشغلٍ كان به، أو لم يسمعه (**فذهب**) عمر (**إلىٰ أبي بكر** رضي الله عنه **فذكر له ذلك، فأتىٰ أبو بكر إليه**) وأخبره (**ليصلح ذلك**) إذ كان ردُّ السلام واجبًا (**ولم يكن ذلك غيبة عندهم**) فدعا أبو بكر عثمان أو طلحة فاعتذر إليه وقَبِلَ ذلك منه (**وكذلك لمَّا بلغ عمرَ** رضي الله عنه **أن أبا جندل قد عاقَرَ الخمرَ بالشام كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ **الآية** [غافر: ١ - ٣] **فتاب**) رواه كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا يزيد بن الأصم أن رجلاً كان ذا بأس، وكان يوفَد إلىٰ عمر لبأسه، وكان من أهل الشام، ففقده عمرُ، فسأل عنه، فقيل: تتابع في الشراب. فدعا كاتبه فقال: اكتب: من عمر إلىٰ فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب. ثم دعا وأمَّن مَن عنده، ودعوا له أن يُقبِل الله [عليه] بقلبه وأن يتوب عليه. فلما أتت الصحيفةُ الرجلَ جعل يقرأها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وقال: ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١٩٦﴾

(١) مسند أحمد ٢٩/ ٤٦٥، ٣٢/ ٢٠٦، ٢١٥.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٠٣.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٧٥ بصيغة التمريض، قال: «ويُذكَر عن النبي ﷺ ...» فذكره.

(٤) شعب الإيمان ٩/ ١٢٦.

فحذَّرني من عقابه. فردَّدها وبكىٰ، ثم نزع فأحسنَ النزعَ، فلما بلغ عمرَ [أمره] قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخًا لكم قد زلَّ فسدِّدوه ووفِّقوه وادعوا له ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه[1]. وقد تقدم ذلك في كتاب آداب الصحبة بنحوه (**ولم يرَ عمر ذلك ممَّن أبلغه غيبةً**) في حقه (**إذ كان قصدُه أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحُه ما لا ينفعه نصحُ غيره، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حرامًا**) وذلك موضع الغرور، فإنه قلَّما يستعين بذي جاه ويذكر له شيئًا من ذلك إلا والشيطان يوقعه في آفات عظيمة لا يكاد يتخلَّص منها.

(**الثالث: الاستفتاء، كما يقول للمفتي: قد ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي، وكيف طريقي في الخلاص؟ والأسلم**) في هذا (**التعريضُ**) دون التصريح (**بأن يقول: ما قولك**) أو: كيف تقول (**في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته**) أو أخذ مال ابنه ظلمًا أو أخذت مال زوجها بغير إذنه لأجل بخله (**ولكن التعيين مباح بهذا القدْر**[2]**؛ لِما رُوي عن هند بنت عُتبة**) بن[3] ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العَبْشمية، والدة معاوية بن أبي سفيان، أخبارها قبل الإسلام مشهورة، وشهدت أُحدًا مع المشركين وفعلت ما فعلت بحمزة، ثم كانت تولِّب علىٰ المسلمين إلىٰ أن جاء الله بالفتح، فأسلم زوجها أبو سفيان ثم أسلمت هي يوم الفتح، وقصتها في قولها عند بيعة النساء «وأن لا يسرقن ولا يزنين»، فقالت: وهل تزني الحرة؟! وعند قوله «ولا يقتلن أولادهن»: قد ربَّيناهم صغارًا وقتلتَهم كبارًا، مشهورة، ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد[4] بسند صحيح مرسل عن الشعبي وعن ميمون بن مهران. قال الواقدي[5]: لمَّا أسلمت هند جعلت تضرب صنمًا لها في

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٩٧، والثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٢٦٥.

(٢) في ط المنهاج ٥/ ٥٣٩، م الإمام: العذر. بالعين المهملة والذال.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ١٣/ ١٦٥ - ١٦٧.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٢٢٣ - ٢٢٦.

(٥) مغازي الواقدي ٢/ ٨٧١.

بيتها بالقدوم حتىٰ فلَّذته فلذة فلذة وتقول: كنا منك في غرور. قيل: إنها بقيت إلىٰ خلافة عثمان، وبه جزم ابن سعد (**أنها قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان**) تعني زوجها (**رجل شحيح**) أي بخيل إلىٰ الغاية (**لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، أفآخُذ**) من ماله (**من غير علمه**)؟ هل عليَّ في ذلك من حرج؟ (**فقال**) لها ﷺ: (**خذي**) من ماله (**ما يكفيكِ وولدَك بالمعروف**) رواه البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] بلفظ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيكِ وولدك». وهو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قال الحافظ في الإصابة: وشذَّ عبد الله بن محمد بن عروة فقال: عن هشام عن أبيه عن هند. أخرجه ابن منده، وفيه قصة البيعة، وفيه: فقالت: إن أبا سفيان رجل بخيل، ولا يعطيني ما يكفيني إلا ما أخذتُ منه من غير علمه ... الحديث. وفيه من مرسل الشعبي: قالت هند: كنت قد اقتنيت من مال أبي سفيان، فقال أبو سفيان: ما أخذتِ من مالي فهو حلال.

(**فذكرت الشحَّ والظلم لها ولولدها، ولم يزجرها ﷺ؛ إذ كان قصدُها الاستفتاء**) لا الحكومة والدعوىٰ[(٣)].

(**الرابع: تحذير المسلم من**) سراية (**الشر، فإذا رأيتَ فقيهًا يتردَّد إلىٰ مبتدع أو فاسق وخِفت أن تتعدَّىٰ إليه بدعتُه وفسقه**) ويسري إليه شرُّه (**فلك أن تكشف له بدعتَه وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير، وذلك موضع الغرور**) من الشيطان (**إذ قد يكون الحسد هو الباعث**) لك (**ويلبِّس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة علىٰ الخَلق**) فيُهلِك نفسَه بذلك (**وكذلك مَن اشترىٰ مملوكًا وقد عرفتَ المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك**) أيها البائع (**أن تذكر ذلك**) للمشتري تصريحًا (**فإنَّ في سكوتك ضرر المشتري، وفي ذكرك**)

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١١٥، ١٩٥، ٣/ ٤٨، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤/ ٢١٧، ٣٣٣، ٣٣٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٨١٩ - ٨٢٠.

(٣) كأن الصواب أن يقال: لا الغيبة والذم. إذ لو كانت حكومة ودعوىٰ فلا شيء فيها ولا نكران.

للعيب (ضرر العبد) إذ لا يُقدِم المشتري علىٰ شرائه فيكون كاسدًا (**والمشتري أَولىٰ بمراعاة جانبه**) من مراعاة جانب العبد، وإن كان في كلٍّ منهما مضارة (**وكذلك المزكِّي**) في رُواة الأخبار والشهادات (**إذا سُئل عن**) تزكية (**الشاهد فله الطعن فيه**) وجرحُه (**إن علم مَطعنًا**) فيخبر بما يعلمه من الراوي أو الشاهد ليتَّقي خبره وشهادته، فيكون ذلك مباحًا؛ نقله البيهقي عن شعبة (**وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه علىٰ قصد النصح للمستشير**) بأن فلانًا لا يصلُح لها، أو لا يصلُح لأنْ يودَع عنده شيء (**لا علىٰ قصد الوقيعة**) فيه، ويُشترط أن لا يكون بين المستشار والمستشار فيه عداوة أو خصومة (**فإن علم أنه يترك التزويج بمجرَّد قوله «لا تصلُح لك» فهو الواجب وفيه الكفاية، وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرِّح به؛ إذ قال رسول الله ﷺ: أَترعونَ**) بفتح[1] همزة الاستفهام وكسر الراء، من وَرَعَ يَرِعُ، كوعد يَعِدُ، أي أتتحرَّجون وتمتنعون (**عن ذِكر الفاجر**) المعلن بفسقه، الذي لا يبالي بما ارتكبه (**اهتكوه**) أي اكشفوا حاله وارفعوا ستره (**متىٰ يعرفه الناس**) فيحذرون منه (**اذكروه بما فيه**) من الأوصاف الذميمة (**حتىٰ يعرفه الناس**) فلا يغترُّون به. وبيَّن بقوله «بما فيه» أنه لا يجوز ذِكر فاسق بغير ما فيه ولا بما لم يعلن به. وأشار بقوله «يحذره الناس» إلىٰ أن مشروعية ذِكره بذلك مشروطة بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة دفعًا للاغترار ونحوه، فمَن ذكر أحدًا من هذا الصنف تشفِّيًا لغيظه أو انتقامًا لنفسه [أو احتقارًا] أو نحو ذلك من الحظوظ النفسانية فهو آثم[2]، صرَّح بذلك التاج السبكي عن والده،

---

(١) فيض القدير ١/ ١١٥ - ١١٦.

(٢) هذا الكلام مأخوذ عن نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٦٦٨، وعبارته: «مَن غلب عليه الفجور فقد أعلن به وهتك ستره، فإذا لم يبق له ستر استحال أن أستره أو أكتم أمره، وفي كتماني أمره خيانة، وكفي عنه خيانة، ألا ترىٰ أنه قال: متىٰ يعرفه الناس، وإن كان عنىٰ بهذا المشرك لكان الناس قد عرفوه، ثم بين نفع الذكر فقال: اذكروه بما فيه يحذره الناس. وإنما هذا الذكر لمن احتسب بهذا الذكر وأراد به النصيحة للعامة لئلا يغتر به مسلم، فأما من قعد يذكر أحدا من هذا الصنف تشفيا لغيظه أو مستنقما لنفسه فهو خارج عن هذا الحديث عندنا حتىٰ يذكره علىٰ تلك النية».

قال: كنت جالسًا بدهليز دارنا، فأقبل كلب، فقلت: اخسأ كلب ابن كلب، فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟! قال: شرطُ الجواز عدم قصدِ التحقير. فقلت: هذه فائدة.

قال العراقي[1]: رواه الطبراني[2] وابن حبان في الضعفاء[3] وابن عدي[4] من رواية بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده دون «متىٰ يعرفه الناس»، ورواه بهذه الزيادة ابنُ أبي الدنيا في الصمت[5].

قلت: رواه الخطيب في «رُواة مالك» من حديث أبي هريرة بلفظ: «أتَرِعون عن ذكر الفاجر أن تذكروه؟ فاذكروه يعرفه الناس». ثم قال: تفرَّد به الجارود. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، حدثنا الجارود بن يزيد، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتَرعون عن ذكر الفاجر، متىٰ يعرفه الناس، اذكروه بما فيه يحذَره الناسُ». وكذلك أخرجه في ذم الغيبة[6]، وأخرجه كذلك أبو يعلىٰ والترمذي الحكيم في الثامن والتسعين من نوادر الأصول والحاكم في الكنىٰ والشيرازي في الألقاب والعقيلي[7] والبيهقي[8] والخطيب[9]، كلهم من طريق الجارود بن يزيد القشيري عن بهز، قال الجارود: لقيت بهز بن حكيم في الطواف فذكره لي. قال الحكيم والخطيب:

---

(١) المغني ٢/ ٨٢٤.

(٢) المعجم الكبير ١٩/ ٤١٨.

(٣) المجروحون من المحدثين ١/ ٢٦١.

(٤) الكامل في الضعفاء ٢/ ٥٩٥، ٣/ ١١٣٧، ٥/ ١٧٨٤.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٤١.

(٦) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٨.

(٧) الضعفاء الكبير ١/ ٢١٩.

(٨) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٥٤. شعب الإيمان ١٢/ ١٦٥ - ١٦٦.

(٩) تاريخ بغداد ٢/ ٢٦٢، ٤/ ٣٠٨، ٨/ ١٩٥ - ١٩٦، ٢٠٥.

تفرَّد به الجارود عنه. وقال الحاكم: هذا غير صحيح. وقال البيهقي: ليس بشيء. وقال في المهذَّب[١] كأصله: الجارود واهٍ. وقال البخاري[٢] والدارقطني[٣]: هو متروك. وقد سرقه منه جمعٌ ورووه عن بهز، ولم يصحَّ في ذا شيء، منهم عمرو بن الأزهر عن بهز، وسليمان بن عيسىٰ عن الثوري عن بهز. وسليمان وعمرو كذَّابان، وقد رواه معمر عن بهز أيضًا، أخرجه الطبراني في الأوسط[٤] عن عبد الوهاب أخي عبد الرزاق، وهو كذاب، وقال الطبراني: لم يروِه عن معمر غيره. كذا قال. وقال أحمد: حديث منكر. وقال ابن عدي: لا أصل له. وقال الدارقطني في العلل[٥]: هو من وضع الجارود. وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل يثبُت. وفي الميزان[٦] أن أبا بكر الجارودي كان إذا مر بقبر جده الجارود قال: يا أبتِ، لو لم تحدِّث بحديث بهز لزرتُك.

(وكانوا يقولون: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٧] عن يوسف بن موسىٰ، حدثنا عبد الرحمن بن مَغْراء، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: ثلاث كانوا لا يُعَدُّون من الغيبة ... فذكره. قال: وبلغني عن أحمد بن عمران الأخنسي، حدثنا سليم بن حيَّان، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: ثلاثة ليس لهم غيبة: الظالم، والفاسق، وصاحب البدعة.

وأخرج البيهقي في الشعب[٨] عن سفيان بن عيينة قال: ثلاثة ليس لهم غيبة:

---

(١) المهذب في اختصار السنن الكبرىٰ للذهبي ٨/ ٤٢٢١.

(٢) في التاريخ الكبير ٢/ ٢٣٧ والتاريخ الصغير ص ٣٠ للبخاري: منكر الحديث.

(٣) الضعفاء والمتروكون ص ١٠١.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٥) بل في تعليقاته علىٰ كتاب المجروحين لابن حبان ص ٦٨.

(٦) ميزان الاعتدال ١/ ٣٨٤.

(٧) الصمت وآداب اللسان ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٨) شعب الإيمان ٩/ ١٢٧.

الإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه، والمبتدع الذي يدعو الناس إلىٰ بدعته.

(**الخامس: أن يكون الإنسان معروفًا بلقب يعرب**) أي يبين (**عن عينه**[١]) أي شخصه (**كالأعرج**) وهو[٢] لقب عبد الرحمن بن هُرْمُز المدني، من أكبر أصحاب أبي هريرة، مات بالإسكندرية سنة سبع عشرة ومائة (**والأعمش**) هو لقب سليمان بن مهران الكاهلي، أبو محمد الكوفي (**فلا إثم علىٰ من يقول: روىٰ أبو الزناد**) هو[٣] عبد الله بن ذَكْوان القرشي المدني، ثقة، فقيه، مات سنة ثلاثين، روىٰ له الجماعة (**عن الأعرج**) عن أبي هريرة (**وسليمان عن الأعمش**) هكذا في النسخ، أي روىٰ سليمان عن الأعمش، والأعمش اسمه سليمان كما تقدم، إلا أن يكون أحد رُواة الأعمش اسمه سليمان[٤]، لكنه ليس في الشهرة كأبي الزناد عن الأعرج (**وما يجري مَجراه**) كالأَبَح[٥]، والأبرش، والأثبج، والأثرم، والأجلح، والأحدب، والأحرد، والأحمر، والأحنف، والأحول، والأزرق، والأسود، والأشتر، والأشج، والأشدق، والأشعث، والأشقر، والأَشَلّ، والأصفر، والأصم، والأعجم، والأعسم، والأعشىٰ، والأعلم، والأعمىٰ، والأعنق، والأعور، والأعيَن، والأغطش، والأفرَق، والأفطس، والأقرع، والبَطِين، وبومة، والتَّل، والجارود، والجَرِب، والحافي، والحَمَّال، ودُحروجة الجُعل، ورُخ، ورِشْك، وزنبور، وزُنَيج، وسَحْبَل، والسمين، وسَنْدَل، وصاعقة، والضال، والضرير، والضخم، والضعيف، والطويل، والعِجل، وغُنْدَر، والغول، والفأفاء، والفَرْخ، والفقير، والقُباع، والقرظ،

---

(١) في ط المنهاج ٥/ ٥٤٠، م الإمام: عيبه - بالباء - وكأنه الأصوب.

(٢) تهذيب الكمال ١٧/ ٤٦٧ - ٤٧١.

(٣) تقريب التهذيب ص ٥٠٤.

(٤) ذكر المزي في تهذيب الكمال ١٢/ ٨١ فيمن روىٰ عن الأعمش: سليمان بن طرخان التيمي، وسليمان بن قرم الضبي. وانظر شرح معاني الآثار ٣/ ١٥٩.

(٥) انظر هذه الألقاب ومن لُقب بها في كتاب التكميل في الجرح والتعديل لابن كثير ٤/ ١١٥ وما بعدها (ط - مركز النعمان بصنعاء).

والقصير، والكوسج، وكيلجة، ولُوَين، والمجدَّر، ومحرِّق، والمزلِّق، ومِشْفَر، والمضروب، والمعرقَب، والمفلوج، والمُقعَد، والمقفَّع، والمنبوذ. فهذه ألقاب رُواة الآثار وحَمَلة الأخبار ممَّا يغضُّ عنه السامع عند ذِكره، وكذلك الكنىٰ من الألقاب كأبي الأحوص، وأبي البطن، وأبي ثور، وأبي الشعثاء، وأبي كَشُوثاء، وما يجري مجراه. وكذلك الأنساب من الألقاب كالتَّبُوذكي، والدِّنْداني، والزنجي، والقِبطي، والمنجنيقي، والنَّبَطي، وما يجري مجراه (**فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم**) أنهم يقولون كذلك (**بعد أن قد صار مشهورًا به**) لا يُعرَف إلا هكذا، وهو في الأعرج والأعمش والطويل ظاهر، فإنَّ هؤلاء كان يقال لهم ذلك ولا يغضبون (**نعم، إن وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرىٰ فهو أَولىٰ**) وهو اختيار الحسن وجماعة، فكانوا يعدُّون مثل ذلك غيبة، وقد تقدَّم النقل عنهم (**ولذلك يقال للأعمىٰ: البصير، عدولاً عن اسم النقص**) ويريدون به البصير بقلبه في بعض الأقوال، وإنما قيل لحميد: الطويل؛ لأنه كان قصيرًا، فالطول ليس بنقص، بخلاف القِصَر. نعم، إذا وُصف الرجل بالطول المفرط يُغَضُّ منه.

(**السادس: أن يكون مجاهرًا بالفسق**) معلنًا (**كالمخنَّث**) والقَوَّاد (**وصاحب الماخور**) وهو مجلس الشراب (**والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس**) بأخذ أموالهم (**وكان ممَّن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يُذكَر له ولا يكره أن يُذكَر به، فإذا ذكرتَ فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك. قال رسول الله ﷺ: مَن ألقىٰ جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له**) الجلباب[1]: الإزار، وقيل: كل ما يُستتَر به من الثوب، وإلقاؤه عن وجهه كناية عن ترك الحياء فيه؛ لأن النهي عن الغيبة إنما هو لإيذائه المغتاب بما يصيبه من شيء يظهر شَيْنه، فهو يستره ويكره إضافته له فلا يقدر علىٰ التبرِّي منه، وأما مَن فضح نفسه بترك الحياء فهو غير مبالٍ بذكره، فمَن ذكره لم

(١) فيض القدير ٦/ ٨٧.

يلحقه منه أذىٰ، فلا يلحقه وعيدُ الغيبة.

قال العراقي[(١)]: رواه ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب «ثواب الأعمال» بسند ضعيف.

قلت: وقد تقدَّم هذا الحديث في كتاب الزكاة. وقد رواه كذلك ابن حبان في الضعفاء والخرائطي في مساوئ الأخلاق والبيهقي في السنن وفي الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي والخطيب وابن عساكر وابن النجار، كلهم من طريق رَوَّاد بن الجرَّاح عن أبي سعد الساعدي عن أنس مرفوعًا بلفظ: «مَن ألقَىٰ جلباب الحياء فلا غيبة له». ولفظ ابن عدي: مَن خلع. وقال البيهقي: إنه ليس بالقوي. وقال مرةً: في إسناده ضعفٌ. وأخرجه ابن عدي أيضًا من رواية الربيع بن بدر عن أبان عن أنس، وإسناده أضعفُ من الأول. قال البيهقي: ولو صحَّ فهو في الفاسق المعلن بفسقه. وتقدم شيء من ذلك في كتاب الزكاة.

(**وقال عمر** رضي الله عنه: **ليس لفاجر حرمة**) رواه ابن أبي الدنيا[(٢)] عن محمد بن عَبَّاد ابن موسىٰ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن همَّام، عن قتادة قال: قال عمر بن الخطاب ... فذكره.

(**وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر؛ إذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته**) لأنه لا يستتر إلا وهو خائف من لحوق العار والذم إليه، فمثل هذا إذا قيل فيه ما يكرهه يغتمُّ ويحزن ويتأذَّىٰ.

(**وقال الصلت بن طريف: قلت للحسن**) البصري: (**الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذِكري له بما فيه غيبة له؟ قال: لا ولا كرامة**) رواه ابن أبي الدنيا[(٣)] فقال:

---

(١) المغني ٢/ ٨٢٥.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ٩٤.

(٣) السابق ص ٩٣.

حدثني يحيىٰ بن جعفر، أنبأنا عبد الملك بن إبراهيم الجُدِّي، حدثنا الصلت بن طريف قال: قلت للحسن ... فذكره.

وقال أيضًا[١]: حدثني عبيد الله بن جرير، حدثني موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا الصلت بن طريف المعولي قال: سألت الحسن قلت: رجل قد علمتُ منه الفجور وقتلتُه علمًا أفذكري له غيبة؟ قال: لا، ولا نعمت عين للفاجر.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله: **(ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوىٰ، والفاسق المعلن بفسقه، والإمام الجائر)** رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن محمد بن عبَّاد بن موسىٰ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير، عن شريك، عن عقيل، عن الحسن قال ... فذكره.

وقال أيضًا[٣]: حدثني أبي، حدثنا علي بن شقيق، أنبأنا خارجة، حدثنا ابن جابان، عن الحسن قال: ثلاثة لا تحرُم عليك أعراضُهم: المجاهر بالفسق، والإمام الجائر، والمبتدع.

وقال أيضًا[٤]: حدثنا عبيد الله بن جرير، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا المبارك، عن الحسن قال: إذا ظهر فجورُه فلا غيبة له، قال: نحو المخنَّث ونحو الحرورية.

قال[٥]: وحدثني محمد بن عبَّاد بن موسىٰ، حدثنا مروان بن معاوية، عن زائدة ابن قُدامة قال: قلت لمنصور بن المعتمر: إذا كنتُ صائمًا أنال من السلطان؟ قال: لا. قلت: فأنال من أصحاب الأهواء؟ قال: نعم.

---

(١) السابق ص ٩٦.
(٢) السابق ص ٩٤ - ٩٥.
(٣) السابق ص ٩٦.
(٤) السابق ص ٩٥ - ٩٦.
(٥) السابق ص ٩٥.

وقال أيضًا[١]: حدثنا الحسن بن يحيىٰ، أنبأنا عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد ابن أسلم قال: إنما الغيبة لمَن لم يعلن بالمعاصي. وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب[٢].

وقال أيضًا[٣]: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو عَوانة، عن قتادة، عن الحسن قال: ليس بينك وبين الفاسق حرمة.

قال[٤]: وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلَّب، فكان الحسن إذا ذكره هرتَه[٥].

(وهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به، وربما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره؟! نعم، لو اغتابه بغير ما يتظاهر به) وكذا بغير ما فيه **(أثمَ.**

قال عوف) بن أبي جميلة الأعرابي البصري العبدي: **(دخلت علىٰ)** أبي بكر محمد **(ابن سيرين)** رحمه الله تعالىٰ **(فتناولت عنده الحجاجَ)** بن يوسف الثقفي **(فقال: إن الله حكمٌ عدلٌ، ينتقم للحجاج ممَّن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمَن ظلمه، وإنك إذا لقيتَ الله غدًا كان أصغر ذنب أصبتَه أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[٦] فقال: حدثنا أبو عمرو العثماني، حدثنا النعمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الملك، حدثنا الهيثم بن عبيد، حدثنا سهيل أخو حزم القطعي - لا أعلم إلا أنه هو ذكره - قال: سمع ابن سيرين

---

(١) السابق ص ٨٩.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ١٢٧.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٤٢.

(٤) السابق ص ١٤٥.

(٥) هرته أي: طعن فيه. انظر اللسان مادة (هرط).

(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢٧١.

رجلاً يسبُّ الحجاج، فأقبل عليه فقال: مَه أيها الرجل! فإنك لو وافيتَ الآخرة كان أصغر ذنب عملتَه قط أعظم عليك من أعظم ذنبه عمله الحجاج، واعلمْ أن الله تعالىٰ حكمٌ عدلٌ، إن أخذ من الحجاج لمنَ ظلمه فسيأخذ للحجاج ممَّن ظلمه، فلا تشغلنَّ نفسَك بسبِّ أحدٍ.

تنبيه: قوله[1] «ليس لفاسق غيبة»[2] رواه الطبراني وابن عدي في الكامل والقُضاعي في مسند الشهاب من طريق جعدبة بن يحيىٰ، عن العلاء بن بِشر، عن ابن عيينة، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعًا به. وأخرجه الهَرَوي في «ذم الكلام» له وقال: إنه حسن. قال السخاوي: وليس كذلك، فقد قال ابن عدي: إنه معروف بالعلاء، ومنهم مَن قال: عنه عن الثوري، وهو خطأ، وإنما هو ابن عيينة، وهذا اللفظ غير معروف، وكذا قال الحاكم فيما نقله البيهقي في الشعب عنه عقب إيراده: غير صحيح ولا معتمَد. قال الدارقطني: وابن عيينة لم يسمع من بهز. والله أعلم.

---

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٥٤.

(٢) تقدم هذا الحديث في كتاب الزكاة، ذكره الشارح هناك شاهدا لحديث (من ألقىٰ جلباب الحياء فلا غيبة له).

بيـان كفَّـارة الغيبـة

(اعلمْ أن الواجب علىٰ المغتاب) أصله «مُغْتَيِب» علىٰ صيغة اسم الفاعل، وقد تشترك الصيغتان[1] وتتميزان بالقرينة (أن يندم ويتوب) إلىٰ الله تعالىٰ (ويتأسَّف علىٰ ما فعله؛ ليخرج به من حق الله تعالىٰ) إذ عصاه بمخالفة نهيه (ثم يستحل المغتابَ) وهي صيغة اسم المفعول، أي يطلب منه العفو؛ لأنه ظلمه بغيبته (ليحلَّه) أي يعفو عنه (فيخرج من مَظلمته) فالغيبة يتعلَّق بها حقَّانِ: عصيان الله وظلم العبد، فلا بدَّ من التوبة والاستحلال (وينبغي أن يستحلَّه وهو حزين متأسِّف نادم علىٰ فعله؛ إذ المُرائي قد يستحلُّ ليُظهِر من نفسه الورعَ وفي الباطن لا يكون نادمًا، فيكون قد قارف معصيةً أخرىٰ) وهي المراءاة بفعله (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (يكفيه الاستغفار) له (دون الاستحلال) منه (وربما احتجَّ في ذلك بما روىٰ أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: كفَّارة مَن اغتبتَه أن تستغفر له) رواه ابن أبي الدنيا[2] عن أبي عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، عن خالد بن يزيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه. وقد رواه كذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده[3] والخرائطي في المساوئ[4] والبيهقي في الشعب[5] وأبو الشيخ في التوبيخ[6] والدينوري في المجالسة[7] والخطيب في

---

(١) أي صيغه اسم الفاعل والمفعول.

(٢) ذم الغيبة والنميمة ص ١٣١.

(٣) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٩٧٤.

(٤) مساوئ الأخلاق ص ١٠٥.

(٥) شعب الإيمان ٩/ ١٢٤.

(٦) التوبيخ والتنبيه ص ٢٢٩.

(٧) المجالسة وجواهر العلم ٨/ ٢٧٦.

التاريخ[1] وآخرون، كلهم من طريق عنبسة عن خالد بن يزيد عن أنس به مرفوعًا، ولفظ بعضهم: «كفَّارة الاغتياب أن تستغفر لمَن اغتبتَه». وعنبسة ضعيف. وقد رواه الخرائطي من غير طريقه من جهة أبي سليمان الكوفي عن ثابت عن أنس مرفوعًا بلفظ: «إن من كفَّارة الغيبة أن تستغفر لمَن اغتبتَه، تقول: اللهم اغفر لنا وله». وهو ضعيف أيضًا، ولكن له شواهد، فعند أبي نعيم في الحلية[2] وابن عدي في الكامل[3] كلاهما من حديث أبي داود سليمان بن عمرو النخعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعًا: «مَن اغتاب أخاه فاستغفر له فهو كفَّارة له». والنخعي ممَّن اتُّهِم بالوضع. وعند الدارقطني[4] من حديث حفص بن عمر الأَيْلي، عن مفضل ابن لاحق، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعًا: «مَن اغتاب رجلاً ثم استغفر له من بعد ذلك غُفرت له غيبته». وهو ضعيف.

وعند البيهقي في الشعب[5] من جهة عباس الترقفي ثم من جهة همَّام بن منبه عن أبي هريرة قال: الغيبة تخرق الصومَ، والاستغفار يرقِّعه، فمَن استطاع [منكم] أن يجيء غدًا بصومه مرقَّعًا فليفعل. وقال عقبَه: هذا موقوف، وسنده ضعيف.

(وقال مجاهد: كفَّارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير) رواه ابن أبي الدنيا[6] عن أبي كُرَيب، حدثنا يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة، حدثنا محمد بن عبد الله الليثي، عن حميد الأعرج، عن مجاهد ... فذكره.

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٦٠.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٥٤.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٩٨.

(٤) ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١١٩. ورواه أيضا أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ٢٢٨.

(٥) شعب الإيمان ٥/ ٢٤٦.

(٦) ذم الغيبة والنميمة ص ١٣٢.

قال[١]: وحدثني محمد بن إدريس، حدثنا داود بن معاذ ابن أخت مخلد بن حسين، عن شيخ له، عن أبي حازم قال: مَن اغتاب أخاه فليستغفر له، فإنَّ ذلك كفارة لذلك.

وروىٰ البيهقي في الشعب[٢] عن ابن المبارك قال: إذا اغتاب رجل رجلاً فلا يخبره، ولكن يستغفر الله.

وعن محبوب بن موسىٰ قال: سألت علي بن بكّار عن رجل اغتبتُه ثم ندمت، قال: لا تخبره فتغري قلبَه، ولكن ادْعُ له وأثْنِ عليه حتىٰ تمحو السيئة بالحسنة[٣].

ويؤيِّده قولُه تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦، فصلت: ٣٤] وحديث حذيفة[٤]: كان في لساني ذَرَبٌ علىٰ أهلي لم يَعْدُهم، فسألت النبي ﷺ، فقال: «أين أنت من الاستغفار يا حذيفة ...» الحديث، رواه الحاكم وصحَّحه والبيهقي.

وبمجموع هذا يبعُد الحكم عليه[٥] بالوضع.

(**وسُئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة**) كذا في نسخ الكتاب، وفي بعضها: من الفِرية. وهو الموافق لِما في كتاب الصمت، كما سيأتي (**فقال: أن تمشي إلىٰ صاحبك فتقول له: كذبتُ فيما قلت وظلمتك وأسأت، فإن شئتَ أخذت بحقِّك، وإن شئتَ وهبت**) رواه ابن أبي الدنيا[٦] عن محمد بن إدريس، حدثنا أبو النضر الدمشقي، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، عن أبي شيبة يحيىٰ بن يزيد الرُّهاوي، عن زيد بن أبي أُنَيسة، عن عطاء بن أبي رباح أنه سُئل عن التوبة من الفِرية، قال: أن

---

(١) السابق ص ١٣٣.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ١٢٣.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٨/ ٢٧١ - ٢٧٢.

(٤) تقدم هذا الحديث في كتاب الأذكار والدعوات.

(٥) يعني حديث أنس (كفارة من اغتبته أن تستغفر له).

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٧٢.

تمشي ... فذكره، إلا أنه قال في آخره: وإن شئت عفوتَ، بدل: وهبت.

قال المصنف: (**وهذا هو الحق**[1]) قلت: هذا مبنيٌّ علىٰ أنه لا فرق عنده بين الغيبة والفرية، وهو بعيد بلا مرية، والأحسن في هذا المقام التفصيلُ وهو أن لا يحتاج إلىٰ الاستحلال إذا لم يصل الكلام إلىٰ المغتاب منه، بخلاف ما إذا وصله، إلا إذا كان يتشوَّش بذكره، فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الأبرار. وأما قول عطاء فإنه خاص بالافتراء، بل ينبغي أن يعترف بالخطأ في حضور الملأ بالخلأ وبالملأ، فتأملْ (**وقول القائل «العِرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه، بخلاف المال» كلام ضعيف؛ إذ قد وجب في العِرض حدُّ القذف، وتثبُت المطالبة به**) كما هو مفصَّل في فروع الفقه (**بل في الحديث الصحيح ما رُوي أنه ﷺ قال: مَن كانت لأخيه عنده مظلمة في عِرض أو مال فليستحلَّها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، إنما يؤخَذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فزِيدت علىٰ سيئاته**) متفق عليه[2] من حديث أبي هريرة بلفظ: «مَن كانت عنده مَظلمة لأخيه فليستحلله منها». ورواه أحمد[3] كذلك، وفيه: «من عِرض أو مال فليتحلَّلْه اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدْر مظلمته، وإن لم يكن له عملٌ أُخِذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه».

(**وقالت عائشة ﷺ لامرأة قالت لأخرىٰ إنها طويلة الذيل: قد اغتبتيها فاستحلِّيها**[4]).

---

(١) في غير الزبيدي: الأصح.

(٢) الحديث عند البخاري فقط في صحيحه ٢/ ١٩٢، ٤/ ١٩٧. وليس هو في صحيح مسلم.

(٣) مسند أحمد ١٥/ ٣٧٧، ١٦/ ٣٣٧.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ١١٥، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٠٠، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٢، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ٢٢٠.
والمرأة التي قالت (إنها طويلة الذيل) هي عائشة بنت طلحة.

فإذًا لا بد من الاستحلال إن قدر عليه) أي علىٰ أن يأتي إليه **(فإن كان غائبًا)** في سفر بعيد **(أو ميتًا فينبغي أن يُكثِر له الاستغفار والدعاء، ويستكثر من الحسنات)** فإنَّ الحسنات يُذهِبن السيئات، وربما يُفهَم منه التفصيل الذي ذكرناه آنفًا، فتأملْ.

(فإن قلتَ: فالتحليل هل يجب؟ فأقول: لا؛ لأنه تبرُّعٌ، والتبرُّع فضلٌ وليس بواجب، ولكنه مستحَب[1]، وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه) بما لا يخرجه إلىٰ حد الكذب **(و)** يبالغ في **(التودُّد إليه)** بما لا يخرجه إلىٰ حدِّ التملُّق **(ويلازم ذلك)** أي الثناء والتودُّد **(حتىٰ يطيب قلبُه)** فإنه ربما لا يطيب قلبه بمرة واحدة أو اثنتين **(فإن لم يَطِبْ قلبُه)** مع ذلك **(كان اعتذاره وتودُّده حسنة محسوبة له)** في صحيفته **(يقابل بها سيئة الغيبة في يوم القيامة. وكان بعض السلف يقول: لا أحلل مَن اغتابني)** أي لا أجعله في حِلٍّ منيٰ **(قال سعيد بن المسيب: لا أحلل مَن ظلمني)** أي تنقَّصَ من عِرضي.

(وقال ابن سيرين: إني لم أحظرها) أي لم أحرِّمها **(عليه فأحلله، إن الله حرَّم الغيبة عليه، وما كنت لأُحِل ما حرَّم الله أبدًا)** قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو بكر بن خَلاَّد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أزهر بن سعد، عن ابن عون قال: قيل لمحمد بن سيرين: يا أبا بكر، إن رجلاً قد اغتابك، فتحلله؟ قال: ما كنت لأُحِل شيئًا حرَّمه الله. وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر ابن أبي عاصم، حدثنا أبو عمير، حدثنا ضمرة قال: قال السري بن يحيىٰ أو غيره لابن سيرين: إني قد اغتبتك، فاجعلني في حِل. قال: إني أكره أن أحلَّ ما حرَّمه الله عزوجل.

(فإن قلتَ: فما معنىٰ قول النبي ﷺ: ينبغي أن يستحلَّها)؟ وهو في حديث أبي هريرة الماضي ذِكره بلفظ: فليستحللها منه **(وتحليل ما حرَّم الله غير ممكن)** وهو

---

(١) في غير الزبيدي: مستحسن.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣.

الذي فهمه سعيد بن المسيب وابن سيرين، كما اقتضاه قولُهما السابق **(فنقول: المراد به)** جعلُه في حِل، يعني **(العفو عن المظلمة)** لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له **(لا أن ينقلب الحرام حلالاً)** كما يدل له ظاهرُ اللفظ **(وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة، فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبةَ)** فمَن جوَّزه فقد أحلَّ ما حرَّمه الله، وأما بعد الغيبة فمعناه: لا أعفو عنه.

(فإن قلتَ: فما معنىٰ قول النبي ﷺ: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، كان إذا خرج من بيته قال: اللهم إني قد تصدَّقتُ بعِرضي علىٰ الناس) قال العراقي[١]: رواه البزار[٢] وابن السني في اليوم والليلة[٣] والعقيلي في الضعفاء[٤] من حديث أنس بسند ضعيف، وذكره ابن عبد البر[٥] من حديث ثابت مرسلاً عند ذِكر أبي ضمضم في الصحابة، قلت: وإنما هو رجل ممَّن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي.

قلت: قال الحافظ في الإصابة[٦]: قرأت بخط ابن عبد البر في حاشية كتاب ابن السكن: أبو ضمضم غير منسوب، روىٰ ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تحبُّون أن تكونوا كأبي ضمضم»؟ قالوا: يا رسول الله، ومَن أبو ضمضم؟ قال: «إن أبا ضمضم كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدَّقت بعِرضي علىٰ مَن ظلمني». قال: فأوجب النبيُّ ﷺ أنه قد غُفر له. وذكره في الصحابة فقال: روىٰ عنه الحسن وقتادة أنه قال: اللهم إني قد تصدَّقت بعِرضي علىٰ عِبادك. قال: وروىٰ ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين قال ... فذكر مثله. قال أبو عمر: أظنه أبا ضمضم المذكور. قلت: تبعَ في ذلك

(١) المغني ٢/ ٨٢٥.
(٢) مسند البزار ١٣/ ٣٠٢، ٤٧٤.
(٣) عمل اليوم والليلة ص ٥٩.
(٤) الضعفاء الكبير ٤/ ١٢٥٠.
(٥) الاستيعاب ٢/ ٤٢٦.
(٦) الإصابة ١١/ ٢١٢ - ٢١٤.

كلِّه الحاكمَ أبا أحمد، فإنه أخرج الحديث من طريق حماد بن زيد عن هشام عن الحسن، وعن أبي العوَّام عن قتادة قالا: قال أبو ضمضم: اللهم ... فذكره. ثم ساق حديث أبي هريرة من طريق سعيد بن عبد الرحمن عن سفيان، وهو كذلك في جامع سفيان، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق شعيب بن بيان عن عمران القَطَّان عن قتادة عن أنس مرفوعًا. وقد تعقَّب ابنُ فتحون قولَ ابن عبد البر «روىٰ عنه الحسن وقتادة» فقال: هذا وهمٌ لا خفاء به؛ لأن النبي ﷺ يخبر أصحابه عن أبي ضمضم فلا يعرفونه حتىٰ يقولوا: مَن أبو ضمضم؟ وأبو عمر يقول: روىٰ عنه الحسن وقتادة. وقد أخرجه البزار والساجي من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم عن محمد بن عبد الله العَمِّي عن ثابت عن أنس ... الحديث، وفيه: قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: «إن أبا ضمضم كان رجلاً إذا أصبح قال ...» الحديث. وفي رواية البزار من الزيادة: «كان رجلاً صلبًا». قال ابن فتحون: فالرجل لم يكن من هذه الأمَّة، وإنما كان قبلها، فأخبرهم بحاله تحريضًا علىٰ أن يعملوا بعمله، وما توهَّماه من أن الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبو ضمضم خطأ، بل هو عُلبة بن زيد الأنصاري، ولولا ما جاء من التصريح بأن أبا ضمضم كان فيمن كان قبلنا لجوَّزتُ أن يكون علبة يكنىٰ أبا ضمضم، لكن منع من ذلك ما أخرجه أبو داود[1] عن موسىٰ بن إسماعيل وأبو بكر الخطيب في كتاب الموضِّح[2] من طريق روح بن عُبادة، كِلاهما عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن عجلان أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم»؟ قالوا: ومَن أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال: «رجل ممَّن كان قبلكم ...» الحديث. قال أبو داود: رواه أبو النضر عن محمد بن عبد الله العَمِّي عن ثابت عن أنس، ورواية حماد أصح. وأخرجه من طريق محمد بن عبيد عن ابن ثور عن معمر عن قتادة موقوفًا.

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٨.

(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٢٦ - ٢٧.

ا.هـ. وأسنده البخاري في تاريخه[(١)] والبزار والساجي من طريق أبي النضر، وأشار البزار إلىٰ أن محمد بن عبد الله تفرَّد به، وأخرجه البخاري في تاريخه والعقيلي في الضعفاء.

وقال الحافظ في ترجمة عُلبة بن زيد الأنصاري[(٢)]: أخرج الخطيب من طريق أبي قُرَّة الزبيدي في كتاب السنن له قال: ذكر ابن جريج عن صالح بن زيد عن أبي عَبْس الحارثي عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله ﷺ أمر [الناس] بالصدقة وحثَّ عليها، فخرج من الليل [فصلىٰ] وبكىٰ وقال: اللهم إنك قد أمرت بالصدقة وليس عندي ما أتصدَّق به، ولكني أتصدَّق بعِرضي علىٰ مَن آذاني أو شتمني أو لمزني، فهو له حِلٌّ. فقال النبي ﷺ: «قد قُبلت منك صدقتك»[(٣)].

(فكيف يُتصدَّق بالعِرض؟! ومَن تصدَّق به فهل يُباح تناوله؟ وإن كان لا تنفذ صدقتُه فما معنىٰ الحث عليه) وإخبار حاله للأصحاب؟ **(فنقول: معناه: إني لا أطلب مظلمة يوم القيامة منه ولا أخاصمه، وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً به، ولا تسقط المظلمةُ عنه؛ لأنه عفو قبل الوجوب، إلا أنه وعد وله العزم علىٰ الوفاء بأن لا يخاصم، فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أنَّ له ذلك، بل صرَّح الفقهاء بأن مَن أباح القذفَ لم يسقُط حقُّه من حد القاذف، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا. وعلىٰ الجملة، فالعفو أفضل. قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالىٰ: **(إذا جثت الأممُ بين يدي الله تعالىٰ يوم القيامة نودوا)**: ألا **(مَن كان أجره علىٰ الله فليقُمْ. فلا يقوم إلا مَن عفا عن الناس في الدنيا)**[(٤)] وروىٰ ابن عساكر في التاريخ[(٥)] من حديث علي: «ينادَىٰ يوم القيامة من بُطْنان العرش: ألا ليقُمْ مَن كان

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ١٣٧ مختصرا بلفظ: «قال أبو ضمضم: أتصدق بعرضي».
(٢) الإصابة ٧/ ٤٢ - ٤٤.
(٣) رواه بنحوه: ابن قانع في معجم الصحابة ٢/ ٢٩٨، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ٢٢٥١.
(٤) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٣١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٠٤.
(٥) تاريخ دمشق ١٨/ ٨٧.

أجره على الله. فلا يقوم إلا مَن عفا عن أخيه».

(وقد قال الله تعالىٰ) مخاطبًا لحبيبه ﷺ: (﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] فقال النبي ﷺ: يا جبريل، ما هذا العفو؟ قال: إن الله تعالىٰ يأمرك أن تعفو عمَّن ظلمك، وتَصِل مَن قطعك، وتعطي مَن حرمك) تقدم في كتاب رياضة النفس.

(ورُوي عن الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ (أن رجلاً قال له: إن فلانًا قد اغتابك. فبعث إليه) الحسن (رطبًا على طبق وقال: بلغني أنك أهديتَ إليَّ من حسناتك، فأردتُ أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام)[1] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وقال بعضهم[2]: لو كنتُ أغتاب أحدًا لاغتبت أمي، فإنها أولىٰ أن تأخذ حسناتي أو آخُذ من سيئاتها يوم القيامة.

(١) ذكره القشيري في الرسالة ص ٢٨٥ بنحوه، وعنده: طبق حلواء.

(٢) هو عبد الله بن المبارك، كما ذكره عنه القشيري في الرسالة ص ٢٨٥ بلفظ: «ذُكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك، فقال: لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والديَّ؛ لأنهما أحق بحسناتي».

الآفة السادسة عشر: النميمة

(قال الله تعالىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١١] ثم قال: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٣]) فالهمَّاز: العيَّاب أو المغتاب. ومَشَّاء بنميم: أي كثير المشي بالنميمة ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ والمقصود منه مَن جمع بين أنواع من الوصف الذميم (قال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالىٰ: (**الزنيم: ولد الزنا الذي لا يكتم الحديثَ. وأشار به إلىٰ أن كل مَن لم يكتم الحديث ومشىٰ بالنميمة دلَّ علىٰ أنه ولدُ زنا استنباطًا من قوله عز وجل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ والزَّنيم هو الدَّعِيُّ**) وكون[1] أن الزنيم هو الدعيُّ أخرجه عبد بن حميد وابن عساكر[2] عن ابن عباس، وأنشد قول الشاعر:

زنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً ... كما زِيدَ في عَرْض الأديم الأكارعُ[3]

وأخرج ابن الأنباري في «الوقف والابتداء»[4] عن عكرمة أنه سُئل عن الزنيم، فقال: هو ولدُ الزنا. وأنشد قول الشاعر:

زنيمٌ ليس يعرف مَن أبوه ... بغيُّ الأم ذو حسبٍ لئيم[5]

---

(١) الدر المنثور ١٤/ ٦٢٨ - ٦٣٥.

(٢) تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٨٤.

(٣) هذا البيت نسبه ابن منظور في لسان العرب ١٢/ ٢٧٧ نقلا عن حاشية ابن بري للخطيم التميمي [شاعر جاهلي] ثم قال: «وجدت حاشية صورتها: الأعرف أن هذا البيت لحسان بن ثابت، وفي الكامل للمبرد: روىٰ أبو عبيد وغيره أن نافعا سأل ابن عباس: ما الزنيم؟ فقال: هو الدعي الملزق، أما سمعت قول حسان بن ثابت: زنيم ...» الخ. قلت: لم أقف علىٰ هذا البيت في ديوان حسان.

(٤) انظر: إيضاح الوقف الابتداء، لابن الأنباري صـ٦٤، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١ هج.

(٥) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد قال: زنيم: ملحَق في النسب؛ زعم ابنُ عباس.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب قال: الزنيم هو الملحَق في القوم ليس منهم.

ورُوي عن ابن عباس قال: العتل الزنيم: الذي يمشي بين الناس بالنميمة. أخرجه عبد بن حميد.

(وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١] قيل: الهُمَزة: النَّمَّام) رواه ابن أبي الدنيا(١) عن هارون بن عبد الله، أنبأنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، عن مسكين أبي فاطمة، عن شيخ من أهل البصرة، عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس: مَن هذا الذي ندبه الله بالويل فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؟ قال: هو المَشَّاء بالنميمة، المفرِّق بين الإخوان، والمغري بين الجميع. وكذلك رواه سعيد بن منصور وابن جرير(٢) وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق، وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا في كتاب ذم الغيبة(٣)، إلا أن لفظهم: المغري بين الإخوان.

(وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤] قيل: إنها كانت نمَّامة حمَّالة للحديث) رواه ابن أبي الدنيا(٤) عن أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ قال: كانت تمشي بالنميمة. وهكذا(٥) أخرجه ابن جرير(٦) وابن المنذر وابن أبي حاتم. ورُوي عن قتادة قال:

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١٥٨.

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٦١٦ - ٦١٧.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ١١٤.

(٤) السابق ص ١١٥.

(٥) الدر المنثور ١٥/ ٧٣٦ - ٧٣٧.

(٦) جامع البيان ٢٤/ ٧٢٠.

كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلىٰ بعض. أخرجه ابن جرير[١] وابن أبي حاتم. ورُوي عن الحسن قال: كانت تحمل النميمة فتأتي بها بطونَ قريش. أخرجه ابن أبي حاتم.

(وقال تعالىٰ: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التحريم: ١٠] **قيل: كانت امرأة لوط)** عليه السلام **(تخبر بالضِّيفان، وامرأة نوح)** عليه السلام **(كانت تخبر أنه مجنون)** رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا أبو عَوانة، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن سليمان بن بريدة، سمعت ابن عباس يقول في قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: لم يكن زنا، ولكن امرأة نوح كانت تخبر أنه مجنون، وامرأة لوط كانت تخبر بالضيف إذا نزل. قال: وحدثنا فضيل، حدثني بَزِيع، سمعت الضحَّاك يقول: كانت خيانتهما النميمة.

فقول الضحاك هذا هو المناسب إيراده في المقام.

وقول[٣] ابن عباس أخرجه أيضًا عبد الرزاق[٤] والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير[٥] وابن المنذر وابن أبي حاتم [والحاكم[٦]] وصحَّحه من طرق، وقول الضحاك أخرجه أيضًا ابن عدي[٧] والبيهقي في الشعب[٨] وابن عساكر[٩].

---

(١) السابق ٢٤/ ٧٢١.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٠.

(٣) الدر المنثور ١٤/ ٥٩٥ - ٥٩٦.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٣١٠.

(٥) جامع البيان ١٢/ ٤٣٠، ٢٣/ ١١١ - ١١٢.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٨٣.

(٧) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٩٢.

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ٤٥٢.

(٩) تاريخ دمشق ٥٠/ ٣١٩.

(وقد قال ﷺ: **لا يدخل الجنةَ نمَّام**)[1] رواه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خِداش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن واصل الأحدب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفةَ عن رجل أنه ينمُّ الحديثَ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نَمَّامٌ».

(وفي حديث آخر: **لا يدخل الجنة قَتَّاتٌ**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قَتَّات». قال الأعمش: (**والقَتَّات هو النَّمَّام**) وقد رواهما باللفظين الطيالسي وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني، وقد تقدَّم ذِكرهما. ورواهما أيضًا أبو البركات السَّقَطي[2] في معجمه وابن النجار عن بشير الأنصاري عن جده.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: **أحَبُّكم إلىٰ الله تعالىٰ أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلَفون. وإن أبغضكم إلىٰ الله تعالىٰ المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة، الملتمسون للبُرآء العَثَرات**) رواه ابن أبي الدنيا[3] عن إسماعيل بن إبراهيم بن بسَّام، حدثني صالح المري، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن أحَبَّكم ... فذكره. وكذلك رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(وقال ﷺ: **ألا أخبركم بشِراركم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: المَشَّاؤون**

---

(١) تقدم هذا الحديث والذي بعده في كتاب آداب الصحبة. ويزاد هنا: أخرجهما ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٥٣.

(٢) هو هبة الله بن المبارك السقطي، وهو وضاع وانظر اللسان ٤/ ٣٤١. والمصنف ينقل عن الجامع الكبير للسيوطي (١٧٣٩).

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ١٠٨.

بالنميمة، المفسدون بين الأحِبَّة، الباغون للبُرآء العَنَت) رواه ابن أبي الدنيا[١] عن داود بن عمرو الضَّبِّي، حدثنا داود العطَّار، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال ... فذكره.

وقد رواه أحمد من حديث أبي مالك الأشعري[٢]، وتقدَّم في كتاب آداب الصحبة.

(وقال أبو ذر) الغِفاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: مَن أشاد)** بالدال، أي أشاع ورفع، وما يوجد في نسخ الكتاب بالراء تصحيف من النسَّاخ **(علىٰ مسلم بكلمة)** كذا في النسخ، والرواية: كلمة **(ليشينه)** أي يعيبه **(بها بغير حق شانَه اللهُ تعالىٰ بها في النار يوم القيامة)** جزاءً وفاقًا. رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن علي بن الجعد، أنبأنا أبو معاوية، عن عبد الله بن ميمون، عن موسىٰ بن مسكين، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: مَن أشاد ... فذكره. وكذلك رواه في ذم الغيبة[٤] والخرائطي[٥] والطبراني كلاهما في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب[٦]. قال العراقي[٧]: وفيه عبد الله بن ميمون، فإن يكن القَدَّاح فهو متروك [الحديث].

قلت: هو[٨] عبد الله بن ميمون بن داود القَدَّاح المخزومي المكي، من رجال

---

(١) السابق ص ١٠٩.

(٢) الصواب: من حديث عبد الرحمن بن غنم، كما تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٥٥.

(٤) ذم الغيبة والنميمة ص ١١٠.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٥٢.

(٦) شعب الإيمان ١٢/ ١٥٩.

(٧) المغني ٢/ ٨٢٧.

(٨) تقريب التهذيب ص ٥٥١.

الترمذي، والذي قال إنه متروك أبو حاتم[١]، ومشَّاه غيره[٢]. ولهم رجل آخر: عبد الله بن ميمون، أخرج له ابن ماجه[٣]. ورجل آخر: عبد الله بن ميمون الرَّقِّي، مقبول. وعبد الله بن ميمون الطُّهَوي، روىٰ عنه أحمد بن بُدَيل. فيحتمل أن يكون أحد هؤلاء.

وقد أخرجه الحاكم[٤] أيضًا وصحَّحه، فهذا يدل علىٰ أنه غير القداح، فإنَّ القداح حاله معلوم عند الحاكم، أو أنه هو ولكن اعتمد علىٰ قول مَن مشَّاه. علىٰ أن الذهبي قد تعقَّبه بأن سنده مظلم، وكأنه يشير إلىٰ ما ذُكر.

(وقال أبو الدرداء) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: أيُّما رجل أشاع عن رجل كلمة هو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقًّا علىٰ الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار)** رواه ابن أبي الدنيا[٥] موقوفًا علىٰ أبي الدرداء فقال: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، عن وُهَيب - يعني ابن خالد - عن موسىٰ بن عُقبة، عن سليمان بن عمرو بن ثابت، عن جُبَير بن نُفَير الحضرمي أنه سمع أبا الدرداء يقول: أيُّما رجل أشاع ... فذكره.

قال العراقي[٦]: ورواه الطبراني بلفظ آخر من حديثه مرفوعًا، وقد تقدم.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: مَن شهد علىٰ مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوَّأ مقعده من النار)** رواه ابن أبي الدنيا[٧] عن عبد الله بن أبي بدر،

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢، وفيه: «قال أبي: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: واهي الحديث».

(٢) بل أجمع العلماء علىٰ ضعفه. انظر: تهذيب الكمال ١٦/ ١٩٨ - ٢٠١. ميزان الاعتدال ٢/ ٥١٢.

(٣) قال ابن حجر: هو عندي القداح الذي قبله.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٠ - ٤٦١.

(٥) ذم الغيبة والنميمة ص ١١١.

(٦) المغني ٢/ ٨٢٧.

(٧) ذم الغيبة والنميمة ص ١١٢.

أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا جهير بن يزيد، عن خِداش بن عباس - أو عيَّاش - عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ ... فذكره.

قال العراقي[1]: ورواه أحمد[2]، وفيه رجل لم يُسَمَّ أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد.

(ويقال: **إن ثلث عذاب القبر من النميمة**) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن منيع، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة. وقد تقدم ذِكرُه قريبًا في الآفة التي قبلها.

وأخرج ابن أبي الدنيا[3] من طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال: اتقوا النميمة، فإنَّ صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

(**وعن ابن عمر**) رضي الله عنه (**عن النبي** ﷺ) قال: (**إن الله تعالىٰ لمَّا خلق الجنة قال لها: تكلمي. فقالت: سعدَ مَن دخلني. فقال الجبَّار جلَّ جلالُه: وعزَّتي وجلالي، لا يسكن فيكِ ثمانية نفر من الناس: مدمن خمر، ولا مصرٌّ علىٰ الزنا، ولا قَتَّات** وهو النمَّام، **ولا ديُّوث**) وهو القَوَّاد (**ولا شرطي**) وهو الجلواز عند الأمراء (**ولا مخنَّث**): الذي يتشبَّه بالنساء (**ولا قاطع رحم، ولا الذي يقول: عليَّ عهدُ الله إن لم أفعل كذا وكذا، ولا يفعل**) وفي نسخة: ولا يفي به. قال العراقي[4]: لم أجده هكذا بتمامه، ولأحمد[5]: «لا يدخل الجنة عاقٌّ لوالديه ولا ديُّوث». وفيه مَن لم يُسَمَّ.

---

(١) المغني ٢/ ٨٢٨.

(٢) مسند أحمد ١٦/ ٣٦٠.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ١١٩.

(٤) المغني ٢/ ٨٢٨.

(٥) مسند أحمد ٩/ ٢٧٢، ١٠/ ٢٦٩ من حديث ابن عمر بلفظ: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث».

وللنسائي[١] من حديث ابن عمرو: «لا يدخل الجنة مَنَّان، ولا عاقٌّ، ولا مدمن خمر». وفيه انقطاع واضطراب. وللشيخين من حديث حذيفة: «لا يدخل الجنة قَتَّات». ولهما من حديث جُبَير بن مُطعِم: «لا يدخل الجنة قاطع». وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس[٢]: «لمَّا خلق الله الجنة قال لها: تكلمي، تزيَّني. فتزيَّنت فقالت: طوبَىٰ لمَن دخلني ورضي عنه إلهي. فقال الله ﷻ: لا يسكنك مخنَّث ولا نائحة». ولم يخرجه ولدُه في مسنده.

قلت: وروىٰ الطبراني[٣] من حديث ابن عباس: «لمَّا خلق الله تعالىٰ جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت [ولا أذن سمعت] ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون». ورواه ابن عساكر[٤]، وزاد: «ثم قالت: أنا حرام علىٰ كل بخيل ومُراءٍ».

(وروىٰ كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحطٌ) أي قلة مطر **(فاستسقَىٰ موسىٰ عليه السلام مرات فما سُقوا، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إني لا أستجيب لك ولمَن معك وفيكم نَمَّام قد أصرَّ علىٰ النميمة. فقال موسىٰ: يا رب، مَن هو؟ دلَّني عليه حتىٰ أخرجه من بيننا. قال: يا موسىٰ، أكره النميمة وأَنُمُّ؟! فتابوا جميعًا)** واستسقوا **(فسُقوا.**

ويقال: اتَّبع رجلٌ حكيمًا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قَدِمَ عليه قال) له: **(إني جئتك للذي آتاك الله من العلم، أخبِرْني عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الصخر وما أقسىٰ منه، وعن النار وما أحرُّ منها،**

---

(١) سنن النسائي ص ٨٥٠.

(٢) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٢٣ عن أبي بكر الصديق وأنس بن مالك معًا، وليس عن ابن عباس.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ١٨٤.

(٤) تاريخ دمشق ٥٢/ ١٥١.

وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنىٰ منه، وعن اليتيم وما أذلُّ منه. فقال له الحكيم: البهتان علىٰ البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنىٰ من البحر، والحرص والحسد أحَرُّ من النار، والحاجة إلىٰ القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسىٰ من الحجر، والنَّمَّام إذا بان أمرُه أذلُّ من اليتيم)[1] وقوله «البُهتان علىٰ البريء أثقلُ من السموات» نُقل ذلك عن سيدنا سليمان عليه السلام، ورواه الحكيم الترمذي من قول علي بن أبي طالب[2].

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٣٧٨ مع اختلاف في اللفظ، ونصه: «حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن الحسين قال: تبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في كلمات، فقال له: إني أتيتك لتعلمني مما علمك الله. قال له: هات. قال: فأخبرني عن السماء ما أثقل منها، وعن الأرض ما أوسع منها، وعن البحر ما أغنىٰ منه، وعن الحجر ما أقسىٰ منه، وعن النار ما أحر منها، وعن الزمهرير ما أبرد منه؟ فقال: البهتان علىٰ البريء أثقل من السموات السبع، والحق أوسع من الأرض، وقلب القانع أغنىٰ من البحر، وقلب الكافر أقسىٰ من الحجر، وشح الحريص أحر من النار، والطاعة أبرد من الزمهرير».

(٢) أثر سليمان عليه السلام وأثر علي رضي الله عنه رواهما الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٤٤.

بيـان حـد النميمة وما يجب في ردِّها

اعلمْ أن اسم «النميمة» إنما يُطلق في الأكثر علىٰ من ينمُّ قولَ الغير إلىٰ المقول فيه، كما يقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا) واشتقاقه[١] من نَمَّ الحديثَ نَمًّا، من بابَي قتل وضرب: إذا سعىٰ به ليوقع فتنة أو وحشة، فالرجل نَمٌّ، تسمية بالمصدر، ونَمَّام مبالغة، والاسم: النميمة (وليست النميمة مخصوصة به، بل حدُّها كشفُ ما يُكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالثٌ، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكنية أو بالرمز أو بالإيماء) أي الإشارة (وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيبًا ونقصانًا في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة: إفشاء السر) أي إظهار ما خفيَ منه (وهتكُ الستر عمَّا يُكره كشفه) وظهوره (بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس ممَّا يُكره) فيما يتقلَّبون فيه (فينبغي أن يُسكَت عنه) فلا يُحكَىٰ (إلا ما في حكايته) ونقله (فائدة لمسلم) عاجلة أو آجلة (أو دفعٌ لمعصية، كما إذا رأىٰ مَن يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاةً لحق المشهود له، فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه) فهو إنما أخفاه ليكون مستورًا عن اطِّلاع الغير (فذكره) لآخَر (فهو نميمة وإفشاء للسر، فإن كان ما ينمُّ به نقصانًا وعيبًا في المحكيِّ عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة) إذ تحقَّق فيه أنه أفشىٰ السر وذكر أخاه بمكروه.

(والباعث علىٰ النميمة) لا يخلو من ثلاثة: (إما إرادة السوء بالمحكيِّ عنه) وقصد الشر به فيشيع عنه كلمة يفضحه بها (أو إظهار الحب للمحكيِّ له) وهو السامع، فيريه أنه من جملة المحبِّين له (أو التفرُّج) أي التنزُّه (بالحديث) أي

---

(١) المصباح المنير ص ٦٢٦.

حكاية أهل الدنيا (**والخوض في الفضول**) ممَّا لا يعنيه من الكلام (**والباطل، وكل مَن حُملت إليه النميمة وقيل له إن فلانًا قال فيك كذا، أو فعل في حقِّك كذا، أو هو يدبِّر في إفساد أمرك أو في مُمالأة عدوِّك**) أي موافقته (**أو في تقبيح حالك، أو ما يجري مَجراه فعليه ستة أمور**:

الأول: أن لا يصدِّقه) فيما يحكيه، فيكذِّبه ولا يقبل منه قولَه، فإنَّ قبول القول السوء أشدُّ من القول السوء (**لأن النمَّام فاسق**) لا يُقبَل قوله (**وهو مردود الشهادة**) بنص القرآن (**قال الله تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾) أي بخبر من الأخبار (﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾) أي تعرَّفوا ذلك النبأ خشية (﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾) [الحجرات: ٦] نزلت[1] هذه الآية في الوليد ابن عُقبة بن أبي معيط، كان بعثه رسول الله ﷺ ليقبض صدقات بني المصطلق، فلمَّا أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم، وكان بينه وبينهم شحناء في الجاهلية، فرجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدُّوا ومنعوا الزكاة، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبَّت ولا يعجل، فأخبروه أنهم متمسِّكون بالإسلام، وسمع أذانهم وصلاتهم، فرجع فأخبر الخبر، فنزلت. قال الحسن: فواللهِ لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصةً إنها لمرسَلة إلىٰ يوم القيامة ما نسخها شيءٌ.

(**الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبِّح له فعله**) وما بُلي به (**قال الله تعالىٰ**: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾) [لقمان: ١٧] والنميمة من المنكَرات، فيجب عليه نهيُه عنها.

(**الثالث: أن يبغضه في الله، فإنه بغيض عند الله**) ممقوت (**ويجب بغضُ مَن يبغضه الله**.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب) المحكيِّ عنه (**السوءَ؛ لقوله تعالىٰ**:

---

(١) جامع البيان للطبري ٢١/ ٣٥١. الدر المنثور للسيوطي ١٣/ ٥٥١.

﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢] وهذا الذي ظننتَه في أخيك من جملة الظنون التي يلزم مرتكبَه الإثمُ.

(**الخامس: أن لا يحملك ما حُكي لك على التجسُّس والبحث لتتحقَّق**) أي يصير عندك حقيقة (**لقوله تعالى**: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيتَ النمَّام عنه، فلا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نمامًا ومغتابًا) فتجمع بين فاحشتين (**وتكون قد أتيتَ بما عنه نَهيت**) فيكون فيه مخالفة القول الفعل، وهو نفاق (**وقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**أنه دخل عليه رجل، فذكر عنده عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك**) أي حقَّقناه (**فإن كنت كاذبًا**) فيما قلت (**فأنت من أهل هذه الآية**: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] **وإن كنت صادقًا**) فيما قلت (**فأنت من أهل هذه الآية**: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ [القلم: ١١] **وإن شئتَ عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا**) فانظر كيف ردَّه ولم يقبل قولَه.

(**وذُكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه، فأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم: قد أبطأتَ في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات**) الأولى: (**بغَّضت إليَّ أخي**، و) الثانية: (**شغلتَ قلبي الفارغ**، و) الثالثة: (**اتَّهمتَ نفسك الأمينة**.

ورُوي أن سليمان بن عبد الملك) بن مروان (**كان جالسًا وعنده**) محمد بن شهاب (**الزُّهري، فجاءه رجل، فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا. فقال الرجل: ما فعلت ولا قلتُ. فقال سليمان: إن الذي أخبرني كان صادقًا**) فيما أخبر (**فقال الزهري: لا يكون النمَّام صادقًا. فقال سليمان: صدقتَ. وقال للرجل: اذهبْ بسلام.

وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**مَن نَمَّ إليك نمَّ عليك**) ويُروى:

مَن نَم لك نَمَّ عليك[١].

(وهذه إشارة إلىٰ أن النمام ينبغي أن يُبغَض) ولا يُحَب **(ولا يوثَق بقوله ولا بصداقته)** وتقرُّبه وتملُّقه **(وكيف لا يبغَض وهو لا ينفكُّ عن الكذب)** فيما ينقله **(والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة)** وهذه كلها صفات ذميمة قد جُمعت في النمام **(وهو ممَّن قد سعىٰ في قطع ما أمر الله به أن يوصل، قال تعالىٰ:** ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧، الرعد: ٢٥] **وقال تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورىٰ: ٤٢] **والنمَّام منهم)** لأنه يسعىٰ في الإفساد والإغراء بين الإخوان، ويبغي العنتَ للبُرآء.

(وقال ﷺ: إن من شر الناس مَن اتَّقاه الناس لشرِّه) رواه الشيخان[٢] من حديث عائشة بنحوه. قال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثنا أبو خيثمة وإسحاق بن إسماعيل قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، سمع عروة، حدثتني عائشة قالت: استأذن رجل علىٰ النبي ﷺ، فقال: «ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة - أو: بئس رجل العشيرة». فلما أن دخل ألانَ له القولَ، فلما خرج قلنا: قلتَ له الذي قلتَ ثم ألنتَ له القول. قال: «أيْ عائشة، شرُّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة مَن وَدَعَه - أو تركه - الناس اتِّقاءَ شرِّه». هكذا رواه الشيخان وأبو داود[٤] والترمذي[٥]، وفي لفظ

(١) هذا الأثر رواه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ١٩٨ عن الشافعي بلفظ: «من نم لك نم بك، ومن نقل إليك نقل عنك، ومن إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك إذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك». ورواه في شعب الإيمان ١٣/ ٥٠٣ عن الخليل بن أحمد بلفظ: «من نم إليك نم عليك، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك».

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٩٧، ١٠١، ١١٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.

(٣) ذم الغيبة والنميمة ص ٨٦.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٢.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٥٣٢.

بعضهم: اتِّقاء فُحشه. وفي أوله: إن شر الناس.

وعند الطبراني في الأوسط[١] من حديث أنس: «إن شرار الناس منزلةً [عند الله يوم القيامة] من يخاف الناس شرَّه».

وقال ابن أبي الدنيا[٢]: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني عثمان بن مطر، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً أقبل إلىٰ النبي ﷺ وهو في حلقة، فأثنوا عليه شرًّا، فرحَّب به النبيُّ ﷺ، فلما قفَّىٰ قال رسول الله ﷺ: «إن شر الناس منزلةً يوم القيامة من يُخاف لسانه، أو يُخاف شره».

(**والنمام منهم**) لأن الناس يخشون لسانه ويخافون شره.

(**وقال ﷺ: لا يدخل الجنة قاطعٌ**) رواه أحمد[٣] والشيخان[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] - وقال: حسن صحيح - وابن خزيمة[٧] وابن حبان[٨] من حديث جبير بن مُطعِم (**قيل قاطع بين الناس**) بالإغراء والإفساد (**وهو النمام. وقيل: قاطع الرحم**[٩]) وهكذا رواه الطبراني في الكبير[١٠] من حديث جبير بن مطعم. ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[١١] من حديث أبي سعيد. وقيل: المراد به قاطع

---

(١) المعجم الأوسط ٥/ ٢٧٧.

(٢) مداراة الناس ص ٣٤ - ٣٥.

(٣) مسند أحمد ٢٧/ ٢٩١، ٣٢٧، ٣٣١.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٨٩. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٠ - ١١٩١.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٣٨٨.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٣.

(٧) التوحيد ص ٨٥٩، ٨٦٢.

(٨) صحيح ابن حبان ٢/ ١٩٩.

(٩) لفظة قاطع رحم. هي عند مسلم (٢٥٥٦) والبخاري في الأدب المفرد صـ٣٦.

(١٠) المعجم الكبير ٢/ ١١٨ - ١٢٠.

(١١) مساوئ الأخلاق ص ١٣٠.

الطريق. ولفظ الحديث محتمل لكلٍّ من المعاني الثلاثة.

(ورُوي عن علي كرَّم الله وجهه أن رجلاً أتاه يسعىٰ إليه برجل، فقال له: يا هذا، نحن نسأل عمَّا قلتَ، فإن كنتَ صادقًا مقتناك) أي أبغضناك **(وإن كنت كاذبًا عاقبناك)** عقوبة المفتري **(وإن شئت أن نقيلك أقلناك. قال: أقِلْني يا أمير المؤمنين**[١]**)**.

وقيل لمحمد بن كعب القُرَظي) التابعي الثقة رحمه الله تعالىٰ: **(أيُّ خصال المؤمن أوضعُ له)**؟ أي أكثر حطًّا له في الرتبة **(قال: كثرة الكلام، وإفشاء السر، وقبول قول كل أحد)** أي فإنَّ في كل خصلة منها ينحطُّ مقامه.

(وقال رجل لعبد الله بن عامر) بن ربيعة **(وكان أميرًا)** علىٰ البصرة **(بلغني أن فلانًا أعلمَ الأميرَ أني ذكرتُه بسوء. قال: قد كان ذلك. قال: فأخبِرْني بما قال لك حتىٰ أُظهِر كذبَه عندك. قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني، وحسبي أني لم أصدِّقه فيما قال، ولا قطعتُ عنك الوصال)** أي مواصلة المودة، أو الصلة، أو هما معًا.

(وذُكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنُّكم بقوم يُحمَد الصدق من كل طبقة من الناس إلا منهم)؟ أي من أهل السعاية، فإنهم ولو صدقوا فيما يقولونه فلا يُحمَد صدقهم، مع أن الصدق محمود علىٰ كل حال ومن كل الناس.

(وقال مصعب بن الزبير) بن العوَّام، قتله عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وسبعين بمسكن في حد العراق **(نحن نرىٰ قبول السعاية شرًّا من السعاية؛ لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس مَن دلَّ علىٰ شيء فأخبر به كمَن قَبِلَه وأجازه، فاتقوا الساعي)** أي تحفَّظوا منه **(فلو كان في قوله صادقًا لكان في صدقه لئيمًا، حيث لم يحفظ الحُرمة ولم يستر العورة**[٢]**)**.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٣/ ٢٠٥، ولكن فيه: ابن عباس، بدل علي بن أبي طالب.

(٢) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٢٧٧ عن الفضل بن سهل (وزير المأمون العباسي) =

والسعاية هي النميمة، إلا أنها إذا كانت إلىٰ من يُخاف جانبه سُمِّيت سعاية) يقال: سعىٰ به إلىٰ الوالي: إذا مشىٰ به إليه **(وقد قال النبي ﷺ: الساعي بالناس إلىٰ الناس لغير رشدة، يعني ليس بولد حلال)** قال أبو زيد الأنصاري[1]: يقال: هو لِرِشْدةٍ: أي صحيح النسب، بكسر الراء، والفتح لغة.

قال العراقي[2]: رواه الحاكم[3] من حديث أبي موسىٰ: «مَن سعىٰ بالناس فهو لغير رشدة، أو فيه شيء منه». وقال: له أسانيد هذا أمثلُها. قلت: فيه سهل بن عطية، قال فيه ابن طاهر في التذكرة[4]: منكر الرواية، والحديث لا أصل له. وقد ذكر ابن حبان في الثقات[5]: سهل بن عطية. ورواه الطبراني[6] بلفظ: «لا يسعىٰ علىٰ الناس إلا ولدُ بغيٍّ وإلا مَن فيه عِرق منه». وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي.

= أنه وقع علىٰ قصة ساع سعىٰ إليه فقال: نحن نرىٰ ... فذكره. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٢٢ - ١٢٣ عن الإمام الشافعي بلفظ: «قبول السعاية أضر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دل علىٰ شيء كمن قبل وأجاز، والساعي ممقوت إذا كان صادقا لهتكه العورة وإضاعته الحرمة، ومعاقب إن كان كاذبا؛ لمبارزته الله بقول البهتان وشهادة الزور».

(١) هذا ليس كلام أبي زيد، وإنما هو كلام الفيومي في المصباح المنير ص ٢٢٧. وفي تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ٣٢١: «قال الفراء في كتاب المصادر: وُلد فلان لغير رَشدة ووُلد لغَية ولزنية، كلها بالفتح. وقال الكسائي: ويجوز: لِرشدة ولزِنية، فأما غية فهو بالفتح. وقال أبو زيد: هو لرَشدة ولزَنية، بفتح الراء والزاي منهما، ونحو ذلك».

(٢) المغني ٢/ ٨٢٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٠٤.

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٣٩٦، ونصه: «حديث: لا يبغي علىٰ الناس إلا ابن بغية أو فيه عرق منها. رواه سهل الأعرابي عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسىٰ، والحديث لا أصل له، وسهل هذا من أهل البصرة، قليل الحديث، منكر الرواية، وليس بالمحل الذي يُقبل منه ما ينفرد به».

(٥) الثقات ٨/ ٢٨٩. وذكره أيضا في المجروحين ١/ ٤٤٣، وما قاله فيه ابن طاهر منقول عنه.

(٦) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٥٤.

قلت: ورواه ابن عساكر[١] والديلمي[٢] بلفظ: إلا ولدُ زنا.

(ودخل رجل علىٰ سليمان بن عبد الملك) بن مروان (فاستأذنه في الكلام وقال: إني مكلِّمك يا أمير المؤمنين بكلام، فاحتملْه وإن كرهتَه، فإنَّ وراءه ما تحب إن قَبِلتَه. قال: قل. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قد اكتنفك) أي أحاط بك (رجال ابتاعوا) أي اشتروا (دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم علىٰ ما ائتمنك الله عليه، ولا تصخِ إليهم فيما استحفظك الله إياه، فإنهم لن يألوا في الأمَّة) أي لن يقصِّروا فيها (خسفًا، والأمانة تضييعًا، والأعراض قطعًا وانتهاكًا، أعلىٰ قُربهم) أي أعلىٰ ما يتقرَّبون به إليك (البغي والنميمة، وأجَلُّ وسائلهم الغيبة والوقيعة) في الناس (وأنت مسؤول عمَّا اجترحوا) أي اكتسبوا (وليسوا بمسؤولين عمَّا اجترحتَ، فلا تُصلِح دنياهم بفساد آخرتك، فإنَّ أعظم الناس غبنًا بائع آخرته بدنيا غيره)[٣] أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(وسعىٰ رجل بزياد بن الأعجم) كذا في النسخ، والصواب: بزياد الأعجم، وهو[٤] زياد بن سُلَيم العبدي مولاهم، أبو أُمامة، المعروف بالأعجم، روىٰ عن أبي موسىٰ وعبد الله بن عمرو، وعنه طاووس والمحبَّر بن قَحْذَم، شاعر، مقبول، روىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه (إلىٰ سليمان بن عبد الملك) بن مروان (فجمع بينهما للموافقة، فأقبل زياد علىٰ الرجل) الذي سعىٰ فيه (يقول:

أنـت امـرؤ إمـا ائتمنتـك خاليًـا ... فخنـتَ وإما قلـتَ قـولاً بـلا علـم

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٥٠٨.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ١٤١ بلفظ الطبراني.

(٣) تقدمت هذه الحكاية في كتاب الحلال والحرام.

(٤) الكاشف للذهبي ١/ ٤١٠. تقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٤٦.

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الملامة والإثم)[١]

وفي نسخة: بين الخيانة والإثم.

(وقال رجل لعمرو بن عبيد) بن[٢] باب التميمي مولاهم البصري المعتزلي، كنيته أبو عثمان، كان داعية إلىٰ بدعته، اتَّهمه جماعة، مع أنه كان عابدًا، قال أحمد: ليس بأهل أن يحدَّث عنه. وقال الدُّوري عن يحيىٰ بن معين: ليس بشيء. روىٰ له أبو داود في كتاب القَدَر وابن ماجه في كتاب التفسير **(إن الأُسواري)** بضم الهمزة نسبةً إلىٰ الأساورة: بطن من تميم[٣] **(ما يزال يذكرك في قصصه بشرٍّ. فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيتَ حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدَّيت حقي حين أبلغتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلِمْه أن الموت يعمُّنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين**[٤]**)**.

---

(١) رويت هذه القصة بسياق آخر، انظر الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٣٤٤، ورواها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٥٨، ورواها ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٧٧ - ١٧٨ عن علي بن محمد المدائني. وانظر أيضا: أمالي القالي ٢/ ٤٦. عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ١٠٠. والبيتان في ديوان عبد الله بن همام ص ٢١٧ [المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع والثلاثون].

(٢) تهذيب الكمال ٢٢/ ١٢٣ - ١٣٥. تقريب التهذيب ص ٧٤٠.

(٣) معجم قبائل العرب ١/ ١٩. وفي كتاب الأنساب للسمعاني ١/ ١٥٧ أن أسواري: من قرىٰ أصبهان، وأن الأسوارية طائفة من المعتزلة ينسبون إلىٰ رجل من هذه القرية يقال له الأسواري. وسماها ياقوت في معجم البلدان ١/ ١٩٠: أسوارية. وكان بالبصرة نهر يقال له نهر الأساورة. ولعل المراد هنا عمرو بن فائد الأسواري المعتزلي البصري، وكانت له مع عمرو بن عبيد مناظرات.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٢٨٢ - ٢٨٣ عن محمد بن سلام الجمحي، وفيه بعد قوله «قصصه»: ويقول عمرو بن عبيد الضال، عمرو بن عبيد المبتدع. وزاد فيه أيضا: والبعث يحشرنا. ورواه العسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٦٩ عن أبي عبيدة. وذكره أيضا الزمخشري في ربيع الأبرار ٤/ ١٤٩.

ورفع بعض السُّعاة إلىٰ الصاحب) إسماعيل[١] (ابن عَبَّاد) بن العباس بن عبَّاد الطالقاني، كان وزير دولة آل بويه. ووالده أبو الحسن عبَّاد ممَّن سمع علىٰ جعفر الفِرْيابي، وعنه أبو الشيخ الأصبهاني، توفي سنة ٣٣٤ (رقعة نبَّه فيها علىٰ مال يتيم يحمله علىٰ أخذه لكثرته، فكتب علىٰ ظهرها) أي الرقعة: (السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتَها مَجرىٰ النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكًا في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلُك في مثلك، فتَوَقَّ يا ملعون العيبَ، فإن الله أعلمُ بالغيب، الميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمَّره الله) أي زاده نموًّا وفائدة وبركة (والساعي لعنه الله[٢]).

وقال لقمان) الحكيم (لابنه: يا بني، إني موصيك بخلال إن تمسَّكتَ بهنَّ لم تزل سيدًا) أي رئيسًا علىٰ الأصحاب (ابسطْ خُلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك، وصِلْ أقاربك وأمِّنْهم من قبول قول ساعٍ) أي واشٍ (أو سماع باغٍ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن إخوانك مَن إذا فارقتهم أو فارقوك لم تعِبْهم ولم يعيبوك[٣]).

وقال بعضهم: النميمة مبنيَّة علىٰ الكذب والحسد والنفاق، وهي) أي الثلاثة (أثافي الذل)[٤] جمع أُثفية وهي الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القِدْر.

(وقال بعضهم: لو صحَّ ما نقله النمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك

---

(١) الأنساب للسمعاني ٤/ ٣٠.

(٢) ذكر الباخرزي في دمية القصر ١/ ٣٢٦ (ط - دار الجيل) نحو هذه القصة عن الوزير فخر الدولة ابن بويه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الحلم ص ٤٦ بنحوه.

(٤) أورده الصفدي في الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤٢ من كلام عبد الله ابن المعتز دون ذكر النميمة، ونصه: «الحسد والنفاق والكذب أثافي الذل». وذكر الحصري في زهر الآداب ٣/ ٨٢٦ وابن حمدون في تذكرته ٣/ ١٥٩ من كلامه أيضا: النمام جسر الشر.

والمنقول عنه أَولىٰ بحِلمك) وعفوك (لأنه لم يقابلك بشتمك) ومنه قولهم: ما بلَّغ المكروهَ إلا مَن نقل[١].

(وعلىٰ الجملة، فشر النمَّام عظيم ينبغي أن يُتوقَّىٰ) ويُتحفَّظ منه (قال حماد ابن سلمة) بن دينار البصري، أبو سلمة، توفي سنة سبع وستين: (باع رجل عبدًا وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة. قال: قد رضيتُ. فاشتراه، فمكث الغلام أيامًا، ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك، وهو يريد أن يتسرَّىٰ عليك، فخذي الموسىٰ واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتىٰ أسحره عليها فيحبك. ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك، فتناومْ لها حتىٰ تعرف ذلك. فتناومَ لها، فجاءت المرأة بالموسىٰ، فظن أنها تريد قتله، فقام وقتلها، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج، فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت[٢] من طريق حماد بن سلمة عن حميد - وهو الطويل - فقال: حدثنا إبراهيم أبو إسحاق، حدثني زيد بن عوف، حدثنا حماد ابن سلمة، عن حميد أن رجلاً ساومَ بعبد فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة. فقال: نعم، أنت بريء منها. قال: فاشتراه، فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل وتفعل، وإنها تريد أن تقتلك. ويقول للمرأة: إن زوجكِ يريد أن يتزوج عليك ويتسرَّىٰ عليك، فإن أردتِ أن أعطفه عليك فلا يتزوج عليك ولا يتسرَّىٰ فخذي الموسىٰ واحلقي شعرة من قفاه إذا نام. وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمت. قال: فذهب فتناومَ لها، وجاءت بموسىٰ لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها، فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه[٣].

---

(١) هذا جزء من بيت شعر ضمن لامية ابن الوردي، وتمامه:

مِلْ عن النمام واهجره فما ... بلغ المكروه إلا من نقل

ويقابله في الأمثال العامية: ما شاتمك إلا مبلغك. الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا ص ٤٦٤.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٥٩.

(٣) هذه القصة رواها أيضا ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٧٩ - ١٨٠.

تنبيه: قد بقي ممَّا أورده ابن أبي الدنيا في النميمة وهو علىٰ شرط المصنف:

أخرج[١] من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: إن محمدًا ﷺ كان يقول: «ألا أنبِّئكم بالعِضَة؟ هي النميمة، القالة بين الناس».

وأخرج من حديث أنس: مَن أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله بها أكلة من النار، ومَن لبس بأخيه المسلم ثوبًا ألبسه الله به ثوبًا من النار، ومَن قام بأخيه مقام رياء وسمعة أقامه الله مقام رياء وسمعة.

وأخرج من طريق عبد الله بن زرير الغافقي عن علي رضي الله عنه قال: القائل الكلمة الزور والذي يمد بحبلها في الإثم سواء.

وعن شُبَيل بن عوف قال: كان يقال: مَن سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أبداها.

ومن طريق أبي العالية[٢] قال: حُدِّثتُ أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني البارحةَ رجلان، فاكتنفاني، فانطلقا بي حتىٰ مرَّا بي علىٰ رجل في يده كُلاَّب يدخله في رجل فيشق شدقه حتىٰ يبلغ لحييه، فيعود فيأخذ فيه، فقلت: من هذا؟ قال: هم الذين يسعون بالنميمة».

وعن عمرو بن ميمون قال: لمَّا تعجَّلَ موسىٰ عليه السلام إلىٰ ربه رأىٰ في ظل العرش رجلاً، فغبطَه بمكانه وقال: إن هذا لَكريمٌ علىٰ ربه. فسأل ربَّه أن يخبره باسمه، فلم يخبره وقال: أحدِّثك من أمره بثلاث: كان لا يحسد الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعقُّ والديه، ولا يمشي بالنميمة.

وعن حكيم بن جابر قال: مَن أشاع فاحشة فهو كباديها.

---

(١) ذم الغيبة والنميمة ص ١٠٩ - ١١٩.

(٢) في ذم الغيبة: عن أبي العالية أو غيره.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كانت لنا جارية أعجمية، فحضرتها الوفاةُ، فجعلت تقول: هذا فلان يُمرَّغ في الحَمَأة. فلما ماتت سألنا عن الرجل، فقالوا: ما كان به بأس، إلا أنه كان يمشي بالنميمة.

وعن يزيد بن قوذر، عن كعب قال: اتقوا النميمة، فإنَّ صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

الآفة السابعة عشر: كلام ذي اللسانين

(الذي يتردَّد بين المتعادِيين ويكلِّم كلَّ واحد منهما[١] بكلام يوافقه) في رأيه **(فقلَّما يخلو عنه من يشاهد متعادِيين، وذلك عين النفاق. قال)** أبو[٢] اليقظان **(عمار بن ياسر)** بن عامر بن مالك العَنْسي - بنون ساكنة وسين مهملة - مولىٰ بني مخزوم، صحابي جليل مشهور، من السابقين الأوَّلين، بدري، قُتل مع علي ﵁ بصِفِّين سنة سبع وثلاثين **(قال رسول الله ﷺ: مَن كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة)** رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن يحيىٰ بن عبد الحميد الحِمَّاني، حدثنا شريك، حدثنا الرُّكَين بن الربيع، عن نُعَيم بن حنظلة، عن عمار ابن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره. وأخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد[٤] وأبو داود[٥] بسند حسن.

(وقال أبو هريرة) ﵁: **(قال رسول الله ﷺ: تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء)** رواه ابن أبي الدنيا[٦] عن أبي خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ ... فذكره **(وفي لفظ آخر: الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)** رواه أيضًا ابن أبي الدنيا[٧] عن أبي خيثمة، حدثنا ابن عيينة، عن أبي الزناد،

---

(١) زيادة في ط الشعب صـ١٦٢٥.

(٢) تقريب التهذيب ص ٧١٠.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٢.

(٤) الأدب المفرد ص ٣٧٩.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٠٣.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٣.

(٧) السابق ص ١٦٣.

عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي ...» فذكره. وهو عند أحمد[١] والبخاري[٢] ومسلم[٣] [بلفظ]: «وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينًا عند الله تعالىٰ)** هكذا هو في النسخ موقوفًا، ورواه ابن أبي الدنيا[٤] مرفوعًا عن الحسن بن عبد العزيز، حدثنا يحيىٰ بن حسان، حدثنا سليمان بن بلال، عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: لا ينبغي ... فذكره. وقد رواه كذلك مرفوعًا الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٥] والبيهقي في الشعب[٦].

وأخرج ابن أبي الدنيا[٧] من حديث أنس: «مَن كان له لسانان في الدنيا جُعل له لسانان من نار يوم القيامة».

وعن[٨] ابن مسعود قال: إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار.

(وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(قرأت في التوراة: بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين، يُهلِك اللهُ يوم القيامة كلَّ شفتين مختلفتين)**[٩] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

---

(١) مسند أحمد ١٢/ ٢٩٥، ١٣/ ٤٣٢، ١٥/ ٩٠، ٥٣٥، ١٦/ ٥٨، ٢٦٧، ٤١١، ٤٦١.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥٠٣، ٤/ ١٠٢، ٣٣٨.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١٧٥.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٦.

(٥) مساوئ الأخلاق ص ١٣٨.

(٦) شعب الإيمان ٦/ ٥٠٧. ورواه أيضا في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤١٦.

(٧) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٦.

(٨) السابق ص ١٦٣.

(٩) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٣٨. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٩/ ٣٨٢ وعزاه لأحمد في الزهد، وفيه: مكتوب في الزبور: بطلت الأمانة ... الخ.

(وقال رسول الله ﷺ: أبغَضُ خليقة الله إلىٰ الله يوم القيامة الكذَّابون والمستكبرون والذين يكنزون) أي يخزنون **(البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تملَّقوا لهم)** أي ألطفوا لهم وألانوا القولَ **(والذين إذا دُعوا إلىٰ الله ورسوله كانوا بُطَآء)** جمع بطيء **(وإذا دُعوا إلىٰ الشيطان وأمرِه كانوا سِراعًا)** جمع سريع. قال العراقي[1]: لم أقف له علىٰ أصل.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(لا يكن أحدكم إمَّعة)** بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة **(قالوا: وما الإمَّعة؟ قال: الذي يجري مع كل ريح)** أخرجه ابن أبي الدنيا[2] عن حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا عاصم ابن علي، حدثنا المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما الإمَّعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديتُ، وإن ضلُّوا ضللت، ألا ليوطنن أحدُكم نفسَه علىٰ إن كفر الناس أن لا يكفُر.

وممَّا نُسب إلىٰ علي[3] رضي الله عنه من قوله في أبيات:

ولستُ بإمَّعة في الرجال ... أسائلُ هذا وذا ما الخبر

(واتفقوا علىٰ أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق، وللنفاق علامات كثيرة، وهذه من جملتها. وقد رُوي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مات، فلم يصلِّ عليه حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه، فبلغ الخبرُ إلىٰ عمر **(فقال له عمر)** رضي الله عنه: **(يموت رجل من**

---

(١) المغني ٢/ ٨٣٠. ولكن قد رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٤٠ عن الوضين بن عطاء معضلا.

(٢) كذا عزاه الشارح لابن أبي الدنيا، وإنما هذا سياق أبي نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٣٦ - ١٣٧ سندا ومتنا. وهكذا رواه أيضا الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٦٦. ورواه باللفظ الذي ذكره الغزالي: أبو داود في الزهد ص ١٤٠ - ١٤١، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) البيت في ديوانه ص ٤٨.

أصحاب رسول الله ﷺ ولا تصلي عليه؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه منهم) أي من المنافقين، وكان حذيفة قد أُعطيَ علم ذلك من رسول الله ﷺ **(قال: فنشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا، ولا أؤمِّن منها أحدًا بعدك)** لم يُرِدْ بذلك نفاق الكفر، وإنما أراد نفاق العمل الذي هو تركُ المحافظة علىٰ الدين سرًّا ومراعاتها علنًا؛ قاله القرطبي(١).

(فإن قلتَ: فبماذا يصير الرجل ذا لسانين؟ وما حدُّ ذلك؟ فأقول: إذا دخل علىٰ متعاديين وجاملَ كلَّ واحد منهما) أي عامله بالمجاملة **(وكان صادقًا فيه لم يكن)** منافقًا؛ لعدم مخالفة السر العلن، ولا **(ذا لسانين، فإن الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلىٰ حد الأخوَّة؛ إذ لو تحقَّقت الصداقة لاقتضت معاداةَ الأعداء)** ومصارمتهم **(كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة والأخوَّة. نعم، لو نقل كلامَ كل واحد منهما إلىٰ الآخَر فهو ذو لسانين، وذلك شرٌّ من النميمة؛ إذ يصير نمامًا بأن ينقل من أحد الجانبين فقط، فإذا نقل من الجانبين فهو شرٌّ من النمام، وإن لم ينقل كلامًا ولكن حسَّنَ لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة لصاحبه فهو ذو لسانين)** أيضًا؛ لأن تحسين معاداة هذا يستلزم تقبيحَ الآخَر، وبالعكس **(وكذلك إذا وعد كلَّ واحد منهما بأنه ينصره)** علىٰ الآخر فهو ذو لسانين أيضًا **(وكذلك إذا أثنىٰ علىٰ كل واحد منهما في معاداته)** فهو ذو لسانين

(١) كذا نسب الشارح هذا الكلام للقرطبي، وإنما بعضه من كلام القرطبي وبعضه من كلام الخطابي.
أما القرطبي في المفهم ١/ ٢٥٠ فإنه لما تكلم عن حديث (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا) ذكر اختلاف العلماء في معناه علىٰ أقوال، منها: «أن هذا النفاق هو نفاق العمل الذي سأل عنه عمر حذيفة لما قال له: هل تعلم فيَّ شيئا من النفاق؟ أي من صفات المنافقين الفعلية». وأما الخطابي فقال في أعلام الحديث ١/ ١٦٦: «النفاق ضربان، أحدهما: أن يظهر صاحبه الدين وهو مسر يبطن الكفر، وعلىٰ هذا كانوا في عهد رسول الله ﷺ. والضرب الآخر منه: ترك المحافظة علىٰ أمور الدين سرا ومراعاتها علنا، وهذا يسمىٰ نفاقا، كما جاء من قوله ﷺ: سباب المؤمن فسق وقتاله كفر. وإنما هو كفر دون كفر، وفسق دون فسق، كذلك هو نفاق دون نفاق».

أيضًا (وكذلك إذا أثنىٰ علىٰ أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمُّه فهو ذو لسانين) أيضًا (بل ينبغي أن يسكت) ولا يفاوض في أمرهما أصلاً (أو يثني علىٰ المحقِّ من المتعاديين) ويُظهِر الذي هو علىٰ الحق والذي هو علىٰ الباطل (ويثني عليه في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوِّه) فهذا هو المخلِّص له من النفاق (وقيل لابن عمر ﷺ: إنَّا ندخل علىٰ أمرائنا فنقول القول، فإذا خرجنا) من عندهم (قلنا غيره. قال: كنا نعُدُّ ذلك نفاقًا علىٰ عهد رسول الله ﷺ) رواه ابن أبي الدنيا[١] عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا يعلىٰ بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي الشعثاء قال: قيل لابن عمر ... فساقه. وحدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سلاَّم بن سُلَيم، عن أبي إسحاق، عن عُرَيب الهَمْداني قال: قلت لابن عمر: إنَّا إذا دخلنا علىٰ الأمراء زكَّيناهم بما ليس فيهم، فإذا خرجنا دعونا عليهم. قال: كنا نعُدُّ ذلك النفاق.

وقال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣] بلفظ: سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ... الحديث. وفي رواية علَّقها بعد قوله «نفاقًا»: في عهد رسول الله ﷺ. ورواه الطبراني[٤] من طرق.

(وهذا نفاقٌ مهما كان مستغنيًا عن الدخول علىٰ الأمير وعن الثناء عليه، فلو استغنىٰ عن الدخول) عليه (ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثنِ) عليه في ماله أو عِرضه (فهو نفاق؛ لأنه الذي أحوج نفسَه إليه، وإن كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغِنىٰ وأثنىٰ عليه فهو منافق، وهذا معنىٰ قوله ﷺ: حب الجاه والمال ينبتان النفاقَ في القلب كما يُنبِت الماءُ البقلَ) رواه[٥]

---

(١) الصمت وآداب اللسان ص ١٦٣ - ١٦٥.

(٢) المغني ٢/ ٨٣٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٣٣٨.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٣٣١، ١٣/ ٦٨، ٢٧٠.

(٥) المغني للعراقي ٢/ ٨٣١.

الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، إلا أنه قال: حب الغناء والمال. وقال: العشب، مكان: البقل. ا.هـ. وروىٰ ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» من حديث ابن مسعود: «الغناء يُنبِت النفاقَ في القلب كما يُنبِت الماءُ البقلَ». وعند البيهقي من حديث جابر مثله، إلا أنه قال: الزرع، مكان: البقل. وقد تقدم كلُّ ذلك في كتاب آداب السماع.

(لأنه يحوج إلىٰ الأمراء وإلىٰ مراعاتهم) في أحوالهم **(ومراءاتهم، فأما إذا ابتُلي به لضرورة وخاف إن لم يثنِ فهو معذور، فإنَّ اتِّقاء الشر جائز. قال أبو الدرداء** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إنَّا لنكشِّر في وجوه أقوام)** أي نُظهِر لهم الأنس والفرح والضحك والملاطفة **(وإن قلوبنا لَتلعنُهم)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقد تقدم[1].

(وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**: استأذن رجل علىٰ رسول الله** ﷺ**، فقال: ائذنوا له، فبئس رجل العشيرة هو)** أو: ابن العشيرة **(فلما دخل ألانَ له القولَ، فلما خرج قلتُ: يا رسول الله، قلتَ فيه ما قلت ثم ألنت له القولَ. فقال: يا عائشة، إن شر الناس الذي يُكرَم اتِّقاءً لشرِّه)** وفي رواية: «شر الناس منزلةً يوم القيامة مَن وَدَعه الناسُ – أو: تركه – اتِّقاء شره». رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا، وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

(ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم، فأما الثناء فهو كذب صريح، فلا يجوز إلا لضرورة) ألمَّتْ **(أو إكراه يُباح الكذب بمثله، كما ذكرناه في آفة الكذب، بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير علىٰ كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق، بل ينبغي أن ينكر)** بلسانه **(فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه)** وهذا أضعفُ الإيمان. نسأل الله التوفيق.

---

(١) في كتاب آداب الصحبة.

الآفة الثامنة عشر: المــدح

وهو[١] الثناء باللسان علىٰ الصفات الجميلة، خِلقية كانت أو اختيارية، فهو أعمُّ من الحمد. ونقيضه الذم (وهو منهيٌّ عنه في بعض المواضع، أما الذم فهو الغيبة والوقيعة، وقد ذكرنا حكمهما. والمدح يدخله ستُّ آفات، أربع في المادح، واثنتان في الممدوح، فأما المادح:

فالأولىٰ: أنه قد يفرط فينتهي به إلىٰ الكذب. قال خالد بن مَعْدان) الكلاعي[٢] الحِمصي، أبو عبد الله، ثقة، عابد، مات سنة ثلاث ومائة، روىٰ له الجماعة (مَن مدح إمامًا) أي سلطانًا (أو أحدًا بما ليس فيه علىٰ رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثَّر بلسانه) رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن القاسم بن هاشم، حدثني يحيىٰ ابن صالح الوَحاظي، حدثني محمد بن أبي جميلة، حدثنا خالد بن معدان ... فذكره.

(الثانية: أنه قد يدخله الرياءُ، فإنه بالمدح مُظهِر للحب، وقد لا يكون مضمرًا له، ولا معتقدًا لجميع ما يقوله، فيصير به مرائيًا منافقًا.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحقَّقه ولا سبيل إلىٰ الاطِّلاع عليه. رُوي أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ، فقال له ﷺ: ويحك! قطعتَ عنق صاحبك، لو سمعها ما أفلح. ثم قال: إن كان أحدكم لا بد مادحًا أخاه فليقل: أحسبُ فلانًا ولا أزكِّي علىٰ الله أحدًا، حسيبه الله، إن كان يرىٰ أنه كذلك) رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن علي

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٣٠١.

(٢) تقريب التهذيب ص ٢٩١.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٣.

(٤) السابق ص ٢٧١.

ابن الجعد، أنبأنا شعبة، عن خالد الحَذَّاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي صلىٰ الله عليه سلم ... فذكره. ورواه أحمد[1] والشيخان[2] وأبو داود[3] وابن ماجه[4] من هذا الطريق بلفظ: «ويلك! قطعتَ عنق صاحبك، مَن كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل: أحسبُ فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكِّي علىٰ الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه». وعند الطبراني في الكبير بلفظ: «ويحك! قطعت عنق أخيك، واللهِ لو سمعها ما أفلح أبدًا، إذا أثنىٰ أحدُكم علىٰ أخيه فليقل: إن فلانًا ولا أزكِّي علىٰ الله أحدًا».

(وهذه الآفة تتطرَّق إلىٰ المدح بالأوصاف المطلقة التي تُعرَف بالأدلة، كقوله: إنه متَّقٍ وورِع وزاهد وخيِّر) ودَيِّن **(وما يجري مجراه، أما إذا قال: رأيتُه يصلي بالليل ويتصدَّق ويحج)** وما يجري مجراه **(فهذه أمور مستيقَنة. ومن ذلك قوله: إنه عدلٌ ورضا؛ فإنَّ ذلك خفيٌّ، فلا ينبغي أن يجزم القول به إلا بعد خبرة باطنه. سمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً يثني علىٰ رجل، فقال: أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطتَه في المبايعة)** أي في المجاورة **(والمعاملة؟ قال: لا. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا. فقال: واللهِ الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه)** رواه ابن أبي الدنيا[5] عن يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أبي غَنِيَّة، حدثني أبي قال: سمع عمر رجلاً ... فذكره. وقد تقدم نحو هذا في كتاب آداب الصحبة والأخوَّة.

(الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح) بذلك المدح **(وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز. قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالىٰ يغضب إذا مُدح الفاسق)** رواه[6] ابن أبي

---

(١) مسند أحمد ٣٤/ ٦٥، ١١٢، ١١٦، ١٢٦، ١٤٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٥٧، ٤/ ١٠٢، ١٢١. صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٥.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٨.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٠٥.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٤.

(٦) المغني للعراقي ٢/ ٨٣٢.

الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وفيه أبو خلف خادم أنس، ضعيف. ورواه أبو يعلىٰ وابن عدي بلفظ: «إذا مُدح الفاسق غضب الربُّ واهتز العرش». قال الذهبي في الميزان[١]: منكر. وقد تقدم في كتاب آداب الكسب.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**مَن دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصَىٰ الله في الأرض**) رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن يونس، عن الحسن ... فذكره دون قوله «في الأرض».

(**فالظالم الفاسق ينبغي أن يُذَم ليغتمَّ، ولا يُمدح ليفرح.**

وأما الممدوح فيضرُّه) المدحُ (**من وجهين**:

أحدهما: أنه يُحدِث فيه كبرًا وإعجابًا) بنفسه (**وهما مهلكان. قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**كان عمر** رضي الله عنه **قاعدًا ومعه الدِّرَّة**) بالكسر: سوط من جلد (**والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل**) من الحاضرين: (**هذا سيد ربيعة. فسمعها عمر ومَن حوله، وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدِّرة**) أي ضربه بها (**فقال**) الجارود: (**ما لي ولك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما لي ولك؟! أما لقد سمعتَها. قال: سمعتُها، فمَه؟ قال: خشيتُ أن يخالط قلبَك منها شيءٌ، فأحببتُ أن أطأطئ منك**) رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن علي بن الجعد، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كان عمر قاعدًا ... فذكره. قال: وحدثنا خلف بن هشام، حدثنا حزم، سمعت الحسن قال: مر عمر بن الخطاب والجارود معه، فسمع قائلاً يقول: هذا سيد ربيعة. فعلاه بالدِّرة فقال: أما إنك قد سمعتَها.

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ١٠٩.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٤٤، ٢٧٣.

(٣) السابق ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(الثاني: هو أنه إذا أُثني عليه بالخير فرح به وفتر) عن الاجتهاد في الطاعات **(ورضي عن نفسه، ومَن أُعجبَ بنفسه قلَّ تشمُّره)** في العبادة **(وإنما يتشمَّر للعمل مَن يرىٰ نفسه مقصِّرًا، فأما إذا انطلقت الألسنة بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك)** رفعةَ المقام **(ولهذا قال النبي ﷺ)** للذي مدح عنده رجلاً: ويحك! **(قطعتَ عنق صاحبك، لو سمعها)** أي لو بلغته وقَبِلَها **(ما أفلحَ)** لحدوث المهلك.

(وقال ﷺ: إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررتَ علىٰ حلقه موسىٰ رميضًا) بالضاد المعجمة، وهو الحديد الماضي. قال العراقي[1]: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق[2] من رواية يحيىٰ بن جابر مرسلاً.

(وقال) ﷺ (أيضًا لمَن مدح رجلاً: عقرتَ الرجل عقرك الله) قال العراقي[3]: لم أجد له أصلاً في المرفوع، لكن عن عمر بن الخطاب من قوله، أخرجه حميد ابن زنجويه في كتاب الأدب.

قلت: رواه من طريق الثوري، عن عمران بن مسلم، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كنا جلوسًا عند عمر، فأثنىٰ رجل علىٰ رجل في وجهه، فقال ذلك[4].

(وقال مطرِّف) بن[5] عبد الله بن الشِّخِّير العامري الحَرَشي، أبو عبد الله، الثقة، البصري، العابد **(ما سمعتُ قط ثناء أو مدحة إلا تصاغرتْ إليَّ نفسي)** أخرجه ابن المبارك في الزهد **(وقال زياد بن أبي مسلم)** أبو عمر الفرَّاء البصري الصَّفَّار، صدوق[6]

---

(١) المغني ٢/ ٨٣٢.

(٢) الزهد والرقائق ص ٤٤٩.

(٣) المغني ٢/ ٨٣٢.

(٤) ومن هذا الطريق رواه أيضا: البخاري في الأدب المفرد ص ١٠٦ - ١٠٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٥٤٦.

(٥) تقريب التهذيب ص ٩٤٨.

(٦) في تقريب التهذيب ص ٣٤٨: «زياد بن مسلم أو ابن أبي مسلم، أبو عمر الفراء البصري الصفار، صدوق فيه لين».

(ليس أحد يسمع ثناءً عليه أو مدحة إلا تراءىٰ له الشيطان، ولكن المؤمن يراجع) أي يتذكَّر فيرجع. أخرجه ابن المبارك رحمه الله تعالىٰ في الزهد[1].

(قال ابن المبارك) رحمه الله تعالىٰ بعد أن أخرج القولين: **(لقد صدقا كلاهما، أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوامِّ)** قبل أن يكمُل نورُ الإيمان في قلوبهم **(وأما ما ذكره مطرِّف فذلك قلب الخواصِّ)**[2] فإنهم لا يزدادون بالمدح إلا تواضعًا وقربًا، ولا سبيل للعُجب إليهم، وعليه يُحمَل ما رواه الطبراني[3] والحاكم[4] من حديث أسامة بن زيد: «إذا مُدح المؤمن في وجهه رَبا الإيمانُ في قلبه».

(وقال ﷺ: لو مشىٰ رجل إلىٰ رجل بسكين مرهَف) أي حديد **(كان خيرًا له من أن يثني عليه في وجهه)** قال العراقي[5]: لم أجد له أصلاً.

(وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح) رواه ابن أبي الدنيا[6] عن منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدِّب، عن عبيد الله بن عمر - قال: أظنه عن أسلم مولىٰ عمر بن الخطاب - عن عمر قال: المدح ذبحٌ.

(وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتُر) أي يكسل **(عن العمل)** فلا يتحرك **(والمدح يوجب الفتورَ. أو لأن المدح يورث الكبرَ والعُجب، وهو)** أي كل واحد منهما **(مُهلِك كالذبح، فلذلك شبَّهه به)** بجامع الهلاك. وقد رُوي هذا في المرفوع من حديث إبراهيم التَّيمي مرسلاً: قال النبي ﷺ: «ذبحُ الرجل أن تزكِّيه في وجهه».

---

(١) الزهد والرقائق ص ٤٨٠.

(٢) كلام مطرف وزياد وابن المبارك أورده الحارث المحاسبي في كتاب آداب النفوس ص ٧٣ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

(٣) المعجم الكبير ١/ ١٧١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٤.

(٥) المغني ٢/ ٨٣٣.

(٦) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٤.

رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[١] **(فإن سَلِمَ المدحُ من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوبًا إليه، ولذلك أثنىٰ رسول الله ﷺ علىٰ الصحابة، حتىٰ قال: لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان العالَمين لرجحَ)** رواه ابن عدي والديلمي من حديث ابن عمر، وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال لعمر) رضي الله عنه: **(لو لم أُبعَث لبُعِثتَ يا عمر)** قال العراقي[٢]: رواه الديلمي[٣] من حديث أبي هريرة، وهو منكر، والمعروف حديث عقبة بن عامر: «لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب». رواه الترمذي[٤] وحسَّنه. وأخرجه ابن عدي[٥] بلفظ: «لو لم أُبعَث فيكم لبُعثَ عمر فيكم». رواه من طريقين، في أحدهما عبد الله بن واقد الحَرَّاني، وهو متروك، وفي الآخَر رِشدين بن سعد، وقال: قلب رشدين متنه. ورواه أيضًا من حديث بلال، وفيه زكريا بن يحيىٰ الوَقَّار، وهو كذاب.

(وأيُّ ثناء يزيد علىٰ هذا؟ ولكنه ﷺ قاله عن صدق وبصيرة، وكانوا أجَلَّ رتبةً من أن يورثهم ذلك) الثناءُ **(كبرًا أو عُجبًا أو فتورًا)** قد نزَّههم الله عن ذلك **(بل مدحُ الرجل نفسه قبيح؛ لِما فيه من الكبر والتفاخر)** وهو مَظَنَّة الهلاك **(وقال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر)** رواه الترمذي[٦] وابن ماجه[٧] من حديث أبي سعيد الخدري، والحاكم[٨] من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد. وله[٩] من

(١) السابق ص ٢٧٢.

(٢) المغني ٢/ ٨٣٣.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٣٧٢ من حديث أبي بكر الصديق وأبي هريرة معا، وزاد: «إن الله عز وجل أيد عمر بملكين يوفقانه ويسددانه، فإذا أخطأ صرفاه حتىٰ يكون صوابا».

(٤) سنن الترمذي ٦/ ٥٩.

(٥) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠١٤، ١٠٧١، ٤/ ١٥١١.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٢١٣، ٦/ ١١.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٧٨.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧١٠.

(٩) السابق ١/ ٧٥.

حديث عُبادة بن الصامت: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر». ولمسلم[١] من حديث أبي هريرة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة». قاله العراقي[٢].

(أي لست أقول هذا تفاخرًا كما يقصده الناس بالثناء علىٰ أنفسهم، وذلك لأن افتخاره) ﷺ إنما (كان بالله وبقربه من الله، لا بكونه مقدَّمًا علىٰ ولد آدم، كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيمًا إنما يفتخر بقبوله إيَّاه، وبه يفرح، لا بتقدُّمه علىٰ بعض رعاياه) فإنه يرىٰ ذلك كلا شيء عنده بالنسبة إلىٰ مقامه الذي هو فيه (وبتفصيل هذه الآفات تقدر علىٰ الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه؛ إذ قال ﷺ «وجبتْ» لمَّا أثنوا علىٰ بعض الموتىٰ) قال أنس: مرُّوا بجنازة، فأثنوا عليه خيرًا، فقال ﷺ: «وجبت». ومرُّوا بأخرىٰ فأثنوا عليه شرًّا، فقال: «وجبت». فقالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنةُ، ومَن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النارُ، أنتم شهداء الله في الأرض». قالها ثلاثًا. رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والنسائي[٣].

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالىٰ: (إن لبني آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة: ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور عورته أربعْ علىٰ نفسك، واحمد الله إذ ستر عورتك) رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن محمد بن قُدامة الجوهري ومحمد بن عبد المجيد التميمي - وهذا لفظ محمد [بن عبد المجيد] - قالا: حدثنا يحيىٰ بن سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن مجاهد قال ... فذكره.

(فهذه آفات المدح) فتأملْها واعتبِرْ بها.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٠.

(٢) المغني ٢/ ٨٣٣.

(٣) سيأتي هذا الحديث في كتاب ذكر الموت.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٦.

بيان ما على الممدوح

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن علىٰ الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعُجب وآفة الفتور) فإنها مهلكات (ولا ينجو) الممدوح (منه إلا بأن يعرف نفسه) بالعجز والقصور (ويتأمل في خطر الخاتمة) فإنَّ خطرها شديد؛ لأنها تضحك علىٰ الأعمال (و) يتأمل في (دقائق الرياء) فإنها من خفيّ الشرك (وآفات الأعمال) فإنه لا يُقبَل منها إلا ما كان بإخلاص (فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح) فيقول: أنا أعرَفُ بنفسي منك (ولو انكشف له جميعُ أسراره) وما في باطنه (وما يجري علىٰ خواطره) ممَّا لا يخلو منه الإنسان (لكفَّ المادح عن مدحه) وامتنع من الثناء عليه والتزكية. هذا حال العارفين بالله، وإليه الإشارة بقوله: مَن عرف نفسه فقد عرف ربَّه (وعليه أن يُظهِر كراهية المدح بإذلال المادح) إن رأىٰ في ذلك سلامة لحاله، أو عدم إكرامه بالبذل له في نظير ما مدحه ولو بالسكوت عنده والإعراض عنه بوجهه وإدخال كلام آخر أجنبي كأنه لم يسمع ذلك المدح، وسواء كان ذلك المدح بمنثور من القول أو بمنظوم بأنْ مدحه بقصيدة، والبلاء في هذا أكثر، فإن الشاعر يجازف في كلامه كثيرًا، فإنَّ أكذبه أعذبُه، فيجمع بين الكذب والمدح (وإليه الإشارة بقوله ﷺ: احثوا) أي[1] ارموا (في وجوه المَدَّاحين) بصيغة المبالغة إشارة إلىٰ أن الكلام فيمن صدر منه المدح كثيرًا حتىٰ اتخذه صناعة وبضاعة يتأكَّل بها الناسَ وجازف في الأوصاف وأكثرَ الكذبَ (الترابَ) أي فلا تعطوهم علىٰ المدح شيئًا، فالحثو كناية عن الحرمان والرد والتخجيل، يقال: حثا في وجهه الرماد: إذا أخجله. أو المراد: قولوا لهم بأفواهكم: التراب، والعرب تستعمل ذلك لمَن يكرهونه فيقولون: بفيه الإثْلَب، وهي بالكسر والمثلثة الساكنة

---

(١) فيض القدير ١/ ١٨٢ - ١٨٣.

التراب، وهو كناية عن الذل والخيبة[١]. أو المراد: أعطوهم ما طلبوا؛ لأن كل ما فوق التراب ترابٌ، فشبَّه الإعطاءَ بالحثو علىٰ سبيل الترشيح أو للمبالغة في التقليل والاستهانة [بهم]، وبهذا جزم البيضاوي[٢]. وفيه نظرٌ. وقيل: هو علىٰ ظاهره، فيرمي في وجوههم التراب، وجرىٰ عليه ابن عربي، قال[٣]: وصورته أن تأخذ كفًّا من تراب وترمي به بين يديه وتقول: ما عسىٰ أن يكون [مقدار] مَن خُلِق من هذا؟ ومَن أنا؟ وما قَدْري؟ توبِّخ بذلك نفسَك ونفسه، وتعرِّف المادح قدرك وقدره، هكذا فليَحْثُ التراب في وجوههم. قال: وقد كان بعض مشايخنا[٤] إذا رأىٰ شخصًا راكبًا ذا شارة يعظِّمه الناسُ وينظرون إليه يقول له ولهم: تراب راكب علىٰ تراب.

قلت: ويدل لذلك ما رواه ابن أبي الدنيا[٥] عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن الأعمش ومنصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: قال المِقْداد بن الأسود: أمرنا رسولُ الله صلىٰ الله عليه سلم إذا رأينا المدَّاحين أن نحثو في وجوههم الترابَ. وقد رواه أحمد[٦] ومسلم[٧] وأبو داود[٨] من حديث المقداد بلفظ المصنف، ورواه الترمذي[٩] من حديث أبي هريرة، وابن عدي[١٠] وأبو نعيم في الحلية[١١] من حديث ابن عمر. وعند بعضهم «في أفواه» بدل

---

(١) انظر: تاج العروس ٢/ ١٠٢. مجمع الأمثال ٢/ ٣٦٥.

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٣/ ٢٣٨.

(٣) الفتوحات المكية ٤/ ٥٥٩.

(٤) في الفتوحات: «وقد كان شيخنا عبد الحليم العمادي بمدينة سلا».

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧١.

(٦) مسند أحمد ٣٩/ ٢٤٦ - ٢٥٠.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٥ - ١٣٦٦.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٧.

(٩) سنن الترمذي ٤/ ٢٠١.

(١٠) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥٠٣.

(١١) حلية الأولياء ٦/ ٩٩، ١٢٧.

«وجوه». وفي لفظ «المادحين» بدل «المدَّاحين».

تنبيه: قال بعض الشافعية[١]: وتحرُم مجاوزةُ الحد في الإطراء في المدح إذا لم يمكن حملُه على المبالغة، وتُرَدُّ به الشهادة إن أكثرَ منه وإن قصد إظهار الصنعة. قال العز ابن عبد السلام في قواعده[٢]: ولا تكاد تجد مدَّاحًا إلا رذلاً، ولا هَجَّاء إلا نذلاً.

(**وقال**) أبو[٣] محمد (**سفيان بن عيينة**) بن أبي عمران الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجة، مات في رجب سنة ١٩٨ وله إحدى وتسعون سنة (**لا يضرُّ المدحُ مَن عرف نفسه**) رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن محمد بن يحيى الواسطي، حدثنا حِبَّان بن صخر بن جويرية، سمعت سفيان بن عيينة يقول: ليس يضر المدحُ مَن عرف نفسه.

(**وأُثنيَ على رجل من الصالحين، فقال: اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني، وأنت تعرفني**) رواه ابن أبي الدنيا[٥] عن محمد بن الحارث المقري، حدثنا سيَّار، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء السليمي قال: سمعت جعفر بن زيد العبدي يذكر أن رجلاً مر بمجلس، فأُثنيَ عليه خيرًا، فلما جاوزهم قال: اللهم إن هؤلاء لم يعرفوني، وأنت تعرفني.

(**وقال آخر لمَّا أُثنيَ عليه: اللهم إن عبدك هذا تقرَّبَ إليَّ بمقتك، وأنا أُشهِدك على مقته**) رواه ابن أبي الدنيا[٦] عن أحمد بن بحر، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان،

---

(١) هو ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج ١٠/ ٢٢٣.

(٢) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام ٢/ ٣٤٦.

(٣) تقريب التهذيب ص ٣٩٥.

(٤) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٤.

(٥) السابق ص ٢٧٢.

(٦) السابق ص ٢٧٣.

عن أبي سِنان، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل قال: أثنىٰ رجل علىٰ رجل من المصلِّين في وجهه، فقال: اللهم إن عبدك تقرَّب ... فذكره.

(**وقال علي كرَّم الله وجهه لمَّا أُثنيَ عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا ممَّا يظنون**[1].

وأثنىٰ رجل علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **فقال: أتهلكني وتُهلِك نفسَك**)؟! رواه ابن أبي الدنيا[2] عن أبي يعلىٰ الثقفي، حدثنا أحمد بن يونس، عن أبي شهاب، عن الأعمش، عن الحسن أن رجلاً أثنىٰ علىٰ عمر، فقال: تهلكني وتُهلِك نفسَك؟!

(**وأثنىٰ رجل علىٰ علي كرَّم الله وجهه في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه، فقال علي**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك**) رواه ابن أبي الدنيا[3] عن زياد بن أيوب، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن عمرو بن مرَّة، عن أبي البَخْتري قال: أثنىٰ رجل علىٰ علي في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه، فقال له علي: أنا دون ما قلتَ، وفوق ما في نفسك.

---

(١) ذكره صاحب نهج البلاغة بلفظ: «اللهم إنك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/ ٣٢٦. وقد روىٰ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٣٢ عن الأصمعي قال: كان أبو بكر إذا مُدح قال: اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يحسّنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون. وروىٰ البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٠٤ عن محمد بن زياد الألهاني عن بعض السلف أنه كان يقول في الرجل يُمدح في وجهه: التوبة منه أن يقول: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيرا مما يظنون. وروىٰ أحمد في الزهد ص ١٦٨ من طريق بكر بن عبد الله المزني عن عدي بن أرطاة عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من صدر هذه الأمة وكان له فضل أنه كان إذا أُثني عليه أو مُدح فسمع قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٥.

(٣) السابق ص ٢٧٥.

الآفة التاسعة عشر: في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام

في أثناء المحاورات (لا سيَّما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين، فلا يقدر علىٰ تقويم اللفظ) وتعديله (في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء) العارفون بمواقع الكلام (فمَن قصَّر في علم أو فصاحة) أي لم يَحُزْهما لنفسه (لم يَخْلُ كلامُه عن الزلل) والسقط من حيث لا يدري (لكن الله يعفو عنه لجهله. مثاله ما قال حذيفة) بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قال النبي ﷺ: لا يقلْ أحدكم: ما شاء الله وشئتَ، ولكن ليقلْ: ما شاء الله ثم شئتَ) رواه ابن أبي الدنيا[١] عن أبي خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة، عن النبي ﷺ ... فذكره.

وقال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] والنسائي في الكبرىٰ[٤] بسند صحيح.

قلت: وفي لفظ لأبي داود والنسائي: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». ورواه كذلك الطيالسي[٥] وأحمد[٦] وابن أبي شيبة[٧] وابن ماجه[٨] وابن السني[٩] والضياء في المختارة.

---

(١) السابق ص ١٩٢.

(٢) المغني ٢/ ٨٣٥.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٥.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٦١.

(٥) مسند الطيالسي ١/ ٣٤٤.

(٦) مسند أحمد ٣٨/ ٢٩٩، ٣٧٠، ٣٩٦.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٦٢٩، ٩/ ٥٥٠.

(٨) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٩٣.

(٩) عمل اليوم والليلة ص ٤٠٣.

(**وذلك لأن في العطف المطلَق**) بالواو (**تشريكًا وتسوية، وهو على خلاف الاحترام**) لمقام الربوبية، بخلاف العطف بـ «ثم». قال صاحب المصباح[١]: «ثم» حرف عطف، وهي في المفردات للترتيب بمُهلة، وقال الأخفش: هي بمعنى الواو؛ لأنها استُعملت فيما لا ترتيب فيه، نحو: واللهِ ثم واللهِ لأفعلنَّ كذا، وتقول: وحياتك ثم وحياتك لأقومنَّ، وأما في الجُمَل فلا يلزم الترتيبُ، بل قد تأتي بمعنى الواو، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ [يونس: ٤٦] أي واللهُ شاهدٌ على تكذيبهم وعنادهم، فإنَّ شهادة الله غير حادثة، ومثله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧].

(**وقال ابن عباس ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فكلَّمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئتَ. فقال ﷺ: أجعلتَني لله عِدلاً؟! قل: ما شاء الله وحده**) رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا المحاربي، عن الأجلح، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: جاء رجل ... فساقه.

وقال العراقي[٣]: رواه النسائي في الكبرى[٤] وابن ماجه[٥] بإسناد حسن.

قلت: وروى سمويه في فوائده والضياء المقدسي[٦] من حديث جابر بن سمرة بلفظ: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد». ورواه كذلك الخطيب في المتفق والمفترق[٧] وابن النجار من حديث الطفيل بن سخبرة.

---

(١) المصباح المنير ص ٨٤.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٣.

(٣) المغني ٢/ ٨٣٥.

(٤) السنن الكبرى ٩/ ٣٦٣.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٩٣ بلفظ: «إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت».

(٦) وكذلك ابن حبان في صحيحه ١٣/ ٣٢.

(٧) المتفق والمفترق ص ١٢٤٢ - ١٢٤٤.

وروىٰ الطبراني في الكبير[١] من حديث ابن مسعود: «قولوا: ما شاء الله ثم شئتَ».

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٢] والطبراني[٣] من طريق مسعر، عن معبد بن خالد الجَدَلي، عن عبد الله بن يسار، عن قُتَيلة - امرأة من جُهَينة - قالت جاء يهودي - وفي رواية ابن سعد: حبر من الأحبار - إلىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون [وتندِّدون] تقولون: ما شاء الله وشئتَ، وتقولون: لا والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: لا ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئتَ. قال ابن سعد: ليس لها غير هذا الحديث[٤]. وأخرجه ابن منده من طريق المسعودي عن معبد [بن خالد، عن عبد الله] بن يسار عن قتيلة بنت صيفي الجهنية.

(وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال: مَن يُطِع الله ورسوله فقد رشدَ، ومَن يعصِهما فقد غوىٰ. فقال): لا تقل هكذا (**قلْ**): مَن يطع الله ورسوله فقد رشد (**ومَن يعصِ الله ورسوله فقد غوىٰ**) رواه ابن أبي الدنيا[٥] عن علي بن الجعد، أنبأنا ابن عيينة، عن المغيرة، عن إبراهيم قال: خطب رجل ... فساقه.

وقال العراقي[٦]: رواه مسلم[٧] من حديث عدي بن حاتم.

(فكره رسول الله ﷺ قولَه «ومَن يعصهما»؛ لأنه تسوية وجمعٌ) أي ذِكرهما في حيِّز واحد، هذا هو المشهور، واختُلف في ذلك، فقيل: كان ذلك في أول الإسلام،

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٢٥٠.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٢٩٢.

(٣) المعجم الكبير ٢٥/ ١٤ - ١٥.

(٤) عبارة ابن سعد: «قتيلة بنت صيفي الجهنية، أسلمت وروت عن رسول الله ﷺ حديثا».

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٣.

(٦) المغني ٢/ ٨٣٥.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٣٨٦.

ثم لما شاع وانتشر وكمُل نورُ الإيمان أبيحَ ذلك، كما ذكره شُرَّاح الشفاء[١]، وتقدم البحث في ذلك. وقال بعضهم: ولعل الأوجَه أن يقال: العدول عن الاسمين الكريمين غير لائق وإن كان المقام يقتضي الضميرَ اختصارًا، ولهذا ورد في كثير من القرآن: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٣، النور: ٥٢، الأحزاب: ٧١، الفتح: ١٧] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤، الأحزاب: ٣٦، الجن: ٢٣] ولله دَرُّ القائل:

أَعِدْ ذِكر نعمان لنا إنَّ ذِكره هو المسك ما كرَّرتَه يتضوَّعُ[٢]

(**وكان إبراهيم**) النخعي (**يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوِّز**) أي يرىٰ جائزًا (**أن يقول: أعوذ بالله ثم بك،** و) يجوِّز (**أن يقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان**) رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيىٰ التيمي، حدثنا مغيرة قال: كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويرخِّص أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، ويكره أن يقول: لولا الله وفلان، ويرخِّص أن يقول: لولا الله ثم فلان.

(**وكره بعضهم أن يقول**) الرجل في دعائه: (**اللهم أعتِقْنا من النار، وقالوا**) في توجيه ذلك: إن (**العتق**) إنما (**يكون بعد الورود، وكانوا يستجيرون من النار، ويتعوَّذون من النار**) رواه ابن أبي الدنيا[٤] عن هارون بن عبد الله، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا أبو عمران الجوني قال: أدركتُ أربعة من أفضل ما أدركت، فكانوا يكرهون أن يقولوا: اللهم أعتِقْنا من النار، ويقولون: إنما يُعتَق منها مَن دخلها، وكانوا يقولون: نستجير بالله من النار، ونعوذ بالله من النار.

قلت: وهذا من جملة الدقائق، فإن أراد القائل بالعتق العصمة والحفظ أو ما

---

(١) انظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشهاب الخفاجي ١/ ٢١٦ - ٢٢١.
(٢) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.
(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٤.
(٤) السابق ص ١٩٤.

يجري مجراه فلا أرىٰ بأسًا في الإطلاق، فقد اشتهر الدعاء بمثل ذلك من غير نكير.

(وقال رجل: اللهم اجعلني ممَّن تصيبه شفاعةُ محمد ﷺ. فقال حذيفة) رضي الله عنه: **(إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ﷺ، وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين)** رواه ابن أبي الدنيا[١] عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا المحاربي، عن أبي مالك الأشجعي، عن رِبعي، عن حذيفة قال: قال رجل ... فذكره.

وروىٰ[٢] أيضًا عن حمدون بن سعد، حدثنا النضر بن إسماعيل، عن أبي طالب، عن عمار الدُّهني، عن أبي جعفر قال: سمع علي امرأة تقول: اللهم أدخِلْني في شفاعة محمد. قال: إذًا تَمَسَّكِ النارُ.

وهذا أيضًا من الدقائق، وإذا أراد بشفاعته رفعة المنزلة له فوق منزلته فلا أرىٰ بذلك بأسًا.

(وقال إبراهيم) النخعي: **(إذا قال الرجل للرجل: يا حمار يا خنزير، قيل له يوم القيامة: حمارًا رأيتني خلقتُه؟! خنزيرًا رأيتني خلقتُه)**؟! رواه ابن أبي الدنيا[٣] عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا محمد بن فُضَيل، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: إذا قال الرجل ... فذكره. قال: وحدثنا أحمد بن منيع، حدثنا محمد بن حازم، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: إذا قال الرجل لأخيه: يا خنزير، قال الله له يوم القيامة: تراني خلقتُه خنزيرًا؟! قال: وحدثنا سعيد بن سليمان، عن أبي حفص الأبَّار، عن الأعمش، عن حكيم بن جُبَير [عن سعيد بن جبير] عن ابن عباس أن موسىٰ عليه السلام كان في نفر من بني إسرائيل، فقال: اشربوا يا حمير. فأوحىٰ الله إليه: تقول لخلقٍ من خلقي خلقتُهم: اشربوا يا حمير؟!

---

(١) السابق ص ١٩٤.

(٢) السابق ص ٢٧٨.

(٣) السابق ص ١٩٥ - ١٩٦.

(وعن ابن عباس ﵄) قال: (إن أحدكم لَيشركُ بالله حتىٰ يشركه بكلبه فيقول: لولاه لسُرقنا الليلةَ) رواه ابن أبي الدنيا[١] عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبي خالد، عن مولىٰ لابن عباس، عن ابن عباس - أحسَبُ هكذا - قال: إن أحدكم ... فساقه.

(وقال عمر ﵁: قال رسول الله ﷺ: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، مَن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت. قال عمر ﵁: فوالله ما حلفتُ بها منذ سمعتُها) رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن خالد بن خِداش، حدثنا عبد الله بن وهب، أنبأنا يونس، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب ﵁ يقول: قال رسول الله ﷺ ... فذكره، وفيه: ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهىٰ عنها.

وقال العراقي[٣]: متفق عليه[٤].

قلت: ورواه كذلك أحمد[٥] وابن عدي.

وروىٰ أحمد[٦] وأبو نعيم في الحلية[٧] والبيهقي[٨] من حديث ابن عمر: «لا تحلف بأبيك، ولا تحلف بغير الله، فإنه مَن حلف بغير الله فقد أشرك». ورواه ابن ماجه[٩] والبيهقي[١٠] أيضًا [بلفظ]: «لا تحلفوا بآبائكم، مَن حلف بالله فليصدُق

(١) السابق ص ١٩٧.

(٢) السابق ص ١٩٨.

(٣) المغني ٢/ ٨٣٥.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٢١٨. صحيح مسلم ٢/ ٧٧٦.

(٥) مسند أحمد ١/ ٢٦٧، ٣٥٩.

(٦) السابق ٩/ ٢٧٥، ٤٢٣، ١٠/ ٢٥٠.

(٧) حلية الأولياء ٩/ ٢٥٣.

(٨) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٥٢.

(٩) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٨٣.

(١٠) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٠٥.

...» الحديث[١]. ورواه البخاري[٢] والنسائي[٣] بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم». وزاد الحاكم[٤]: «مَن حلف بشيء دون الله فقد أشرك».

وفي الباب أبو هريرة، ولفظ حديثه: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون». رواه أبو داود[٥] والنسائي[٦] والبيهقي[٧] وابن حبان[٨].

وعبد الرحمن بن سمرة، ولفظ حديثه: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت». رواه أحمد[٩] والنسائي[١٠] وابن ماجه[١١].

وعن سمرة بن جندب، ولفظ حديثه: «لا تحلفوا بالطواغيت، ولا تحلفوا بآبائكم، واحلفوا بالله، فإنه أحب إليه أن تحلفوا به، ولا تحلفوا بشيء من دونه». رواه الطبراني في الكبير[١٢] عن خُبَيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه عن جده.

وروى عبد الرزاق في المصنف[١٣] عن قتادة مرسلًا: «لا تحلفوا بالطواغيت،

---

(١) وتمامه: «ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله».
(٢) صحيح البخاري ٣/ ٥١، ٤/ ٢١٨، ٣٨٣.
(٣) سنن النسائي ص ٥٨٢.
(٤) المستدرك على الصحيحين ١/ ١٠٧.
(٥) سنن أبي داود ٤/ ٧٥.
(٦) سنن النسائي ص ٥٨٢.
(٧) السنن الكبرى ١٠/ ٥١.
(٨) صحيح ابن حبان ١٠/ ١٩٩.
(٩) مسند أحمد ٣٤/ ٢٢٨.
(١٠) سنن النسائي ص ٥٨٣.
(١١) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٨٠. وهذا الحديث قد رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٧٧٧.
(١٢) المعجم الكبير ٧/ ٣٠٥.
(١٣) مصنف عبد الرزاق ٨/ ٤٧٠.

ولا بآبائكم، ولا بالأمانة».

(وقال ﷺ: **لا تسمُّوا العنب الكرم، إنما الكرم الرجل المسلم**) وذلك[١] لأن هذه اللفظة تدل علىٰ كثرة الخير والمنافع في المسمَّىٰ بها، والرجل المسلم هو المستحق لذلك دون شجرة العنب، وهل المراد النهي عن تخصيص شجرة العنب بهذا الاسم وأن المسلم أولىٰ به منه فلا يُمنع من تسميته بالكرم كما قال في المسكين والرقوب والمفلس، أو المراد أن تسميته بها مع اتخاذ الخمر المحرَّم منه وصفٌ بالكرم والخير لأصل هذا الشراب الخبيث المحرَّم، وذلك ذريعة إلىٰ مدح المحرَّم وتهييج النفوس إليه؟ محتمل.

رواه ابن أبي الدنيا[٢] عن أبي خيثمة، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

وقال العراقي[٣]: هو متفق عليه[٤] من حديث وائل بن حُجْر.

قلت: وفي رواية لمسلم: «لا تقولوا: الكَرْم، ولكن قولوا: العنب والحَبْلة».

وفي المتفق عليه[٥] من حديث أبي هريرة: «لا تسمُّوا العنب الكرم، ولا تقولوا: خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر». وعند ابن عساكر[٦] بلفظ: «لا تسمُّوا العنب الكرم، فإن الكرم المؤمن». وعند أحمد[٧] ومسلم: «لا يقولنَّ أحدكم

---

(١) فيض القدير ٦/ ٤٠٣.

(٢) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٨.

(٣) المغني ٢/ ٨٣٥.

(٤) حديث وائل بن حجر رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٧٠، ولم يروه البخاري.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٢٥. صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٩ - ١٠٧٠.

(٦) تاريخ دمشق ٥٥/ ١١٨.

(٧) مسند أحمد ١٢/ ١٩٩، ١٣/ ١١٠، ٢٨٩، ٥١٥، ١٦/ ٤٩، ١٤٠، ٣٥٨.

للعنب الكرم، فإنما الكرم قلب المؤمن». وعند أبي داود[(١)] والبيهقي[(٢)]: «لا يقولنَّ أحدكم: الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم، ولكن قولوا: حدائق الأعناب».

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: لا يقولن أحدكم: عبدي ولا أمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي [وفتاتي] ولا يقولن المملوك: ربِّي ولا ربَّتي، ولكن ليقل: سيدي وسيدتي، فكلكم عبيد، والرب الله سبحانه وتعالىٰ)** قال ابن أبي الدنيا في الصمت[(٣)]: حدثنا هاشم بن الوليد، حدثنا النضر بن شميل، عن عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم: عبدي ولا أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، ولا يقل المملوك: ربِّي ولا ربتي، ولكن سيدي وسيدتي، كلكم عبيد، والرب الله». ثم قال: وحدثني يحيىٰ بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أنبأنا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: عبدي أمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي».

وقال العراقي: هو متفق عليه[(٤)] من حديث أبي هريرة.

قلت: لفظهما: «لا يقل أحدكم: أطعِمْ ربَّك ووضِّئْ ربك واسْقِ ربك، ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي، وليقل: فتاي فتاتي غلامي». وكذلك رواه أحمد[(٥)]. وفي لفظ لمسلم: «لا يقولن أحدكم: عبدي، فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل: فتاي، ولا يقل العبد: ربي، ولكن ليقلْ:

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٤.

(٢) شعب الإيمان ٧/ ١٧٩.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٩.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٢١. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٠ - ١٠٧٠.

(٥) مسند أحمد ١٣/ ٥١٨، ١٥/ ٢٦٧، ٤٥٣، ١٦/ ٤٣، ١٩٥، ٢٧١، ٣٥٤.

سيدي». ورواه أبو داود[١] وابن السني في اليوم والليلة[٢] بلفظ: «لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولنَّ المملوك: ربي وربَّتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والسيد[٣] الله عَزَّوَجَلَّ». ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] بلفظ: «لا يقولن أحدكم: عبدي، وليقل: فتاي، ولا يقل العبد: مولاي، وليقل: سيدي». وفي لفظ له: «لا يقولن أحدكم: عبدي، فكلكم عبدٌ، ولا يقولن أحدكم: مولاي، فإن مولاكم الله، ولكن ليقل: سيدي».

(وقال ﷺ: لا تقولوا للمنافق سيدنا، فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم) رواه ابن أبي الدنيا[٥] عن عبد الرحيم بن موسىٰ الأُبُلي، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: لا تقولوا ... فساقه.

وقال العراقي[٦]: رواه أبو داود[٧] من حديث بريدة بسند صحيح.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٨] والنسائي[٩] والروياني وابن السني[١٠] والبيهقي[١١] والضياء المقدسي، كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه.

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٤.
(٢) عمل اليوم والليلة ص ٢٣٧.
(٣) عند أبي داود وابن السني: والرب.
(٤) مكارم الأخلاق ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠٠.
(٦) المغني ٢/ ٨٣٦.
(٧) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٤.
(٨) مسند أحمد ٣٨/ ٢٢.
(٩) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٠٢.
(١٠) عمل اليوم والليلة ص ٢٣٨.
(١١) شعب الإيمان ٦/ ٥٠٩.

(وقال رسول الله ﷺ: من قال: أنا بريء من الإسلام، فإن كان صادقًا فهو كما قال، وإن كان كاذبًا فلن يرجع إلىٰ الإسلام سالمًا) قال العراقي[١]: رواه النسائي[٢] وابن ماجه[٣] من حديث بريدة بإسناد صحيح.

قلت: ورواه كذلك الحاكم[٤].

وقال ابن أبي الدنيا[٥]: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا علي بن الحسن، حدثنا الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال إني ... فذكره. ولكن لفظ الجماعة: «لم يَعُدْ إلىٰ الإسلام صادقًا».

(فهذا وأمثاله ممًّا يدخل في الكلام ولا يمكن حصره) فمن ذلك ما رواه مسلم[٦] من حديث ابن مسعود: «لا يقل أحدكم: نسيت آية كَيْت وكيت، بل هو نُسِّيَ». وعند الطبراني[٧]: «لا يقولن أحدكم: نسيت آية كيت وكيت، فإنه ليس هو نَسِيَ ولكنه نُسِّي».

وروىٰ الطبراني في الكبير[٨] من حديث واثلة: «لا يقولن أحدكم: أهرقت الماء، ولكن ليقل: أبول».

ورواه أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي في مشيخته وابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يقل أحدكم: أهريق الماء ...» والباقي سواء[٩].

---

(١) المغني ٢/ ٨٣٦.

(٢) سنن النسائي ص ٥٨٣.

(٣) سنن ابن ماجه ٣/ ٤٨٣.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٨.

(٥) الصمت وآداب اللسان ص ٢٠١.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٣٥٦. ورواه أيضا البخاري في صحيحه ٣/ ٣٤٧، ٣٤٩.

(٧) المعجم الكبير ١٠/ ٢٣٩.

(٨) السابق ٢٢/ ٦٢.

(٩) كنز العمال ٣/ ٦٦٠. وأورده الدارقطني في العلل ٨/ ٢٠٧ - ٢٠٨، وصحح وقفه علىٰ أبي هريرة.

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف من حديث أبي هريرة: «لا يقل أحدكم: [اللهم] اغفر لي إن شئتَ، وليعزم في المسألة، فإنه لا مُكرِه له». ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه بزيادة: «اللهم ارحمني إن شئتَ، اللهم ارزقني إن شئت». وفيه: «فإنه يفعل ما يشاء لا مُكرِه له»(١).

وروىٰ ابن ماجه(٢) من حديث ابن عباس: «لا يقولن أحدكم: إني صرورة».

وروىٰ الطبراني في الأوسط(٣) من حديث أبي هريرة: «لا يقولن أحدكم: اللهم لقِّني حُجَّتي، فإن الكافر يلقَّن حجته، ولكن ليقل: اللهم لقِّني حجة الإيمان عند الممات».

وروىٰ أحمد والشيخان(٤) وأبو داود(٥) والنسائي(٦) وابن السني في اليوم والليلة(٧) من طرق عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعًا: «لا يقولن أحدكم: خبُثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسي». ورواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي أمامة ولم يذكر أباه(٨). ورواه النسائي(٩) أيضًا من طريق سفيان [بن حسين] عن الزهري عن عروة عن عائشة. ورواه أحمد(١٠)

---

(١) تقدم هذا الحديث في كتاب الأذكار والدعوات.

(٢) لم أقف عليه عند ابن ماجه، وقد رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/ ٢٧٠، والدارقطني في سننه ٣/ ٣٦٢، والطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٧٦.

(٣) المعجم الأوسط ٢/ ٢٤٨.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٢٥. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧١.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٥.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٨٦.

(٧) عمل اليوم والليلة ص ١٩٠.

(٨) بل رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ١٧٥ من طريق عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه.

(٩) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٨٦.

(١٠) مسند أحمد ٤٠/ ٢٨٩، ٤٣٧، ٤٢/ ٤٨٧، ٤٣/ ١٠٠، ٤١١.

والشيخان[١] من طريق سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة. ورواه الطبراني[٢] من طريق قُرَّة بن عبد الرحمن عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. ورواه الدارقطني في الأفراد[٣] من حديث أبي هريرة. ورواه أبو داود[٤] من حديث عائشة بلفظ: «لا يقولن أحدكم: جاشت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي».

وروىٰ أحمد[٥] وأبو داود[٦] والنسائي[٧] والطبراني والبيهقي[٨] من حديث أبي بكرة: «لا يقولنَّ أحدكم: إني صمت رمضان كلَّه وقمتُه».

وروىٰ تمام[٩] وابن عساكر[١٠] من حديث عبد الله بن عمر: «لا يقولن أحدكم: صمت رمضان وقمت رمضان ولا صنعت في رمضان كذا، فإن رمضان اسم من أسماء الله العظام، ولكن قولوا: شهر رمضان، كما قال ربُّكم في كتابه».

ورواه ابن عدي[١١] وأبو الشيخ والبيهقي[١٢] وضعَّفه والديلمي[١٣] من حديث أبي هريرة: «لا تقولوا: رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالىٰ، ولكن قولوا: شهر رمضان».

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٢٤. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧١.
(٢) المعجم الكبير ٢/ ١٢٥.
(٣) وكذلك أبو يعلىٰ في مسنده ١٠/ ٢٣٧، وابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٨٧.
(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٥.
(٥) مسند أحمد ٣٤/ ٤٦، ٥٩، ٧٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٠.
(٦) سنن أبي داود ٣/ ١٧٣.
(٧) سنن النسائي ص ٣٣٧.
(٨) شعب الإيمان ٤/ ٥٥٥، ٥/ ٢٥١.
(٩) فوائد تمام ٢/ ١٦٢.
(١٠) تاريخ دمشق ٧٢/ ١٤٤.
(١١) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥١٧.
(١٢) السنن الكبرىٰ ٤/ ٣٣٩.
(١٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٥٢.

وفي حديث أبي المليح عن أبيه رفعه: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنه يعظُم حتىٰ يصير مثل البيت ويقول: بقوَّتي صرعتُه، ولكن قلْ: بسم الله، فإنك إذا قلتَ ذلك تصاغَرَ حتىٰ يصير مثل الذباب فيمن عثر». رواه أحمد وأبو يعلىٰ[١] والباوردي والطبراني[٢] وابن السني في اليوم والليلة[٣] والدارقطني في الأفراد[٤] والحاكم[٥]، ورواه أحمد[٦] أيضًا والبغوي[٧] والبيهقي[٨] عن أبي تميمة الهجيمي عن رديف رسول الله ﷺ.

وعن أبي جُرَيٍّ جابر بن سليم الهجيمي مرفوعًا: «لا تقل: عليك السلام، فإنَّ عليك السلام تحية الموتىٰ، ولكن قل: السلام عليكم»[٩]. رواه أبو داود والترمذي - وقال: حسن صحيح - والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء.

وروىٰ الطبراني[١٠] من حديث عبد الله بن مغفل: «لا تقولوا للعشاء العتمة، فإنَّ الأعراب يسمُّونها العتمة».

وروىٰ البيهقي[١١] وضعَّفه من حديث أنس: «لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران وسائر القرآن، ولكن قولوا: السورة التي يُذكَر فيها البقرة والسورة

---

(١) معجم شيوخ أبي يعلىٰ ص ١١٣.
(٢) المعجم الكبير ١/ ١٩٤.
(٣) عمل اليوم والليلة ص ٣٠٥.
(٤) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ١٤٦.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣١.
(٦) مسند أحمد ٣٤/ ١٩٨، ١٩٩، ٢٩١، ٣٨/ ١٨٢.
(٧) شرح السنة ١٢/ ٣٥٤.
(٨) شعب الإيمان ٧/ ١٦١ - ١٦٢.
(٩) تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الصحبة.
(١٠) ومن طريقه رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ١٨٠٩. ورواه البخاري في صحيحه ١/ ١٩٣ بلفظ: «لا تغلبنكم الأعراب علىٰ اسم صلاتكم المغرب، قال الأعراب وتقول هي العشاء».
(١١) شعب الإيمان ٤/ ١٧٣.

التي يُذكَر فيها آل عمران، والقرآن علىٰ نحو هذا».

وروىٰ الطبراني في الأوسط[1] والبزار[2] وأبو نعيم في الحلية[3] والبيهقي[4] وضعَّفه من حديث أبي هريرة: «لا يقولن أحدكم: زرعت، ولكن ليقلْ: حرثتُ».

وروىٰ مسلم من حديث أبي هريرة: «لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»[5].

وروىٰ الطبراني في كتاب السنَّة[6] من حديث أبي هريرة والخطيب[7] من حديث ابن عمر: «لا يقولن أحدكم لأخيه: قبَّح الله وجهك ووجه مَن أشبهَ وجهَك؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم علىٰ صورته».

فصل: وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت[8] من طريق ليث عن مجاهد أنه كان يكره أن يقول: اللهم أدخِلْني في مستقَرِّ رحمتك؛ فإن مستقر رحمته [هو] نفسه.

ومن طريق أيوب عن محمد بن سيرين أن رجلاً شهد عند شريح فقال: أشهد بشهادة الله. فقال له شريح: لا تشهد بشهادة الله، ولكن اشهد بشهادتك، فإن الله لا يشهد إلا علىٰ حق.

ومن طريق ليث عن مجاهد أنه كره أن يقول للميت: استأثر الله به.

---

(١) المعجم الأوسط ٨/ ٨٠.

(٢) مسند البزار ١٧/ ٣٠٨.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٦٧.

(٤) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٢٨.

(٥) تقدم هذا الحديث قريبا.

(٦) وكذلك ابن حبان في صحيحه ١٣/ ١٨، وأحمد في مسنده ١٥/ ٣٧١.

(٧) تاريخ بغداد ٤/ ١٢٧.

(٨) الصمت وآداب اللسان ص ١٩٢ - ٢٠١، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٦.

ومن طريق مغيرة عن إبراهيم قال: كان يُكرَه أن يقول: لَعَمْرُ الله، لا بحمد الله.

وعن القاسم بن مخيمِرة قال: لأنْ أحلف بالصليب أحب إليَّ من أن أحلف بحياة رجل.

وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن كعب قال: إنكم تشركون في قول الرجل: كَلاَّ وأبيك، كلا والكعبة، كلا وحياتك، وأشباه هذا، احلفْ بالله صادقًا أو كاذبًا، ولا تحلف بغيره.

ومن طريق حُمَيد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حلف منكم باللات فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لأخيه: تعالَ أقامرك، فليتصدَّقْ».

ومن طريق مِسْعَر عن سِماك الحنفي أنه سمع ابن عباس يكره أن يقول الرجل: إني كسلان.

ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال: لا تقولوا: أصبحنا وأصبح المُلك لله، ولكن قولوا: أصبحنا والمُلك لله والحمد لله.

وعنه أيضًا قال: لا يقولنَّ أحدكم: نَعِمَ اللهُ بك عينًا، فإن الله لا يَنْعَم بشيء، ولكن ليقل: أنعمَ الله بك عينًا، فإنما أنعم: أقَرَّ.

ومن طريق غيلان بن جرير عن مطرِّف قال: لا تقل: إن الله يقول، ولكن قلْ: إن الله قال. [قال]: وأحدهم يكذب مرتين إذا سُئل: مَن هذا؟ قال: لا شيء، ألا شيء ليس بشيء.

وعن مطرِّف أنه كان يكره أن يقول أحدهم للكلب: اللهم اخْزِه(١).

وعن خُناس بن سُحَيم قال: أقبلتُ مع زياد بن حُدَير من الكُناسة، فقلت في

---

(١) في الصمت: «عن مطرف قال: ليعظم جلال الله في صدوركم، فلا تذكروه عند مثل هذا قول أحدكم للكلب: اللهم اخزه، وللحمار والشاة».

كلامي: لا والأمانة، فجعل زياد يبكي، فظننت أني أتيت أمرًا عظيمًا، فقلت له: أكان يُكره ما قلتُ؟ قال: نعم، كان عمر ينهانا عن الحلف بالأمانة أشدَّ النهي.

وعن يحيىٰ بن مطرف قال: قلت لعيسىٰ بن جابان: أقعد إلىٰ هؤلاء القوم ساعةً. قال: وما يدريك وما قَدْر ساعة؟ قلت: هنيهة. قال: هكذا فقلْ. قال: وقال لي عيسىٰ يومًا: ادخل فانظر فلانًا هل تراه في المسجد؟ فدخلت وخرجت فقلت: ليس في المسجد أحد. قال: لا تقلْ هكذا. قلت: لم أرَ في المسجد أحدًا [قال]: هكذا فقل.

ومن طريق عبد الرحمن بن عمر بن حفص عن ربيعة بن عطاء قال: قلت عند القاسم بن محمد: قاتل اللهُ محمد بن يوسف، ما أجرأه علىٰ الله! قال: هو أذَلُّ وألأمُ من أن يجترئ علىٰ الله، ولكنها الغِرَّة، قل: ما أغرَّه بالله!

ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال: لا يقول الرجل إذا سُئل عن الرجل: ليس لي به عهدٌ، حتىٰ يقول: مذْ لم أره.

(ومَن تأمَّل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يَسلم) من تلك الآفات كلِّها أو بعضها **(وعند ذلك يُعرَف سر قوله ﷺ: مَن صمت نجا)** وقد تقدم قريبًا في أول هذا الكتاب **(لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب، وهي علىٰ طريق المتكلم)** لا ينفكُّ عنها **(فإن سكت سَلِمَ من الكل، وإن نطق وتكلم خاطَرَ بنفسه، إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلمٌ غزير وورع حافظ)** يحجزه عن التعثُّر في السقطات **(ومراقبة)** في القلب للحق **(لازمة)** لا تنفكُّ عنه **(وتقلُّلٌ في الكلام)** وتحفُّظٌ في المنطق **(فعساه يَسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفكُّ عن الخطر)** والإشراف علىٰ الهلاك **(فإن كنت لا تقدر علىٰ أن تكون ممَّن تكلم فغنمَ)** بنتيجة كلامه **(فكنْ ممَّن سكت فسَلِمَ)** من آفاته **(فالسلامة)** من المكروهات **(إحدىٰ الغنيمتين)** روىٰ ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من مرسَل

الحسن: «رحمَ الله عبدًا تكلم فغنم أو سكت فسلم». ورواه العسكري في الأمثال عن الحسن عن أنس. ورواه البيهقي أيضًا عن ثابت عن أنس. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: «رحم الله عبدًا قال فغنم أو سكت فسلم». رواه عن الحسن مرسلاً. ورواه أبو الشيخ في «الثواب» من حديث أبي أمامة بلفظ الخرائطي(١).

(١) تقدم هذا الحديث في أول كتاب آفات اللسان.

الآفة العشرون: سؤال العوامّ عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو حادثة

وما يجري مجراه كسؤالهم عن الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق (**ومن حقِّهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن**) من الأوامر والنواهي (**إلا أن ذلك ثقيل علىٰ النفوس**) لا تستمرئه (**والفضول خفيف علىٰ القلب، والعامّي يفرح بأن يخوض في العلم؛ إذ الشيطان يخيِّل إليه أنك من العلماء**) الكُمَّل (**وأهل الفضل، فلا يزال يحبِّب إليه ذلك حتىٰ**) يوقفه علىٰ دهليز الكفر، وربما (**يتكلم في العلم بما هو كفرٌ**) والعياذ بالله، فينسلّ من الدين (**وهو لا يدري**) ولا يشعر (**وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلمُ له من أن يتكلم في العلم**) لعدم أهليَّته (**لا سيَّما فيما يتعلق بالله وصفاته، وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات**) الظاهرة (**والإيمان بما ورد به القرآن، والتسليم بما جاء به الرسل**) عليهم السلام (**من غير بحث**) ولا تنقير، فهذا أفضل أحوالهم وأعظم أعمالهم (**وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقُّون به المقت من الله تعالىٰ**) والبعد عن ساحة حضرته (**ويتعرَّضون لخطر الكفر، وهو كسؤال ساسة الدواب**) جمع سائس وهو الذي يتعاهد الدوابَّ في خدمتها ومراعاة أحوالها (**عن أسرار الملوك**) الباطنة (**وهو موجِب للعقوبة**) النكال (**وكل مَن سأل عن علم غامض**) أي دقيق (**ولم يبلغ فهمُه تلك الدرجةَ فهو مذموم**) وفساده أكثر من صلاحه (**فإنه بالإضافة إليه عاميٌّ، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ذروني**) أي[1] اتركوني من السؤال (**ما تركتكم**) أي مدة تركي إياكم من الأمر بالشيء والنهي عنه، فلا تتعرَّضوا لي بكثرة البحث عمَّا لا يعنيكم في دينكم مهما أنا تارككم لا أقول لكم شيئًا، فقد يوافق ذلك إلزامًا وتشديدًا، وخذوا بظاهر ما

---

(١) فيض القدير ٣/ ٥٦٢ - ٥٦٣.

أمرتكم، ولا تستكشفوا كما فعل أهل الكتاب، ولا تُكثِروا من الاستقصاء فيما هو مبيَّن بوجه ظاهر وإن صلُح لغيره؛ لإمكان أن يكثُر الجوابُ المرتَّب عليه فيضاهي قصةَ بقرة بني إسرائيل، شدَّدوا فشُدِّد عليهم، فخاف وقوعَ ذلك بأمَّته، ومن ثَم علَّله بقوله: (**فإنما هلك مَن كان قبلكم**) من أمم الأنبياء (**بسؤالهم**) إياهم عمَّا لا يعنيهم. وفي رواية: بكثرة سؤالهم (**واختلافهم علىٰ أنبيائهم**) ولمَّا كان الأمر كذلك تسبَّبوا لتفرُّق القلوب ووهن الدين، واستوجبوا به المحن والبلايا. والمفهوم من السياق النهيُ عن السؤال والاختلاف، فإن قيل: السؤال مأمور به بنص ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧] فكيف يكون الشيء مأمورًا منهيًّا؟ قلت: إنما هو مأمور فيما يأذن المعلِّم في السؤال عنه وهو الذي يعنيه في دينه أو دنياه، والمنهيُّ عنه هو السؤال الذي يكثُر به النزاعُ والخصومات وفيما لا يعني من الفضول (**ما نهيتكم عنه فاجتنِبوه**) أي دائمًا علىٰ كل تقدير ما دام منهيًّا عنه حتمًا في الحرام وندبًا في المكروه؛ إذ لا يمتثل مقتضَىٰ النهي إلا بترك جميع جزئيَّاته وإلا صدق عليه أنه عاصٍ أو مخالف (**وما أمرتكم به فأتوا منه**) وجوبًا في الواجب، وندبًا في المندوب (**ما استطعتم**) لأن فعله هو إخراجه من العدم إلىٰ الوجود، وذلك يتوقَّف علىٰ شرائط وأسباب كالقدرة علىٰ الفعل ونحوها، وبعضه يُستطاع وبعضه لا، فلا جَرَم يسقط التكليف بما لا يُستطاع؛ إذ لا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، وبدلالة الموافقة له يُخَص عموم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه البخاري في الاعتصام بنحوه، ورواه مسلم بلفظ: «بكثرة سؤالهم»، وفيه: «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء

---

(١) المغني ٢/ ٨٣٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٦١. صحيح مسلم ١/ ٦٠٨، ٢/ ١١٠٧.

فدعوه». وكذا رواه الشافعي وأحمد[١] والنسائي[٢] وابن ماجه[٣]، ورواه الطبراني في الأوسط[٤] بلفظ: «فإنما أهلكَ من كان قبلكم اختلافُهم علىٰ أنبيائهم»، وفيه: «فاجتنِبوه ما استطعتم». ورواه ابن حبان[٥] بنحوه. وعند بعضهم قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ ... فذكره.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(سأل الناس رسول الله ﷺ يومًا حتىٰ أكثروا عليه وأغضبوه، فصعد المنبر فقال: سلوني، فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به. فقام إليه رجل)** هو عبد الله **(فقال: يا رسول الله، مَن أبي؟ فقال: أبوك حذافة)** هو[٦] ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي، وعبد الله ابنه هذا يكنىٰ أبا حُذافة، وقيل: أبا حذيفة، وأمه تميمة بنت حُرْثان من بني الحارث بن عبد مناف، من السابقين الأوَّلين، مات بمصر في خلافة عثمان **(فقام إليه شابّان أخوان فقالا: يا رسول الله، مَن أبونا؟ فقال: أبوكما الذي تُدعَيان)** أي تُنسَبان **(إليه. ثم قام إليه رجل فقال: يا رسول الله، أفي الجنة أنا أو في النار؟ فقال: لا، بل في النار. فلما رأىٰ الناس غضب رسول الله ﷺ أمسكوا)** عن السؤال **(فقام إليه عمر** رضي الله عنه **فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولا. فقال)** ﷺ: **(اجلس يا عمر يرحمك الله، إنك ما علمتُ لَموفَّقٌ)** قال العراقي[٧]: متفق عليه[٨] مقتصرًا علىٰ سؤال عبد الله بن

---

(١) مسند أحمد ١٢/ ٣٢٥، وفي مواضع أخرىٰ كثيرة.

(٢) سنن النسائي ص ٤٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٤٢.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ١٣٥.

(٥) صحيح ابن حبان ١/ ١٩٨ - ٢٠١، ٥/ ٤٦٥ - ٤٦٦، ٩/ ١٨ - ٢٠.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٥٤ - ٥٥.

(٧) المغني ٢/ ٨٣٧.

(٨) صحيح البخاري ١/ ٥٠، ١٨٧، ٤/ ١٦٤، ٣١٩، ٣٦٢. صحيح مسلم ٢/ ١١٠٧ - ١١٠٩.

حذافة وقول عمر. ولمسلم[١] من حديث أبي موسىٰ: فقام آخر فقال: مَن أبي؟ قال: «أبوك سالم مولىٰ شيبة».

قلت: هو في الصحيح من حديث الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ خرج حين زالت الشمس، فصلىٰ الظهر، فلما سلَّم قام علىٰ المنبر وقال: «مَن أحَبَّ أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم به ما دمت في مقامي هذا». قال: فسأله عبد الله بن حُذافة فقال: مَن أبي؟ قال: «أبوك حذافة ...» الحديث.

(وفي الحديث: نهىٰ رسول الله ﷺ عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال) متفق عليه[٢] من حديث المغيرة بن شعبة.

(وقال ﷺ: يوشك الناس يتساءلون) بينهم **(حتىٰ يقولوا: قد خلق الله الخلق، فمَن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ حتىٰ تختموا السورة، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثًا وليستعذْ بالله من الشيطان الرجيم)** متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم[٣]. قاله العراقي[٤].

قلت: وهذا السياق أشبهُ بسياق أبي داود[٥]: «يوشك الناس يتساءلون حتىٰ يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمَن خلق الله عز وجل؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ثم

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٩. وقد رواه أيضا البخاري في صحيحه ١/ ٥٠، ٤/ ٣٦٢.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٥٨، ٢/ ١٧٧، ٤/ ٨٧، ١٨٦، ٣٦٢. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٠ - ٨٢١.

(٣) في كتاب عجائب القلب.

(٤) المغني ٢/ ٨٣٧.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٢٣٥، والسياق المذكور ليس لفظ أبي داود، وإنما لفظ ابن السني، أما لفظ أبي داود فهو: «لا يزال الناس يتساءلون حتىٰ يقال هذا: خلق الله عز وجل الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله».

ليتفل عن يساره ثلاثًا، وليستعذْ بالله من الشيطان». ورواه ابن السني كذلك في عمل اليوم والليلة[١].

(وقال جابر) رضي الله عنه: (ما نزلت آية التلاعُن إلا لكثرة السؤال) قال العراقي[٢]: رواه البزار[٣] بسند جيد.

(وفي قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام تنبيه علىٰ المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه؛ إذ قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء) أي[٤] فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرتَه مني ولم تعلم وجه صحته **(حتىٰ أُحدِث لك منه ذِكرًا)** أي حتىٰ أبتدئك ببيانه. فانطلقا علىٰ الساحل يطلبان السفينة، حتىٰ إذا ركبا في السفينة أخذ الخضر فأسًا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها، فلم يصبر موسىٰ عليه السلام **(فلما سأل عن السفينة)** وقال له: أخرقتَها لتُغرِق أهلَها؟! فإنَّ خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلىٰ غرق أهلها **(أنكر عليه)** وقال له: لقد جئتَ شيئًا إمْرًا. أي أمرًا عظيمًا، فذكَّره الخضر بقوله **(حتىٰ اعتذر وقال: لا تؤاخذني بما نسيتُ)** أي بالذي نسيتُه، يعني وصيَّته بأن لا يعترض عليه، أو بنسياني إياها، وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها **(ولا ترهقني من أمري عُسرًا)** بالمضايقة والمؤاخذة علىٰ المنسيِّ، فإن ذلك يعسر علىٰ متابعتك. و«عسرًا» مفعول ثانٍ لـ «ترهق»، فإنه يقال: رهقه: إذا غشيَه، وأرهقه إياه **(فلما لم يصبر حتىٰ سأل ثلاثًا)** الأول عن السفينة، والثاني عن قتل الغلام، والثالث عن إقامة الجدار **(قال: هذا فراقُ بيني وبينك)** الإشارة إلىٰ الفراق الموعود بقوله: فلا تصاحبني، أو إلىٰ الاعتراض الثالث، أو الوقت **(وفارَقَه)** وكان ما كان ممَّا

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٣٨٠.

(٢) المغني ٢/ ٨٣٧.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ١١٠.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٨٨ - ٢٩٠.

هو مذكور في القرآن **(فسؤال العوامِّ عن غوامض الدين من أعظم الآفات، وهو من المثيرات للفتن، فيجب زمُّهم)** أي كفُّهم **(ومنعُهم عن ذلك)** وليس المراد بالعوام السوقيَّة والأجلاف من أهل السواد فقط، بل[1] في معنىٰ العوامِّ الأديبُ والنحوي والمحدِّث والمفسِّر والفقيه والمتكلم، بل كل عالِم سوىٰ المتجرِّدين لعلم السباحة في بحار المعرفة، القاصرين أعمارهم عليه، الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات، المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذَّات، المخلصين لله تعالىٰ في العلوم والأعمال، القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات وترك المنكَرات، المفرِّغين قلوبهم بالجملة عن غير الله لله، المستحقرين للدنيا بل للآخرة في جنب محبة الله تعالىٰ، فهؤلاء هم أهل الغوص في بحر المعرفة، وهم مع ذلك كلِّه علىٰ خطر عظيم، يهلك من العشرة تسعةٌ إلىٰ أن يسعد واحدٌ منهم بالدر المكنون والسر المخزون **(وخوضُهم)** أي أولئك العوام ومَن في معناهم **(في حروف القرآن يضاهي اشتغالَ مَن كتب إليه الملك كتابًا ورسم له فيه أمورًا فلم يشتغل بشيء منها، وضيَّع زمانَه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث، فاستحقَّ بذلك العقوبةَ لا محالة، فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حادثة، وكذلك سائر صفات الله تعالىٰ)** فإن[2] اتفق سؤال مثل ذلك فيجب علىٰ العارف منعُ السائل عن مثله، وليبيِّن له أنه بدعة، وقد نُهينا عن الخوض في مثل ذلك، وإن لم يجد بدًّا من الخوض معه في مثله فليقل له: ماذا تعني في سؤالك؟ فإن أردتَ شيئًا من القرآن أو من صفات الله تعالىٰ فجميع صفات الله قديمة، وإن أردت شيئًا من صفات الخلق فجميع صفاتهم مخلوقة، فإن أردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق فهو غير مفهوم ولا متصوَّر، وما لا يُفهَم ولا تُتصور ذاته كيف يُفهَم حكمه في القِدَم والحدوث؟! والأصل زجرُ

---

(١) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص ٣٢٦ - ٣٢٧ [ضمن مجموعة رسائل الغزالي].

(٢) السابق ص ٣٤٨ - ٣٥٠.

السائل والسكوت عن الجواب، ولا عدول عنه إلا لضرورة، وسبيل المضطر ما ذكرناه. وإن كان السائل ذكيًّا مستعدًّا لفهم الحقائق يُكشَف له الغطاء عن المسألة، ويقال له: إن كل شيء فله في الوجود أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البياض المكتوب عليه، كالنار مثلاً فإنَّ لها وجودًا في التنُّور، ووجودًا في الخيال والذهن وهو العلم بصورة النار وحقيقتها، ولها وجود في اللسان وهي الكلمة الدالَّة عليها، أعني لفظ «النار»، ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم. والإحراق صفة خاصة للنار كالقِدَم للقرآن ولكلام الله تعالىٰ، والمحرق من هذه الجملة هي التي في التنور دون التي في الأذهان وفي اللسان وعلىٰ البياض؛ إذ لو كان المحرق هو الذي في البياض أو اللسان لاحترق، ولو قيل: النار محرقة؟ قلنا: نعم. فإن قيل: كلمة «النار» محرقة [قلنا: لا. فإن قيل: حروف «النار» محرقة] وهي النون والألف والراء؟ قلنا: لا. فإن قيل: فرقوم هذه الحروف علىٰ البياض محرقة؟ قلنا: لا. فإن قيل: المذكور بكلمة «النار» أو المكتوب بكلمة «النار» محرق؟ قلنا: نعم؛ لأن المذكور والمكتوب بهذه الكلمة هو ما في التنور، وما في التنور محرق، فكذلك القِدَم وصفُ كلام الله كالإحراق وصفُ النار، وما يطلَق عليه اسم «القرآن» له وجود علىٰ أربع مراتب، أولاها وهي الأصل: وجود قائم بذات الله تعالىٰ يضاهي وجودَ النار في التنور، ولله المَثَل الأعلىٰ، لكن لا بد من هذه الأمثلة في تفهيم العَجَزة، والقِدَم وصفٌ خاص لهذا الوجود. والثانية: وجود العلم في أذهاننا عند التعلُّم قبل أن ننطق بلساننا، ثم وجوده في لساننا بتقطيع أصواتنا، ثم وجوده في الأوراق بالكتابة. فإذا سُئلنا عمَّا في أذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا: علمنا صفته وهي مخلوقة، لكن المعلوم به قديم، كما أن علمنا بالنار وثبوت صورتها في الخيال غير محرق، لكن المعلوم به محرق، فإذا سُئلنا عن صوتنا وحركة لساننا [ونطقنا] قلنا: ذلك صفة لساننا، ولساننا حادث، وصفته توجد بعده، وما هو بعد الحادث حادثٌ بالضرورة، ولكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلوَّنا بهذه الأصوات الحادثة قديم، كما إذا ذكرنا

حروف «النار» بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقًا، وأصواتنا وتقطيع أصواتنا غير محرق، إلا أن يقول قائل: حروف النار عبارة عن نفس النار. قلنا: إن كان كذلك فحروف النار محرقة، وحروف القرآن إن كانت عبارة عن نفس المقروء فهي قديمة، وكذلك المخطوط برقوم النار والمكتوب به محرق؛ لأن المكتوب هو نفس النار؛ إذ الرقم الذي هو صورة النار غير محرق، فإنه في الأوراق من غير إحراق واحتراق. فهذه أربع درجات في الوجود تشكُل علىٰ العوام ولا يمكنهم إدراك تفاصيلها وخاصة كل واحدة منها، فلذلك لا نخوض بهم فيها لجهلهم بحقيقة هذه الأمور، فحق البليد أن يُمنع من الخوض فيها ويقال له: قل: القرآن غير مخلوق، واسكت، ولا تزد عليه ولا تنقص، ولا تزُل[1] عنه ولا تبحث، وأما الذكي فيُزال عنه الإشكال في لحظة، ويوصَىٰ بأن لا يحدِّث العامِّي به، وأن لا يكلِّفه ما ليس في طاقته، وهكذا جميع مواضع الإشكالات في الظواهر. وقد استوفاه المصنِّف في «إلجام العوام»، ومر تفصيل ذلك في كتاب قواعد العقائد.

وعلىٰ هذا القدر وقع الاقتصار في شرح كتاب آفات اللسان. فُرغ من ذلك عند أذان ظهر يوم الثلاثاء ثالث صفر الخير من شهور سنة ألف ومائتين. وكتب أبو الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، تاب الله عليه وأعانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .. آمين.

(١) في إلجام العوام: ولا تفتش.

فهرس موضوعات كتاب آفات اللسان

٢٤ - كتاب آفات اللسان

كتـاب ذم الغضب والحقد والحسد

- بيان ذم الغضب
- بيان حقيقة الغضب
- بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أمْ لا
- بيان الأسباب المهيِّجة للغضب
- بيان علاج الغضب بعد هيجانه
- بيان فضيلة كظم الغيظ
- بيان فضيلة الحلم
- بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفِّي به من الكلام
- بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
- بيان أسباب الحسد والمنافسة
- بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكُّده، وقلَّته في غيرهم وضعفه
- بيان الدواء الذي به يُنفَىٰ مرض الحسد عن القلب
- بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

٢٥ - كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الحمد لله الفرد الصمد الواحد الأحد، الذي علىٰ فضله المعوَّل، وعلىٰ كرمه المعتمَد، الوليُّ الذي هدىٰ وأرشد ووفَّق وأسعد، وأبانَ طريقَ الغيِّ والرشد، خلق الإنسان، ودبَّر الأكوان، وهو علىٰ ما كان لا يتغير ولا يتجدد. أحمدُه سبحانه حمد عبدٍ سلك الواضح الجَدَد، وتخلَّىٰ عن ظلمات اللَّجاج واللَّدَد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تسدِّد قائلَها في كل قبول وردٍّ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله السيد السند المختار المنتقَىٰ المفضَّل الأمجد، الذي بُعث نبيًّا وآدم بين الروح والجسد، أفضل مَن لربه عبدَ، وعلىٰ آله وصحبه وتابعيهم ووارثي علومهم، صلىٰ الله عليه وعليهم وسلم صلاة وسلامًا يدومان بدوام الأبد، ما حيعل الداعي وقال: أشهد، أو ناح قُمْريٌّ علىٰ الأراك وغرَّد.

وبعد، فهذا شرح كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، وهو الخامس من الربع الثالث من كتاب الإحياء، للإمام حُجة الإسلام قطب الأحياء أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، سقاه الله من رحيق الرضوان، وصبَّ عليه من شآبيب الغفران، يحل جواهرَ ألفاظه الغريبة، ويدل علىٰ إشارات معانيه العجيبة، ويفتح قلاع نوادره المستغرَبة، ويورد الراغبَ إلىٰ حياض مناهله المستعذَبة، مقتبسًا من مشكاة أنوار النبوة، مقتنصًا

من إلهام أسرار الفتوَّة، مستعينًا بالله في إجازة هذا الأمر الخطير، معتصمًا به في تيسير كل عسير، لا إله إلا هو، عليه توكَّلتُ، وهو علىٰ كل شيء قدير.

قال المصنِّف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) الذي يُستعان به علىٰ كل خُلُق كريم، ويُستعاذ به من كل طبع ذميم (**الحمد لله الذي لا يتَّكل علىٰ عفوه ورحمته إلا الراجون**) الاتِّكال هو الاعتماد، أي لا يعتمد الراجون إلا علىٰ عفوه ورحمته، ولولا عفوه ورحمته ما تمَّ لهم مقامُ الرجاء (**ولا يحذر سوءَ غضبه وسطوته إلا الخائفون**) أي لا يخشىٰ الخائفون إلا سطوته وغضبه، وبه تم لهم مقام الخوف، فالمؤمن بين رجاء وخوف، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقدَّم الرجاءَ نظرًا لعموم رحمته وشمول عفوه، فقد ورد: «سبقتْ رحمتي غضبي» (**الذي استدرج عبادَه**) أي أخذهم قليلاً قليلاً علىٰ الإمهال (**من حيث لا يعلمون**) أشار به إلىٰ قوله تعالىٰ في آخر الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢﴾ [الأعراف: ١٨٢] (**وسلَّط عليهم الشهوات**) وهي[١] كل ما تنزع إليه النفوس فيما تريده ولا تتمالك عنه (**وأمرهم بترك ما يشتهون**) واجتناب ما إليه ينزعون (**وابتلاهم بالغضب**) وهو[٢] تغيُّر يحصل عند ثوران دم القلب لإرادة الانتقام (**وكلَّفهم كظم الغيظ**) أي كفه وستره، والغيظ أشد الحمق، وكظمُه[٣]: الإمساك علىٰ ما في النفس من صفح أو غيظ (**فيما يغضبون، ثم حفَّهم بالمكاره**) جمع مكروه وهو كل ما فيه قبحٌ أو مشقة. وحفَّهم: أحاط بهم (**واللذَّات**) جمع لذة، وهي[٤] إدراك الملائم من حيث

(١) المفردات للراغب ص ٢٧٠. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢٠٩.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢٥٢. وفي المفردات ص ٣٦١: «الغضب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام». وفي التعريفات للجرجاني ص ١٦٨: «الغضب: تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر».

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢٨٢.

(٤) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢٨٨ نقلا عن التعريفات للجرجاني ص ٢٠١.

هو ملائم، وقيدُ الحيثية للاحتراز عن إدراك المُلائم لا من حيث ملاءمته فليس بلذة، كالدواء النافع المر، فإنه ملائم من حيث إنه نافع لا من حيث إنه لذيذ[١] **(وأملىٰ لهم)** أي أمهلَ **(لينظر كيف يعملون، وامتحن به حبَّهم ليعلم صدقهم فيما يدَّعون)** هل هم صادقون في دعوىٰ حبِّهم أم كاذبون **(وعرَّفهم)** علىٰ ألسنة رسله الكرام **(أنه لا يخفَىٰ عليه شيءٌ ممَّا يُسِرُّون)** أي يخفونه **(ويعلنون)** أي يُظهِرونه **(وحذَّرهم)** أي خوَّفهم **(أن يأخذهم بغتةً)** أي فجأة علىٰ غفلة **(وهم لا يشعرون)** أشار به إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٠٧﴾ [يوسف: ١٠٧] **(فقال:** ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾) أي[٢] ما ينتظرون (﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾) وهي النفخة الأولىٰ (﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾) أي يختصمون في أحوالهم، لا يخطر ببالهم أمرُها (﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾) في شيء من أمورهم (﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾) [يس: ٤٩ - ٥٠] فيروا حالهم، بل يموتون حيث تبغتْهم **(والصلاة علىٰ)** سيدنا **(محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه)** يوم القيامة **(النبيُّون)** إذ هو ﷺ قائد جيش الأنبياء والمرسلين، وبيده لواء الحمد **(وعلىٰ آله وأصحابه الأئمَّة)** جمع إمام وهو كل مَن يُقتدَىٰ به **(المهديُّون)** جمع مهديٍّ وهو مَن اهتدىٰ إلىٰ طريق الحق بهداية الله تعالىٰ. واكتفىٰ به عن «الهادين»؛ إذ كل مهدي في نفسه يُتصور منه أن يكون هاديًا لغيره، وأما الهادي فقد يهدي غيرَه ولا يهتدي بنفسه **(والسادة المرضيُّون)** أي المقبولون عند الله، وقد ثبت رضا الله عنهم بنص القرآن **(صلاةً يوازي)** أي يقابل **(عددُها عددَ ما كان من خلق الله)** فيما مضىٰ **(وما سيكون)** في الحال والآتي، ولا يحيط بعدد ذلك إلا مَن خلقهم **(ويحظىٰ ببركتها الأوَّلون)** من الأمم الماضية **(والآخِرون)** اللاحقون بهم. والحظوة بالضم والكسر: رفعة المنزلة **(وسلَّم تسليمًا كثيرًا.**

أما بعد، فإن الغضب شعلة نار) الإضافة بيانية، أي شعلة من نار **(اقتُبست من**

---

(١) كذا في التوقيف، وفي التعريفات (من حيث إنه مر) وهو الصواب.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٤/ ٢٦٨.

نار الله الموقَدة) التي[1] أوقدها الله، وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره **(التي تطَّلِع)** أي تعلو **(علىٰ الأفئدة)** أي علىٰ أوساط القلوب وتشتمل عليها، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألُّمًا، أو لأنه منشأ الأعمال القبيحة **(وإنها لَمستكنة)** أي لَمخفيةٌ **(في طي الفؤاد)** أي داخل القلب **(استكنان الجمر)** أي خفاءه **(تحت الرماد)** وهو اسم لِما خمدَ من النار **(ويستخرجها الكبر)** المحيط بالكبد **(الدفين في قلب كل جبَّار عنيد)** أي ظالم معاند، فالقوة تُظهِرها، والعجز يخفيها **(كما يُستخرَج الحجر النار من الحديد)** وأصل الكلام: كما يُستخرج الحديد النار من الحجر، والمراد به حجر القداح، فإذا ضُرب الحديد عليه خرجت النار **(وقد انكشف للناظرين بنور اليقين)** حقائق الأشياء علىٰ ما هي عليها، ومن ذلك **(أن الإنسان ينزع منه عِرق إلىٰ الشيطان اللعين)** يقال: نزعه عِرقٌ منه: إذا جذبه إليه وأشبهَه، ومنه الخبر: «العِرْق نَزَّاعٌ». وفي لفظ: دَسَّاس **(فمَن استفزَّته نارُ الغضب)** أي استخفَّتْه **(فقد قويتْ فيه قرابةُ الشيطان، حيث قال:** ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾**)** [الأعراف: ١٢، ص: ٧٦] وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥] فمن هنا ظهرت القرابة **(فإنَّ شأن الطينِ السكونُ والوقار)** واللصوق إلىٰ الأرض، وإذا رُمي به إلىٰ العلوِّ فلا بد له من نزول إلىٰ تحت **(وشأن النار التلظِّي)** أي التلهُّب **(والاستعار والحركة والاضطراب)** وإذا خُلِّيت بنفسها طلبت العلوَّ، وهذه الأوصاف تضادُّ أوصاف الطين **(ومن نتائج الغضبِ الحِقدُ)** بالكسر، وهو الانطواء علىٰ العداوة والبغضاء **(والحَسَد)** محرَّكة، وهو[2] ظلم ذي النعمة بتمنِّي زوالها وصيرورتها إلىٰ الحاسد **(وبهما هلك مَن هلك وفسد مَن فسد، ومفيضهما مُضغة)** صنوبرية **(إذا صلحت صلح معها سائرُ الجسد)** وإذا فسدت فسد سائرُ الجسد ألا وهي القلب، كما ورد ذلك في الخبر **(فإذا كان الحقد والحسد والغضب ممَّا يسوق العبد)** ويجرُّه **(إلىٰ مَواطن العطب)** أي الهلاك **(فما أحوجه**

(١) السابق ٥/ ٣٣٧.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٣٩ - ١٤٠.

إلىٰ معرفة معاطبه) أي مَهالكه **(ومساويه)** جمع مسوَىٰ، أي مَواطنه **(ليحذر ذلك ويتَّقيه)** أي يتجنَّب عنه **(ويميطه)** أي يزيله **(عن القلب إن كان)** أي وُجد **(وينفيه)** أي يطرده. وفي بعض النسخ: وينقِّيه. من التنقية، أي يخلِّصه **(ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه)** بما يقلعه عنه **(فإنَّ مَن لا يعرف الشر يقع فيه)** وهو من الأمثال المشهورة، وقد نظمه بعضٌ[1] فقال:

عرفتُ الشر لا للشـ ـر لكن لأوقاه

(ومَن عرفه فالمعرفة) وحدها **(لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه)** أي يبعده **(ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب، ويجمعها بيانُ ذم الغضب)** بالأخبار والآثار **(ثم بيان حقيقة الغضب)** ما هي **(ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة)** والتهذيب **(أم لا، ثم بيان الأسباب المهيِّجة)** أي الباعثة المحرِّكة **(للغضب، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه)** وتمكُّنه منه **(ثم بيان فضيلة كظم الغيظ، ثم بيان فضيلة الحِلم)** بالصفح والإمساك **(ثم بيان القدْر الذي به يجوز الانتصار والتشفِّي به من الكلام، ثم القول في معنىٰ الحقد ونتائجه)** أي ما يتولَّد منه من القبائح **(وفضيلة العفو والرفق، ثم القول في ذم الحسد، وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته، وغاية الواجب في إزالته)** ودفعه **(ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكُّده، وقلَّته في غيرهم وضعفه، ثم بيان الدواء الذي به يُنفَىٰ)** أي يُطرَد **(مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)**.

---

(١) هو أبو فراس الحمداني، وتمام البيتين في ديوانه ص ٣٥٢:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

بيان ذم الغضب

(قال الله تعالىٰ) في سورة الفتح: (﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾) أي[١] الأنفة (﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾) التي تمنع إذعان الخلق (﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **الآية**) تمامها: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦] **(ذم الكفارَ)** يعني قريش مكة **(بما تظاهروا به)** في عدم دخوله ﷺ مع المؤمنين مكة **(من الحمية)** أي الأنفة **(الصادرة عن الغضب)** والتهوُّر **(بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة)** أي الثبات والوقار، ففي الصحيح أنه ﷺ لمَّا همَّ بقتالهم بعثوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزَّىٰ ومكرزًا ليسألوه أن يرجع من عامه علىٰ أن تخلي له قريش مكة من قابل ثلاثة أيام، فأجابهم، وكتب لهم كتابًا ... الحديث، وفيه: قال للكاتب: «اكتب ما يريدون». فهمَّ المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم، فأنزل الله السكينة عليهم فتوقَّروا وحلموا.

(وروىٰ أبو هريرة) رضي الله عنه **(أن رجلاً قال: يا رسول الله، مُرْني بعمل وأقلِلْ. قال: لا تغضب. ثم أعاد عليه، فقال: لا تغضب)** رواه[٢] البخاري[٣] من طريق أبي حصين الأسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة، ولم يخرجه مسلم؛ لأن الأعمش رواه عن أبي صالح، واختُلف عليه في إسناده، فقيل: عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة، كقول أبي حصين. وقيل: عنه عن أبي صالح [عن أبي سعيد الخدري، وعند يحيىٰ بن معين أن هذا هو الصحيح. وقيل: عنه عن أبي صالح] عن أبي

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ١٣١.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٣٦١ - ٣٦٤.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١١٢.

هريرة وأبي سعيد. وقيل: عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة أو جابر. وقيل: عنه عن أبي صالح عن رجل من الصحابة لم يُسَمَّ. وأخرجه الترمذي[١] من طريق أبي حصين أيضًا، ولفظه: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمْني شيئًا ولا تُكثِر عليَّ لعلِّي أعيه. قال: «لا تغضب». فردَّد ذلك عليه مرارًا، كل ذلك يقول: «لا تغضب». وفي رواية أخرىٰ لغير الترمذي: قال: قلت: يا رسول الله، دلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة ولا تُكثِر عليَّ. قال: «لا تغضب». ورواه أحمد[٢] كذلك من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد[٣] أيضًا والبغوي[٤] والباوَرْدي وابن قانع[٥] وابن حبان[٦] والطبراني[٧] والحاكم[٨] والضياء من حديث جارية بن قدامة التميمي، هكذا رواه من طريق الأحنف عن عمه جارية بن قدامة أن رجلاً قال: يا رسول الله، قلْ لي قولاً وأقلِلْ عليَّ لعلِّي أعقله. قال: «لا تغضب». فأعاد عليه مِرارًا، كل ذلك يقول: «لا تغضب». وفي رواية لأحمد: أن جارية بن قُدامة قال: سألت النبي ﷺ ... فذكره. فهذا يغلِّب علىٰ الظن أن السائل هو جارية بن قدامة، لكن ذكر الإمام أحمد عن يحيىٰ القَطَّان أنه قال: هكذا قال هشام. يعني أن هشامًا ذكر في الحديث أن جارية سأل النبي ﷺ. قال يحيىٰ: وهم يقولون: لم يدرك النبيَّ ﷺ. وكذا قال العِجلي[٩] وغيره أنه تابعي وليس بصحابي. ورواه الطبراني في الكبير[١٠] من

(١) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٦.
(٢) مسند أحمد ١٤/ ٣٥٧، ١٦/ ٦٨.
(٣) السابق ٢٥/ ٣٣٠، ٣٣/ ٤٦٨ - ٤٦٩.
(٤) معجم الصحابة ١/ ٤٩٣.
(٥) معجم الصحابة ١/ ١٥٧.
(٦) صحيح ابن حبان ١٢/ ٥٠٢، ٥٠٤.
(٧) المعجم الكبير ٢/ ٢٦٢ - ٢٦٤.
(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٨.
(٩) معرفة الثقات ١/ ٢٦٤.
(١٠) المعجم الكبير ٧/ ٧٩.

حديث سفيان بن عبد الله الثقفي. ورواه مسدَّد والمحاملي والضياء[١] من حديث أبي سعيد الخدري. وقيل: إن السائل هو أبو الدرداء، فقد أخرج الطبراني من حديثه قال: قلت: يا رسول الله، دلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة. قال: «لا تغضب ولك الجنة». وسيأتي للمصنف قريبًا. وأخرج أحمد[٢] من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أوصِني. قال: «لا تغضب». قال الرجل: ففكَّرت حين قال النبي ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كلَّه. ورواه مالك في الموطأ[٣] عن الزهري عن حميد مرسلاً. وقوله «لا تغضب» يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسنَ الخُلق، فإن النفس إذا تخلَّقت بالأخلاق الجميلة وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه. والثاني: أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضَىٰ الغضب إذا حصل لك، بل جاهِدْ نفسَك علىٰ ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك ابنَ آدم كان كالآمِر الناهي له، وإذا لم يمتثل ما يأمره به غضبُه وجاهد نفسه اندفع عنه شرُّ الغضب، وربما سكن غضبه وذهب [عاجلاً] فكأنه حينئذٍ لم يغضب.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: (**قلت لرسول الله ﷺ: قلْ لي قولاً وأقلِلْ لعلِّي أعقله. قال: لا تغضب. فأعدتُ**) ذلك (**عليه مرتين، كل ذلك يرجع إليَّ**) ويقول: (**لا تغضب**) قال العراقي[٤]: رواه أبو يعلىٰ[٥] بإسناد حسن.

قلت: ورواه أيضًا ابن أبي الدنيا في ذم الغضب والسياق له. فهذا يدل علىٰ أن السائل في حديث أبي هريرة هو ابن عمر.

---

(١) وكذلك البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٨١.

(٢) مسند أحمد ٣٨/ ٢٣٦.

(٣) الموطأ ٢/ ٩٠٥ - ٩٠٦.

(٤) المغني ٢/ ٨٤١.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ٥١.

(وعن عبد الله بن عمرو) بن العاص ﷺ **(أنه سأل رسول الله ﷺ)** فقال: **(ماذا يبعدني)** وفي لفظ: يباعدني **(من غضب الله؟ قال: لا تغضب)** هكذا في النسخ، وفي بعضها: أنه سأل رجلٌ رسول الله. فباللفظ الأول أخرجه أحمد في المسند[١]، فعلىٰ هذا السائلُ هو عبد الله بن عمرو. وباللفظ الثاني أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق[٢] وابن عبد البر في التمهيد[٣] بإسناد حسن. قاله العراقي[٤]. قلت: وبمثل سياق أحمد أخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا وابن حبان[٥].

(وقال ابن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ: ما تعدُّون الصُّرَعة)** كهُمَزة **(فيكم؟ قلنا: الذي لا تصرعه الرجالُ)** أي لا تغلبه في الصراع، بل يصرعهم **(قال: ليس ذلك)** بالصُّرعة **(ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب)** هو الصرعة. رواه مسلم[٦] بلفظ: ولكنه. وقد أوردتُه مسندًا في مقدمة كتاب العلم.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ: ليس الشديد)** أي القوي **(بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسَه عند الغضب)** رواه البخاري[٧] ومسلم[٨]. ورواه[٩] العسكري في الأمثال بلفظ: «ليس الشديد الذي يغلب الناسَ، ولكن الشديد الذي يغلب نفسه عند الغضب».

(وقال ابن عمر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ: مَن كفَّ غضبه ستر الله عورته)** رواه

---

(١) مسند أحمد ١١/ ٢١١.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٢٥.

(٣) التمهيد ٧/ ٢٥١.

(٤) المغني ٢/ ٨٤١.

(٥) صحيح ابن حبان ١/ ٥٣١ - ٥٣٢.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٨ - ١٢٠٩.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ١١٢.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٩.

(٩) كنز العمال ٣/ ٥٢٢.

ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت، وقد تقدم في آفات اللسان. ورواه أيضًا بلفظ: «مَن كفَّ لسانَه ستر الله عورته، ومَن ملك غضبَه وقاه الله عذابه ...» الحديث.

(**وقال سليمان بن داود عليهما السلام: يا بني، إياك وكثرة الغضب، فإنَّ كثرة الغضب تستخفُّ فؤادَ الرجل الحليم**)[1] رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وعن عكرمة**) مولىٰ ابن عباس (**في قوله تعالىٰ**: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] **قال: السيد: الذي لا يغلبه الغضبُ**)[2] رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال أبو الدرداء**) ﵁: (**قلت: يا رسول الله، دلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة؟ قال: لا تغضب**) قال العراقي[3]: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط[4] بإسناد حسن.

قلت: ولكن بزيادة: «ولك الجنة». وقال المنذري[5]: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله ثقات.

(**وقال يحيىٰ لعيسىٰ عليهما السلام: لا تغضب. قال: لا أستطيع أن لا أغضب، إنما أنا بشر. قال: لا تقتنِ مالاً. قال: هذا عسىٰ**)[6] أن أستطيع عليه. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٧٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٤. وعند البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٤٩ وقوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٣١٦ (الضحك) بدل (الغضب).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٥/ ٣٧٦، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٨٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٤/ ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) المغني ٢/ ٨٤٢.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٢٥.

(٥) الترغيب والترهيب ص ١٠٢١، وفيه: «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح».

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١٧، ٣٥٩، وأحمد في الزهد ص ٥١، وهناد في الزهد ١/ ٣١٠.

(**وقال ﷺ: الغضب يفسد الإيمانَ كما يفسد الصَّبِرُ**) بفتح الصاد وكسر الموحدة: دواء معروف (**العسلَ**) قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الكبير[٢] والبيهقي في الشعب[٣] من رواية بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف.

قلت: لفظ البيهقي: «يا معاوية، إياك والغضب، فإن الغضب ...» الخ. وهكذا رواه ابن عساكر في التاريخ[٤]. ورواه الحكيم الترمذي[٥] بلفظ: «لا تغضبْ يا معاوية بن حيدة، فإن الغضب ...». الخ.

(**وقال ﷺ: ما غضب أحدٌ إلا أشفَىٰ علىٰ جهنم**) قال العراقي[٦]: رواه البزار وابن عدي من حديث ابن عباس: «للنار بابٌ لا يدخله إلا مَن شفىٰ غيظَه بمعصية الله». وإسناده ضعيف، وتقدم في آفات اللسان.

(**وقال له**) ﷺ (**رجلٌ: أيُّ شيء أشد؟ قال: غضبُ الله. قال: فما يبعدني من غضب الله؟ قال: لا تغضب**) قال العراقي[٧]: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه، وقد تقدَّم قبله بستة أحاديث.

(الآثـار:

قال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**يا ابن آدم، كلما غضبتَ وثبت، يوشك أن تَثِبَ وثبة فتقع في النار**)[٨] رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٢.

(٢) المعجم الكبير ١٩/ ٤١٧، وفيه (الأمر) بدل (الإيمان)، و(الخل) بدل (الصبر).

(٣) شعب الإيمان ١٠/ ٥٣٢.

(٤) تاريخ دمشق ٢٣/ ٨٠، ٥٢/ ٢٧.

(٥) نوادر الأصول ص ٣٠.

(٦) المغني ٢/ ٨٤٢.

(٧) السابق ٢/ ٨٤٢.

(٨) رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٨.

(وعن ذي القرنين) المذكور في القرآن، اسمه الإسكندر، وليس هو الذي كان وزيره أرسطاطاليس وأرَّخ التواريخَ، وقد غلط في ذلك جماعةٌ؛ نبَّه عليه ابن تيمية في كتاب الفرقان[1] **(أنه لقي ملكًا من الملائكة، فقال: علِّمْني علمًا أزداد به إيمانًا ويقينًا. قال: لا تغضب، فإن الشيطان أقدرُ ما يكون علىٰ ابن آدم حين يغضب، فرُدَّ الغضبَ بالكظم)** أي بالإمساك عنه **(وسَكِّنْه بالتؤدة)** أي السكون والرفق **(وإياك والعجلة، فإنك إذا عَجِلت أخطأت حظَّك، وكنْ سهلاً ليِّنًا للقريب والبعيد، ولا تكن جبَّارًا عنيدًا)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[2].

(وعن وهب بن منبه) رحمه الله تعالىٰ **(أن راهبًا كان في صومعته)** يتعبَّد فيها **(فأراد الشيطان أن يضلَّه فلم يستطع، فجاءه حتىٰ ناداه فقال له: افتح لي. فلم يجبْه، فقال: افتح، فإني إن ذهبتُ)** عنك **(ندمتَ)** علىٰ عدم فتحِك **(فلم يلتفت)** الراهب **(إليه، فقال: إني أنا المسيح)** أي عيسىٰ عليه السلام **(قال الراهب: وإن كنتَ المسيح ما أصنع بك؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة؟ فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك. قال: فقال: إني الشيطان، وقد أردت أن أضلَّك فلم أستطع، فجئتك لتسألني عمَّا شئتَ فأُخبِرك. قال: ما أريد أن أسألك عن شيء. قال: فولَّىٰ مدبرًا، فقال الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلىٰ. قال: فأخبِرْني أيُّ أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحِدَّة، إن الرجل إذا كان حديدًا قلَّبناه كما يقلِّب الصبيان الكرة)** قال أبو نعيم في الحلية[3]: حدثنا أبو بكر الآجُرِّي، حدثنا عبد الله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثني محمد بن الحسين، حدثنا بشر بن أبان، حدثني الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشي، عن وهب بن منبه أن راهبًا تخلَّىٰ في صومعته في زمن المسيح عليه السلام، فأراد إبليس أن يكايده [فلم يقدر، ثم أتاه بكل زائدة] فلم

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) ورواه أيضا في الزهد ص ١١٧. وكذلك الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ١٩٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٥٢.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٤٤ - ٤٥، ٥٢ - ٥٣.

يقدر عليه، فأتاه متشبِّهًا بالمسيح فناداه: أيها الراهب، أشرِفْ عليَّ أكلِّمك. فقال: انطلِقْ لشأنك فلست رادًّا ما مضىٰ من عمري. فقال: أشرِفْ عليَّ فأنا المسيح. قال: فإن كنت المسيح فما لي إليك من حاجة، أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامةَ؟ انطلِقْ لشأنك، فلا حاجة لي فيك. قال: فانطلقَ اللعين عنه وتركه.

وحدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سهل، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن إبليس أتىٰ راهبًا في صومعته، فاستفتح عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا المسيح. فقال الراهب: واللهِ لئن كنتَ إبليس لا أخلو بك، ولئن كنت المسيح فما عسيت أن أصنع بك اليوم؟ لقد بلَّغتَنا رسالة ربك وقَبِلنا عنك، وشرعت لنا الدين ونحن عليه، فاذهب فلستُ بفاتح لك. قال له: صدقتَ، أنا إبليس، ولا أريد ضلالتك بعد اليوم أبدًا، فسَلْني عمَّا بدا لك أُخبِرُك به. قال: وأنت صادق؟ قال: لا تسألني عن شيء إلا صدَقتُك به. قال: فأخبِرْني أيُّ أخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلوهم بها؟ قال: ثلاثة أشياء: الشُّح والحدَّة والسكْر.

وأخرج أيضًا من طريق أخرىٰ قصة تشبهها، وهي من طريق بكَّار بن عبد الله، سمعت وهبًا يقول: كان رجل عابد [من السيَّاح] أراده الشيطان من قِبَل الشهوة والرغبة والغضب فلم يستطع له شيئًا ... فساق القصة، وفي آخرها: قال له الشيطان: أفلا تسألني عمَّا أُضِلُّ به بني آدم؟ قال: بلىٰ، فأخبِرْني ما أوثق ما في نفسك أن تضلَّهم به. فقال: ثلاثة أخلاق مَن لم يستطع بشيء منها غلبناه بالشُّح والحدَّة والسكْر، فإن الرجل إذا كان شحيحًا قلَّلنا مالَه في عينه ورغَّبناه في أموال الناس، وإذا كان حديدًا تداورناه بيننا كما يتداور الصبيان الكرة، ولو كان يحيي الموتىٰ بدعوته لم نيأس منه، فإن ما يبني يهدمه لنا بكلمة، وإذا سكرَ اقتدناه إلىٰ كل سوء[1] كما يقتاد مَن أخذ العنز بأذنها حيث شاء.

---

(١) في الحلية: إلىٰ كل شهوة.

(**وقال خيثمة**) بن[١] عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعْفي الكوفي، تابعي، ثقة، يرسل، مات بعد الثمانين[٢]، روىٰ له الجماعة (**الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئتُه حتىٰ أكون في قلبه، وإذا غضب طِرتُ حتىٰ أكون في رأسه**)[٣] رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال**) أبو عبد الله (**جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين: (**الغضب مفتاح كل شر**) رواه ابن أبي الدنيا. وفي قول بعضهم: جُمَّاع كل شر. أي إن الشرور كلها تنشأ منه، وهو يفتح أبوابها.

(**وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدَّة، وقائده الغضب، ومَن رضي بالجهل استغنىٰ عن الحلم، والحلم زين ومنفعة، والجهل شَيْن ومَضرَّة، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه**) رواه ابن أبي الدنيا. وقد رُوي بعض ذلك من كلام الشافعي رحمه الله تعالىٰ.

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالىٰ: (**قال إبليس: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث**) حالات، الأولىٰ: (**إذا سكرَ أحدُهم أخذنا بخُزامته**) بالضم[٤]: اسم الحبل الذي تُخزَم به الدابة (**فقُدْناه**) أي سُقْناه (**حيث شئنا وعملَ لنا بما أحببنا، و**) الثانية: (**إذا غضب قال بما لا يعلم وعملَ بما يندم**) عليه بعدُ (و) الثالثة: (**نبخِّله بما في يده**) من الأموال (**ونمنِّيه بما لا يقدر عليه**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم

---

(١) تقريب التهذيب ص ٣٠٤.

(٢) في التقريب: مات دون المائة بعد سنة ثمانين.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٩٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٦٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٥٣٢، وهناد في الزهد ٢/ ٦٠٩.

(٤) هكذا ضبطه الشارح هنا بالضم، وضبطه في تاج العروس ٣٢/ ٧٨ بالكسر، قال «خزم البعيرَ يخزمه خزما: جعل في جانب منخره الخِزامة - ككِتابة - للبُرة، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه يُشد بها الزمام، كما في الصحاح، وقال الليث: إن كانت من صُفر فهي برة، وإن كانت من شعر فهي خِزامة».

الغضب(١).

(وقيل لحكيم: ما أملك فلانًا لنفسه! قال: إذًا لا تذلُّه الشهوةُ، ولا يصرعه الهوىٰ، ولا يغلبه الغضب) رواه ابن أبي الدنيا. أي فهذه خواصُّ مَن ملك نفسَه.

(وقال بعضهم: إياك والغضب، فإنه يصيِّرك إلىٰ ذلة الاعتذار)(٢) رواه ابن أبي الدنيا. وذلك لأن الاعتذار لا يخلو من الكذب، فهو ذلٌّ، ففي الخبر: «إياك وما يُعتذَر منه». وعن ابن عون قال: اعتذر رجلٌ عند إبراهيم النخعي، فقال: قد عذرناك غير معتذر، إن الاعتذار يخالطه الكذب. وقال مطرِّف: المُعاذِر مُفاجِر(٣).

(وقيل: اتَّقوا الغضب، فإنه يفسد الإيمانَ كما يفسد الصبِرُ العسلَ) وهذا قد رُوي من حديث معاوية بن حَيْدة القُشَيري بلفظ: لا تغضب فإن الغضب ... الخ، كما تقدَّم قريبًا.

(وقال عبد الله بن مسعود) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (انظروا إلىٰ حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمُك بحلمه إذا لم يغضب؟ وما علمك بأمانته إذا لم يطمع)(٤) رواه ابن أبي الدنيا.

(وكتب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (إلىٰ عامله: أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبتَ علىٰ رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبُك فأخرِجْه فعاقِبْه علىٰ قدْر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطًا) قال أبو نعيم في الحلية(٥): حدثنا سليمان بن

(١) ورواه أيضا في ذم المسكر ص ٥٣ - ٥٤ (ط - دار البشائر بدمشق)، ومن طريقه رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤١٦.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٢٨٩ عن ابن عائشة قال: قال بزرجمهر الحكيم لبعض ملوك الفرس: إياك وعزة الغضب، فإنها مصيرتك إلىٰ ذل الاعتذار. وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار ٢/ ٢٢٠ من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) رواهما ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٨.

(٤) رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ١٨٢، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣/ ١٧٨.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٤.

أحمد، حدثنا ابن مسعود المقدسي، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا الأوزاعي. ح. وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن أبي داود، حدثنا علي بن خشرم، حدثنا عيسىٰ بن يونس، عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض عمَّاله: لا تعاقب رجلاً لمكان جلسائك ولا لغضبٍ عليه، ولا تؤدِّب أحدًا من أهل بيتك إلا علىٰ قدْر ذنبه وإن لم يبلغ إلا سوطًا واحدًا.

(**وقال علي بن زيد**) بن[1] عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جُدْعان التيمي القرشي البصري، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جُدعان، يُنسَب أبوه إلىٰ جد جده، ضعيف، مات سنة إحدىٰ وثلاثين [ومائة] (**أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القولَ، فأطرق عمر زمانًا طويلاً ثم قال: أردتَ أن يستفزَّني الشيطان بعز سلطاني فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا**)[2] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال بعضهم لابنه**) وهو يعظه: (**يا بنيَّ، لا يثبُت العقل عند الغضب كما لا تثبُت روحُ الحي في التنانير المسجورة**) أي الموقودة بالحطب (**فأقلُّ الناس غضبًا أعقلُهم**) أي أكثرُهم عقلاً (**فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرًا، وإن كان للآخرة كان علمًا وحلمًا**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقد قيل: الغضب عدو العقل، والغضب غول العقل**) رواه ابن أبي الدنيا.

(**وكان عمر** رَضِوَاللَّهُعَنْهُ **إذا خطب قال في خطبته: أفلحَ منكم مَن حُفظ من الهوىٰ والطمع والغضب**) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[3] عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش قال: قال عمر بن الخطاب: لا خير فيما دون الصدق من الحديث، من يكذب يفجُر، ومن يفجر يَهلِك، قد أفلحَ مَن حُفظ من ثلاث: الهوىٰ

---

(١) تقريب التهذيب ص ٦٩٦.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٣٨٧، ٨/ ٣٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٥٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٤٤.

والطمع والغضب.

(وقال بعضهم: مَن أطاع غضبه وشهوتَه قاداه إلىٰ النار) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (من علامات المسلم) أي الكامل في إسلامه (قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكَيْس في رفق، وإعطاء في حق، وقصدٌ) أي اقتصاد (في غنىٰ، وتجمُّل في فاقة) أي حالة فقر (وإحسان في قدرة) أي عند القدرة (وتحمُّل في رفاقة، وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب، ولا تجمح به الحميَّة) أي الأَنَفة (ولا تغلبه شهوة، ولا يفضحه بطنه، ولا يستخفُّه حرصه، ولا تقصُر به نيَّتُه، ينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل) بما عنده (ولا يبذِّر) في ماله (ولا يسرف، ولا يقتر، يغفر إذا ظُلم، ويعفو عن الجاهل) إذا جهلَ عليه (نفسه منه في عناء) أي تعبٍ (والناس منه في رخاء) أي سعة. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[1].

(وقيل لعبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالىٰ: (أجمِلْ لنا حُسْنَ الخُلق في كلمة. فقال: تركُ الغضب) رواه ابن أبي الدنيا. وهكذا فسَّر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حسن الخُلق بترك الغضب. وقد رُوي ذلك مرفوعًا، أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة[2] من حديث أبي العلاء ابن الشِّخِّير أن رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ من قِبَل وجهه فقال: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق». ثم أتاه عن يمينه فقال: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه عن شِماله فقال: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق». ثم أتاه من بعده - يعني من خلفه - فقال: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «ما لك لا تفقه؟! حسن الخلق هو أن لا

(١) ورواه أيضا في إصلاح المال ص ١٠٠، وفي اليقين ص ٣٤.

(٢) تعظيم قدر الصلاة ص ٨٦٤ - ٨٦٥.

تغضب إن استطعتَ». وهذا مرسَل.

(**وقال نبي من الأنبياء**) من بني إسرائيل (**لمَن معه: مَن يتكفَّل لي أن لا يغضب ويكون معي في درجتي، ويكون بعدي خليفتي. فقال شاب من القوم: أنا. ثم أعاد عليه، فقال الشاب: أنا أوفي به. فلما مات كان في منزلته بعده، وهو ذو الكِفْل، سُمِّي به لأنه تكفَّل بالغضب ووفىٰ به**) رواه[١] ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وعبد بن حميد وابن جرير[٢] وابن المنذر وابن أبي حاتم، كلهم من طريق عبد الله بن الحارث، لكن هذا السياق لابن أبي الدنيا.

وأخرج ابن جرير[٣] وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لمَّا كبر اليسَع قال: لو أني استخلفت رجلاً علىٰ الناس يعمل عليهم في حياتي حتىٰ أنظر كيف يعمل. فجمع الناس فقال: من يتقبَّل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ فقام منهم رجل شاب [تزدريه العين فقال: أنا. فقال: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب]؟ قال: نعم. قال: فردَّهم من ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخَر، فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا. فاستخلفه. قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان. فأعياهم ذلك، فقال: دعوني وإياه. ثم أتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة - وكان لا ينام الليل ولا النهار إلا تلك النومة فدقَّ البابَ، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقصُّ عليه ويطوِّل في قصته حتىٰ حضر وقت الرَّواح وذهبت القائلة، وقال: إذا رُحْتُ فائتني آخُذ لك بحقك. فانطلق وراح، وكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرىٰ الشيخَ، فلم يره، فقام يبتغيه، فلما كان الغد ورجع إلىٰ القائلة وأخذ مضجعه أتاه، فدقَّ البابَ، فقال مثل ما قال في الأولىٰ، واعتذر له عن المجيء،

---

(١) الدر المنثور ١٠/ ٣٥١ - ٣٥٧.

(٢) جامع البيان ١٦/ ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٣) السابق ١٦/ ٣٦٩ - ٣٧٠.

وفعل ذلك ثلاث مرات، ثم إنه رأىٰ كوَّة في البيت فتسوَّرَ منها فإذا هو في البيت، فإذا هو يدق الباب من داخل، فاستيقظ الرجل، فقام إلىٰ الباب فإذا هو مغلَق، وإذا الرجل معه في البيت، فقال له: من أين أتيتَ؟ فأخبره، فعرف أنه عدو الله، وقال له: أعييتني في كل شيء، ففعلتُ ما ترىٰ لأُغضِبك. فسمَّاه الله ذا الكفل؛ لأنه تكفَّل بأمر فوفَّىٰ به.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قاضٍ في بني إسرائيل، فحضره الموت، فقال: من يقوم مقامي علىٰ أن لا يغضب؟ فقال رجل: أنا. فسُمِّي ذا الكفل، فكان ليله جميعًا يصلي ثم يصبح صائمًا فيقضي بين الناس، وله ساعة يقيلها، فكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته، فقال له أصحابه: ما لك؟ قال: إنسان مسكين له علىٰ رجل حق، وقد غلبني عليه. فقالوا: كما أنت حتىٰ يستيقظ. وهو فوق نائم، فجعل يصيح عمدًا حتىٰ يغضبه، فسمع فقال له: ما لك؟ فذكر له ما قال، قال: اذهب فقلْ له يعطيك. قال: قد أبَىٰ. قال: اذهب أنت إليه. فذهب، ثم أتاه من الغد، فقال: ما لك؟ قال: مضيت إليه فلم يرفع بكلامك رأسًا. قال: اذهب أنت إليه. فذهب، ثم جاء من الغد حين قال، فقال له أصحابه: اخرج، أنت لا تدعه ينام. فجعل يصيح ويقول: من أجل أني مسكين، لو كنتُ غنيًّا تسمع. فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فضربني. قال: امشِ حتىٰ أجيء معك. فهو ممسك بيده، فلما رآه ذهب معه نثر يده منه فذهب ففرَّ.

وأخرج أبو سعيد النَّقَّاش في كتاب «القُضاة» عن ابن عباس قال: كان نبيٌّ لله جمع أمَّته فقال: أيُّكم يتكفَّل لي بالقضاء بين أمَّتي علىٰ أن لا يغضب؟ فقام فتىٰ فقال: أنا يا رسول الله ... فساق الحديث، وفيه: فأتاه الشيطان نصفَ النهار وهو نائم، فناداه حتىٰ أيقظه فاستعداه. وفيه: فبعث معه الرسول مرتين أو ثلاثًا، ثم أخذ الرجل بيده ومشىٰ معه ساعة، فلما رأىٰ الشيطان ذلك نزع يده من يده، ثم فرَّ، فسُمِّي ذا الكفل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن حُجَيرة الأكبر أنه بلغه أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل حضرته الوفاة ... فساق القصة، وفيها: فأتاه الشيطان في صورة رجل وقد تحيَّنَ مقيلَه فيمنعه من النوم بالنهار حتىٰ ينام بالليل، ففعل ذلك ثلاثًا ويقول: قد صنعتُ ما صنعت لعله يغضب. فقال له ذو الكفل: انطلِقْ فأنا أذهب معك. فانطلق فطاف به، ثم قال له: أتدري من أنا؟ [قال: لا. قال]: أنا الشيطان، تكفَّلتَ لصاحبك بأمر، فأردتُ أن تَدَع بعضَه، وإن الله قد عصمك.

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالىٰ: (**للكفر أربعة أركان: الغضب والشهوة والخُرق والطمع**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا حسين المروزي، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا صالح المُرِّي، عن أبان، عن وهب قال: قرأت في الحكمة: للكفر أربعة أركان: ركن منه الغضب، وركن منه الشهوة، وركن منه الطمع، وركن منه الخُرق.

(١) حلية الأولياء ٤/ ٧٠.

بيان حقيقة الغضب

اعلمْ) هداك الله (**أن الله تعالىٰ لمَّا خلق الحيوان معرَّضًا للفساد والمُوتان**) بالضم: هو الهلاك الذريع (**بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه من الفساد**) أي يحفظه عنه (**ويدفع عنه الهلاكَ إلىٰ أجل معلوم**) مقدَّر محتوم (**سمَّاه في كتابه**) وهو اللوح المحفوظ (**أما السبب الداخل فهو أنه ركَّبه من الرطوبة والحرارة**) وجعلهما حافظينِ لكمالات البدن، وكلٌّ منهما يوصَف بالغريزية، والحرارة الغريزية هي الساريةِ في سائر البدن التي بها النضج والطبخ وسائر الأفعال، وفي المعدة جزء منها به الهضم المَعِدي ونفض الفضول، وفي الكبد جزء منها، وكذا في العروق، وفي القلب معظمها؛ إذ هو معدنها ومستوقدها، ومادَّتها الدم الوارد من الكبد علىٰ البطن الأيمن من القلب فيتغير فيه إلىٰ البخارية، ثم يستحيل إلىٰ طبيعة الروح في البطن الأيسر منه، ويحصل له مزاجٌ يستعدُّ لقبول التولُّد، وكذا في سائر الأعضاء، ولأجل أنها آلة الطبيعة في أفعالها كالجذب والهضم وغير ذلك يُنسَب إليها كدخدائية البدن، ويقال: حرارة غريزية، وأفلاطون يسمِّيها: النار الإلهية، ولا يقال: برودة غريزية، ولأن مركَّبها الرطوبة دون اليبوسة يقال: رطوبة غريزية، ولا يقال: يبوسة غريزية. ثم اختلفوا فيها، فقال جالينوس: إنها الحرارة الاستقهية النارية التي في البدن، وأما الجزء الناري إذا خالط سائرَ الاستقصات أفادها طبخًا وقوامًا والتئامًا، ولم يبلغ في الكثرة إلىٰ حد الإحراق، ولا في القلة إلىٰ القصور عن الإنضاج، وأنها كما تدفع الباردَ الوارد علىٰ البدن المركَّب بالمضادَّة تدفع أيضًا الحارَّ الغريب الوارد المركَّب. وقال أرسطو وجمهور المتأخرين: إنها حرارة سماوية أُفيضت علىٰ البدن مع فيضان النفس. ولكلٍّ منهما أدلَّة ذُكرت في مواضعها من كتب الفن (**وجعل بين الحرارة والرطوبة**

عداوة ومضادَّة، فلا تزال الحرارة تحلِّل الرطوبة وتجفِّفها وتبخِّرها حتىٰ تصير أجزاؤها بخارًا يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مددٌ من الغذاء) الموافق (يجبُر ما انحلَّ وتبخَّر من أجزائها لفسد الحيوانُ، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان، وخلق في الحيوان شهوة تبعثه) أي تحمله (علىٰ تناول الغذاء) ولولا تلك الشهوة لَما أقدمَ علىٰ تناول الغذاء، فهذه فائدة الشهوة، فهي (كالموكَّل به في جبر ما انكسر وسدِّ ما انثلم؛ ليكون ذلك حافظًا له من الهلاك بهذا السبب) ثم إن الرطوبة الغريزية إذا وصل إليها مددُ الغذاء تصير وافية لحفظ الحرارة الغريزية، فتارةً مع حفظها بالزيادة في النمو كما في سن الحداثة، وتارة تكون وافية لحفظها فقط كما في سن الشباب، وتارة تكون ناقصة من حفظها نقصانًا لا يُعتدُّ به غير محسوس كما في سن الكهولة، وتارةً نقصانًا ظاهرًا وهو إلىٰ آخر العمر.

(وأما الأسباب الخارجة التي يتعرَّض لها الإنسان فكالسيف والسِّنان وسائر المهلكات التي يُقصَد بها، فافتقر إلىٰ قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب من النار) كما وردت به الأخبار، وسيأتي ذِكرُ بعضها (وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته، فمهما قُصد في غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت) أي ارتفعت (نار الغضب، وثارت فيه ثورانًا يغلي به دمُ القلب) كما يغلي الماء في القِدر علىٰ النار (وينتشر) ذلك الدم (في العروق) الأوردة منها والشرايين (ويرتفع إلىٰ أعالي البدن) من العروق (كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القِدر، فلذلك ينصبُّ في الوجه فيحمرُّ الوجه والعين والبشرة، لصفائها تحكي لونَ ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لونَ ما فيها) ففي حديث أبي سعيد رفعه: «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلىٰ حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه». وفي مرسَل الحسن: «الغضب جمرة في قلب الإنسان تتوقَّد، ألا ترىٰ إلىٰ حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه»؟ (وإنما ينبسط الدم إذا غضب علىٰ مَن دونه واستشعر القدرةَ عليه، فإن صدر الغضب علىٰ مَن فوقه) في الرتبة (وكان معه يأس من الانتقام) منه (تولَّد منه انقباضُ الدم من ظاهر الجلد إلىٰ

جوف القلب وصار خوفًا، ولذلك يصفرُّ اللون) وينخطف (وإن كان الغضب علىٰ نظير يشك فيه تولَّد منه تردُّدُ الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب) فاحمراره واصفراره من ترجيح أحد الطرفين علىٰ الآخر تارةً وتارةً، واضطرابه للتردُّد.

(وبالجملة، فقوة الغضب محلها القلب، ومعناها: غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتردَّد هذه القوة عند ثورانها إلىٰ دفع المؤذيات) والمهلكات (قبل وقوعها، وإلىٰ التشفِّي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام فوق هذه القوة وشهوتها، وفيه لذَّتها، ولا تسكن إلا به. ثم إن الناس في هذه القوة علىٰ درجات ثلاث في أول الفطرة) التي فُطروا عليها (من التفريط والإفراط والاعتدال. أما التفريط فبفقد هذه القوة) من أصلها (أو ضعفها، وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه: إنه لا حمية له) وإليه الإشارة بقوله:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدَّرا(١)

(ولذلك قال الشافعي) رضي الله عنه: (مَن استُغضِب فلم يغضب فهو حمار) أي بليد الطبع جافل. أخرجه البيهقي وغيره بأسانيدهم، وسيأتي قريبًا (فمَن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جدًّا) مناقض لرتبة الكمال (وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية) في الدين والصلابة (فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾) أي أقوياء عليهم، يحمون حِمَىٰ الدين بأنفتهم (﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩] وإنما الغلظة والشدة) في الآيتين (من آثار قوة الحمية وهو الغضب) وكذلك قوله تعالىٰ في وصف الصحابة: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) البيت للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص ٨٥.

(وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفةُ حتىٰ تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقىٰ للمرء معها بصيرة ونظر) في الأمور **(وفكرة)** فيها **(ولا اختيار)** فيها **(بل يصير في صورة المضطر)** والمُلجأ والمُكرَه **(وسبب غلبته أمور غريزية)** من أصل الخِلقة **(وأمور اعتيادية)** قد اعتاد عليها **(فرُب إنسان هو بالفطرة)** الأصلية **(مستعد لسرعة الغضب حتىٰ كأنَّ صورته في الفطرة صورة غضبان، ويعين علىٰ ذلك حرارةُ مزاج القلب)** بأن يكون الحار فيه أكثر، وهذا هو اعتداله. والمِزاج[1]: كيفية متشابهة من تفاعُل عناصر متفقة الأجزاء المماسَّة بحيث تكسر سَوْرة كل واحد منهما سَوْرَةَ الآخَر **(لأن الغضب من النار، كما قال ﷺ)** قال العراقي[2]: رواه الترمذي[3] من حديث أبي سعيد بسند ضعيف: «الغضب جمرة في قلب ابن آدم». ولأبي داود[4] من حديث عطية السعدي: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار». وفيه أبو وائل القاصُّ، واسمه عبد الله بن بحير، قال ابن حبان[5]: يروي العجائب. ووثَّقه ابن معين[6]. انتهىٰ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضًا الإمام أحمد[7]. وحديث عطية السعدي أخرجه أبو داود من طريق عروة بن محمد بن عطية بن عروة بن سعد السعدي عن أبيه عن جده، وكذلك رواه الإمام أحمد[8]. ورواه أبو نعيم في الحلية[9] وابن

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٣٠٤.

(٢) المغني ٢/ ٨٤٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٥٩.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٠.

(٥) المجروحون من المحدثين ١/ ٥١٨، وفيه: «أبو وائل القاص، اسمه عبد الله بن بحير الصنعاني، وليس هذا بعبد الله بن بحير بن ريسان، ذاك ثقة، وهذا واهٍ، وهذا يروي عن عروة بن محمد بن عطية وعبد الرحمن بن يزيد الصنعاني العجائب التي كأنها معمولة، لا يجوز الاحتجاج به».

(٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ١٥، ٩/ ٤٥٢.

(٧) مسند أحمد ١٨/ ١٣٢.

(٨) السابق ٢٩/ ٥٠٥.

(٩) حلية الأولياء ٢/ ١٣٠.

عساكر[١] من طريق أبي إدريس[٢] الخولاني من حديث معاوية بن أبي سفيان: «إن الغضب من الشيطان، والشيطان من النار».

(فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سَوْرته.

وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قومًا) أي يعاشرهم فيراهم **(يتبجَّحون)** أي يفتخرون **(بتشفِّي الغيظ وطاعة الغضب ويسمُّون ذلك شجاعة ورجوليَّة، فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال)** أي المماحلة **(ولا أحمل من أحد)** وفي نسخة: من أحد أمرًا **(ومعناه)** عند التأمُّل: **(لا عقل لي ولا حلم)** فهو لا يدرك هذا المعنى **(ثم)** لا يستحي حتى **(يذكره في معرض الفخر)** والتبجُّح **(بجهله)** وسخافة عقله **(فمَن سمعه)** منهم **(رسخ في نفسه حسنُ الغضب وحبُّ التشبُّه بالقوم، فيقوَىٰ به الغضبُ)** ويعتاد عليه مستحلاً له **(ومهما اشتدَّت نار الغضب وقويَ اضطرامُها)** أي التهابُها **(أعمَتْ صاحبها)** عن رؤية الرشد **(وأصمَّتْه عن)** سماع **(كل موعظة)** حسنة **(فإذا وُعظ لم يسمع، بل زاده ذلك غضبًا)** وحنقًا على الواعظ **(وإن استضاء بنور عقله وراجَعَ نفسَه)** بتأثير الوعظ فيه يومًا ما **(لم يقدر)** على المراجعة **(إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب)** الصاعد من ثوران الدم في القلب **(فإنَّ معدن الفكرِ الدماغُ)** كما تقدَّم بيانه في باب رياضة النفس **(ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخانٌ إلى الدماغ مظلمٌ)** وسبب إظلامه ثقلُ الدم، وما يتصاعد عن الثقيل لا يخلو عن كدرة وظُلمة **(يستولي على معادن الفكر)** ومخازنه فيغطي عليها ويكدِّرها **(وربما يتعدَّى إلى معادن الحس)** المشترك **(فتظلم عينُه حتى لا يرى بعينه)** وإنما ذلك للكدر الذي خالط نورَها **(وتسودُّ عليه الدنيا بأسرها)** أي بتمامها فلا يرى إلا سوادًا مخالطًا بألوان كَدِرة مختلطة **(ويكون دماغه)** ساعتئذٍ **(على مثال كهف)** في جبل **(أُضرِمت فيه نار)**

---

(١) تاريخ دمشق ٥٩/ ١٦٩.

(٢) الصواب: (أبو مسلم) كما سيورده الشارح قريبا على الصواب، وسياقه أتم مما هنا.

وأُجِّجت (فاسودَّ جوُّه) من فوق (وحَمِيَ مستقرُّه) من تحت (وامتلأت بالدخان جوانبه) أي أطرافه (وكان فيه سراج ضعيف) فغلب عليه الدخان (فانمحىٰ) أثرُه (وانطفأ نوره، فلا تثبُت فيه قدمٌ) لسخونة مستقرِّه (ولا يُسمَع فيه كلام) لامتلائه بالدخان فيمنع من السماع (ولا تُرَىٰ فيه صورة) إظلامه (ولا يُقدَر علىٰ إطفائه لا من داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلىٰ أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراقَ) ثم بعد ذلك تأكل النار نفسها إن لم تجد ما تأكله (فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ، وربما تقوَىٰ نارُ الغضب) أي تشتد قوَّتها (فتفني) أي تقاوم (الرطوبة) الغريزية (التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظًا) لأن حياة القلب إنما هي بتعادل كلٍّ من الحرارة والرطوبة، فإذا غلب أحدُهما علىٰ الآخَر كان سبب زوال صفة الحياة عنها فيموت بموت صاحبه (كما تقوَىٰ النارُ في الكهف فينشق وتنهدُّ أعاليه علىٰ أسافله، وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه، فهكذا حال القلب عند الغضب) فانظر كيف يكون (وبالحقيقة فالسفينة) الكائنة (في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح) واختلافها من الجهات (في لجَّة البحر) أي وسطه ومعظمه (أحسن حالاً وأرجَىٰ سلامةً من النفس المضطربة غيظًا) المتغيرة غضبًا (إذ في السفينة من يحتال لتسكينها) وتعديلها (وتدبيرها) بطيِّ شراعها أو تثقيل مَراسيها (وينظر لها ويسوسها) فعسىٰ أن يخفَّ اضطرابُها (وأما القلب فهو صاحب السفينة، وقد سقطت حيلته) وفسد تدبيرُه (إذ أعماه الغضب وأصمَّه، ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغيُّر اللون) إما إلىٰ الاحمرار أو إلىٰ الكدرة أو إلىٰ الصفرة (وشدة الرعدة) والاضطراب والرعشان (في الأطراف) كاليد والرِّجل (وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام) المعهودينِ (واضطراب الحركة والكلام حتىٰ يظهر الزَّبَد علىٰ الأشداق) أي أطراف الفم (وتحمرَّ الأحداق) والوجنات (وتنقلب المناخر، وتستحيل الخِلقة) أي تتغير (ولو رأىٰ الغضبان في حال غضبه) في المرآة (قبح صورته لسكن غضبُه حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظمُ من قبح ظاهره، فإنَّ الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورةُ الباطن

أولاً ثم انتشر قبحها إلىٰ الظاهر ثانيًا، فتغيُّرُ الظاهر ثمرة تغيُّرِ الباطن، فقِس المثمرَ بالثمرة. فهذا أثره في الجسد، أما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم) واللعن **(والفُحش)** والبَذاء **(وقبائح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول)** السليمة **(ويستحي منه قائله عند فتور الغضب)** وسكونه فيتعجَّب من نفسه **(وذلك مع تخبُّط النظم واضطراب اللفظ)** قال مورق العِجلي: ما تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيتُ[1] **(وأما أثره علىٰ الأعضاء)** الظاهرة **(فالضرب)** باليد، والرفس بالرِّجل، والمناصاة بالجبهة، والمدافعة بالرُّكَب **(والتهجُّم)** علىٰ المغضوب عليه **(والتمزيق)** لثوبه **(والقتل والجرح عند التمكُّن)** منه **(من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه)** واختفىٰ عن عينه **(أو فاته بسبب)** من الأسباب **(وعجز عن التشفِّي)** لغيظه منه **(رجع الغضب علىٰ صاحبه، فيمزِّق ثوب نفسه، ويلطم نفسه)** بيديه، وربما بنعليه **(وقد يضرب بيده علىٰ الأرض، ويعدو عَدْوَ الواله السكران والمدهوش المتحيِّر)** الذي لا يعي شيئًا **(وربما سقط صريعًا)** علىٰ الأرض **(لا يطيق العَدْوَ والنهوض لشدة الغضب، ويعتريه مثل الغشية)** والسَّكرة **(وربما يضرب الجمادات والحيوانات، فيضرب القصعة مثلاً علىٰ الأرض)** فيكسرها **(وقد يكسر المائدة)** برجله **(إذا غضب عليها، ويتعاطَىٰ أفعالَ المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول: إلىٰ حرسك)** كذا في النسخ، وفي بعضها: إلىٰ متىٰ منك هذا **(يا كيت وكيت؟ كأنَّه يخاطب عاقلاً، حتىٰ ربما رفسته دابة فيرفس الدابة)** كما رفسته **(ويقابلها بذلك)** وربما قابلها بعصا أو سلاح ليشفي غيظه بذلك **(وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد، والحسد، وإضمار السوء، والشماتة)** أي الفرح **(بالمساءات، والحزن بالسرور، والعزم علىٰ إفشاء السر وهتك الستر، والاستهزاء،**

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤٤٧. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٣٥ بلفظ: «إني لقليل الغضب، ولقلما غضبت فأقول في غضبي شيئا ندمت عليه إذا رضيت». وبلفظ: «تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئا قط إذا غضبت أندم عليه إذا ذهب عني الغضب». وبلفظ: «ما تكلمت بشيء في الغضب ندمت عليه في الرضا».

وغير ذلك من القبائح) والرذائل (فهذه ثمرة الغضب المفرط) المتجاوز عن الحد (وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأَنَفة ممَّا يؤنَف منه من التعرُّض للحرم والزوجة والأمة) وكذا ما سواهنَّ من داخل الحجاب (واحتمال الذل من الأخِسَّاء) واللؤماء (وصِغَر النفس) والهمَّة (والقماءة، وهو أيضًا مذموم؛ إذ من ثمراته عدمُ الغيرة علىٰ الحرم، وهو خنوثة) تضادُّ الرجولية (قال ﷺ: إن سعدًا لَغيورٌ، وأنا أغيَرُ من سعد، والله أغيَرُ مني) رواه[١] مسلم[٢] من حديث أبي هريرة، وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه، وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وإنما خُلقت الغيرة لحفظ الأنساب) عن المخالطة (ولو تسامح الناس بذلك) وغفلوا عنها (لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل: كل أمَّة وُضعت الغيرة في رجالها) فهم يغارون علىٰ حرمهم (وُضعت الصيانة في نسائها) فهن يتعفَّفن، فالصيانة في النساء تابعة لغيرة الرجال، فإذا لم يغاروا رفعت نساؤهم حجاب الحياء (ومن ضعف الغضبِ الخَوَرُ) محرَّكة: ضعفٌ في القلب، ومنه: رمح خَوَّار: إذا كان لينًا سهلاً (والسكوت عند مشاهدة المنكَرات، وقد قال ﷺ: خير أمَّتي أحِدَّاؤها) جمع[٣] حديد، والمعنىٰ: أنشطُها وأسرعها إلىٰ الخير (يعني في الدين) أي إن المراد بالحدة: الصلابة في الدين، وهي تنشأ من عزة الإيمان حميةً للدين؛ لأن الحكم إذا نِيطَ بوصف صار علة فيه، فخيار أمَّة الإيمان مَن تزايدت حدتُه عن تزايُد قوة الإيمان لا عن كبر وهوىٰ.

قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الأوسط[٥] والبيهقي في الشعب[٦] من

(١) المغني للعراقي ٢/ ٨٤٣.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٦٩٩.

(٣) فيض القدير ٣/ ٤٦٢ - ٤٦٣.

(٤) المغني ٢/ ٨٤٣.

(٥) المعجم الأوسط ٦/ ٦٠.

(٦) شعب الإيمان ١٠/ ٥٣٥ - ٥٣٦.

حديث علي بسند ضعيف، وزادا: «الذين إذا غضبوا رجعوا».

قلت: ورواه كذلك الديلمي[١]، وفيه يغنم بن سالم بن قنبر، كذاب، وقال ابن حبان[٢]: يضع الحديث. ولفظهم: «خيار أمَّتي أحِدَّاؤهم». وقد يشتبه علىٰ كثيرين الحدَّة بسوء الخُلق، والفارق المميِّز هو الذي خُتم به الحديث، فالرجوع والصفاء هو الفارق، وصاحب الخُلق السوء يحقد، وصاحب الحدة لا يحقد، والغالب أنه لا يغضب إلا لله.

ومما[٣] يشهد للحديث ما رواه أبو يعلىٰ[٤] والطبراني[٥] عن ابن عباس رفعه: «الحدة تعتري خيار أمَّتي». وهو في مسند الحسن بن سيفان من حديث أبي منصور الفارسي – وله صحبة – قيل له: لو لا حدة فيك. فقال: ما يسرُّني بحدتي كذا وكذا، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الحدة تعتري خيار أمتي». وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة وأبو نعيم في الحلية[٦]، ولكن رواه المستغفري فقال: عن يزيد بن أبي منصور، وكانت له صحبة. بدلاً عن أبي منصور، والأول أكثر.

(**وقال تعالىٰ**: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا﴾) أي بالزاني والزانية في حدِّهما (﴿رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾) [النور: ٢] أي شدة رحمة، وهو دليل لذم التفريط (**بل مَن فقد الغضبَ عجز عن رياضة نفسه**) وتهذيبها (**إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب علىٰ الشهوة، حتىٰ يغضب علىٰ نفسه عند الميل إلىٰ الشهوات الخسيسة، ففقدُ الغضب**) من أصله (**مذموم، وإنما المحمود**) الاقتصاد منه وهو (**غضب ينتظر إشارة العقل**

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٧٤.

(٢) المجروحين من المحدثين ٢/ ٤٩٨، وفيه: «شيخ يضع علىٰ أنس بن مالك الحديث، روىٰ عنه نسخة موضوعة».

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٣٣٧.

(٥) المعجم الكبير ١١/ ١٥١، ١٩٤.

(٦) بل في معرفة الصحابة ٦/ ٣٠٢٨ - ٣٠٢٩.

والدين فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ) ويقل **(حيث يحسُن الحِلمُ، وحفظُه علىٰ حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلَّف الله بها عبادَه)** وقد تقدَّم[1] أن المراد بالاستقامة عندهم: الوفاء بالعهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية خط الاستواء في كل أمر ديني ودنيوي **(وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ، حيث قال: خير الأمور أوساطها)** رواه البيهقي من حديث مطرِّف مرسلاً، ورواه الحافظ أبو بكر الجياني في الأربعين البلدانية من حديث علي بسند ضعيف، وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك **(فمَن مال غضبُه إلىٰ الفتور حتىٰ أحسَّ من نفسه بضعف الغيرة وخسَّة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتىٰ يقوَىٰ غضبُه. ومَن مال غضبُه إلىٰ الإفراط حتىٰ جرَّه إلىٰ التهوُّر واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سَوْرة الغضب ويقف علىٰ الوسط الحق بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم)** المذكور في سورة الفاتحة **(وهو أرقُّ من الشعر وأحَدُّ من السيف)** أي في غاية الرقة ونهاية الشدة، والمجاوِز عليه في خطر عظيم **(فإن عجز عنه فليطلب القرب منه)** فإن القريب من القريب قريبٌ **(قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩] فليس كل مَن عجز عن الإتيان بالخير كلِّه ينبغي أن يأتي بالشر كلِّه، ولكن)** كما قيل: **(بعض الشر أهون من بعض، و)** في معناه: **(بعض الخير أرفعُ من بعض.**

فهذه حقيقة الغضب ودرجاته) وما يتعلق به.

---

(١) في كتاب تهذيب النفس. والضمير في قوله (عندهم) يعود إلىٰ الصوفية.

بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أمْ لا

(اعلمْ) وفَّقك الله (أنه ظن ظانُّون أنه يُتصوَّر محو الغضب بالكلية، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجَّه، وإياه تقصد) فإزالته ممكنة، ولا استحالة فيها (وظن آخَرون أنه أصلاً لا يقبل العلاجَ) ولا ينمحي بالكلية (وهذا رأي من يظن أن الخُلُق) بضمتين (كالخَلْق) بالفتح (وكِلاهما لا يقبل التغييرَ) والتبديل، كما تقدَّم الكلام عليه في كتاب رياضة النفس (وكِلا الرأيين ضعيف) لا يعوَّل عليه (بل الحق فيه ما نذكره، وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئًا ويكره شيئًا فلا يخلو من الغيظ والغضب، وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه، والغضب يتبع ذلك، فإنه مهما أُخِذ منه محبوبه غضبَ لا محالة، و) كذلك (إذا قُصد بمكروه غضب لا محالة، إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: ما هو ضرورة في حق الكافَّة) لا يستغنون عنه بحال (وهو القوت) بقدْر ما يسد جوعَه (والمسكن) بقدر ما يستكنُّ فيه في الشتاء والصيف (والملبس) بقدر ما يستر عورتَه ويصحِّح صلاتَه (وصحة البدن) فهذه الأشياء ضرورة في حق الكافة (فمَن قُصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب) إذ وجب عليه حفظُ بدنه إلىٰ أن يصحَّ (وكذلك إذا أُخِذ منه ثوبه الذي يستر به عورته) ويصحِّح به صلاته (وكذلك إذا أُخرِج من داره التي هي مسكنه) أو أُخِذ من قوته الذي يسد به جوعه (أو أُريقَ ماؤه الذي هو لعطشه. فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها) وسلبها (و) لا يخلو (من غيظ علىٰ مَن يتعرَّض لها.

القسم الثاني: ما ليس ضروريًّا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب) بأنواعها والحرث والعقارات (فإنَّ هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة)

المستمرة (والجهل بمقاصد الأمور، حتىٰ صار الذهب والفضة محبوبينِ في أنفسهما فيُكنزان ويغضب علىٰ من يسرقهما وإن كان مستغنيًا عنهما في القوت) الذي يسد به كَلَب الجوع (فهذا الجنس ممَّا يُتصور أن ينفكَّ الإنسان من أصل الغيظ) المستكنّ في القلب (عليه، فإذا كانت له دار زائدة علىٰ مسكنه) الذي يأوي إليه (فهدمها ظالمٌ) لسبب من الأسباب (فيجوز أن لا يغضب) علىٰ فعله هذا (إذ يجوز أن يكون بصيرًا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة علىٰ الحاجة، فلا يغضب بأخذها) أو هدمها (فإنه لا يحب وجودَها، ولو أحب وجودها لغضب علىٰ الضرورة بأخذها، وأكثرُ غضب الناس علىٰ ما هو غير ضروري كالجاه والصيت) والشهرة (والتصدُّر في المجالس) أي التقدُّم والارتفاع (والمباهاة بالعلم، فمَن غلب هذا الحبُّ عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم علىٰ التصدُّر في المحافل) أي مَجامِع الناس (ومَن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال) أي في الصف المؤخَّر الذي هو موضع خلع النعال (فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه. وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محابَّ الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبَه، وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبةً وأنقص) مقامًا (لأن الحاجة) التي هي اسم من الاحتياج (صفة نقص) في الإنسان (فمهما كثرت) هذه الصفة (كثر النقصُ) لأن النقص من لوازم الحاجة، فإذا كثر الملزومُ تبعه اللازم لا محالة في الوصف (والجاهل أبدًا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته، وهو لا يدري أنه مستكثر) بذلك (من أسباب الغم والحزن، حتىٰ ينتهي بعض الجُهَّال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلىٰ أن يغضب لو قيل له: إنك لا تُحسِن اللعبَ بالطيور) الحمام وغيره (واللعب بالشطرنج) والنرد وما في معناهما (ولا تقدر علىٰ شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير، وما يجري مَجراه من الرذائل) والمستقبَحات (فالغضب علىٰ هذا الجنس ليس بضروري؛ لأن حبه ليس بضروري) بل مستغنىٰ عنه.

(القسم الثالث: ما يكون ضروريًا في حق بعض الناس دون البعض، كالكتاب

مثلاً في حق العالِم، فإنه مضطرٌّ إليه) في مطالعته **(فيحبه)** محبة الدينار والدرهم عند غيره، بل أعظم، ومن هذا قولُ بعضهم:

فمحبوبي من الدنيا كتابي ... وهل أبصرتَ محبوبًا يُعارُ[1]؟

(فيغضب علىٰ من يحرقه أو يمزقه) أو يمحيه أو يوسخ ورقه أو يكب عليه شيئًا من الأدهان **(وكذلك أدوات الصناعات)** وآلاتها **(في حق المكتسِب الذي لا يمكنه التوصُّل إلىٰ القوت إلا بها، فإنَّ ما هو وسيلة إلىٰ الضروري والمحبوب يصير ضروريًّا ومحبوبًا، وهذا يختلف بالأشخاص، وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: مَن أصبح آمنًا في سِرْبه)** بكسر[2] السين المهملة علىٰ الأشهر، أي في نفسه. ورُوي بفتحها، أي في مسلكه. وقيل: بفتحتين، أي في منزله **(معافًىٰ في بدنه)** وفي رواية: في جسده. أي صحيحًا بدنه **(وله)** وفي رواية: وعنده **(قوت يومه)** أي غَداؤه وعشاؤه الذي يحتاج إليه في يومه ذلك **(فكأنما حِيزتْ)** بكسر الحاء **(له الدنيا)** أي ضُمَّت وجُمعت **(بحذافيرها)** أي بأسرها. والمعنىٰ: مَن جمع الله له بين عافية بدنه وأمنِ قلبه حيث توجَّهَ وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي مَن ملكَ الدنيا لم يحصل علىٰ غيرها، فينبغي أن لا يشتغل يومه ذلك إلا بشكره بأن يستغرقها في طاعة المنعم لا في معصيته، ولا يفتُر عن ذِكره. وإليه أشار بعضهم بقوله:

إذا ما القوت يأتي لـ ... ـك والصحة والأمن
وأصبحتَ أخا حزنٍ ... فلا فارقك الحزنُ[3]

---

(١) هو لابن القنفذ، كما في تاريخ الجزائر الثقافي ٥/ ٣٨٨ (ط دار الغرب الإسلامي).

(٢) فيض القدير ٦/ ٦٨.

(٣) البيتان في تاريخ أصبهان لأبي نعيم ٢/ ٣٠٩ والزهد الكبير للبيهقي ص ٩٠ وزهر الآداب للحصري ٣/ ٨٨٤ والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٦/ ١٠٩ منسوبان لمنصور بن إسماعيل التيمي المعروف بمنصور الفقيه. ونسبهما الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء =

قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله «بحذافيرها»، قال الترمذي: حسن غريب.

قلت: ورواه كذلك البخاري في الأدب[٤] والطبراني في الكبير، كلهم من طريق مروان الفَزاري عن عبد الرحمن بن أبي شُمَيلة عن سلمة بن عبيد الله بن مِحصن عن أبيه مرفوعًا به. قال ابن القَطَّان[٥]: ولم يصحِّحه الترمذي؛ لأن عبد الرحمن لا يُعرَف حاله. وفي الميزان[٦]: قال أحمد: سلمة لا أعرفه. وليَّنه العقيليُّ[٧]. ثم ساق له هذا الخبرَ وقال: رُوي من حديث أبي الدرداء أيضًا بإسناد لين.

وعبيد[٨] الله بن مِحصن الأنصاري، قال الترمذي: له صحبة. ووقع عند الباوَرْدي: عبيد بن محصن، غير مضاف، وساق له هذا الحديث. ووقع عند إبراهيم الحربي من هذا الوجه: عبد الرحمن بن محصن.

= ١/ ٥١٨ لأبي العتاهية، وهما في ديوانه ص ٤٢٥. ونسبهما ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٤١٦ للإمام الشافعي، ولم أجدهما في ديوانه.

(١) المغني ٢/ ٨٤٣.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٦٧.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٧.

(٤) الأدب المفرد ص ٩٨.

(٥) بيان الوهم والإيهام ٣/ ٦٠٥.

(٦) ميزان الاعتدال ٢/ ١٩١.

(٧) الضعفاء الكبير ٢/ ٥١٣ - ٥١٤، وفيه: «مجهول في النقل بالنقل، ولا يتابع علىٰ حديثه، ولا يعرف إلا به». ثم أورد هذا الحديث، وأعقبه بكلام الإمام أحمد، والإشارة إلىٰ حديث أبي الدرداء، ثم قال: «ولا أبعد أن يكون عبد الرحمن بن أبي شميلة هذا هو محمد بن سعيد المصلوب؛ لأن مروان الفزاري يغير اسمه علىٰ أنواع كثيرة، فلعل سعيدا هذا هو أبو شميلة وجعله عبد الرحمن، وهو كذلك؛ لأن الألفاظ في هذا الحديث تشبه ألفاظه». وقد رد عليه عبد الغني بن سعيد الأزدي بأن عبد الرحمن غير محمد بن سعيد، كما نقله عنه المزي في تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٦٨.

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٣٥٣.

(ومن كان بصيرًا بحقائق الأمور وسُلِّمَ له هذه الثلاثة يُتصوَّر أن لا يغضب في غيرها.

فهذه ثلاثة أقسام، فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها. أما القسم الأول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظُ القلب) من أصله (ولكن لكي يقدر علىٰ أن لا يطيع الغضبَ) بل يكفَّ نفسَه عنه (فلا يستعمله في الظاهر إلا علىٰ حدٍّ يستحبُّه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة) والرياضة (وتكلُّف الحلم والاحتمال مدةً) من الزمان (حتىٰ يصير الحلم والاحتمال خُلقًا) فيه (راسخًا) بعد أن كان متكلَّفًا (فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضَىٰ الطبع) أي يقتضيه الطبع البشريُّ، لا ينفكُّ عنه (وهو) أي قمعُه (غير ممكن. نعم، يمكن كسرُ سَوْرته) أي شوكته (وتضعيفه) أي توهينه (حتىٰ لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه) وكسر قوته (إلىٰ أن لا يظهر أثره في الوجه) ولا في الأطراف، وهذا ممكن (ولكن ذلك شديد جدًّا) إلا مَن خفَّف الله عليه (وهذا حكم القسم الثالث أيضًا؛ لأن ما صار ضروريًّا في حق الشخص فلا يمنعه من الغيظ استغناءُ غيره عنه، فالرياضة فيه تمنع العملَ به وتُضعِف هيجانه في الباطن حتىٰ لا يشتد التألُّم بالصبر عليه) هذا حال القسم الأول والثالث (وأما القسم الثاني فيمكن التوصُّل بالرياضة إلىٰ الانفكاك من الغضب عليه؛ إذ يمكن إخراج حبه من القلب) بنوع من الاعتبار (وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر، ومستقره الآخرة، وإنما الدنيا) دار مَمرٍّ لا دار مقر، بل هي بمنزلة (معبر يعبر عليها) ولا يعمرها، كما رواه أبو نعيم في الحلية[1] عن عيسىٰ عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمِّروها (ويتزوَّد منها قَدْر الضرورة) الداعية (وما وراء ذلك عليه وبالٌ) أي ثقلٌ (في وطنه ومستقره، فيزهد

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٤٥ بلفظ: «لا خير في دار لا تدرَك الآخرة إلا بتركها، فاعبروها ولا تعمروها».
وفي لفظ آخر ٨/ ١٤٦: «إن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تُنال إلا بتركها، فاعبروها ولا تعمروها».
أما لفظ «الدنيا قنطرة الآخرة» فرواه ١٠/ ٥٣ عن يحيىٰ بن معاذ الرازي.

في الدنيا) ويرغب عنها (**ويهجر حبها من قلبه**) وفي بعض النسخ: «ويمحو» بدل «ويهجر» (**ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب عليه إذا ضربه غيره**) أي لا يتأثَّر في قلبه بشيء من ضربه (**فالغضب تبعٌ للحب، فالرياضة في هذا قد تنتهي إلىٰ قمع أصل الغضب، وهو نادر جدًّا**) قليل الوقوع (**وقد تنتهي إلىٰ المنع من استعمال الغضب و**) من (**العمل بموجِبه**) ومقتضاه (**وهو أهون**) بالنسبة إلىٰ قمع أصله.

(**فإن قلت: الضروري من القسم الأول التألُّم بفوات المحتاج إليه**) أي حصول الألم فيه (**دون الغضب، فمَن له شاة مثلاً وهي قوته**) يشرب من لبنها (**فماتت**) عليه (**لا يغضب علىٰ أحد، وإن كان يحصل منه كراهة**) وتألُّم بمقتضَىٰ الطبع (**وليس من ضرورة كل كراهة غضبٌ، فإن الإنسان يتألَّم بالفصد والحجامة ولا يغضب**) بعد ذلك (**علىٰ الفَصَّاد والحَجَّام، فمَن غلب عليه**) نور (**التوحيد**) المطلق الذاتي والفعلي (**حتىٰ يرىٰ الأشياء كلَّها من الله تعالىٰ وبيده فلا يغضب علىٰ أحد من خلقه؛ إذ يراهم مسخَّرين**) مذلَّلين منقادين (**في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب، ومَن وقَّع ملكٌ**) من الملوك (**بضرب رقبته**) مثلاً (**لم يغضب علىٰ القلم**) وأصل التوقيع: أثر الكتابة في الكتاب، ومنه استُعير التوقيع في القصص[1]. وذلك بأن ترفع رقعة لعملك فيها شكاية حال أو قصة، فيكتب عليها: يكون كذا وكذا، فيسمَّىٰ ذلك توقيعًا (**فلا يغضب علىٰ مَن يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب علىٰ موتها**) حتف أنفها (**إذ يرىٰ الموت والذبح من الله تعالىٰ، فيندفع الغضب بغلبة**) نور (**التوحيد، ويندفع أيضًا بحسن الظن بالله، وهو أن يرىٰ أن الكل من الله، وأن الله لا يقدِّر له إلا ما فيه الخيرة، وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب، كما لا يغضب علىٰ الفَصَّاد أو الحَجَّام؛ لأنه يرىٰ أن الخيرة فيه**) مع ظنِّه أنه لا يقدِّر له إلا ما فيه الخير (**فنقول: هذا علىٰ الوجه**) المذكور (**غير محال**) فقد يُتصوَّر للعبد أن يترقَّىٰ إلىٰ هذا المقام ويُكشَف له عن

(١) المفردات للراغب ص ٥٣٠.

بصيرته فيتساوىٰ عنده الذبح والموت، فلا يغضب للذبح كما لا يغضب للموت، وينكشف له عن حقيقة الحقائق وعن أسرار الربوبية وعمَّا يُنتِج حسنَ الظنِّ بالله **(ولكن غلبة التوحيد إلىٰ هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف، يغلب في أحوال مختطَفَة ولا يدوم)** ولا يستمر حكمُه مع العارف **(ويرجع القلب)** بعد ذلك **(إلىٰ الالتفات إلىٰ الوسائط رجوعًا طبيعيًّا لا يندفع عنه)** فهو إذًا حال لا مقام **(ولو تُصُوِّر ذلك علىٰ الدوام)** والاستمرار **(لبشر لتُصُوِّر لرسول الله ﷺ)** وهو أفضل الخلق أجمعين، وأكمل العِباد العارفين **(فإنه كان يغضب)** أحيانًا **(حتىٰ تحمرَّ وَجْنتاه)** رواه[1] مسلم من حديث جابر: كان إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. وللحاكم: كان إذا ذكر الساعة احمرَّت وجنتاه واشتد غضبُه. وقد تقدم في أخلاق النبوة.

(حتىٰ قال) ﷺ: **(اللهم أنا بشر، أغضب كما يغضب البشر، فأيُّما مسلم سببتُه أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقرِّبه بها إليك يوم القيامة)** قال العراقي[2]: رواه مسلم[3] من حديث أبي هريرة بلفظ «اللهم أنا بشر» دون قوله «أغضب كما يغضب البشر»، وقال «جلدتُه» بدل «ضربته». وفي رواية: «اللهم إنما محمد بشرٌ، يغضب كما يغضب البشر». وأصله متفق عليه، وقد تقدم. ولمسلم[4] من حديث أنس: «إنما أنا بشر، أرضىٰ كما يرضىٰ البشر، وأغضب كما يغضب البشر». ولأبي يعلىٰ[5] من حديث أبي سعيد وأبي هريرة: «أو قال: ضربته»، وفيه محمد بن إسحاق، وقد رواه بالعنعنة.

(وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) بن وائل السهمي القرشي ﷺ: **(يا**

---

(١) المغني للعراقي ٢/ ٨٤٤.

(٢) السابق ٢/ ٨٤٤.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٥. ورواه أيضا البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٤.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٦.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤٥٢.

رسول الله، أكتبُ عنك كلَّ ما قلتَ في الغضب والرضا؟ فقال: اكتبْ، فوالذي بعثني بالحق نبيًّا ما يخرج منه إلا حق. وأشار إلىٰ لسانه) وهو متضمِّن لِما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣ - ٤] قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] بنحوه بإسناد صحيح.

(فلم يقلْ) ﷺ **(إني لا أغضب)** أي لم ينفِ عنه الغضبَ **(ولكن قال: إن الغضب لا يخرجني عن الحق، أي لا أعمل بموجِب الغضب)** ومُقتضاه.

(وغضبت عائشة ﵂ **مرةً فقال لها رسول الله** ﷺ**: ما لكِ؟ جاءكِ شيطانكِ؟ فقالت: أوَ ما لك شيطان؟ فقال: بلىٰ، ولكني دعوتُ الله فأعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)** رواه مسلم في أواخر كتابه قبل باب صفة الجنة عن هارون بن سعيد الأَيْلي عن ابن وهب عن أبي صخر عن ابن قُسَيط حدَّثه أن عروة حدَّثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغِرْتُ عليه، فجاء فرأىٰ ما أصنع فقال: «ما لكِ يا عائشة، أغِرْتِ»؟ فقلت: وما لي لا يَغار مثلي علىٰ مثلك؟ فقال ﷺ: «أوَ قد جاءك شيطانك»؟ قلت: يا رسول الله، أوَ معي شيطان؟ قال: «نعم». قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم». قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم، ولكن ربي أعانني عليه فأسلم» **(فلم يقلْ)** ﷺ: **(لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب، لكن قال: لا يحملني علىٰ الشر)** وقد ذُكر هذا الحديث[٣] وتقدَّم الكلام عليه.

(وقال علي كرَّم الله وجهه: كان رسول الله ﷺ **لا يغضب للدنيا، فإذا أغضبه**

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٤.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٢٣٩، ولفظه: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: لا تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا. فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق».

(٣) في كتاب النكاح، وفي كتاب عجائب القلب.

الحقُّ لم يعرفه أحد ولم يقُمْ لغضبه شيء حتىٰ ينتصر له) رواه الترمذي في الشمائل، وقد تقدم في أخلاق النبوة.

(فكان يغضب علىٰ الحق، وإن كان غضبه لله فهو التفات إلىٰ الوسائط علىٰ الجملة، بل كل من يغضب علىٰ مَن يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فإنما غضبَ لله) لأنه داخلٌ في انتهاك حرمة الله **(فلا يمكن الانفكاك عنه. نعم، قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه، فلا يكون للقلب متسَع للغضب؛ لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمَّات يمنع الإحساسَ بما عداه)** أي فلا يحس به ولا يشعر لغلبة الاستغراق، وذلك إذا أخذ بمجامع قلبه وأحاط به إحاطةَ القشر باللب، وقد يُتصوَّر مع بعض الاستغراق الإحساسُ بغير ما هو فيه، ولكن لا يؤثِّر عنده **(وهذا كما أن سلمان)** الفارسي رضي الله عنه **(لمَّا شُتم قال: إن خفَّت موازيني)** أي موازين حسناته **(فأنا شرٌّ مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرَّني ما تقول**[1]**. فقد كان)** رضي الله عنه **(همُّه مصروفًا إلىٰ الآخرة، فلم يتأثَّر قلبه بالشتم)** ولم يبالِ به.

(وكذلك شُتم الربيع بن خُثَيم) الثوري الكوفي **(فقال)** له: **(يا هذا، قد سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة)** كؤودًا **(إن قطعتُها لم يضرَّني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شرٌّ مما تقول)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وسبَّ رجلٌ أبا بكر رضي الله عنه**، فقال)** له: **(ما ستر الله عنك أكثر. فكأنَّه)** رضي الله عنه **(كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتَّقي الله حق تُقاته ويعرفه حق معرفته، فلم تغضبه نسبةُ غيره إياه إلىٰ نقصان؛ إذ كان ينظر إلىٰ نفسه بعين النقصان، وذلك لجلالة قدْره)** وعظيم منزلته في المعرفة.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ٤٢٥ - ٤٢٦ مطولا عن عمرو بن قيس، والبخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٤ - ٥، وفي البداية والنهاية لابن كثير ١٩/ ٥١٠.

(وقالت امرأة لمالك بن دينار) البصري: **(يا مرائي. فقال: ما عرفني غيرك)**[(١)] أخرجه أبو نعيم في الحلية **(فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء، ومنكِرًا علىٰ نفسه ما يلقي الشيطان إليه، فلم يغضب ممَّا نُسب إليه)** لذلك.

(وسبَّ رجل) عامر بن شُراحيل **(الشعبي، فقال: إن كنتَ صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك)**[(٢)] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وقيل لأبي يزيد البسطامي: لحيتك أفضل أمْ ذَنَب الكلب؟ فقال: إن متُّ مؤمنًا فلحيتي، وإلا فذَنَب الكلب. فكان همُّه مشغولاً بحسن الخاتمة.

(فهذه الأقاويل دالَّة في الظاهر علىٰ أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمَّات دينهم. ويحتمل أن يكون قد أثَّر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب علىٰ قلوبهم. فإذًا اشتغال القلب ببعض المهمَّات لا يبعُد أن يمنع هيجانَ الغضب عند فوات بعض المَحابِّ. فإذًا يُتصور فقدُ الغيظ إما باشتغال القلب بمهمٍّ) دينيٍّ علىٰ وجه الاستغراق **(أو بغلبة نظر التوحيد)** وهذان السببان قد ذُكرا **(أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فتطفئ شدةُ حبه لله غيظَه، وذلك غير محال في أحوال نادرة)** عزيزة الوقوع، فإنها تستدعي كمالَ الحب واستدامة المراقبة **(وقد عرفتَ بهذا أن طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا من)** لوح **(القلب)** لأنه من لوازمه **(وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها، كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا. ومَن أخرج حب المزايا)** جمع مزية **(من القلب**

---

(١) تقدم هذا الأثر بلفظ آخر في كتاب رياضة النفس.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٦٤، ٨/ ٢٧ عن الأصمعي قال: أسمع رجل الشعبي كلاما ... الخ، وفي آخره: ثم أنشأ يقول:

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٨١ عن أبي وهب محمد بن مزاحم قال: جاء رجل إلىٰ الشعبي فشتمه في ملأ من الناس ... فذكره دون بيت الشعر.

تخلَّص من أكثر أسباب الغضب، وما لا يمكن محوه) من لوح القلب **(فيمكن كسره وتضعيفه)** وتوهينه **(فيضعُف الغضبُ بسببه ويهون دفعُه)**.

بيان الأسباب المهيِّجة للغضب

(قد عرفتَ أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها) التي نشأت منها تلك العلةُ **(فلا بد من معرفة أسباب الغضب)** أولاً حتىٰ يُهتدَىٰ لإزالتها **(وقد قال يحيىٰ لعيسىٰ عليهما السلام)** وهما ابنا الخالة: **(أيُّ غضب أشد؟ قال: غضب الله. قال: فما يقرِّب من غضب الله؟ قال: أن تغضب)** وتقدم قريبًا بلفظ: وما يباعد من غضب الله؟ قال: أن لا تغضب **(قال يحيىٰ: فما يبدي الغضبَ وما ينبته؟ قال عيسىٰ)** عليه السلام: **(الكبر والفخر والتعزُّز والحمية)**[١] رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(فالأسباب المهيِّجة للغضب هي الزهو والعُجب والمزح والهزل والهُزء والتعيير) أي ذِكر عيب الغير ونسبته إليه **(والمُماراة)** أي المخاصمة **(والمضادَّة والغدر وشدة الحرص علىٰ فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعًا، ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها)** ونقائضها **(فينبغي أن تميت الزهوَ بالتواضع)** فإنَّ الزهو هو الكبر والرفعة، والتواضع ضده **(وتميت العُجبَ بالمعرفة بنفسك)** بالذل والقصور **(كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعُجب. وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك)** الذي تملكه **(إذ)** قال الشاعر:

(الناس يجمعهم في الانتساب أبٌ واحد ... وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا[٢])

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٥١، ٦٤/ ٢٠٠ من طرق. وبنحوه رواه ابن وهب في جامعه ص ٥٧٧، وابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤٤٨. وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٠٠ عن أبي هريرة مرفوعا.

(٢) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

ومثل ذلك قول علي[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم واحد والأم حواء

في أبيات ذُكرت في كتاب العلم.

(فبنو آدم جنس واحد، وإنما الفخر بالفضائل) النفسية والعلمية والعملية (والفخر) من غير فضيلة (والعُجب) بالنفس (والكبر) علىٰ الغير (أكبر الرذائل، وهي رأسها وأصلها) أي هذه الثلاثة أساس كل رذيلة (فإذا لم تَخْلُ عنها فلا فضل لك علىٰ غيرك، فلِمَ تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البِنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة. وأما المزح فتزيله بالتشاغُل بالمهمَّات الدينية التي تستوعب العمرَ) وتستغرقه (وتفضُل عنه إذا عرفت ذلك) ففيها شغلٌ شاغل عن المباسطة والمزاح وغيره (وأما الهزل) من القول (فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلِّغك إلىٰ سعادة الآخرة) فالذي يجتهد في تحصيل مثل هذه لا يتفرَّغ للهزليات (وأما الهُزء فتزيله بالتكرُّم عن إيذاء الناس) فلا تؤذيهم (وبصيانة النفس عن أن يُستهزأ بك) فإنَّ مَن استهزأ بغيره استُهزئ به (وأما التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مُر الجواب) وفي بعض النسخ: عن مُر القول (وأما شدة الحرص علىٰ مزايا العيش فتُزال بالقناعة) والاكتفاء (بقدر الضرورة) والحاجة الداعية، فالدنيا ساعة فاجعلْها طاعة (طلبًا لعز الاستغناء، وترفُّعًا عن ذل الحاجة) فإن الاحتياج إلىٰ الناس مذلَّة حاضرة، والاستغناء عنهم عز حاضر، وقد قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: استغنِ عمَّن شئتَ تكن أميره، واحتجْ إلىٰ مَن شئتَ تكن أسيره (وكل خُلُق من هذه الأخلاق وصفةٍ من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلىٰ رياضة) وتهذيب (وتحمُّل مشقة) وكلفة (وحاصل رياضتها يرجع إلىٰ معرفة غوائلها) ودسائسها (لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة علىٰ مباشرة

---

(١) البيت في ديوانه ص ٧.

أضدادها مدة مديدة حتىٰ تصير بالعادة) مع التكرار (مألوفة هيِّنة علىٰ النفس، فإذا انمحت عن) لوح (النفس فقد زكت وطهُرت عن هذه الرذائل، وتخلَّصت أيضًا عن الغضب الذي يتولَّد منها) لا محالة، فإنها إذا طهُرت عن أسباب الغضب لم يكن للغضب إليها سبيل (ومن أشد البواعث علىٰ الغضب عند أكثر الجُهَّال) من العوام (تسميتهم الغضب شجاعةً ورجوليَّة وعزة نفس وكِبَر همَّة وتلقيبه بالألقاب المحمودة) المرضية (غباوةً وجهلاً) بحقائق الأمور (حتىٰ تميل النفس إليه وتستحسنه) وتختاره (وقد يتأكَّد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح) والاستحسان (بالشجاعة، والنفوس مائلة إلىٰ التشبُّه بالأكابر) والتزيِّي بزيِّهم (فيهيج الغضب في القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهلٌ، بل هو مرض قلب ونقصان عقل) وجنون (وهو لضعف النفس ونقصانها) عن درجة الكمال (وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرعُ غضبًا من الصحيح) فلنقصان صحته وكونها مُزالة عن حد الاعتدال يتسرَّع إلىٰ الغضب، ولا يتحمَّل سماع كلمة تخالف مزاجَه (والمرأة أسرع غضبًا من الرجل) لنقصان فيها (والصبي أسرع غضبًا من الرجل الكبير) لأنه لم يبلغ إلىٰ حد الكمال (والشيخ الضعيف) الذي فنيتْ قوتُه (أسرع غضبًا من الكهل) الذي بقيت قوته بعدُ؛ لأنه في سن الانحطاط، وهو من الأربعين إلىٰ الستين، وأما الشيخ فهو من الستين إلىٰ آخر العمر (وذو الخُلق السيِّئ والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل، فالرَّذِل) المتنكِّس الخُلُق (يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة) والشربة (ولبخله إذا فاتته الحبة) من المال (حتىٰ إنه يغضب علىٰ أهله وولده وأصحابه) في أمور حقيرة (بل القوي مَن يملك نفسه عند الغضب، كما قال رسول الله ﷺ: ليس الشديد بالصُّرعة): الذي يصرع الناسَ فيغلبهم (إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) تقدم قريبًا (بل ينبغي أن يعالَج هذا الجاهل) الأحمق (بأن تُتلَىٰ عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ) والتحلُّم والتجاوز (فإنَّ ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر

الملوك الفضلاء) وقد جُمع غالب ذلك في كتب معروفة (**وضد ذلك منقول عن الأتراك والأكراد**) والأجلاف من أهل البادية (**والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل فيهم**)[1] فليستمع تلك الأخبار وما حُكي عن الفريقين، ويتهذَّب بأخلاق الأوَّلين من الصالحين ويتشبَّه بهم، ويُبعِد نفسَه عن أحوال المسترذلين ويتجنَّب عنها.

---

(١) زيادة من ط الشعب ٩/١٦٥١.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

اعلمْ أن (ما ذكرناه) آنفًا (هو حسم لموادِّ الغضب وقطعٌ لأسبابه) الباعثة له (حتىٰ لا يهيج، فإذا جرىٰ سببٌ هيَّجه) وأثارَه (فعنده يجب التثبُّت) فيه (حتىٰ لا يضطر صاحبه إلىٰ العمل به علىٰ الوجه المذموم) شرعًا (وإنما يعالَج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل. أما العلم فهو ستة أمور:

الأول: أن يتفكَّر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال، فيرغب في ثوابه) وما عند الله تعالىٰ (فتمنعه شدةُ الحرص علىٰ ثواب الكظم) والصفح (عن التشفِّي والانتقام، وينطفئ غيظُه) وتخمد نارُه (قال مالك بن أوس بن الحَدَثان) محرَّكة[1]، النصري بالنون والصاد، أبو سعيد المدني، له رؤية، وروىٰ عن عمر، توفي سنة ٩٢، روىٰ له الجماعة (غضب عمر) رضي الله عنه (علىٰ رجل وأمر بضربه، فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] فكان عمر يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ فكان يتأمَّل في الآية، وكان وقَّافًا عند كتاب الله مهما تُلي عليه، كثير التدبُّر فيه، فتدبَّر فيه وخلَّىٰ الرجلَ) أخرج البخاري في الصحيح[2] نحوه من طريق شعيب عن الزهري عن عبيد الله أن ابن عباس قال: قَدِمَ عيينةُ بن حصن، فنزل علىٰ الحُر بن قيس، وكان ممَّن يدنيهم عمر، وكان القُرَّاء أصحاب مجلس عمر، فقال عيينة لابن أخيه الحر: يا ابن أخي، هل لك وجهٌ عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: نعم. فأذنَ له عمرُ، فدخل، فقال: يا ابن الخطاب، ما تعطينا الجَزْلَ، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتىٰ همَّ به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله

---

(١) تقريب التهذيب ص ٩١٣.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٣١، ٤/ ٣٦٠.

تعالىٰ قال لنبيِّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وإن هذا من الجاهلين. فواللهِ ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وَقَّافًا عند كتاب الله.

(وأمر عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ **(بضرب رجل، ثم قرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾** [آل عمران: ١٣٤] **فقال لغلامه: خَلِّ عنه)**[1] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(الثاني: أن يخوِّف نفسَه بعقاب الله، وهو أن يقول: قدرة الله عليَّ أعظمُ من قدرتي علىٰ هذا الإنسان، فلو أمضيتُ غضبي عليه فما آمَنُ أن يمضي اللهُ غضبه عليَّ يومَ القيامة أحوج ما أكون إلىٰ العفو) فإذا تأمَّل هذا المعنىٰ فلا بد وأن ينكسر ثوران الغضب عنه في الحال **(فقد قال تعالىٰ في بعض الكتب القديمة)** التي أنزلها علىٰ رسله: **(يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحقُ)** أخرجه ابن شاهين في الترغيب، وقد تقدم[2].

(وبعث رسول الله ﷺ وصيفًا) وهو الغلام دون المراهق[3] **(إلىٰ حاجة، فأبطأ عليه، فلما جاء قال: لولا القصاص لأوجعتُك)** قال العراقي[4]: رواه أبو يعلىٰ[5] من حديث أم سلمة بسند ضعيف. ا.هـ. قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات[6] بلفظ: أن النبي ﷺ أرسل وصيفة له، فأبطأت عليه، فقال: «لولا القصاص لأوجعتكِ بهذا

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ٢٤٣ عن إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي - من أهل بيت المقدس - قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوما علىٰ رجل غضبا شديدا، فبعث إليه، فأُتي به، فجرده ومده في الحبال، ثم دعا بالسياط، حتىٰ إذا قلنا هو ضاربه قال: خلوا سبيله، أما لولا أني غضبان لسؤته. وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

(٢) في كتاب آفات اللسان.

(٣) الذي في تاج العروس ٢٤/ ٤٦٠ أن الوصيف هو الخادم أو الخادمة.

(٤) المغني ٢/ ٨٤٥.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ٣٦٠.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٢٩.

السواك» **(أي القصاص في القيامة)** ونقل البخاري في الصحيح[1] أنه أقادَ أبو بكر وابن الزبير وعلي وسويد بن مقرن من اللطمة، وأقاد عمر من ضربة بالدرة، وأقاد عليٌّ من ثلاثة أسواط، واقتصَّ شريح من سوط وخموش. وهذا كله رواية عن الإمام أحمد، ولكن العمل علىٰ خلافه لعدم انضباطه، وقد أجمع الفقهاء أن لا قصاص إلا في الجراح والقتل، كما نقله ابن الجوزي وتبعه الذهبي في سيرة عمر بن الخطاب، ولكن دعوىٰ الإجماع فيها نظرٌ، إلا أن يكون الخلاف لفظيًّا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾.

(وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها: ارحم المسكين، واخْشَ الموتَ، واذكر الآخرة. فكان يقرؤها فيسكن غضبُه) [2] رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(الثالث: أن يحذِّر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمُّر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب، فيخوِّف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة) والعلم بهذا مهمٌّ للغاية، فإنَّ عاقبة العداوة وخيمة، ومن كان له عدو متشمِّر في إيصال السوء إليه لا يرتاح في معيشته مطلقًا، فإذا عصم نفسه من الغضب سَلِمَ من هذه الورطة **(و)** لكن **(هذا يرجع إلىٰ تسليط شهوة علىٰ غضب، وليس هذا من أعمال الآخرة، ولا ثواب عليه؛ لأنه متردِّد في حظوظه العاجلة يقدِّم بعضَها علىٰ بعض، إلا أن يكون محذوره أن تتشوَّش عليه في الدنيا فراغتُه للعلم والعمل وما يعينه علىٰ الآخرة فيكون مثابًا عليه)** حينئذٍ، وأما لو وقف نيَّته علىٰ حظوظه فقط فليس له في الآخرة نصيب.

(الرابع: أن يتفكَّر في قبح صورته عند غضبه) لو رآه في المرآة، أو **(بأن يتذكَّر صورة غيره في حالة الغضب، ويتفكَّر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب**

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٧٢.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤، ٧/ ٥٧ عن شريح بن عبيد الحضرمي.

الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادئ التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء، ويخيِّر نفسَه بين أن يشبه الكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يشبه الأنبياء والعلماء في عادتهم؛ لتميل نفسُه إلىٰ حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل) أي بقية منه، وذلك لأن الغضب غول العقل لا يَدَع فيه شيئًا منه، فبعيد عليه أن يتصوَّر هذا المعنىٰ في نفسه وهو أن يظن أنه من أعقل الناس، ولكن لا بد من التمرين علىٰ هذا التصوُّر تكلُّفًا حتىٰ يستأهل لفهمه.

(الخامس: أن يتفكَّر في السبب الذي يدعوه إلىٰ الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ، ولا بد وأن يكون له سبب، مثل قول الشيطان له: إن هذا يُحمَل منك علىٰ العجز وصغر النفس والذلة والمهانة، وتصير حقيرًا في أعيُن الناس) فإذا علم من نفسه أن الشيطان قد وسوس له بمثل ذلك (فليقل لنفسه) مخاطبًا لها: (ما أعجبكِ! تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدكِ وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغري في أعيُن الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين) علىٰ رؤوس الأشهاد (فمهما كظم الغيظَ فينبغي أن يكظمه لله، وذلك) الذي (يعظمِّه عند الله، فما له وللناس وذُلُّ مَن ظلمه يوم القيامة أشد من ذلِّه لو انتقم الآن، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نوديَ يوم القيامة): ألا (ليقم مَن أجره علىٰ الله، فلا يقوم إلا مَن عفا) عن أخيه في مَظلمة، كما ورد ذلك في الخبر، وتقدم ذِكرُه (فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يقرِّره علىٰ قلبه) ويعرضه عليه مرارًا حتىٰ يتقرَّر فيه.

(السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجُّبه من جريان الشيء علىٰ وفق مراد الله لا علىٰ وفق مراده، فكيف) يُتصور له أو يخطر بباله أن (يقول: مرادي أَولىٰ من مراد الله، ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه) هذا ما يتعلَّق بالعلم.

(وأما العمل فأن تقول بلسانك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أمر

رسولُ الله ﷺ أن يقال عند الغيظ) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث سليمان ابن صُرَد قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان، فأحدهما احمرَّ وجهُه وانتفخت أوداجه ... الحديث، وفيه: «لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لذهب عنه ما يجد». فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: «تعوَّذْ بالله من الشيطان الرجيم ...» الحديث.

قلت: لفظ الحديث عندهما: قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن جلوس عنده، وأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلمُ كلمة لو قالها لأذهبتْ عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقالوا للرجل: أما تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون. وقد رواه كذلك أبو داود[٣] والترمذي والنسائي[٤]. وفي رواية لهؤلاء الثلاثة[٥] من حديث معاذ: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم». قال صاحب سلاح المؤمن[٦]: وليس لسليمان بن صُرَد في الصحيحين سوى حديثين، أحدهما هذا.

وروى ابن عدي[٧] من حديث أبي هريرة: «إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله، سكن غضبُه».

ورواه الطبراني أيضًا في الأوسط[٨] والصغير[٩] من حديث ابن مسعود بنحوه.

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٤٠، ٤/ ٩٩، ١١٢. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٩.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٨.

(٤) السنن الكبرى ٩/ ١٥١ - ١٥٢.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٨. سنن الترمذي ٥/ ٤٤٧ - ٤٤٨. السنن الكبرى ٩/ ١٥٠.

(٦) سلاح المؤمن ص ٤٨٩.

(٧) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨٩٦.

(٨) المعجم الأوسط ٧/ ١١٧.

(٩) المعجم الصغير ٢/ ١٩٧.

(وكان رسول الله ﷺ إذا غضبت عائشة) ﵂ (أخذ بأنفها وقال: يا عُوَيش) صغَّر اسمها للترحُّم (قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، وأذهِبْ غيظ قلبي، وأجِرْني من مضلاَّت الفتن) رواه[١] ابن السني في اليوم والليلة من حديثها، وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

(فيُستحب أن تقول ذلك، فإن لم يزُل بذلك فاجلس إن كنت قائمًا، واضطجعْ إن كنت جالسًا، واقربْ من الأرض التي منها خُلقتَ لتعرف بذلك ذل نفسك، واطلب بالجلوس والاضطجاع السكونَ، فإنَّ سبب الغضبِ الحرارةُ) الغريبة العارضة علىٰ الحرارة الغريزية التي هي غذاء القلب (وسبب الحرارةِ الحركةُ) فإذا سكن سكنت الحرارة فقلَّ عملُها (فقد قال رسول الله ﷺ: إن الغضب جمرة توقَّدُ في القلب، ألم تروا إلىٰ انتفاخ أوداجه) أي عروق رقبته (وحمرة عينيه؟ فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئًا فإن كان قائمًا فليجلس، وإن كان جالسًا فليقُمْ) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله «توقد»، ورواه بهذه اللفظة البيهقيُّ، وقد تقدم.

قلت: لفظ الترمذي سيأتي للمصنِّف قريبًا بعد ثلاثة أحاديث. وقد[٣] رُوي من حديث الحسن مرسلاً: «الغضب جمرة في قلب الإنسان توقَّدُ، ألا ترىٰ إلىٰ حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئًا فليجلس ولا يعدونَّه الغضبُ». وقد رُوي ذلك أيضًا من حديث سِنان بن سعد عن أنس مرفوعًا[٤]. والمراد أنه يحبسه في نفسه ولا يعديه إلىٰ غيره بالأذىٰ بالفعل.

---

(١) المغني للعراقي ٢/ ٨٤٥.

(٢) السابق ٢/ ٨٤٦.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٣٦٥.

(٤) لم أقف علىٰ هذا المرفوع، والذي وقفت عليه في جامع ابن وهب ٢/ ٥٧٥ هو من مراسيل سنان ابن سعد.

(فإن لم يزُل ذلك فتوضأْ بالماء البارد أو اغتسل، فإن النار لا يطفئها إلا الماء، فقد قال رسول الله ﷺ: إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء، فإن الغضب من النار. وفي رواية: إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدُكم فليتوضأ) قال العراقي[١]: رواه أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله «بالماء البارد»، وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف، وقد تقدم.

قلت: الحديث في مسند أحمد وسنن أبي داود من طريق عروة بن محمد بن عطية أنه كلَّمه رجل فأغضبه، فقام فتوضأ، فقال: حدثني أبي عن جدي عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار ...» الحديث. وليس فيه «بالماء»، مع أن التوضؤ لا يكون إلا بالماء. وأما لفظ «البارد» فليس في نسخ الكتاب، وقد أورد المصنف ما يدل على الوضوء، ولم يورد ما يدل على الاغتسال. وقد روى أبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث أبي مسلم الخولاني أنه كلَّم معاوية بشرٍّ، فغضب، ثم نزل فاغتسل، ثم عاد إلى المنبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، والماء يطفئ النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل»[٢].

(وقال ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: إذا غضبتَ فاسكت)** أي[٣] عن النطق بغير الذكر المشروع؛ لأن الغضب يصدر عنه من قبيح القول ما يوجب الندمَ عليه عند سكون سَوْرة الغضب، ولأن الانفعال ما دام موجودًا فنار الغضب تتأجَّج، فإذا سكتَ أخذت في الخمود.

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٦.

(٢) أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٣٠، وابن عساكر في التاريخ ٥٩/ ١٦٩ وفيه ياسين بن معاذ الزياد منكر الحديث متروكه وانظر الميزان ٤/ ٣٥٨.

(٣) فيض القدير ١/ ٤٠٧.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] وابن أبي الدنيا والطبراني[٣] - واللفظ لهما - والبيهقي في الشعب[٤]، وفيه ليث بن أبي سليم.

قلت: ولفظ أحمد: «إذا غضب أحدُكم فليسكت» قالها ثلاثًا

(وقال أبو هريرة) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(كان النبي ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس، وإذا غضب وهو جالس اضطجع، فيذهب غضبه)** قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي الدنيا، وفيه مَن لم يُسَمَّ. ولأحمد[٦] بإسناد جيد في أثناء حديث فيه: وكان أبو ذر قائمًا فجلس، ثم اضطجع، فقيل له: لِمَ جلستَ ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغيظ وإلا فليضطجع». والمرفوع عند أبي داود[٧]، وفيه عنده انقطاع، سقط منه أبو الأسود.

قلت: ورواه كذلك البيهقي[٨] قال: كان أبو ذر يسقي علىٰ حوض، فأغضبه رجلٌ، فقعد، ثم اضطجع، فقيل له، فقال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

قال الهيثمي[٩]: رجال أحمد رجال الصحيح.

(وقال أبو سعيد الخدري) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(قال النبي ﷺ)** في خطبته: **(ألا إن الغضب**

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٦.

(٢) مسند أحمد ٤/ ٣٩، ٣٣٨، ٥/ ٤١٣.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ٣٣.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ٥٢٧.

(٥) المغني ٢/ ٨٤٦.

(٦) مسند أحمد ٣٥/ ٢٧٨.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٩.

(٨) لم أقف عليه عند البيهقي بهذا اللفظ، وإنما رواه في شعب الإيمان ١٠/ ٥٢٦ بلفظ أبي داود هو عند أحمد في مسنده (٢١٦٧٥).

(٩) مجمع الزوائد ٨/ ١٣٦.

جمرة في قلب ابن آدم، ألا ترون إلىٰ حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمَن وجد من ذلك شيئًا فليلصق خدَّه بالأرض) قال العراقي[١]: رواه الترمذي وقال: حسن.

قلت: ورواه كذلك أحمد، إلا أنه قال: «احمرارًا يعم»[٢]. وقال: «فمَن أحسَّ من ذلك شيئًا فليلزق بالأرض».

(**وكأنَّ هذا إشارة إلىٰ السجود وتمكين أعز الأعضاء**) الذي هو الخد (**من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفسُ الذلَّ وتزايل به العزةَ والزهو الذي هو سبب الغضب**) والقصد[٣] أن يبعُد عن هيئة الوثوب والمسارعة للبطش ما أمكنَ حسمًا لمادة المبادرة، وحمل الطيبيُّ[٤] وغيره هذا علىٰ التواضع والخفض دون السجود. أي لأن السجود لا يكون بالخد.

(**ورُوي أن عمر**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**غضب يومًا، فدعا بماء فاستنشق**) به (**وقال: إن الغضب من الشيطان، وهذا يُذهِب الغضبَ**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال عروة بن محمد**) بن[٥] عطية السعدي، عامل عمر بن عبد العزيز علىٰ اليمن، مقبول، مات بعد العشرين [ومائة] روىٰ له أبو داود. وهو الذي روىٰ عن أبيه عن جده: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ»، وتقدم قريبًا (**لمَّا استُعمِلت علىٰ اليمن**) استعمله عمر بن عبد العزيز (**قال لي أبي**) وهو[٦] محمد بن عطية بن عُروة السعدي، تابعي، صدوق، مات علىٰ رأس المائة، روىٰ له أبو داود في السنن

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٧.

(٢) كذا في المطبوعة، وهو تحريف، والذي في جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٣٦٥ الذي ينقل عنه الشارح: «أفما رأيتم إلىٰ حمرة عينيه». وهذا اللفظ عند الترمذي، وليس عند أحمد.

(٣) فيض القدير ١/ ٤٠٨.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣٢٤٩.

(٥) تقريب التهذيب ص ٦٧٥.

(٦) تهذيب الكمال ٢٦/ ١١٨. تقريب التهذيب ص ٨٧٨.

والنسائي في مسند مالك، وقد روىٰ عن أبيه، ووهمَ مَن زعم أن له صحبة، وأبوه صحابي مشهور (أَوُليتَ؟ قلت: نعم. قال: فإذا غضبتَ فانظر إلىٰ السماء فوقك وإلىٰ الأرض تحتك، ثم عظِّمْ خالقَهما) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[١] عن أحمد بن جميل، أخبرنا ابن المبارك، عن حنظلة بن أبي سفيان قال: قال عروة بن محمد ... فذكره. وأخرجه ابن المبارك في الزهد.

(ورُوي أن أبا ذر) الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال لرجل: يا ابن الحمراء) يريد به حمراء العِجان، يعني ابن المعجنة (في خصومة) كانت (بينهما، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: يا أبا ذر، بلغني أنك اليوم عيَّرتَ رجلاً بأمِّه. فقال: نعم. فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبَه، فسبقه الرجل فسلَّم عليه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: يا أبا ذر، ارفع رأسك فانظر، ثم اعلمْ أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضُله بعمل) أي صالح (ثم قال: إذا غضبتَ فإن كنت قائمًا فاقعد، وإن كنت قاعدًا فاتَّكئ، وإن كنت متَّكئًا فاضطجعْ) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب بإسناد صحيح، وستأتي الإشارة إلىٰ هذا الحديث في باب ذم المكر من حديث أبي ذر أيضًا. قال العراقي[٢]: ولأحمد[٣] أنه ﷺ قال له: «انظر، فإنك لستَ بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوىٰ». ورجاله ثقات. وفي الصحيحين من حديثه: كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيَّرتُه بأمه، فشكاني إلىٰ النبي ﷺ، فقال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»[٤].

قلت: يشير إلىٰ ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور قال: لقيتُ أبا ذر بالرَّبَذة وعليه حُلَّة وعلىٰ غلامه

---

(١) وأخرجه أيضا في الإشراف في منازل الأشراف ص ٢١٨ (ط - مكتبة الرشد بالرياض).

(٢) المغني ٢/ ٨٤٧.

(٣) مسند أحمد ٣٥/ ٣٢١.

(٤) تقدم هذا الحديث في أواخر كتاب آداب الصحبة.

حُلَّة، فسألتُه عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فعيَّرتُه بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أعيَّرتَه بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ...» الحديث. هكذا أخرجه في أول الصحيح، وأخرجه في كتاب العتق عن آدم عن شعبة عن واصل، وفي الأدب عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان والنذور عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع، وعن أحمد بن يونس عن زهير، وعن أبي كُرَيب عن أبي معاوية، وعن إسحاق بن إبراهيم عن عيسىٰ بن يونس، كلهم عن الأعمش، وعن أبي موسىٰ الزَّمِن وبُندار وغُندر [عن محمد بن جعفر] عن شعبة عن واصل كلاهما عن المعرور. وأخرجه أبو داود بنحوه من طريقين.

(وقال المعتمر بن سليمان) بن[1] طرخان التيمي، أبو محمد البصري، ثقة، مات سنة سبع وثمانين [ومائة] وقد جاوز الثمانين، وروىٰ له الجماعة **(كان رجل ممَّن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبُه، فكتب ثلاث صحائف، فأعطىٰ كلَّ صحيفة رجلاً، وقال للأول: إذا غضبتُ فأعطِني هذه)** الصحيفة **(وقال للثاني: إذا سكن بعضُ غضبي فأعطني هذه، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه. فاشتدَّ غضبه يومًا، فأُعطيَ الصحيفة الأولىٰ، فإذا فيها: ما أنت وهذا الغضب؟ إنك لست بإله، إنما أنت بشر، يوشك أن يأكل بعضُك بعضًا. فسكن بعضُ غضبه، فأُعطي الثانية، فإذا فيها: ارحمْ مَن في الأرض يرحمك مَن في السماء. فأُعطيَ الثالثة، فإذا فيها: خذ الناس بحق الله، فإنه لا يُصلِحهم إلا ذلك. أي لا تعطِّل الحدود)**[2] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٩٥٨.

(٢) روىٰ نحوه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ١٤٦ مختصرا عن الأصمعي قال: دفع أردشير إلىٰ رجل كان يقوم علىٰ رأسه كتابا وقال: إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إليَّ. وكان في الكتاب: أمسك واسكن أو اسكت، فلست بإله، إنما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضه بعضا، ويصير عن قريب للدود والتراب.

(وغضب المهدي) محمد بن عبد الله العباسي **(علىٰ رجل، فقال شبيب: لا تغضبنَّ لله بأشد من غضبه لنفسه. فقال: خلُّوا سبيلَه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

فضيلة كظم الغيظ

(قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾) [آل عمران: ١٣٤] والكظم هو الكف، إما بكفِّ النفس أو بالصفح، والمعنىٰ: المتحمِّلين الغيظ، والغيظ: الغضب الكامن في القلب (وذكر ذلك في معرض المدح) للمتقين من المؤمنين. وتمام الآية: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾.

(وقال رسول الله ﷺ: مَن كفَّ غضبه كف الله عنه عذابَه، ومَن اعتذر إلىٰ ربِّه قَبِلَ الله عذره، ومَن خزن لسانَه ستر الله عورته) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث أنس، ورواه كذلك أبو يعلىٰ وابن شاهين والخرائطي في مساوئ الأخلاق والضياء المقدسي في المختارة. وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب - واللفظ له - بإسناد ضعيف. ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر: «مَن ملك غضبَه وقاه الله عذابه ...» الحديث، وقد تقدم في آفات اللسان.

قلت: حديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت وذم الغضب، ولفظه: «مَن كف لسانَه ستر الله عورته، ومَن ملك غضبَه وقاه الله عذابَه، ومَن اعتذر إلىٰ ربِّه قَبِلَ الله عذره».

(وقال ﷺ: أشدُّكم مَن غلب نفسَه) أي[(١)] ملكها وقهرها (عند الغضب) بأن لم يمكِّنها من العمل بغضبه، بل يجاهدها علىٰ ترك تنفيذه (وأحلمكم مَن عفا عند القدرة) وفي لفظ: بعد القدرة. أي أثبتُكم عقلاً مَن عفا عمَّن جنىٰ عليه بعد تمكُّنه منه. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث علي[(٢)] قال: مر النبيُّ ﷺ علىٰ قوم

---

(١) فيض القدير ١/ ٥٢٢.

(٢) ورواه من حديث علي أيضا: الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٢٢.

يرفعون حجرًا، فقال: «ما هذا»؟ قالوا: حجر الأشدَّاء. فقال ذلك، وسنده ضعيف. قال العراقي[١]: ورواه البيهقي في الشعب[٢] بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً بإسناد جيد. وللبزار[٣] والطبراني في مكارم الأخلاق[٤] - واللفظ له- من حديث أنس: «أشدُّكم أملككم لنفسه عند الغضب». وفيه عمران القَطَّان، مختلَف فيه.

(**وقال رسول الله ﷺ: مَن كظم غيظًا**) أي ردَّه ومنعه (**ولو شاء أن يمضيه**) أي ينفذه (**أمضاه**) أي نفذه (**ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا**) رواه[٥] ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٦] من حديث ابن عمر، وفيه سُكَين بن أبي سراج، تكلم فيه ابن حبان[٧] (**وفي رواية**): مَن كتم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه (**ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا**) رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة، وفيه مَن لم يُسَمَّ، ورواه أبو داود[٨] من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه بزيادة: «ومَن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعًا كساه الله حُلَّة الكرامة، ومَن زوَّج لله توَّجَه الله بتاج المُلك». ورواه بهذه الزيادة أيضًا ابن أبي الدنيا فقال: عن سويد بن وهب عن أبيه. ورواه البغوي في معجم الصحابة[٩] عن

---

(١) المغني ٢/ ٨٤٨.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ٥٢٠.

(٣) مسند البزار ١٣/ ٤٧٤.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٢٥.

(٥) المغني للعراقي ص ٨٤٨ - ٨٤٩.

(٦) وكذلك الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٣، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٥، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٧) المجروحون من المحدثين ١/ ٤٥٧، ونصه: «شيخ يروي الموضوعات عن الأثبات، والملزقات عن الثقات».

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٧.

(٩) وكذلك الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٥٩، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٦/ ٣٠٨٦.

عبد الجليل الفلسطيني عن عمه. وأورده الذهبي في الميزان[١] في ترجمة عبد الجليل وقال: قال البخاري: لا يتابَع عليه[٢].

(وقال ابن عمر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله** ﷺ**: ما جرع عبدٌ جرعة أعظم أجرًا من جرعة غيظ كظمها)** عبدٌ **(ابتغاءَ وجه الله** عَزَّ وَجَلَّ**)** في الأساس[٣]: كَظَمَ القِربةَ: ملأها وسد رأسها، وكظم الباب: سدَّه، ومن المجاز: كظم الغيظَ وعلى الغيظ. قال الطيبي[٤]: يريد أنه استعارة من كظم القربة، وقوله «من جرعة غيظ» استعارة أخرىٰ كالترشيح لها. شبَّهَ جرع غيظِه وردَّه إلىٰ باطنه بتجرُّع الماء، وهي أشد جرعة يتجرَّعها العبد وأعظمها ثوابًا وأرفعها درجةً كحبس نفسه عن التشفِّي.

قال العراقي[٥]: رواه ابن ماجه[٦] بإسناد جيد.

قلت: وقال المنذري[٧]: رُواته محتجٌّ بهم في الصحيح. ولفظه: ما من جرعة». ورواه أحمد[٨] بلفظ: «ما تجرَّعَ عبدٌ [جرعة] أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاءَ وجه الله عَزَّ وَجَلَّ».

(وقال ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **(قال رسول الله** ﷺ**: إن لجهنم بابًا لا يدخله إلا مَن**

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٥، وفيه: «عن عمه عن أبي هريرة».

(٢) لم أقف علىٰ هذه العبارة في التاريخ الكبير للبخاري، وإنما فيه ٦/ ١٢٣: «عبد الجليل الفلسطيني، قال يحيىٰ بن جعفر: حدثنا أبو إسماعيل أخو عبد الرزاق، عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم، عن عبد الجليل، عن عم له، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: من كظم غيظا. تابعه عبد الرزاق».

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ١/ ١٣٧ - ١٣٨.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣٢٥٠ حتىٰ قوله (كالترشيح لها) وما بعده كلام المناوي في فيض القدير ٥/ ٤٧٦.

(٥) المغني ٢/ ٨٤٩.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠٤.

(٧) الترغيب والترهيب ص ١٠٢٣.

(٨) مسند أحمد ١٠/ ٢٧٠.

شفىٰ غيظه بمعصية الله تعالىٰ) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وقد تقدم في آفات اللسان.

(**وقال ﷺ: ما من جرعة أحب إلىٰ الله تعالىٰ من جرعة غيظ يكظمها عبدٌ، وما كظمها عبدٌ إلا ملأ الله قلبه**) وفي لفظ: جوفه (**إيمانًا**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس، وفيه ضعفٌ، ويتلفَّق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يُسَمَّ، وقد تقدَّما؛ قاله العراقي[١]. قلت: ورواه أحمد[٢] بلفظ المصنف، إلا أنه قال: «ملأ الله جوفه نورًا». وأما حديث الصحابي الذي لم يُسَمَّ فعند أبي داود «أمنًا وإيمانًا». وحديث ابن عباس هذا مستقل، ودعوىٰ التلفيق فيها نظرٌ.

وروىٰ ابن المبارك في الزهد[٣] من حديث الحسن مرسلاً: «ما من جرعة أحب إلىٰ الله تعالىٰ من جرعة غيظ كظمها رجلٌ أو جرعة صبر علىٰ مصيبة، وما من قطرة أحب إلىٰ الله من قطرة دمعٍ من خشية الله أو قطرة دم أُهريقت في سبيل الله».

(**وقال ﷺ: مَن كظم غيظًا وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه الله علىٰ رؤوس الخلائق ويخيِّره من أيِّ الحور شاء**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وفي الصمت من حديث معاذ بن أنس، ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي - وقال: حسن غريب - وابن ماجه والطبراني والبيهقي، وقد تقدم في آفات اللسان. ورواه أبو نعيم[٤] وابن عساكر[٥] بزيادة في آخره: «ومَن ترك ثوب جمال وهو قادر علىٰ لبسه

(١) المغني ٢/ ٨٤٩.

(٢) مسند أحمد ٥/ ١٤٩، وفيه (ملأ الله جوفه إيمانا) كما هنا.

(٣) الزهد والرقائق ص ٢١٦.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٤٧.

(٥) تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٦٧ بلفظ: «من كظم غيظا وهو قادر علىٰ إنفاذه خيره الله من الحور العين يوم القيامة، ومن أعتق عبدا وضع الله علىٰ رأسه تاج المُلك يوم القيامة».

كساه الله رِداء الإيمان يوم القيامة، ومَن أنكح عبدًا لله وضع الله علىٰ رأسه تاج المُلك يوم القيامة».

(الآثار:

قال عمر رضي الله عنه: مَن اتَّقىٰ الله لم يشفِ غيظَه، ومَن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون)[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. والجملة الأولىٰ منه رواها ابن أبي الدنيا في كتاب التقوىٰ مرفوعًا من حديث سهل بن سعد: «مَن اتَّقىٰ الله كَلَّ لسانُه ولم يشفِ غيظَه». ورواه كذلك الديلمي وابن النجار، وهو في البلدانيات للسِّلَفي، وقد تقدَّم للمصنف[2].

(وقال لقمان لابنه) وهو يعظه: **(يا بنيَّ، لا تُذهِب ماءَ وجهك بالمسألة، ولا تشفِ غيظَك بفضيحتك، واعرفْ قدْرك تنفعك معيشتُك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(وقال أيوب) بن أبي تميمة السختياني: **(حِلم ساعة يدفع شرًّا كثيرًا)**[3] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض) رحمهم الله تعالىٰ **(فتذاكروا الزهد، فاجتمعوا علىٰ أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(وقال رجل لعمر رضي الله عنه: واللهِ ما تقضي بالعدل، وما تعطي الجَزْل) أي الكثير

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٥٨، وأبو داود في الزهد ص ١١٠، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٥٥، والدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ٨٤٤. وهو في شعب الإيمان للبيهقي ١٠/ ٤٢٤ عن عمر بن عبد العزيز.

(٢) في كتاب آفات اللسان.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ١٤ بلفظ: حلم ساعة يدفع شر سنة.

(فغضب عمر حتىٰ عُرف ذلك في وجهه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] **فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقتَ. فكأنَّما كانت نارًا فانطفأت)** أخرجه البخاري في الصحيح من طريق شعيب عن الزهري عن عبيد الله أن ابن عباس قال: قَدِمَ عيينة بن حصن، فنزل علىٰ الحر بن قيس، وكان ممَّن يدنيهم عمر، وكان القرَّاء أصحاب مجلس عمر، فقال عيينة لابن أخيه الحر: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ فأذنَ له عمر، فدخل، فقال: يا ابن الخطاب، ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتىٰ همَّ به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالىٰ قال لنبيِّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ وإن هذا من الجاهلين. قال: فواللهِ ما جاوزَها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله. انفرد به البخاري، وقد تقدم ذِكره قريبًا.

(وقال محمد بن كعب) القُرَظي: **(ثلاث)** خصال **(مَن كنَّ فيه)** فقد **(استكمل الإيمانَ بالله)** تعالىٰ، إحداهن: **(إذا رضي لم يُدخِله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبُه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له)**[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. وقد رُوي نحوه مرفوعًا من حديث أنس، رواه الطبراني في الصغير[2] بلفظ: «ثلاث من أخلاق الإيمان: مَن إذا غضبَ لم يُدخِله غضبُه في باطل، ومَن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومَن إذا قدر لم يتعاطَ ما ليس له». قال الهيثمي[3]: فيه بِشر بن الحسين، وهو كذاب.

(وجاء رجل إلىٰ سلمان) الفارسي رضي الله عنه **(فقال)** له: **(يا أبا عبد الله، أوصِني. فقال: لا تغضب. قال: لا أقدر. قال: فإن غضبتَ فأمسِكْ لسانك ويدك)** أخرجه ابن

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣١٣. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ٥٥١ عن السري السقطي. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ١٤٥ من قول لقمان الحكيم.

(٢) المعجم الصغير ١/ ١١٤.

(٣) مجمع الزوائد ١/ ٢٢٣.

أبي الدنيا في ذم الغضب[1] من طريق ميمون بن مهران قال: جاء رجل ... فذكره، وفيه أن الرجل قال: أمرتني أن لا أغضب، وإنه لَيغشاني ما لا أملك. قال: فإن غضبتَ فأمسِكْ لسانك ويدك.

وملكُ يده ولسانه هو الذي أشار النبي ﷺ بأمره لمَن غضب أن يجلس ويضطجع، وبأمره أن يسكت.

(١) وأخرجه أيضا في الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٦.

بيان فضيلة الحلم

(**اعلمْ أن الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلُّم، أي تكلُّف الحلم**) لأن صيغة التفعُّل في الأكثر للتكلُّف (**ولا يحتاج إلىٰ كظم الغيظ إلا مَن هاج غيظُه**) أي ثارَ والتهب شرارُه (**ويحتاج فيه**) أي في دفعه (**إلىٰ مجاهدة شديدة**) ورياضة بليغة (**ولكن إذا تعوَّدَ ذلك مدةً صار ذلك اعتيادًا، فلا يهيج الغيظُ**) بقوة (**وإن هاج**) يومًا (**فلا يكون في كظمه تعبٌ**) لخفة وطأته (**وهو الحلم الطبيعي**) ولذا عبَّر عنه بعضهم[١] بأنه: الطمأنينة عند سَوْرة الغضب. ومنهم من قال[٢]: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب. وفي معناه من قال[٣]: هو احتمال الأعلىٰ للأذىٰ[٤] من الأدنىٰ، أو [هو] رفعُ المؤاخذة عن مستحقِّها بجناية في حق مستعظَم (**وهو دلالة كمال العقل واستيلائه**) أي ملكه وقوته (**وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل**) بحيث لا تثور إلا حيثما يأمر العقل (**ولكن ابتداؤه التحلُّم وكظم الغيظ تكلُّفًا، قال ﷺ: إنما العلم بالتعلُّم**) أي[٥] إنما تحصيله بطريق الطلب والاكتساب من أهله وأخذِه عنهم حيث كانوا (**و**) إنما (**الحلم بالتحلُّم**) أي ببعث النفس وتنشيطها إليه (**ومَن يَتَحَرَّ الخير**) أي من يجتهد في تحصيل الخير ويقصده (**يُعطَه**) أي يعطيه الله تعالىٰ إياه (**ومَن يتوقَّ الشرَّ**) أي من يحفظ نفسه من الوقوع فيه (**يوقَه**) أي يحفظه الله تعالىٰ منه.

---

(١) هو الجرجاني في التعريفات ص ٩٨.

(٢) هو الراغب في المفردات ص ١٢٩.

(٣) هو أبو الحسن الحرالي، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٣/ ٢٨٩.

(٤) في نظم الدر: للأذي.

(٥) فيض القدير ٢/ ٥٦٩.

قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] والدارقطني في العلل[٣] من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: رواه[٤] الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية[٥] والعسكري في الأمثال، كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي زيد الهَمْداني، حدثنا الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء رفعه مثل سياق المصنف بزيادة: «[ثلاث مَن كنَّ فيه] لم يسكن الدرجات العُلَىٰ، ولا أقول لكم الجنة: مَن تكهَّن، أو استقسم، أو تطيَّرَ طيرًا يردُّه من سفر». قال الحافظ السخاوي: ومحمد بن الحسن كذاب، ولكن قد رواه البيهقي في المدخل[٦] من طريق هلال [ابن العلاء] عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير به موقوفًا علىٰ أبي الدرداء. انتهىٰ.

قلت: ورواه بهذا السند أيضًا الطبراني في الأوسط والخطيب في رياضة المتعلِّمين[٧].

وفي الباب أبو هريرة وأنس ومعاوية وابن مسعود وشدَّاد بن أوس. أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الدارقطني في الأفراد وفي العلل[٨] والخطيب في التاريخ[٩].

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٠.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ١١٨. مسند الشاميين ٣/ ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) العلل ٦/ ٢١٨ - ٢٢٠.

(٤) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٧٤.

(٦) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ١/ ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٧) الكتاب لابن السني ص١٤٨، ولا يعرف للخطيب البغدادي كتاب بهذا الاسم، وهو محض سهو منه رحمه الله، إذ سيأتي قريبًا في كلام العراقي نسبة الكتاب لابن السني.

(٨) العلل ١٠/ ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٩) تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٥.

وأما حديث أنس فأخرجه العسكري من طريق محمد بن الصلت حدثنا عثمان البزي عن قتادة عنه مرفوعًا به.

وأما حديث معاوية فأخرجه الطبراني في الكبير[١] وابن أبي عاصم في العلم له، كلاهما من طريق عُتبة بن أبي حكيم عمَّن حدَّثه عن معاوية رفعه بلفظ: «يا أيها الناس، إنما العلم بالتعلُّم، والفقه بالتفقُّه، ومَن يُرِد اللهُ به خيرًا يفقِّهه في الدين، وإنما يخشىٰ اللهَ من عباده العلماءُ». وجزم البخاري[٢] بتعليقه فقال: وقال النبي ﷺ: «مَن يُرِد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين». وقال: «إنما العلم بالتعلُّم». مع أن في إسناده مَن لم يُسَمَّ؛ لمجيئه من طريق أخرىٰ، وقال الحافظ ابن حجر[٣]: إسناد حديث معاوية حسن؛ لأن فيه مبهمًا اعتُضِدَ بمجيئه من وجة آخر.

وأما حديث ابن مسعود فقد أخرجه البيهقي في المدخل[٤] من طريق علي بن الأقمر والعسكري في الأمثال من طريق أبي الزعراء، كِلاهما عن أبي الأحوص عنه بلفظ: «إن الرجل لا يولَد عالمًا، وإنما العلم بالتعلُّم». وقد رُوي عنه نحوه موقوفًا بسند رجاله موثَّقون أخرجه البزار[٥] في حديث طويل أنه كان يقول: فعليكم بهذا القرآن، فإنه مأدبة الله، فمَن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل، فإنما العلم بالتعلُّم.

وأما حديث شداد بن أوس فأخرجه أبو نعيم في الحلية[٦] من حديث طويل بلفظ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، ماذا يزيد في العلم؟ قال: «التعلُّم». وفي سنده عمر بن صبح، وهو كذاب.

---

(١) المعجم الكبير ١٩/ ٣٩٥.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤١.

(٣) فتح الباري ١/ ١٩٤.

(٤) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ١/ ٣٤٠ - ٣٤١.

(٥) مسند البزار ٥/ ٤٢٣.

(٦) حلية الأولياء ٥/ ١٨٩.

وقد رُوي في الباب عن التابعين، أخرج العسكري من طريق حماد عن حميد الطويل قال: كان الحسن يقول: إذا لم تكن حليمًا فتحلَّمْ، وإذا لم تكن عالمًا فتعلَّمْ، فقلَّما تشبَّهَ رجلٌ بقوم إلا كان منهم.

ومن طريق زافر عن عمرو بن عامر البَجَلي قال: قال الحسن: هو واللهِ أحسن منك رداءً وإن كان رداؤك حبرة، رجل ردَّاه اللهُ الحلمَ، فإن لم يكن حلمٌ لا أبا لك فتحلَّمْ، فإنه مَن تشبَّه بقوم لحق بهم.

(أشار بهذا إلىٰ أن اكتساب الحلم طريقه التحلُّم أولاً وتكلُّفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلُّم.

وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: اطلبوا العلم، واطلبوا مع العلمِ السكينةَ والحلم، لِينوا)** أي تواضعوا **(لمَن تُعلِّمون)** أي لمَن يتعلَّم منكم **(ولمَن تَعلَّمون منه)** أي من مشايخكم **(ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلُكم علمَكم)** قال العراقي[1]: رواه ابن السني في «رياضة المتعلمين» بسند ضعيف[2]. انتهىٰ.

قلت: ورواه الطبراني أيضًا في الأوسط[3] وابن عدي في الكامل[4] بلفظ: «تعلَّموا العلم، وتعلَّموا للعلم السكينةَ والوقار، وتواضعوا لمَن تعلَّمون منه». قال الهيثمي[5]: فيه عَبَّاد بن كثير، وهو متروك الحديث. ورواه أبو نعيم في الحلية[6] من طريق حَبُّوش بن رزق الله، عن عبد المنعم بن بشير، عن مالك، عن زيد بن أسلم،

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٠.

(٢) وأخرجه البيهقي في المدخل ص٣٧١ موقوفًا علىٰ عمر بن الخطاب وصححه.

(٣) المعجم الأوسط ٦/ ٢٠٠.

(٤) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٤٢.

(٥) مجمع الزوائد ١/ ٣٤١.

(٦) حلية الأولياء ٦/ ٣٤٢.

عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رفعه: «تعلَّموا العلم، وتعلموا للعلم الوقارَ». وقال: غريب من حديث مالك عن زيد، لم نكتبه إلا من حديث حبوش عن عبد المنعم. وروىٰ الخطيب في الجامع[1] من حديث أبي هريرة: «تواضعوا لمَن تعلَّمون منه، وتواضعوا لمن تعلِّمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء».

(**أشار بهذا إلىٰ أن التجبُّر والتكبُّر هو الذي يهيِّج الغضبَ ويمنع من الحلم واللين**) وأن التواضع والسكون هو الذي يمنع ثوارن الغضب ويورث الحلمَ.

(**وكان من دعاء رسول الله ﷺ: اللهم أغنِني بالعلم**) أي الذي يقرِّب إلىٰ معرفتك (**وزيِّنّي بالحلم**) أي[2] اجعلْه زينةً لي (**وأكرِمْني بالتقوىٰ**) لأكون من أكرم الناس عندك (**وجَمِّلْني بالعافية**) وخصَّ سؤال العلم بالإغناء لأنه هو القطب، وعليه المدار، وليس الغِنىٰ إلا فيه، فمَن كان عاريًا عنه فهو الفقير حقيقةً. والحلم بالزينة لأنه أفضل ما يتحلَّىٰ به الإنسان، ولا زينة كزينته. والتقوىٰ بالإكرام لأنها أساس كل خير، والسبب لسعادة الدارين. والعافية بالجمال لأنه لا جمال للمرء كجمالها.

قال العراقي[3]: لم أقف له علىٰ أصل.

قلت: بل رواه ابن النجار في التاريخ والرافعي في تاريخ قزوين[4] من حديث ابن عمر[5].

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال النبي ﷺ: ابتغُوا**) أي اطلبوا بجد واجتهاد، فإن الابتغاء مختصٌّ بالاجتهاد في الطلب؛ قاله الراغب[6]. وقال الحَرالي: افتعال

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٥٥٤ - ٥٥٥.

(٢) فيض القدير ٢/ ١٤٤.

(٣) المغني ٢/ ٨٥٠.

(٤) التدوين في أخبار قزوين ٢/ ٣٢٤.

(٥) وأخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم صـ١٨، ١٧ من كلام سفيان بن عينية يرفعه إلىٰ النبي ﷺ.

(٦) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦.

تكلُّف البغي وهو أشد الطلب[١] **(الرفعة)** أي الشرف والمنزلة **(عند الله)** أي في دار كرامته **(قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل مَن قطعك)** أي قطع مواساتك أو زيارتك، فلا تقابله بالقطع **(وتعطي مَن حرمك)** أي منعك ما هو لك **(وتحلُم)** بضم اللام **(عمَّن جهلَ)** أي سفهَ **(عليك)** بأن تمسك لسانك ويدك عنه، والسفاهة تسمَّىٰ جهلاً، ومنه قول الشاعر[٢]:

ألا لا يجهلـن أحـدٌ علينـا ... فنجهـل فـوق جهـلِ الجاهلينـا

قال العراقي[٣]: رواه الحاكم والبيهقي[٤]، وقد تقدم.

قلت: ورواه ابن عدي[٥] من حديث ابن عمر بدون قوله «تصل مَن قطعك».

(وقال ﷺ: خمس من سنن المرسَلين) أي[٦] من شأنهم وفعلِهم **(الحياء)** الذي هو خجلُ الروح من كل عمل لا يحسُن في الملأ الأعلىٰ، وذلك لأنه يطهِّر الروح من أسباب النفس **(والحلم)** الذي هو سعة الصدر وانشراحه لورود النور عليه **(والحجامة)** لأن للدم حرارة وقوة، وهو غالب علىٰ قلوب المرسلين، فإذا لم تنقُص أضرَّت **(والسواك)** لأن الفم طريق الوحي ومحل لنجوىٰ الملَك، فإهماله تضييع لحرمة الوحي **(والتعطُّر)** أي استعمال العطر؛ لأنه ليس للملائكة حظٌّ ممَّا للبشر إلا الريح الطيب، وهم يُكثِرون مخالطةَ الرسل، فيكون الطِّيب بمنزلة قِراهم.

---

(١) نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٤/ ٢٤٥.

(٢) هو عمرو بن كلثوم التغلبي، والبيت في ديوانه ص ٧٨ ضمن معلقته المشهورة.

(٣) المغني ٢/ ٨٥٠.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٠٩. السنن الكبرىٰ للبيهقي ١٠/ ٣٩٩، ولفظهما: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا وأدخله الجنة برحمته. قالوا: من يا رسول الله؟ قال: تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك. قال: فإذا فعلت ذلك فما لي يا رسول الله؟ قال: أن تحاسَب حسابا يسيرا، ويدخلك الله الجنة برحمته».

(٥) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥٥٧. وفيه قوله (وتصل من قطعك).

(٦) فيض القدير ٣/ ٤٥٦ - ٤٥٧. نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٦٦٥ - ٦٦٧.

قال العراقي[١]: رواه أبو بكر ابن أبي عاصم في المثاني والآحاد[٢] والترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسند ضعيف من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده. وللترمذي[٣] - وحسَّنه - من حديث أبي أيوب «أربع» فأسقط الحلم والحجامة، وزاد النكاح. انتهىٰ.

قلت: جد مليح بن عبد الله هو حصين بن عبد الله الخَطْمي، له صحبة. والحديث أيضًا رواه البخاري في التاريخ[٤] والبزار في المسند[٥] والبغوي في المعجم[٦] والطبراني في الكبير[٧] وأبو نعيم في المعرفة[٨] والبيهقي في الشعب[٩]. وقال البيهقي عقب تخريجه: هذا ذكره البخاري في التاريخ عن عبد الرحمن عن ابن أبي فُدَيك - وهو محمد بن إسماعيل - عن عمر بن محمد الأسلمي، فعمر ينفرد به. انتهىٰ. وعمر، قال الذهبي[١٠]: من المجاهيل. وكأنه أشار إلىٰ ذلك الحافظ العراقي بقوله: بسند ضعيف.

وأما[١١] حديث أبي أيوب فأخرجه كذلك أحمد[١٢] والبيهقي[١٣]، كلهم من

(١) المغني ٢/ ٨٥٠ - ٨٥١.

(٢) الآحاد والمثاني ٤/ ٢٢٣.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٣٧٧.

(٤) التاريخ الكبير ٨/ ١٠.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٢٤٤.

(٦) معجم الصحابة ٢/ ١٦١.

(٧) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٩٤.

(٨) معرفة الصحابة ١/ ٤٣٩، ٥/ ٢٩٤٩.

(٩) شعب الإيمان ١٠/ ١٥٩.

(١٠) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢٩٦.

(١١) فيض القدير ١/ ٤٦٥ - ٤٦٦.

(١٢) مسند أحمد ٣٨/ ٥٥٤.

(١٣) شعب الإيمان ١٠/ ١٦٠.

طريق مكحول عن أبي الشمال عنه، ولفظه: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطُّر، والنكاح، والسواك». وقد رُوي فيه «الحنَّاء» بالنون بدل «الحياء»، فيكون علىٰ تقدير مضاف، أي استعماله، ورجَّح ابن القيم[1] عن المزي أن صوابه «الختان» وسقطت النون، قال: وهكذا رواه المحاملي[2] عن شيخ الترمذي.

ورویٰ العقيلي[3] والبيهقي[4] من حديث ابن عباس: «من سنن المرسلين: الحياء، والحلم، والحجامة، والسواك، والتعطُّر، وكثرة الأزواج».

(وقال علي) رضي الله عنه: **(قال النبي** ﷺ: **إن الرجل المسلم لَيدركُ بالحلم درجة الصائم القائم)** أي الصائم في شدة الحر والمتهجِّد بالليل **(وإنه لَيُكتَبُ جبَّارًا عنيدًا)** أي بسبب سوء خُلُقه **(وما يملك إلا أهل بيته)** قال العراقي[5]: رواه الطبراني في الأوسط[6] بسند ضعيف. انتهیٰ.

قلت: ورواه كذلك أبو الشيخ في كتاب الثواب. قال المنذري: وسنده ضعيف[7].

ورویٰ أبو داود[8] وابن حبان[9] والبغوي في شرح السنَّة[10] من حديث عائشة: «إن المؤمن لَيدركُ بحسن الخُلُق درجة القائم الصائم».

---

(١) زاد المعاد ٤/ ٢٣١.

(٢) أمالي المحاملي برواية ابن يحيىٰ البيع ص ٣٨٥.

(٣) الضعفاء الكبير ١/ ٩٨.

(٤) شعب الإيمان ١٠/ ١٦٠.

(٥) المغني ٢/ ٨٥١.

(٦) المعجم الأوسط ٦/ ٢٣٢.

(٧) لم أقف علىٰ ذلك في كتاب الترغيب والترهيب، بل ذكره ص ١٠٠٣ واقتصر علىٰ عزوه لأبي الشيخ دون الحكم عليه.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٥.

(٩) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٢٩.

(١٠) شرح السنة ١٣/ ٨٢ وأحمد ٢٤٤٠٠، والحاكم ١/ ٦٠.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(إن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحسِنُ إليهم ويسيئون إليَّ ويجهلون عليَّ)** أي يسفهون **(وأحلُم عنهم)** أي أصفح وأتجاوز **(قال: لئن كان كما تقول فكأنَّما تُسِفُّهم المَلَّ)** يقال: سفَّ الدواءَ سفًّا، وأَسَفَّه غيرَه، والاسم: السَّفُوف، بالفتح[١] **(ولا يزال معك من الله ظهيرٌ ما دمتَ علىٰ ذلك)** رواه مسلم في الصحيح[٢] **(والمَلُّ يعني به الرمل)** وقيل: هو رماد الفرن[٣].

(وقال رجل من المسلمين: اللهم ليس عندي صدقة أتصدَّق بها، فأيُّما رجل أصاب من عِرضي شيئًا فهو عليه صدقة. فأوحىٰ الله إلىٰ النبي ﷺ: إني قد غفرت له) قال العراقي[٤]: رواه أبو نعيم في الصحابة[٥] والبيهقي في الشعب[٦] من رواية عبد المجيد بن أبي عبس بن جبر عن أبيه عن جده بإسناد لين، زاد البيهقي: عن علبة بن زيد. وعلبة هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث. وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب[٧] أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين. ولم يسمِّه. قال: ولعله أبو ضمضم. قلت: وليس بأبي ضمضم، إنما هو علبة بن زيد، وأبو ضمضم ليست له صحبة وإنما هو متقدِّم. انتهىٰ.

قلت: وقد سبق ابنَ عبد البر في ذلك أبو أحمد الحاكم في الكنىٰ. وأما[٨] عُلبة

---

(١) في تاج العروس ٢٣/ ٤٤٢: «قال الليث: أسفَّ الجرحَ دواءً: أدخله فيه، وهو مجاز، كأنه جعله له سَفُوفا».

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٩١.

(٣) في تاج العروس ٣٠/ ٤٢٠: «المَلَّة: الرماد الحار الذي يُحمَىٰ ليُدفن فيه الخبز لينضج. والملة أيضا: الجمر».

(٤) المغني ٢/ ٨٥١.

(٥) معرفة الصحابة ٤/ ٢٢٥١.

(٦) شعب الإيمان ١٠/ ٤٢١.

(٧) الاستيعاب ٢/ ٤٢٦.

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٤٢ - ٤٤.

ابن زيد فهو رجل من الصحابة، من ولد مالك بن الأوس، وقد ذكره ابن إسحاق في السيرة[١] وابن حبيب في المحبَّر[٢] في البَكَّائين في غزوة تبوك [ثم قال[٣]]: فأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلىٰ وبكىٰ وقال: اللهم إنك قد أمرتَ بالجهاد ورغَّبتَ فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوَّىٰ به مع رسولك، وإني أتصدَّق علىٰ كل مسلم بكل مَظلمة أصابني بها في جسد أو عِرض ... فذكر الحديث بغير إسناد. وقد ورد [مسندًا] موصولاً من حديث مجمع بن حارثة ومن حديث عمرو بن عوف وأبي عبس بن جبر ومن حديث علبة بن زيد نفسه، كما سنبيِّنه. وروىٰ ابن مردويه ذلك من حديث مجمع بن حارثة . وروىٰ ابن منده من طريق محمد ابن طلحة عن عبد المجيد بن أبي عَبْس بن جبر عن أبيه عن جده قال: كان علبة ابن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، فلما حضَّ علىٰ الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده، فقال علبة بن زيد: اللهم إنه ليس عندي ما أتصدَّق به، اللهم إني أتصدَّق بعِرضي علىٰ مَن ناله من خلقك. فأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادىٰ: أين المتصدِّق بعِرضه البارحةَ؟ فقام علبة، فقال: «قد قُبِلتْ صدقتك». قال الحافظ: هكذا وقع هذا الإسناد، وفيه تغيير ونقص، وإنما هو عبد المجيد ابن محمد بن أبي عبس، والصحبة لأبي عبس لا لجبر. وقد روىٰ الطبراني من طريق محمد بن طلحة بهذا الإسناد حديثًا غير هذا. وروىٰ البزار[٤] من طريق صالح مولىٰ التوأمة عن علبة بن زيد نفسه قال: حثَّ رسول الله ﷺ علىٰ الصدقة ... فذكر الحديث. قال البزار: علبة هذا رجل مشهور من الأنصار[٥]، ولا نعلم له غير هذا الحديث، وقد روىٰ عمرو بن عوف حديثه هذا أيضًا. قال الحافظ: وأشار إلىٰ ما أسنده ابن

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٥٧.

(٢) المحبر ص ٢٨١ (ط - دار الآفاق الجديدة ببيروت).

(٣) يعني ابن إسحاق، وقد رواه من طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢١٨ - ٢١٩.

(٤) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٤٥٥.

(٥) في كشف الأستار: مشهور بهذا الفعل.

أبي الدنيا[١] وابن شاهين من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه. وأخرجه الخطيب من طريق أبي قُرَّة الزبيدي في السنن له قال: ذكر ابن جريج عن صالح بن زيد عن أبي عيسىٰ الحارثي عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله ﷺ أمر الناس بالصدقة ... فذكره، لكن قال بعد قوله: ولكني أتصدَّق بعِرضي علىٰ مَن آذاني أو شتمني أو لمزني فهو له حِلٌّ. فقال له النبي ﷺ: «قد قُبلت منك صدقتك». قال الخطيب: كذا في الكتاب: عن أبي عيسىٰ الحارثي، والصواب: عن أبي عَبْس، بفتح العين وسكون الموحدة.

(وقال ﷺ: **أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: رجل كان فيمن قبلكم إذا أصبح يقول: اللهم إني أتصدَّق اليوم بعرضي علىٰ مَن ظلمني**) تقدم الكلام عليه في آفات اللسان، ولولا التصريح بأنه كان فيمن كان قبلنا لجوَّزنا أن يكون علبة بن زيد يكنىٰ أبا ضمضم، وقد أشرنا آنفًا إلىٰ كلام ابن عبد البر والمناقشة معه في قوله «أظنه أبا ضمضم»، فراجعْه.

(**وقيل في قوله تعالىٰ:** ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] **أي حُلَماء علماء**) وتقدم في كتاب العلم.

(**وعن الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ (**في قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] **قال: حلماء، إن جُهل عليهم لم يجهلوا**) أخرج[٢] عبد بن حميد وابن جرير[٣] وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب[٤] عن الحسن قال: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآية قال: يمشون حُلَماء متواضعين، لا يجهلون علىٰ أحد، وإن جهل عليهم [جاهل] لم يجهلوا. وأخرج

---

(١) مداراة الناس ص ٢٩.

(٢) الدر المنثور ١١/ ٢٠٣ - ٢٠٨.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٤٩٢ - ٤٩٤.

(٤) شعب الإيمان ١١/ ٢٦.

عبد بن حميد[١] عن الحسن في حديث طويل ذكر فيه: فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت فقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ قال: حُلَماء لا يجهلون علىٰ أحد، وإن جُهل عليهم حَلُموا. وقال مجاهد: ﴿سَلَٰمًا﴾ أي سدادًا من القول. رواه الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير[٢]. وقال الفضيل بن عياض: ﴿سَلَٰمًا﴾ أي إن جُهل عليه حَلُمَ، وإن أُسيءَ إليه أحسنَ، وإن حُرم أعطىٰ، وإن قُطع وصل. أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣]. وعن سعيد بن جبير قال: ﴿سَلَٰمًا﴾ أي رَدُّوا معروفًا. أخرجه ابن أبي حاتم (**وقال عطاء بن أبي رباح**) رحمه الله تعالىٰ: (﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ **أي حلماء**) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال: ﴿هَوْنًا﴾ أي حلماء، بالعِبرانية. وعن ميمون بن مهران قال: بالسُّريانية. وقال ابن عباس: ﴿هَوْنًا﴾ أي بالطاعة والعفاف والتواضع. أخرجه عبد بن حميد وابن جرير[٤] وابن المنذر وابن أبي حاتم. وقال مجاهد: ﴿هَوْنًا﴾ أي بالوقار والسكينة. أخرجه عبد الرزاق[٥] والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير[٦] والبيهقي في الشعب[٧]. ورُوي مثله عن الفضيل بن عياض. أخرجه الخرائطي في المكارم[٨]. وقال ابن عباس: ﴿هَوْنًا﴾ أي علماء حلماء. أخرجه ابن أبي حاتم. وعن زيد بن أسلم: ﴿هَوْنًا﴾: لا يشتدُّون. أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وذابن أبي حاتم. وعن قتادة: ﴿هَوْنًا﴾ أي تواضعًا لله لعظمته. أخرجه ابن أبي حاتم. وعن الحسن: ﴿هَوْنًا﴾: حُلماء

---

(١) وكذلك محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص ٤٣.

(٢) جامع البيان ١٧/ ٤٩٤.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٤٤.

(٤) جامع البيان ١٧/ ٤٩١.

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٧١.

(٦) جامع البيان ١٧/ ٤٩٠.

(٧) شعب الإيمان ١١/ ٢٧.

(٨) وهو تمام الأثر السابق عنه.

متواضعين. أخرجه البيهقي في الشعب[(١)].

(وقال ابن أبي حبيب) هو[(٢)] يزيد بن أبي حبيب، أبو رجاء المصري، واسم أبيه سويد، ثقة، فقيه، مات سنة ثمان وعشرين [ومائة] روىٰ له الجماعة (في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦] قال: الكهل منتهىٰ الحلم) [(٣)] اعلمْ أن سن الكهولة هو سن الانحطاط مع بقاء من القوة، وهو من الأربعين إلىٰ نحو من ستين سنة[(٤)]. ثم إن الحُلُم هنا بالضم بمعنىٰ العقل، أي سن الكهولة هو الذي ينتهي إليه كمالُ العقل ثم لا يزيد. والمناسب لسياق المصنف أن يكون بكسر الحاء بمعنىٰ ضبط النفس عند هيجان الغضب، أي هذه القوة منتهاها في هذا السن، فتأملْ. وسيأتي لذلك تحقيقٌ قريبًا.

(وقال مجاهد) في قوله تعالىٰ: (﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢] أي إذا أوذوا صفحوا) أخرجه[(٥)] الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب[(٦)] وابن جرير[(٧)] وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب[(٨)].

(ورُوي أن ابن مسعود) رضي الله عنه (مر بلغو معرضًا) ولم يقف (فقال رسول الله ﷺ): لقد (أصبح ابن مسعود، أو) قال: (أمسىٰ كريمًا. ثم تلا إبراهيم بن ميسرة) الطائفي[(٩)]،

---

(١) وتقدم قريبا، وليس في الشعب كلمة (متواضعين).

(٢) تقريب التهذيب ص ١٠٧٣.

(٣) رواه ابن وهب في تفسيره ١/ ١١٠. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٣٦١ بلفظ: «الكهل: الحليم». وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٥٤٩، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) الشرح المغني في الطب لسديد الدين الكازروني ص ١٤.

(٥) الدر المنثور ١١/ ٢٢٧.

(٦) ورواه أيضا في مداراة الناس ص ٤٠.

(٧) جامع البيان ١٧/ ٥٢٤.

(٨) شعب الإيمان ١٠/ ٤٢٤.

(٩) تقريب التهذيب ص ١١٧.

نزيل مكة، ثبت، حافظ، مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائة] روىٰ له الجماعة (**وهو الراوي**) لهذا الحديث: (**قوله تعالىٰ**: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾) قال العراقي[١]: رواه ابن المبارك في البر والصلة بإسناد منقطع. انتهىٰ[٢].

قلت: وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر[٣]، كلهم من طريق إبراهيم بن ميسرة قال: بلغني أن ابن مسعود مر بلغو معرضًا ولم يقف ... فذكره.

(**وقال النبي ﷺ: اللهم لا يدركني ولا أُدرِكه زمان لا يتَّبعون فيه العليمَ ولا يستحيون فيه من الحليم، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب**) قال العراقي[٤]: رواه أحمد[٥] من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: وقد رُوي نحوه من حديث علي، رواه الديلمي[٦]، ولفظه: «يأتي علىٰ الناس زمانٌ لا يُتَّبَع فيه العالِم، ولا يُستحىٰ فيه من الحليم، ولا يوقَّر فيه الكبير، ولا يُرحَم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضًا [علىٰ الدنيا] قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، يمشي الصالح فيهم مستخفيًا، أولئك شِرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة».

(**وقال ﷺ: لِيَلِني**) بكسر[٧] اللامين وخفَّة النون من غير ياء قبل النون، وبإثباتها مع شدة النون علىٰ التأكيد؛ هكذا ضبطه النووي بالوجهين. وقال الطيبي:

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٢.

(٢) وهو عند البيهقي من حديث أبي هريرة ١٠/ ١٧٩.

(٣) تاريخ دمشق ٣٣/ ١٢٨.

(٤) المغني ٢/ ٨٥٢.

(٥) مسند أحمد ٣٧/ ٥١٨.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٤٤١ - ٤٤٢.

(٧) فيض القدير ٥/ ٣٩٦ - ٣٩٧. شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ٢٠٣. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٤/ ١١٤٢. الميسر شرح مصابيح السنة للتوربشتي ١/ ٢٩٠. فتح القدير لابن الهمام ١/ ٣٦٩ - ٣٧٠. تحفة الأبرار للبيضاوي ١/ ٣٣٦.

حق هذا اللفظ أن تُحذَف منه الياء؛ لأنه علىٰ صيغة الأمر، وقد وُجد بإثبات الياء وسكونها في سائر كتب الحديث، والظاهر أنه غلطٌ **(منكم)** أي ليدنوَنَّ مني منكم يا أصحابي **(ذوو الأحلام)** وفي لفظ: أولو الأحلام. أي العقول **(والنُّهَىٰ)** جمع نُهية بالضم، وهي العقل الناهي عن القبائح؛ هكذا فسَّره غير واحد. وفيه لزوم التكرار من غير ضرورة داعية، والأَولىٰ أن يفسَّر ذوو الأحلام بالبالغين، والحُلُم بالضم: ما يراه النائم، وقد غلب استعمالُه فيما يراه من دلالة البلوغ، فدلالته علىٰ البلوغ التزامية **(ثم الذين يلونهم)** أي يقرُبون منهم في [هذا] الوصف كالمراهقين **(ثم الذين يلونهم)** كالصبيان المميِّزين **(ولا تختلفوا فتختلفَ)** بالنصب **(قلوبكم)** أي تراصُّوا في الصفوف، وليقرب بعضكم بعضًا، ولا تختلفوا، فإن اختلاف الظاهر يورث اختلافَ الباطن **(وإياكم وهيشات الأسواق)** جمع هيشة وهي الفتنة والاضطراب، أي مختلطات الأسواق وجماعاتها، والمعنىٰ: لا تكونوا مختلطين اختلاط أهل الأسواق فلا يتميَّز الذكور من الإناث ولا الصبيان من البالغين. والظاهر من سياق المصنِّف لهذا الحديث هنا أن المراد بالأحلام هنا جمع الحِلم بالكسر، أي أصحاب هذه الصفة، أي أهل الوقار والسكينة وهم أشراف الصحابة وسابقوهم، ويدل علىٰ ذلك حديث ابن مسعود عند الحاكم: «ليلني منكم الذين يأخذون عني». يعني الصلاة، أي لشرفهم ومزيد فضلهم، وعلىٰ هذا فلا يكون في الحديث تكرار.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث ابن مسعود دون قوله «ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» فهي عند أبي داود[٣] والترمذي[٤] وحسَّنه، وهي عند مسلم[٥] في

(١) المغني ٢/ ٨٥٢.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٠٤.
(٣) سنن أبي داود ١/ ٤٦٢.
(٤) سنن الترمذي ١/ ٢٦٧.
(٥) صحيح مسلم ١/ ٢٠٤.

حديث آخر لأبي مسعود.

قلت: وكذلك رواه عبد الرزاق[١] والنسائي[٢] وابن ماجه[٣] والحاكم[٤] وقال: هو على شرط البخاري. وقال الترمذي في العلل[٥]: سألت البخاري عن هذا الحديث فقال: أرجو أن يكون محفوظًا. ورواه أحمد[٦] وابن حبان[٧] والطبراني[٨] والنسائي[٩] من حديث ابن مسعود.

(ورُوي أنه وفد على النبي ﷺ الأشج) العبدي[١٠]، ويقال له: أشج عبد القيس، وأشج بني عَصَر[١١]، مشهور بلقبه، واسمه المنذر بن عائذ أو ابن الحارث، قال الواقدي: كان قدوم الأشج ومَن معه سنة عشر من الهجرة، وقيل: سنة ثمان قبل فتح مكة **(فأناخ راحلتَه، ثم عقلَها)** أي حبسها بعقال **(ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه، وأخرج من العيبة)** وهي شبة الخُرْج[١٢] **(ثوبين حسنين أبيضين، فلبسهما، وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع)** أي بمرأى منه، وكان[١٣] قد تخلَّف عن أصحابه،

(١) مصنف عبد الرزاق ٢/ ٤٥.
(٢) سنن النسائي ص ١٣٤.
(٣) سنن ابن ماجه ٢/ ٢١٦.
(٤) المستدرك على الصحيحين ١/ ٣٢٧، ٢/ ١٠.
(٥) العلل الكبير ص ٦٦.
(٦) مسند أحمد ٧/ ٣٨٠.
(٧) صحيح ابن حبان ٥/ ٥٥٤.
(٨) المعجم الكبير ١٠/ ١٠٨.
(٩) السنن الكبرى ١٠/ ٣٥٤.
(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧٩.
(١١) وبنو عصر حي من عبد القيس. معجم قبائل العرب ٢/ ٧٨٤.
(١٢) في تاج العروس ٣/ ٤٤٩: «العيبة: زبيل من أدم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرن، في لغة همدان. والعيبة: ما يُجعل فيه الثياب. والعيبة: وعاء من أدم يكون فيه المتاع».
(١٣) فيض القدير ٢/ ٤٧٣ - ٤٧٤.

وهو أصغرهم سنًّا، وهم أقبلوا بثياب سفرهم فقابلوا النبيَّ ﷺ (**ثم أقبل يمشي إلىٰ رسول الله ﷺ**) فقبَّل يده (**فقال ﷺ: يا أشج**) ناداه بلقبه المشهور به (**إن فيك خُلُقين**) بضمتين، وفي رواية: لَخصلتين. مثنىٰ خصلة (**يحبهما الله ورسوله. فقال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال: الحِلم**) بالكسر، أي العقل (**والأناة**) بالكسر، أي التثبُّت وعدم العجلة (**فقال**): يا رسول الله (**خُلُقانِ تخلَّقتُهما**) أي تكلَّفتهما (**أو خُلُقان جُبِلتُهما**)؟ أي جبلني اللهُ عليهما (**قال: بل خُلُقان جبلك الله عليهما. فقال: الحمد لله الذي جبلني علىٰ خلقينِ يحبهما الله ورسوله**) وهذا لا يناقضه النهيُ عن مدح المرء في وجهه، فإنَّ ما كان من النبوة فهو وحيٌ، والوحي لا يجوز كتمُه. أو أنه ﷺ علم من حاله أنه لا يلحقه به الإعجاب فأخبره بذلك ليزداد لزومًا له ويشكر الله علىٰ ما منحه.

قال العراقي[1]: متفق عليه[2].

قلت: رواه مسلم في الإيمان والترمذي[3] في البر من حديث ابن عباس. ورواه أحمد[4] من حديث الوازع. ورواه ابن ماجه[5] من حديث أبي سعيد[6]، إلا أنه قال «التؤدة» بدل «الأناة»، وهي بمعناها.

(**وقال ﷺ: إن الله يحب الحليم**) أي صاحب الحلم (**الحيي**) أي الكثير الحياء (**الغني**) عن الناس؛ لقلة حاجته إليهم (**المتعفِّف**) عن السؤال لهم (**أبا العيال التقي، ويبغض الفاحشَ البذيء**) خبيث اللسان يتكلم بالهذر من القول

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٢٩ - ٣٠، ولم يروه البخاري.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٠.

(٤) مسند أحمد ٣٩/ ٤٩٠.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٦) ورواه أيضا مسلم من حديث أبي سعيد، أورده عقيب حديث ابن عباس.

(السائل المُلحِف) أي المُلِحَّ **(الغبي)** قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] من حديث فاطمة بسند ضعيف دون قوله «الغني». ولمسلم من حديث سعد: «إن الله يحب العبد التقي [الغني] الخفي».

قلت: روىٰ أحمد[٣] ومسلم[٤] من حديث سعد بن أبي وقاص: «إن الله يحب العبد [التقي] الغني الخفيَّ».

وروىٰ ابن ماجه[٥] من حديث عمران: «إن الله يحب عبده المؤمن الغني المتعفِّف».

وروىٰ أحمد[٦] من حديث أسامة بن زيد: «إن الله يبغض الفاحش المتفحِّش».

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٧] من حديث أبي هريرة: «إن الله يبغض السائل المُلحِف».

(وقال ابن عباس) ﷺ: **(قال رسول الله ﷺ: ثلاث)** خصال **(من لم تكن فيه)** خصلة **(واحدة منهن فلا تعتدُنَّ)** أي لا تعتبرُنَّ **(بشيء من عمله: تقوىٰ)** أي[٨] كفٌّ عن المحارم والشبهات **(تحجزه عن معاصي الله)** ومحارمه **(أو حلم يكفُّ**

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٣.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤١، ٢٢/ ٤١٣ - ٤١٤.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٥١، ١١٢.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٤، ولكن لفظه: «إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال».

(٦) مسند أحمد ٣٦/ ٩٩ بلفظ: «إن الله لا يحب كل فاحش متفحش».

(٧) لم يروه في الحلية، وإنما في تاريخ أصفهان ١/ ٧٨ بلفظ: «إن الله عز وجل يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده، ويكره البؤس والتباؤس، ويحب الحيي الحليم العفيف المتعفف، ويبغض الفاحش البذيء السائل الملحف».

(٨) فيض القدير ٣/ ٢٨٩.

به **أذى السفيه**) فلا يرد عليه بمثل صنعه بل بالعفو والصفح واحتمال الأذى ونحو ذلك (**أو خُلُق**) بضم اللام (**يعيش به في الناس**) بأن تكون عنده مَلَكة يقتدر بها على مداراتهم ومسالمتهم ليَسلم من شرِّهم.

قال العراقي[1]: رواه أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف، والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين، وقد تقدم في آداب الصحبة[2].

قلت: ورواه البزار[3] من حديث أنس بلفظ: «ثلاث مَن كنَّ فيه فقد استوجب الثوابَ واستكمل الإيمانَ: خُلُق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله تعالى، وحلم يردُّ عنه جهل الجاهل». وفيه عبد الله بن سليمان، تُكُلِّم فيه.

وأخرجه البيهقي[4] من حديث الحسن مرسلاً بلفظ: «ثلاث [خلال] مَن لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرًا منه: ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حُسن خُلق يعيش به في الناس».

(**وقال رسول الله ﷺ: إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة**) وفي نسخة: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة (**نادى منادٍ**) من بطنان العرش: (**أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير**) أي قليل (**فينطلقون سِراعًا إلى الجنة**) أي مسرعين إليها (**فتتلقَّاهم الملائكة فيقولون لهم: إنَّا نراكم سراعًا إلى الجنة**) أي فما السبب في ذلك؟ (**فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون لهم: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلِمنا**) أي ظلمنا غيرُنا (**صبرنا**) على ظلمهم (**وإذا أُسيء إلينا غفرنا**) أي صفحنا عن إساءتهم (**وإذا جُهل علينا حلُمنا**) أي قابلنا جهلهم بالحلم (**فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنِعم أجر العاملين**) قال العراقي[5]:

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٣.

(٢) بل في كتاب تهذيب النفس، وهناك عزا العراقي حديث ابن عباس إلى الطبراني في مكارم الأخلاق.

(٣) مسند البزار ١٣/ ٨٨.

(٤) شعب الإيمان ١١/ ١٣.

(٥) المغني ٢/ ٨٥٣.

رواه البيهقي في الشعب[١] من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال البيهقي: في إسناده ضعفٌ.

(الآثـار:

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: تعلَّموا العلم، وتعلَّموا للعلم السكينةَ والوقار) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديثه مرفوعًا، وقد ذُكر في أول هذا الباب. وقد رُوي بنحوه مرفوعًا من حديث أبي الدرداء[٢]، وقد تقدم أيضًا قريبًا.

(وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ليس الخير أن يكثُر مالُك وولدُك، ولكن الخير أن يكثُر علمُك، ويعظُم حلمُك، وأن تباهي الناسَ بعبادة الله تعالىٰ، وإذا أحسنتَ حمدتَ الله، وإذا أسأت استغفرت الله)[٣] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٤] من قول أبي الدرداء فقال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن أبي سهل، عن عبد الله بن محمد العبسي، حدثنا أبو أسامة، عن خالد ابن دينار، عن معاوية بن قُرَّة قال: قال أبو الدرداء: ليس الخير أن يكثُر مالك وولدك ... فساقه إلا أنه قال: «وأن تباري» بدل «تباهي».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(اطلبوا العلم وزيِّنوه بالوقار والحلم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وأبو نعيم في الحلية. وقد رُوي بنحوه من حديث أبي الدرداء[٥] مرفوعًا، وقد تقدم قريبًا.

---

(١) شعب الإيمان ١٠/ ٤٢٢.

(٢) بل من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٧٥، ١٠/ ٣٨٨، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٤٤٧، والدارقطني في المؤتلف والمختلف ٢/ ١٠٦٢.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢١٢.

(٥) الصواب: من حديث أبي هريرة، كما تقدم التنبيه عليه قريبا.

(**وقال أكثم بن صيفي**) بن[١] رياح بن الحارث بن مُخاشِن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي، الحكيم المشهور، ذكره ابن السكن في الصحابة، والصحيح أنه لم يلقَ النبيَّ ﷺ، بل مات قبل وصوله إليه عطشًا، وأنه أسلم وأوصىٰ جماعة بالإسلام، وكان من المعمِّرين، عاش مائتين وسبعين سنة، ويقال: مائة وتسعين، وأبوه صيفي أيضًا من المعمِّرين[٢]، وكانت له حكمة وبلاغة. فمن جملة حِكَمه قولُه: (**دعامة العقلِ الحلمُ، وجُمَّاع الأمرِ الصبرُ**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٣]. والدِّعامة[٤]: ما يُدعَم به الحائط إذا مال، أي يسنده ليمنعه من السقوط، ومنه قيل للسيد في القوم: هو دعامة قومه، كما يقال: هو عمادهم. فجعلُ الحلم دعامة للعقل يكون سببًا لاستقامته وعدم زلَّته.

(**وقال أبو الدرداء**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه**) أي نفعٌ كله (**فأصبحوا**) الآن (**شوكًا لا ورق فيه**) أي شر كله (**إن عرفتَهم**[٥] **نقدوك**) كما يُنقَد الدرهم والدينار (**وإن تركتَهم لم يتركوك. قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عِرضك ليوم فقرك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٦]. وقال أبو نعيم في الحلية[٧]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا مسعر، عن عون بن عبد الله، عن أبي الدرداء

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٨٠.

(٢) في الإصابة: «قال أبو حاتم: عاش أكثم ثلاثمائة وثلاثين سنة، وكان أبوه صيفي أيضا من المعمرين، عاش مائتين وسبعين سنة. ويقال: بل عاش أكثم مائة وتسعين سنة».

(٣) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٢٩ - ٣٠. وذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ١٨٢ بلفظ: «دعامة العقل الحلم، وخير الأمور مغبةً الصبر».

(٤) المصباح المنير ص ١٩٤.

(٥) في ط المنهاج ٥/ ٦٣٤، وم الإمام: نقدتهم.

(٦) وأخرجه أيضا في مداراة الناس ص ٣١. وفيه (إن نقدتهم نقدوك).

(٧) حلية الأولياء ١/ ٢١٨.

قال: من يتفقَّد يُفقَد، ومن لا يعُدُّ الصبر لفواجع الأمور يعجز، إن قارضتَ الناسَ قارضوك، وإن تركتَهم لم يتركوك. فقال: فما تأمرني؟ قال: أقرِضْ من عِرضك ليوم فقرك.

(وقال علي رضي الله عنه: **أن أول ما عوَّض الحليمَ من حلمه أن الناس كلَّهم أعوانه علىٰ الجاهل**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[1].

(وقال معاوية رحمه الله تعالىٰ: **لا يبلغ العبدُ مبلغ الرأي حتىٰ يغلب حلمُه جهلَه وصبرُه شهوتَه، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[2].

(**وقال معاوية**) رحمه الله تعالىٰ (**لعمرو بن الأهتم**) بن[3] سُمَيِّ بن خالد بن مِنْقَر بن عبيد بن مُقاعِس بن عمرو بن كعب بن زيد مَناة بن تميم التميمي المنقري، كنيته أبو نعيم، ويقال: أبو ربعي، له صحبة، وكان خطيبًا جميلاً بليغًا شاعرًا شريفًا في قومه، وكان يقال لشعره: الحُلَل المنشَّرة، وهو عم شيبة بن سعد ابن الأهتم والمؤمل بن خاقان بن الأهتم وعم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، وكلهم من البلغاء المشهورين (**أيُّ الرجال أشجَعُ؟ قال: مَن ردَّ جهله بحلمه. قال: أيُّ الرجال أسخىٰ؟ قال: مَن بذل دنياه لصلاح دينه**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[4].

(**وقال أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**في قوله تعالىٰ**: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ **إلىٰ قوله**: ﴿عَظِيمٍ ۝٧﴾) وتمام الآية: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥] (**هو الرجل**

(١) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٢٧.
(٢) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٢٨.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٨٦ - ٨٧.
(٤) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٣٣ - ٣٤.

يشتمه أخوه فيقول: إن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[١].

(وقال بعضهم: شتمتُ فلانًا) لرجل سمَّاه **(من أهل البصرة فحلُم عني)** أي صفح عني ولم يجازني السيئةَ **(فاستعبدني بها زمانًا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٢].

(وقال معاوية) رحمه الله تعالىٰ **(لعَرابة بن أوس)** بن[٣] قيظي بن عمرو بن زيد ابن جُشَم بن حارثة بن الحارث الأوسي الحارثي، قال ابن حبان[٤]: له صحبة. وقال ابن سعد: كان مشهورًا بالجود، وله أخبار مع معاوية[٥]، وفيه يقول الشمَّاخ[٦]:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقَّاها عرابةُ باليمين

... الأبيات **(بِمَ سُدْتَ قومَك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين، كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعىٰ في حوائجهم، فمَن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومَن جاوزني فهو أفضل مني، ومَن قصَّر عني فأنا خير منه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٧].

(وسبَّ رجلٌ) عبد الله **(ابن عباس** ﷺ**، فلما فرغ)** الرجل من سبِّه **(قال: يا عكرمة)** هو مولاه **(هل للرجل حاجة فنقضيها له؟ فنكَّس الرجل رأسه واستحيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

---

(١) وأخرجه أيضا في مداراة الناس ص ٥٣.

(٢) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٣٨.

(٣) الإصابة ٦/ ٤٠٩.

(٤) الثقات ٣/ ٣١١.

(٥) قد ترجم ابن سعد لعرابة في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢٨٧ - ٢٨٨، ولكن لم يذكر هذه العبارة.

(٦) البيت في ديوانه ص ٣٣٦.

(٧) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٤٠ حتىٰ قوله (حوائجهم). ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٤٩٦ تاما، ولكن ليس فيه تسمية معاوية، بل قال: قيل لعرابة ... الخ.

(**وقال رجل لعمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ: (**أشهد أنك**) رجل (**من الفاسقين. فقال: ليس تُقبَل شهادتك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وأبو نعيم في الحلية.

(**وعن علي بن الحسين بن علي**) بن أبي طالب ﷺ (**أنه سبَّه رجل، فرمىٰ إليه خميصة**) وهي كساء أسود مربَّع (**كانت عليه، وأمر له بألف درهم**)[١] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وأبو نعيم في الحلية.

(**وقال بعضهم: مَن جُمع**[٢] **له خمس خصال محمودة: الحلم**) أي الصفح والعفو (**وإسقاط الأذىٰ**) أي تركُ ما يؤذي به إخوانَه (**وتخليص الرجل ممَّا يبعده عن الله عَزَّوَجَلَّ، وحمله علىٰ الندم والتوبة، ورجوعه إلىٰ المدح بعد الذم، اشترىٰ جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال رجل لجعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: (**إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر، وإني أريد أن أتركه فأخشىٰ أن يقال لي: إن تركك له ذلٌّ. فقال جعفر: إنما الذليل الظالم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٣].

(**وقال الخليل بن أحمد**) الفراهيدي إمام أئمَّة النحو: (**كان يقال: مَن أساء فأُحسِنَ إليه فقد جُعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته**) أخرجه ابن أبي

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٤ عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري الكوفي قال: كان علي بن الحسين خارجا من المسجد، فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلا عن الرجل. ثم أقبل عليه فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل ورجع إلىٰ نفسه، فألقىٰ إليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل.

(٢) في غير الزبيدي: فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال محمودة. أي جمع علي بن الحسين في هذا الفعل. وكأن ما في الزبيدي محرف. والله أعلم.

(٣) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٤٢.

الدنيا في ذم الغضب[١].

(**وقال الأحنف بن قيس**) بن معاوية بن حُصَين التميمي، تابعي ثقة (**لست بحليم، ولكني أتحلَّمُ**) أخرجه المزي في التهذيب[٢] عن الحسن، لكن قال «أتحالَم» بدل «أتحلَّم».

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالىٰ: (**من يَرحم يُرحم، ومن يصمت**) أي يسكت في كثير من الأمور (**يَسلم**) من الوبال (**ومن يجهل**) أي يسفه علىٰ غيره (**يُغلَب**) أي يصير مغلوبًا، لا يعينه أحدٌ (**ومن يَعجل**) في الأمور (**يخطئ**) أي يقع في الخطأ (**ومن يحرص علىٰ الشر لا يَسلم**) من الآفات (**ومن لا يَدَع**) أي لا يترك (**المِراء**) أي المخاصمة مع الناس (**يُشتم، ومن لا يكره الشتم يأثم**) وفي بعض النسخ: الشر، بدل: الشتم (**ومن يكره الشر يُعصم**) من الوقوع فيه (**ومن يتَّبع وصية الله يُحفظ**) من الهلاك (**ومن يحذر الله يأمن**) من العقاب (**ومن يتوَلَّ اللهَ يُمنع**) جانبه (**ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله يُخذل**[٣]**، ومن يستعن بالله يظفر**) بمراده. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٤].

(**وقال رجل لمالك بن دينار**) أبي يحيىٰ البصري العابد: (**بلغني أنك ذكرتني بسوء. قال: أنت إذًا أكرم عليَّ من نفسي، إني إذا فعلتُ ذلك أهديت لك حسناتي**)[٥] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

---

(١) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٤٣.
(٢) تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٤. والأثر رواه: أحمد في الزهد ص ١٩٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٤٣١، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٩٤.
(٣) في ط المنهاج ٥/ ٦٣٧، وم الإمام، ومن لا يكن مع الله يخذل.
(٤) وأخرجه أيضا في الحلم ص ٤٥.
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم ص ٤٦ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٤١٨ - عن حسان بن يسار قال: كنا عند مالك بن دينار، فجاء رجل من بني ناجية فقال: يا أبا يحيىٰ، ذُكر لي أنك ذكرتني بسوء. قال: أنت إذًا أكرم عليَّ من نفسي.

(وقال بعض العلماء: الحلم أرفعُ) رتبةً **(من العقل؛ لأن الله تعالىٰ تسمَّىٰ به)**[١] فإن من أسمائه: الحليم، ولا يسمَّىٰ بالعاقل، ولا يجوز إطلاقه عليه.

(وقال رجل لبعض الحكماء[٢]**: واللهِ لأسبَّنَّك سبًّا يدخل معك في قبرك. فقال: معك يدخل لا معي)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(ومر المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام بقوم من اليهود، فقالوا له شرًّا، فقال لهم خيرًا، فقيل له: إنهم يقولون شرًّا وأنت تقول خيرًا؟! فقال: كل) واحد منا **(ينفق مما عنده)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. ومن هنا قولهم: كل إناء بما فيه يطفح، أو ينضح، أو يرشح.

(وقال لقمان) الحكيم لابنه: يا بني **(ثلاثة لا يُعرفون إلا عند ثلاثة: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه)** أخرجه القالي في أماليه[٣] عن العتبي قال: بلغني أن لقمان كان يقول ... فذكره.

(ودخل علىٰ بعض الحكماء صديق له، فقدَّم إليه طعامًا، فخرجت امرأة الحكيم - وكانت سيئة الخُلق - فرفعت المائدة وأقبلت علىٰ شتم الحكيم، فخرج الصديق مغضبًا، فتبعه الحكيمُ وقال له: تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة علىٰ المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا؟ قال: نعم. قال: فاحسبْ أن هذه) المرأة **(مثل تلك الدجاجة. فسُرِّيَ عن الرجل غضبُه)** أي كُشف

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٧٢ عن رجاء بن حيوة. ورواه ابن أبي الدنيا في الحلم ص ٢٩ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٩٢ والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٤٥ عن رجاء بن أبي سلمة الرملي. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣٠٣ وابن حبان في روضة العقلاء ص ٢٠٨ عن ضمرة ابن ربيعة الرملي. ورواه أحمد في الزهد ص ١٨٦ عن رجاء (غير معيَّن).

(٢) لعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد ذكر ابن خلكان في ترجمته من وفيات الأعيان ٣/ ٦٩ أن رجلا قال له: لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك. فقال: معك يدخل واللهِ لا معي.

(٣) أمالي القالي ٢/ ١٧٩. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٣٨٩ عن إبراهيم بن أدهم، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٦١ عن وهب بن منبه.

عنه وسكن (**وانصرف وقال: صدق الحكيم، الحلم شفاء من كل ألم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمتُه مقام حجر تعثَّرتُ به فذبحت الغضب**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال محمود الورَّاق**)(١) رحمه الله تعالىٰ:

(سأُلزِمُ نفسي الصفحَ عن كل مُذنِب ... وإن كثرت منه عليَّ الجرائمُ
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدْره ... وأتَّبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
وأما الذي دوني فإن قال صُنْتُ عن ... إجابته عِرضي وإن لامَ لائم
وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا ... تفضَّلتُ إن الفضل بالحُر حاكمُ)

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفِّي به من الكلام

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن كل ظلم صدر من شخص فلا تجوز مقابلته بمثله، فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، ولا مقابلة التجسُّس بالتجسس، ولا مقابلة السب بالسب، وكذا سائر المعاصي) حكمها أن لا تقابَل بمثلها (وإنما القصاص والغرامة علىٰ قدْر ما ورد الشرع به، وقد فصَّلناه في الفقه) في الكتب الأربعة: البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة (وأما السب فلا يقابَل بمثله، قال رسول الله ﷺ: إن امرؤ عيَّرك بما فيك فلا تعيِّره بما فيه) رواه أحمد من حديث جابر بن سليم أبي جري الهجيمي، وقد تقدم في آفات اللسان.

(وقال) ﷺ: (المستبَّان شيطانان يتهاتران) رواه أحمد من حديث عياض بن حمار، وقد تقدم[١].

(وقال) ﷺ: (المتسابَّان ما قالا، فهو علىٰ البادئ ما لم يعتدِ المظلومُ) رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: حتىٰ يعتدي. وتقدم[٢] بلفظ: ما لم يتعدَّ المظلومُ.

(وشتم رجل أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه) في مجلس النبي ﷺ (وهو ساكت) لا يتكلم (فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ، فقال) له (أبو بكر: إنك كنت ساكتًا لمَّا شتمني، فلما تكلمتُ قمتَ) هلا سبب؟ (قال) ﷺ: (لأن الملَك كان يجيب عنك) ما دمتَ ساكتًا (فلما تكلمتَ ذهب الملَك وجاء الشيطان، فلم أكن لأجلس

---

(١) في آفات اللسان عقب الحديث السابق.

(٢) في آفات اللسان عقب الحديثين السابقين.

في مجلس فيه الشيطان) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث أبي هريرة متصلاً ومرسلاً، قال البخاري: المرسل أصح.

(**وقال قوم**) من أهل العلم: (**تجوز المقابلة بما لا كذب فيه، و**) أجابوا عن حديث جابر بن سليم بأن (**نهيه ﷺ عن مقابلة التعبير بمثله نهيُ تنزيه**) لا نهي تحريم (**والأفضل تركُه، ولكنه**) إذا أتىٰ به (**لا يعصي، والذي يرخَّص فيه أن يقول: من أنت**)؟ أو: من تكون أنت؟ أو: ما الذي يقال لك؟ (**و: هل أنت إلا من بني فلان**)؟ ينسبه لقبيلته التي هو منها، إلا إن كانت القبيلة مما يُنبَز باللؤم كباهلة وسلول وهيثم (**كما قال سعد**) بن أبي وقاص الزهري (**لابن مسعود**) ﷺ في كلام جرىٰ بينهما: (**وهل أنت إلا من بني هُذَيل**) وهو ابن مدركة بن إلياس بن مُضَر (**فقال ابن مسعود: وهل أنت إلا ابن أمية**) تصغير أمة وهي الجارية، فقد ذكر ابن قتيبة في المعارف[٣]: زهرة امرأة يُنسَب إليها ولدها دون الأب. هكذا قال، ولا أعلم أحدًا وافقه عليها، وشيوخ النسب متفقون علىٰ أنه اسم رجل، فإن صحَّت النسخة ففيه تقوية لقول صاحب المعارف. ووُجد في بعض النسخ: وهل أنت إلا من بني أمية. فيكون إشارة إلىٰ أمه، فإنها حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية.

(**ومثله قوله: يا أحمق. قال مطرِّف**) بن عبد الله التابعي الثقة: (**كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه، إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض**)[٤] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٤.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣١١ - ٣١٢.

(٣) المعارف ص ٧٠.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤١٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٨٨، وأحمد في الزهد ص ١٩٤، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٤٠، والخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٢٨٣. وعندهم كلهم: ولكن بعض الحمق أهون من بعض.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه **(في حديث طويل)** رفعه إلىٰ النبي ﷺ، وفيه: **(حتىٰ ترىٰ الناس كلَّهم حمقىٰ في ذات الله)** عز وجل. وقد تقدم في العلم[1].

(وكذلك قوله: يا جاهل؛ إذ ما من أحد إلا وفيه جهلٌ) في أمور دينية أو دنيوية **(فقد آذاه بما ليس بكذب. وكذلك قوله: يا سيِّئ الخُلق)** أو: يا ضيِّق الخُلق، أو: **(يا صفيق الوجه)** أي رقيقه، أو: **(يا ثَلاَّبا للأعراض)** أي وقَّاعًا فيها **(وكان ذلك فيه)** موجودًا **(وكذلك قوله: لو كان فيك حياء)** أو شيء من الحياء، أو: لو كنتَ تستحي من الله **(لَما تكلَّمتَ)** بكذا **(و: ما أحقرك في عيني بما)** عملتَ أو **(فعلت، و: أخزاك الله)** بما يليق بك، أو: جزاؤك علىٰ الله يا بعيد **(و: انتقم منك)** بعدله **(فأما النميمة والغِيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق؛ لِما رُوي أنه كان بين خالد بن الوليد)** بن المغيرة، أبو سليمان المخزومي **(وسعد)** بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه **(كلام، فذكر رجل خالدًا)** بسوء **(عند سعد، فقال سعد: مه)** أي اسكتْ **(إن ما بيننا لم يبلغ ديننا**[2]**.**

يعني أن يأثم بعضُنا في بعض، فلم يسمع السوء، فكيف يجوز له أن يقوله)؟ أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(والدليل علىٰ جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلىٰ الزنا والفُحش ما روت عائشة رضي الله عنها **أن أزواج النبي ﷺ أرسلن إليه فاطمة)** رضي الله عنها **(فجاءت فقالت: يا رسول الله، أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل)** أي التسوية **(في ابنة أبي قُحافة)** تعني عائشة بنت أبي بكر، نسبتَها إلىٰ جدها **(والنبي ﷺ نائم)** أي مضطجع **(فقال:**

---

(١) الذي تقدم في كتاب العلم لفظه: «لا يفقه العبد كل الفقه حتىٰ يمقت الناس في ذات الله»، وهو من حديث شداد بن أوس. أما اللفظ المذكور هنا فلم أقف عليه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ١٧٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٩٤ - ٩٥، والطبراني في المعجم الكبير ٤/ ١٠٦، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ١٥١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٥٨ - ٣٥٩. كلهم عن طارق بن شهاب الأحمسي.

يا بنيَّة، أتحبِّين ما أحب؟ قالت: نعم. قال: فأحبِّي هذه) يعني عائشة، وكان ذلك في بيتها **(فرجعت إليهن وأخبرتهنَّ بذلك، فقلن: ما أغنيتِ عنا شيئًا. فأرسلن زينب بنت جحش)** أم المؤمنين الأسدية، وأمها عمة النبي ﷺ أميمة **(قالت)** عائشة: **(وهي التي كانت تساميني في الحب)** أي تغالبني **(فجاءت فقالت: بنت أبي بكر وبنت أبي بكر. فما زالت تذكرني)** وتعدِّد عليَّ **(وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله ﷺ في الجواب، فأذنَ لي، فسببتُها حتىٰ جفَّ لساني، فقال النبي ﷺ: كلاَّ)** حرف ردع وزجر **(إنها بنت أبي بكر. يعني أنكِ لا تقاومينها في الكلام قط)** والمقاومة في الكلام: المغالبة. رواه مسلم في الصحيح[1].

(وقولها) ﷺ **(«سببتها» ليس المراد به الفحش)** في الكلام المنهيّ عنه **(بل هو الجواب عن كلامها بالحق، ومقابلتها بالصدق)** بدليل أنه بحضرته ﷺ وبإذنه.

(وقال النبي ﷺ: المستبَّانِ علىٰ ما قالا، فعلىٰ البادئ منهما حتىٰ يعتدي المظلوم) رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة، وتقدم للمصنف في آفات اللسان بلفظ: «ما لم يعتدِ المظلوم».

(فأثبت للمظلوم انتصارًا إلىٰ أن يعتدي) أي يتجاوز عن الحد الشرعي المأذون فيه **(فهذا القدْر هو الذي أباحه هؤلاء)** الذين أجازوا المقابلةَ **(وهو رخصة في الإيذاء جزاءً علىٰ إيذائه السابق، ولا تبعُد الرخصةُ في هذا القدر، ولكن الأفضل تركُه، فإنه يجرُّ إلىٰ ما وراءه، ولا يمكن الاقتصار علىٰ مقدار الحق فيه)** فمَن حامَ حول الحِمَىٰ أوشك أن يقع فيه **(والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف علىٰ حد الشرع فيه)** فتركُه أروَحُ للخاطر **(ولكن في الناس من لا يقدر علىٰ ضبط نفسه في فورة الغضب)** وحدَّته **(ولكن يعود سريعًا)** إلىٰ الرضا **(ومنهم من يكفُّ نفسه في الابتداء ولكن يحقد علىٰ الدوام)** أي يمسك البغضاء في قلبه **(والناس في الغضب أربعة: فبعضهم كالحَلْفاء)** وِزان الحمراء،

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٤٠ - ١١٤١. ورواه أيضا البخاري في صحيحه ٢/ ٢٣١.

نبات معروف، الواحدة: حلفاة **(سريع الوقود)** لخفَّته ورخاوته **(سريع الخمود)** أي السكون، فيصير كلا شيء **(وبعضهم كالغَضَىٰ**[1]**)** مقصور، شجر من أشجار الجبال، خشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمه صلابةٌ **(بطيء الوقود)** لصلابته، فلا تؤثِّر النار فيه سريعًا **(بطيء الخمود)** تبقىٰ ناره مدةً لا تنطفئ، ولذلك قال الشاعر[2]:

فسقىٰ الغَضىٰ والساكنيه وإن هم ... شَبُّوه بين جَوانحي وبأضلُعي

(وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود، وهو الأحمد ما لم ينتهِ إلىٰ فتور الحميَّة و) ضعف **(الغيرة)** الدينية **(وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود، وهذا هو شرُّهم. وفي الخبر)** عن رسول الله ﷺ: **(المؤمن سريع الغضب، سريع الرضا، فهذه بتلك)** تقدم ذلك[3].

(وقال الشافعي رضي الله عنه**: مَن استُغضِب فلم يغضب فهو حمار، ومَن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان)** أخرجه الآبري والبيهقي[4] وأبو نعيم[5]، كلهم في مناقبه بأسانيدهم.

(وقد قال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: ألا إن بني آدم خُلقوا علىٰ طبقات شتَّىٰ، فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء)** أي الرجوع **(ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء،**

---

(١) الغضا: شجر معمر يتبع جنس الرمث الذي ينتمي للفصيلة القطيفية التي تندرج تحت رتبة القرنفليات.

(٢) هو البحتري، والبيت في ديوانه ١/ ٢٤٦ برواية:

فسقىٰ الغضىٰ والنازليه وإن هم ... شبوه بين جوانح وقلوب

(٣) في كتاب آداب الصحبة.

(٤) مناقب الشافعي ٢/ ٢٠٢.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٤٣.

ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء، وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء) قد تقدم ذلك.

(ولمَّا كان الغضب) في الحال (يهيج ويؤثِّر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدًا في حال غضبه عليه؛ لأنه ربما يتعدَّى الواجبَ) أي يتجاوز القدْر الواجب في معاقبته (ولأنه ربما يكون) في هذه الحالة (متغيِّظًا عليه فيكون مشفيًا غيظه ومريحًا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ) فيه (وينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه) فقد رُوي أنه (رأى عمر رضي الله عنه سكرانًا، فأراد أن يأخذه ويعزِّره) تعزيرًا شرعيًّا (فشتمه السكران) واستطال بلسانه عليه (فرجع عمر) عن أخذه (فقيل له: يا أمير المؤمنين، لمَّا شتمك تركتَه. قال: لأنه أغضبني، ولو عزَّرتُه لكان ذلك لغضبي لنفسي، ولم أحب أن أضرب مسلمًا حميةً لنفسي) أخرجه الإسماعيلي في مناقب عمر.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

(اعلمْ) هداك الله (أن الغضب إذا لزم كظمُه) أي كفُّه وحبسُه (لعجزٍ عن التشفِّي) بالمغضوب عليه (في الحال رجع إلىٰ الباطن واحتقن فيه) أي احتبس (فصار حقدًا، ومعنىٰ الحقد: أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنِّفار منه، وأن يدوم ذلك ويبقىٰ) ولذا قالوا في تعريفه: هو الانطواء علىٰ العداوة والبغضاء[1] (وقد قال ﷺ: المؤمن ليس بحقود) تقدم في كتاب العلم (فالحقد ثمرة الغضب) ونتيجته.

(والحقد يثمر ثمانيةَ أمور:

الأول: الحَسَد) محرَّكة (وهو أن يحملك الحقدُ علىٰ أن تتمنىٰ زوال النعمة عنه، فتغتمَّ بنعمة إن أصابها، وتُسَرَّ بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين) أعني الحسد؛ لمخالفة الظاهر فيه الباطن (وسيأتي ذمُّه) قريبًا (إن شاء الله تعالىٰ.

الثاني: أن تزيد علىٰ إضمار الحسد في الباطن فتشمت) أي تفرح (بما يصيبه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك) بالملاطفة.

(الرابع، وهو دونه: أن تُعرِض عنه استصغارًا له) أي استحقارًا واستذلالاً.

(الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاءً به وسخريةً منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنَه.

---

(١) انظر: المصباح المنير للفيومي صـ١٤٣. ط/ المعارف.

الثامن: أن تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دَين أو ردِّ مَظلمة، وكل ذلك حرام) لا يحل ارتكابُه.

(وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة، ولا تخرج بسبب الحقد إلىٰ ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن، ولا تنهىٰ[1] **قلبك عن بغضه حتىٰ تمتنع عمَّا كنت تتطوَّع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه علىٰ ذكر الله والمعاونة علىٰ المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه)** في المجالس **(والتحريض علىٰ برِّه ومواساته، فهذا كله مما يُنقِص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل، وإن كان لا يعرِّضك لعقاب الله. ولمَّا حلف أبو بكر** رضي الله عنه **أن لا ينفق علىٰ مِسطح)** بن أُثاثة بن عَبَّاد بن المطلب بن عبد مناف **(وكان قريبه)** لأن أم مسطح بنت خالة أبي بكر، مطلبية، أسلمت قديمًا، وكان أبو بكر يمونه لأجل قرابته **(لمَّا تكلم في واقعة الإفك)** وخاض معهم في أمر عائشة **(نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾)** أي لا يحلف **(﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾** [النور: ٢٢] **فقال أبو بكر: بلىٰ نحب ذلك. وعاد إلىٰ الإنفاق عليه)** رواه[2] عبد الرزاق وأحمد والبخاري [ومسلم] وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب كلهم من حديث عائشة الطويل، وفيه: لما أنزل الله في براءتي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ العشر الآيات كلها، قال أبو بكر - وكان ينفق علىٰ مِسْطَح بن أُثاثة لقرابته منه وفقره -: واللهِ لا أنفق علىٰ مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ قال أبو بكر: بلىٰ واللهِ إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلىٰ [مسطح] النفقةَ التي كان ينفق عليه وقال: واللهِ لا أنزعها منه أبدًا.

---

(١) الصواب: تنهىٰ.

(٢) الدر المنثور ١٠/ ٦٦٣ - ٦٨٩. وقد تقدمت هذه الأحاديث في كتاب آداب الصحبة.

وروىٰ البخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في هذا الحديث قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ يعني أبا بكر ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ يعني مسطحًا، إلىٰ قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾قال أبو بكر: بلىٰ واللهِ إنَّا لَنحبُّ أن يغفر الله لنا. وعاد له بما كان يصنع.

وروىٰ البخاري وسعيد بن منصور وابن المنذر من حديث أم رومان قالت: وكان فيمن حدَّث الحديثَ رجل كان يجديه[1] أبو بكر، فحلف أبو بكر أن لا يصله، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ الآية.

وروىٰ ابن مردويه من حديث ابن عباس: وكان أبو بكر يعطي مسطحًا ويصله ويبرُّه، فحلف لا يعطيه، فنزل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ الآية.

وروىٰ الطبراني وابن مردويه من حديث ابن عمر: فبعث أبو بكر إلىٰ مسطح: لا وصلتُك بدرهم أبدًا، ولا عطفت عليك بخير أبدًا. ثم طرده وأخرجه من منزله، فنزل القرآن: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ إلىٰ آخر الآية.

وروىٰ ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير: كان مسطح من المهاجرين الأوَّلين، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان يتيمًا في حِجره، فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت في أبي بكر: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي لا يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ يعني في الغِنىٰ ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ يعني في الرزق ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعني مسطحًا قرابة أبي بكر وابن خالته ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ يعني [لأن] مسطحًا كان مسكينًا ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ يعني مسطحًا ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ﴾ يعني ليتجاوزوا عن مسطح ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ الآية. فقال النبي ﷺ [لأبي بكر]: «أما تحب أن يغفر الله لك»؟ قال: بلىٰ يا رسول الله. قال: «فاعْفُ واصفحْ». فقال أبو بكر: قد عفوت وصفحتُ، لا أمنعه معروفًا بعد اليوم.

---

(١) في الدر: يعوله.

(فالأولىٰ أن يبقي علىٰ ما كان عليه، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان) والصلة **(مجاهدةً للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك)** هو **(مقام الصدِّيقين، وهو من فضائل أعمال المقرَّبين، فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة، أحدها: أن يستوفي حقَّه الذي يستحقه)** سواءً **(من غير زيادة ونقصان، وهو العدل)** لِما فيه من المساواة **(والثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة، وذلك هو الفضل. والثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه)** فيأخذ منه فوق حقه **(وذلك هو الجور، وهو اختيار الأراذل)** وهم اللِّئام من الناس **(والثاني هو اختيار الصدِّيقين)** ولذلك عفا أبو بكر عن مسطح، ووصله بالبر، وأحسنَ إليه بعد العفو **(والأول هو منتهَىٰ درجة الصالحين.**

ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان) وما أعدَّ الله لصاحبهما من الثواب والغفران.

فضيلة العفو والإحسان

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن معنىٰ العفو: أن تستحق حقًّا فتسقطه وتبرئ عنه من قصاص أو غرامة) يقال: غرمت الدية والكفالة: إذا أدَّيته بعدما لزمك، غُرمًا ومَغرمًا وغَرامةً (وهو غير الحلم وكظم الغيظ، فلذلك أفردناه) وقد (قال الله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية) [الأعراف: ١٩٩] وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة (وقال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال رسول الله ﷺ: ثلاث) خصال (والذي نفسي بيده إن كنت حالفًا لحلفتُ عليهن) أي[١] علىٰ حقيقتهنَّ (ما نقصت صدقةٌ من مال) كذا في النسخ، والمعنىٰ: ما نقص مالٌ من صدقة، فإنه وإن نقص في الدنيا فنفعُه في الآخرة باقٍ، فكأنه ما نقص. وليس معناه أن المال لا ينقُص حسًّا. قال ابن عبد السلام: ولا أن الله يخلف عليه؛ لأن هذا معنىٰ مستأنَف (فتصدَّقوا) ولا تبالوا بالنقص الحسي (ولا عفا رجل عن مَظلمة) ظُلمها (يبتغي بها وجهَ الله إلا زاده الله بها عزًّا يوم القيامة، ولا فتح رجل علىٰ نفسه باب مسألة) فيسأل الناس ويُظهِر لهم الفقرَ والحاجة وهو بخلاف ذلك (إلا فتح الله عليه باب فقر) لم يكن له في حساب بأن يسلِّط علىٰ ما في يده من الأموال ما يتلفها حتىٰ يعود فقيرًا محتاجًا علىٰ حالة أسوأ مما أذاع عن نفسه جزاءً علىٰ فعله، ولا يظلم ربُّك أحدًا.

رواه ابن أبي الدنيا هكذا في ذم الغضب من حديث عبد الرحمن بن عوف[٢]. وفي رواية له: «ثلاثة أقسمُ عليهن: ما نقص مالٌ قط من صدقة، فتصدَّقوا. ولا عفا

---

(١) فيض القدير ٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢) ورواه أيضا من حديث عبد الرحمن بن عوف: أحمد في مسنده ٣/ ٢٠٨، والبزار في مسنده ٣/ ٢٤٣، وأبو يعلىٰ في مسنده ٢/ ١٥٩، وابن عدي في الكامل ٥/ ١٧٨٢.

رجل عن مَظلمة ظُلِمها إلا زاده الله بها عزًّا، فاعفوا يزدكم الله. ولا فتح رجل علىٰ نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر». وقال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] من حديث أبي كبشة الأنماري وقال: حسن صحيح، ولمسلم[٣] وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة. انتهىٰ. قلت: لفظ حديث أبي كبشة: «ثلاثة أقسمُ عليهن: ما نقص مال عبدٍ من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مَظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عَزَّوَجَلَّ عزًّا، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدِّثكم حديثًا فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر ...» فذكر حديثًا طويلاً. وقد رواه أحمد بطوله في مسنده[٤].

وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه العراقي لفظه: «ثلاث اعلمْ أنهن حق: ما عفا امرؤ عن مَظلمة إلا زاده الله بها عزًّا، وما فتح رجل علىٰ نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرةً إلا زاده الله بها فقرًا، وما فتح رجل علىٰ نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله تعالىٰ إلا زاده الله بها كثرة». وقد رواه كذلك البيهقي[٥].

(وقال ﷺ: **التواضع لا يزيد العبدَ إلا رفعة**) في[٦] الدنيا؛ لأنه بالتواضع لهم يعظُم في القلوب، وترتفع منزلته في النفوس (**فتواضعوا يرفعكم الله**) تعالىٰ في الدنيا بوضع القبول في القلوب وإعظام المنزلة في الصدور، وفي الآخرة بتكثير الأجر وإعظام القدْر، كما ذكره العلائي وغيره، فحملُه علىٰ الدنيا فقط أو علىٰ الآخرة

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٥.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٥٣.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢ بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». ولم أقف علىٰ الحديث في سنن أبي داود.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٥٦١.

(٥) شعب الإيمان ١٠/ ٤١٢ - ٤١٣.

(٦) فيض القدير للمناوي ٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥. إكمال المعلم لعياض ٨/ ٥٩. شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢١٣.

فقط في الثلاثة غير سديد (**والعفو لا يزيد العبدَ إلا عزًّا**) لأن مَن عُرف بالعفو سادَ وعظُم في القلوب، فهو علىٰ ظاهره. أو المراد عزه في الآخرة بكثرة الثواب وتركِ العقاب (**فاعفوا يعزُّكم الله**) في الدارين (**والصدقة لا تزيد المالَ إلا كثرة**) بمعنىٰ أنه يبارَك فيه وتندفع عنه المفسدات فينجبر نقصُ الصورة بذلك (**فتصدَّقوا يرحمكم الله**) أي يضاعف عليكم رحمته بإضعافه لكم أجرها. قالوا: وهذا من جوامع الكلم.

رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث محمد بن عُمَير العبدي. وقال العراقي: رواه أبو الشيخ[1] الأصبهاني في الترغيب والترهيب والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف.

(**وقالت عائشة ﷺ: ما رأيتُ**) أي[2] ما علمت (**رسولَ الله ﷺ منتصرًا**) أي منتقمًا (**من مَظْلَمة**) بفتح اللام والميم: ما أُخِذَ أو نِيلَ[3] من معصوم عدوانًا، سواءً كانت في البدن أو العِرض أو المال أو الاقتصاص (**ظُلِمها**) المنصوب علىٰ الأول مفعول مطلق، وعلىٰ الثاني مفعول به، و«ظلم» يتعدَّىٰ لمفعولين، كما في القاموس[4]، خلافًا لمَن زعم قصره علىٰ واحد فقد ظلم بها (**قط**) وإنما لم ينتقم ﷺ منها مع أن مرتكبها قد باءَ بإثم عظيم لأنه حق آدميٍّ يسقط بعفوه، بخلاف حقوق الله تعالىٰ التي ذكرها بقوله: (**ما لم تُنتهَك محارم الله تعالىٰ**) أي تُرتكَب، والمحارم جمع محرم، أي شيء حرَّمه الله علىٰ عباده. فإن قلتَ: مظلمته ﷺ إيذاء

(١) الصواب: أبو القاسم الأصبهاني، وهو المعروف بقوام السنة، والحديث في الترغيب والترهيب له ١/ ٣٦٥.

(٢) أشرف الوسائل إلىٰ شرح الشمائل ص ٥٠٤ - ٥٠٦.

(٣) في أشرف الوسائل: أو أحل.

(٤) لم يصرح الفيروزآبادي في القاموس بذلك، وإنما قال: «ظلم يظلم ظلما، فهو ظالم وظلوم، وظلمه حقَّه». تاج العروس ٣٣/ ٣٤.

له، وإيذاؤه كفر، وهو حينئذٍ حق الله تعالىٰ، فكيف يسقط بعفوه؟ قلت: لا نسلِّم أن مطلق إيذائه كفرٌ، ألا ترىٰ فيمن جذب رداءه حتىٰ أثَّرَ في عنقه فعفا عنه وأعطاه حمل بعير به. والحاصل أن إيذاءه لا يصدر إلا من مسلم جافٍ وهذا له نوع عذر فلم يكفُر وعفا عنه، أو من منافق وقد أُمِر بتحمُّل أذاهم لئلاً ينفر الناس عنه، أو من كافر معاهد فمصلحة تألُّفه اقتضت عدمَ مؤاخذته بجريمته، أو من حربي وهو غير ملتزم للأحكام (**فإذا انتُهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبًا**) فينتقم ممَّن ارتكب ذلك؛ لِما علمتَ أنه لا يقبل العفوَ، ومن المحارم التي ينتقم لها ولا يعفو عنها حقُّ الآدمي إذا صمَّم في طلبه. وفي [الحديث] الحثُّ علىٰ العفو والحلم واحتمال الأذىٰ، والانتصار لدين الله تعالىٰ، وأنه يُسَنُّ لكل ذي ولاية التخلُّق بهذا الخُلق الكريم، فلا ينتقم لنفسه، ولا يهمل حقَّ الله تعالىٰ. علىٰ أنهم قد أجمعوا علىٰ أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي لنفسه ولا لمَن تُقبَل شهادته له كأبيه وابنه، ولا ينافي هذا الحديثَ أمرُه ﷺ بقتل ابن خطل ونحوه ممَّن كان يؤذيه؛ لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالىٰ، أو أن عفوه إنما كان في غير ذنب يكفر به مرتكبُه كمَن [جفا في] رفع صوته عليه ومَن جذبه بِردائه حتىٰ أثَّرَ في رقبته، بخلاف أولئك فإنهم كفروا بإيذائه فلم يمكنه العفو عنهم، ومن ثَم اقتصَّ ﷺ ممَّن نال من عِرضه (**وما خُيِّرَ**) ﷺ (**بين أمرين إلا اختار أيسرَهما**) إما بأن يخيِّره الله تعالىٰ فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف، أو في قتال الكفار وأخذِ الجزية فيختار أخذها، أو في حق أمَّته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد، وإما بأن يخيِّره المنافقون أو الكفار، فعلىٰ هذا يُتصوَّر[1] قوله: (**ما لم يكن مأثمًا**) أي إثمًا، كما في رواية البخاري، وفيها أيضًا: فإن كان إثمًا كان أبعد الناسِ منه. وفي رواية للطبراني: ما لم يكن لله فيه سخطٌ. وعلىٰ الأول يكون الاستثناء منقطعًا؛ إذ لا يُتصوَّر تخيير الله تعالىٰ إلا بين جائزين.

---

(١) في أشرف الوسائل: يتضح.

رواه الترمذي في الشمائل[١] واللفظ له، ورواه البخاري[٢] ومسلم[٣] والحاكم[٤] والطبراني[٥] بنحوه. وعند الحاكم: ما لعن رسول الله ﷺ مسلمًا [من لعنة] تُذكَر، وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سُئل شيئًا قط فمنعه إلا أن يُسئل مأثمًا، ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تُنتهَك حرمات الله تعالىٰ فيكون لله ينتقم.

(وقال عُقبة بن عامر) الجُهَني رضي الله عنه: **(لقيتُ رسول الله ﷺ يومًا فبدرتُه فأخذت بيده، أو بدرني فأخذ بيدي فقال: يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة)**؟ قلت: نعم. فقال: **(تصل مَن قطعك، وتعطي مَن حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك)** قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي الدنيا[٧] والطبراني في مكارم الأخلاق[٨] والبيهقي في الشعب[٩] بإسناد ضعيف، وقد تقدم[١٠].

قلت: وقد روىٰ أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس: «أفضل الفضائل أن تصل مَن قطعك، وتعطي مَن حرمك، وتصفح عمَّن ظلمك». وقد تقدم أيضًا.

(وقال رسول الله ﷺ: قال موسىٰ) عليه السلام: **(يا رب، أيُّ عبادك أعز عليك؟**

---

(١) الشمائل المحمدية ص ١٦٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥١٨، ٤/ ١١٤، ٢٤٨، ٢٦٣.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٧ - ١٠٩٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢٠.

(٥) المعجم الأوسط ٤/ ٣٠٣.

(٦) المغني ٢/ ٨٥٦.

(٧) مكارم الأخلاق ص ٢٢.

(٨) مكارم الأخلاق ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٩) شعب الإيمان ١٠/ ٣٣٦ - ٣٣٧.

(١٠) الذي تقدم في كتاب آداب الصحبة هو حديث معاذ بن أنس بعده، أما حديث عقبة فلم يُذكر إلا هنا.

قال: **الذي إذا قدر عفا)** قال العراقي[١]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] من حديث أبي هريرة، وفيه ابن لهيعة.

(وكذلك سُئل أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(مَن أعزُّ الناسِ؟ قال: الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزُّكم الله)** ورُوي نحو ذلك من حديث عبد الرحمن بن عوف، رواه ابن أبي الدنيا، وقد ذُكر قريبًا.

(وجاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ يشكو مَظلمة) ظُلِمها **(فأمره النبي ﷺ أن يجلس، وأراد أن يأخذ له بمظلمته، فقال رسول الله ﷺ: إن المظلومين)** في[٣] الدنيا **(هم المفلحون)** أي الفائزون **(يوم القيامة)** بالأجر الجزيل، والنجاة من النار، ورفع الدرجات، والانتقام لهم ممَّن ظلمهم، والأخذ بثأرهم ممَّن بغىٰ عليهم **(فأبىٰ أن يأخذها حين سمع الحديث)** قال العراقي[٤]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو عن أبي صالح الحنفي مرسلاً.

قلت: ورواه كذلك في كتاب ذم الغضب ورُسْته في كتاب الإيمان[٥]. وأبو صالح الحنفي هو عبد الرحمن بن قيس، تابعي جليل[٦].

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٦.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٢٩.

وقد رواه ابن حبان في صحيحه ١٤/ ١٠١ مطولا من غير طريق ابن لهيعة، وقال محققه: إسناده حسن والبيهقي في الشعب ١٠/ ٥٥٠.

(٣) فيض القدير ٢/ ٣٩٠.

(٤) المغني ٢/ ٨٥٦.

(٥) ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٦٩ عن سفيان الثوري معضلا.

(٦) في الإصابة لابن حجر العسقلاني ٦/ ٣١٨: «عبد الرحمن بن قيس. ذكره أبو جعفر الطبري وابن شاهين في الصحابة، وأورد له ابن شاهين من طريق معاوية بن سفيان عن أبي صالح عنه قال: جاء رجل إلىٰ النبي (ﷺ) فقال: إني مظلوم. فقال: إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة. استدركه ابن فتحون». هكذا قال، وهو وهم، والذي أوقعه في ذلك الوهم قوله (عن أبي صالح =

(وقالت عائشة ﵂: قال رسول الله ﷺ: مَن دعا علىٰ مَن ظلمه فقد انتصر) أي[1] أخذ من عِرض الظالم فنقص من [إثمه فنقص] ثواب المظلوم بحسبه، ففيه إخبار بأن مَن انتصر ولو بلسانه فقط استوفىٰ حقَّه فلا إثم عليه ولا أجر له، فالحديث تعريض بكراهة الانتصار وندب العفو؛ ليصير أجره علىٰ الله ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

رواه ابن أبي شيبة[2] والترمذي[3] وأبو يعلىٰ[4] وابن أبي الدنيا في ذم الغضب. قال الترمذي في العلل[5]: إنه سأل عنه البخاري فقال: لا أعلم أحدًا رواه غير أبي الأحوص، لكن هو من حديث أبي حمزة، وضعَّف أبا حمزة جدًّا.

(وعن أنس) ﵁ **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادىٰ منادٍ من تحت العرش ثلاثة أصوات: يا معشر الموحِّدين، إن الله قد عفا عنكم، فليعفُ بعضُكم عن بعض)** قال العراقي[6]: رواه أبو سعد أحمد بن إبراهيم المقري في كتاب «التبصرة والتذكرة» بلفظ: «ينادي منادٍ من بُطنان العرش يوم القيامة: يا أمَّة محمد، إن الله تعالىٰ يقول: ما كان لي قِبَلكم وهبتُه لكم، وبقيت التبعاتُ فتواهَبوها وادخلوا الجنة برحمتي»[7]. وإسناده ضعيف. ورواه الطبراني

= عنه) والصواب حذف كلمة «عنه»، ولم أجد أحدا ممن ترجمه ذكر له صحبة، بل أجمعوا كلهم علىٰ أنه تابعي. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٧٦، الثقات لابن حبان ٥/ ١٠٣، الكاشف للذهبي ١/ ٦٤١، تهذيب الكمال للمزي ١٧/ ٣٦٠ - ٣٦٣.

(١) فيض القدير ٦/ ١٢٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٥١.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥١٨ - ٥١٩.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٤٣٣، ٨/ ٩٤.

(٥) العلل الكبير ص ٣٦٦.

(٦) المغني ٢/ ٨٥٦ - ٨٥٧.

(٧) ورواه بهذا اللفظ أيضا الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٤٩٦. ورواه البغوي في معالم التنزيل ٢/ ٢٠٣ بلفظ: «ينادي منادٍ من بطنان العرش يوم القيامة: يا أمة محمد، إن الله ﷿ قد =

في الأوسط[١] بلفظ: «نادىٰ منادٍ: يا أهل الجمع، تتارَكوا المظالم بينكم وثوابُكم عليَّ». وله[٢] من حديث أم هانئ: «ينادي منادٍ: يا أهل التوحيد، ليعفُ بعضُكم عن بعض وعليَّ الثواب». وهو ضعيف أيضًا.

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت، وصلىٰ ركعتين، ثم أتىٰ الكعبةَ، فأخذ بعضادتَي الباب فقال: ما تقولون وما تظنون؟ فقالوا: نقول: أخ وابن عم حليم رحيم. قالوا ذلك ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: أقول كما قال يوسف:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢] **قال: فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور فدخلوا في الإسلام**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء[٣]، وفيه ضعفٌ؛ قاله العراقي[٤]. قلت: ورواه بهذا السياق البيهقيُّ في دلائل النبوة[٥].

(**وعن سُهَيل بن عمرو**) بن[٦] عبد شمس بن عبد ود العامري، أحد أشراف

= عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات، تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي». ورواه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥١٤ بلفظ: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من تحت العرش: يا أهل التوحيد، إن الله قد عفا عنكم، فليعف بعضكم عن بعض وعلىٰ الله ثوابكم».

(١) المعجم الأوسط ٥/ ٢٢٢، وأوله: «إذا التقىٰ الخلائق يوم القيامة فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادىٰ ...» الخ.

(٢) السابق ٢/ ٨٧، وأوله: «إن الله تبارك وتعالىٰ يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد، إن الله عز وجل قد عفا عنكم. فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا، ثم ينادي مناد ...» الخ.

(٣) الوفا بأحوال المصطفىٰ ٢/ ٨٠ - ٨١.

(٤) المغني ٢/ ٨٥٧.

(٥) دلائل النبوة ٥/ ٥٧ - ٥٨، وأوله: أن رسول الله ﷺ حين سار إلىٰ مكة يستفتحها وفتح الله عليه، فما قتل يومئذ إلا أربعة، ثم دخل صناديد قريش من المشركين الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنه، ثم طاف بالبيت وصلىٰ ركعتين ... الخ.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٩. تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٢٤٧.

قريش وخطبائهم، وكان أعْلَم[١] الشفة، وهو الذي تولَّىٰ أمر الصلح بالحديبية، وكلامه ومراجعته للنبي ﷺ في ذلك في الصحيحين وغيرهما، مات بالشام في طاعون عَمْواس (**قال: لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مكةَ وضع يديه علىٰ باب الكعبة والناسُ حوله فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم قال: يا معشر قريش، ما تظنون وما تقولون؟ قال**) سهيل: (**قلت: يا رسول الله، نقول خيرًا ونظن خيرًا، أخ كريم وابن عم رحيم، وقد قدرتَ. فقال رسول الله ﷺ: أقول كما قال أخي يوسف:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾) قال العراقي[٢]: لم أجده.

قلت[٣]: بل رواه حميد بن زنجويه في كتاب الأموال[٤] من طريق ابن أبي حسين قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت، ثم خرج، فوضع يده علىٰ عضادتي الباب فقال: «ماذا تقولون»؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيرًا ونظن خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرتَ. فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم».

وفي الباب عبد الله بن عمرو وابن عباس، أما[٥] حديث ابن عمرو فقد أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني[٦] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة التفت إلىٰ الناس فقال: «ما تقولون وما تظنون»؟ فقالوا: ابن عم كريم. فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه، قال: إن رسول الله ﷺ لما فتح

(١) أي: مشقوقها. انظر تاج العروس ٣٣/ ١٣١.

(٢) المغني ٢/ ٨٥٧.

(٣) قصد العراقي بأنه لم يجده من حديث سهيل بن عمرو.

(٤) الأموال ١/ ٢٩٥.

(٥) الدر المنثور ٨/ ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٦) وكذلك البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٨٦.

مكة صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «يا أهل مكة، ماذا تظنون؟ ماذا تقولون»؟ قالوا: نظن خيرًا ونقول خيرًا في ابن عم كريم، قد قدرتَ. قال: «فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾».

والتثريب هو التعيير.

(وعن أنس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال: قال رسول الله ﷺ: **إذا وقف العِباد نادىٰ منادٍ: ليقُمْ مَن أجرُه علىٰ الله فليدخل الجنة. قيل: ومَن ذا الذي أجره علىٰ الله؟ قال: العافون عن الناس، فقام كذا وكذا ألفًا فدخلوها بغير حساب**) قال العراقي[1]: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق[2]، وفيه الفضل بن يسار، ولا يتابَع علىٰ حديثه[3].

قلت: وروىٰ ابن عساكر[4] من حديث علي: «ينادي منادٍ يوم القيامة من بطنان العرش: ألا فليقُمْ مَن كان أجره علىٰ الله. فلا يقوم إلا مَن عفا عن أخيه»[5].

(**وقال ابن مسعود**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: لا ينبغي لولي أمر أن يؤتَىٰ بحدٍّ**) من حدود الله تعالىٰ (**إلا أقامه، والله عفوٌّ يحب العفو. ثم قرأ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ الآية**) [النور: ٢٢] قال العراقي[6]: رواه أحمد والحاكم وصحَّحه، وتقدم في آداب الصحبة.

(**وقال جابر**) بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: ثلاث**) أي

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٧.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٣١.

(٣) هو في الأوسط للطبراني ٢/ ٢٨٥، والحلية لأبي نعيم ٦/ ١٨٧، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٤٤٧.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٨٧.

(٥) هذا عزو المتقي الهندي في الكنز ٣/ ٣٧٧. والزبيدي عنه ينقل ومن عزوه أفاد. رحم الله الجميع بلطفه.

(٦) المغني ٢/ ٨٥٨.

ثلاث خصال (**مَن جاء بهنَّ مع الإيمان دخل من أيِّ أبواب الجنة شاء**) أي[١] يخيَّر في دخوله من أيِّها شاء (**وزُوِّج**) بالبناء للمفعول، أي زوَّجه الله (**من الحور العين**) في الجنة (**حيث شاء: مَن أدَّىٰ دَينًا خفيًّا**) إلىٰ مستحقِّه بأنْ لم يكن عالـمًا به كأنْ ورثَه من أبيه ولم يشعر به (**وقرأ في دُبر كل صلاة**) مكتوبة من الخمس، كما في رواية («**قل هو الله أحد**») أي سورتها (**عشر مرات وعفا عن قاتله**) بأن ضربه ضربًا قاتلاً فعفا عنه قبل موته.

قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الأوسط[٣] وفي الدعاء[٤] بسند ضعيف.

قلت: ورواه أيضًا أبو يعلىٰ في مسنده[٥] وابن السني في عمل اليوم والليلة[٦] وأبو نعيم في الحلية[٧] في ترجمة بشر بن منصور، كلهم من طريق عمر بن نبهان عن أبي شداد عن جابر عن النبي ﷺ. وعمر بن نبهان ضعيف جدًّا، وقيل: متروك[٨]. وعند أبي يعلىٰ زيادة في آخر الحديث: (**فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله. قال: أو إحداهن**) ورواه ابن عساكر[٩] من حديث ابن عباس بلفظ: «ثلاث مَن كنَّ فيه أو واحدة منهن فليتزوج من الحور العين حيث شاء: رجل اؤتُمِنَ علىٰ أمانة فأدَّاها مخافةَ الله عَزَّوَجَلَّ، ورجل خلَّىٰ عن قاتله، ورجل قرأ في دُبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات». وإسناده ضعيف أيضًا.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٢٩٠.

(٢) المغني ٢/ ٨٥٨.

(٣) المعجم الأوسط ٣/ ٣٤٧.

(٤) الدعاء ص ١١٠٣.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٣٣٢.

(٦) لم يروه من حديث جابر، وإنما رواه ص ٩٩ من حديث ابن عباس، وهو الحديث الذي سيورده الشارح معزوًا إلىٰ ابن عساكر.

(٧) حلية الأولياء ٦/ ٢٤٣.

(٨) صاحب القولين هو الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٤٧٣، ١٠/ ١٢٩.

(٩) تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٥.

الآثار:

قال إبراهيم) بن يزيد (التيمي) الكوفي: (إن الرجل لَيظلمني فأرحمه) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو[١] (وهذا إحسان وراء العفو؛ لأنه يشتغل قلبه بتعرُّضه لمعصية الله تعالىٰ بالظلم وأنه يطالَب يوم القيامة فلا يكون له جواب) فهذا سبب رحمته عليه.

(وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبدًا قيَّض له) أي سلَّط عليه (من يظلمه) أخرجه ابن أبي الدنيا[٢]. أي فإذا ظلمه وصبر علىٰ مَظلمته ولم ينتصر منه كان سببًا لمزيد الأجور له.

(ودخل رجل علىٰ عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ (فجعل يشكو إليه رجلاً) قد (ظلمه ويقع فيه) أي يتكلم فيه بالسوء (فقال له عمر: إنك إن تلقَىٰ اللهَ ومظلمتك كما هي) باقية (خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتَها)[٣] أي أخذتَ اقتصاصها. أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال يزيد بن ميسرة) الحضرمي[٤] أخو عبد الرحمن: (إن ظللتَ تدعو علىٰ مَن ظلمك فإن الله يقول: إن آخر يدعو عليك أنك ظلمتَه، فإن شئتَ استجبنا لك وأجبنا عليك، وإن شئتما أخَّرتكما إلىٰ يوم القيامة فيسعكما عفوي)[٥] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وقال مسلم بن يسار) البصري[٦]، نزيل مكة، أبو عبد الله، الفقيه، ثقة، عابد،

---

(١) وأخرجه أيضا في الإشراف في منازل الأشراف ص ١٤٤.

(٢) الإشراف في منازل الأشراف ص ١٤٤ عن محمد بن مسلم الطائفي قال: كان يقال: إذا أراد الله ... فذكره.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص ٢٦٧.

(٤) بل يزيد دمشقي، وليس أخا لعبد الرحمن بن ميسرة.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٣٩.

(٦) تقريب التهذيب ص ٩٤١.

مات سنة مائة، روىٰ له [مسلم و] أبو داود والنسائي وابن ماجه (**لرجل دعا علىٰ ظالمه: كِلِ الظالمَ إلىٰ ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل** صالح (**وقمن أن لا يفعل**)[١] فيكون هلاكه منه. أخرجه ابن أبي الدنيا.

(**وعن ابن عمر عن أبي بكر**) ﷺ (**أنه قال: بلغنا أن الله تعالىٰ يأمر مناديًا يوم القيامة فينادي: مَن كان له عند الله شيء فليقُمْ. فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس**)[٢] هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا. وهذا له حكم المرفوع، فإن الصحابي إذا قال «بلغنا» فإنما يعني به عن النبي ﷺ، وفي الأحاديث المرفوعة مما تقدم بعضُها ما يشهد لهذا الأثر.

(**وقال هشام بن محمد**) بن السائب الكلبي، أبو المنذر، قال الذهبي في الضعفاء[٣]: قال الدارقطني وغيره: متروك (**أُتي النعمان بن المنذر**) الغَسَّاني، من بني ماء السماء (**برجلين، أحدهما قد أذنب ذنبًا عظيمًا فعفا عنه، والآخَر أذنب ذنبًا صغيرًا فعاقبه، وقال:**

تعفـو الملـوك عـن العظيــ ـــم مـن الذنـوب بفضلهـا
ولقـد تعاقـب في اليسيـ ـــر وليـس ذاك لجهلهـا
إلا ليُعـرَف حلمهـا ويُخـاف شـدة نكلهـا)[٤]

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ٣١٥، وأبو داود في الزهد ص ٣٨٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٥٤٥.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة ص ٤٣٩ - ٤٤٠ (ط - جامعة أم القرىٰ)، وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق ص ٦٢ (ط - المكتب الإسلامي).

(٣) بل في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٤.

(٤) وردت هذه القصة بسياق آخر، فروىٰ الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣٣٧ عن المفضل الضبي قال: خرج النعمان بن المنذر في غب سماء، فمر برجل من بني يشكر جالس علىٰ غدير، فقال له النعمان: أتعرف النعمان بن المنذر؟ فقال اليشكري: ابن سلمىٰ؟ قال: نعم. قال: الفاعل ابن الفاعلة. فقال: ويحك! النعمان بن المنذر؟ قال: قد خبرتك. فلم ينقض كلامه حتىٰ =

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وعن مبارك بن فَضالة) البصري[١]، صدوق يدلِّس، روىٰ له البخاري تعليقًا وأبو داود والترمذي وابن ماجه **(قال: أوفدني)**[٢] أي أقدمني **(سَوَّار بن عبد الله)** بن[٣] قُدامة التميمي العنبري البصري، قاضي البصرة، صدوق، محمود السيرة، تكلم فيه الثوري لدخوله في القضاء. وحفيده سوار بن عبد الله بن سوار قاضي الرصافة، ثقة، روىٰ له أبو داود والترمذي والنسائي **(في وفد)** أي جماعة **(من أهل البصرة إلىٰ أبي جعفر)** عبد الله العباسي **(فكنت عنده إذ أُتي برجل، فأمر بقتله، فقلت**[٤]**: يُقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدِّثك حديثًا سمعتُه من الحسن)**؟ يعني البصري **(قال: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ فيقول: مَن له عند الله تعالىٰ يدٌ فليقُمْ. فلا يقوم إلا مَن عفا)** عن أخيه في مَظلمة **(فقال: واللهِ لَسمعتَه من الحسن؟ فقلت: واللهِ لَسمعتُه منه. فقال: خلِّيا عنه)**[٥] وفي نسخة: خلِّينا عنه. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وقال معاوية) رحمه الله تعالىٰ: **(عليكم بالحلم والاحتمال)** أي احتمال الأذىٰ **(حتىٰ تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم)** الفرصة وقدرتم علىٰ الانتقام

= لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك، فقال له: كيف قلت؟ فقال له: أبيت اللعن، إنك واللهِ ما رأيت شيخا أكذب ولا أخس ولا أحمق ولا ألأم ولا أوضع من شيخ بين يديك. فقال النعمان: دعوه. ثم أنشد الأبيات.

(١) تقريب التهذيب ص ٩١٨.

(٢) كذا، والصواب: وفد ابن سوار في وفد من أهل البصرة.. إلخ. وانظر: تاريخ بغداد ١٥/ ٢٨٠.

(٣) السابق ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٤) زاد في هامش م الإمام: في نفسي. وكذا هو في تاريخ بغداد.

(٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٥/ ٢٨٠، وفيه: «حدثنا الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ...» فذكره. ورواه بنحوه القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة ٤/ ٨٦ (ط - دار صادر).

(فعليكم بالصفح والإفضال) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(ورُوي أن راهبًا) من عُبَّاد بني إسرائيل **(دخل علىٰ هشام بن عبد الملك)** بن مروان أيام خلافته **(فقال للراهب: أرأيتَ ذا القرنين)** المذكورة قصته في القرآن **(أكان نبيًّا؟ فقال: لا)** لم يكن نبيًّا **(ولكنه)** كان رجلاً صالحًا **(إنما أُعطي ما أُعطي بأربع خصال كنَّ فيه: كان إذا قدر عفا)** ولم ينتقم لغضبه **(وإذا وعد)** أحدًا بشيء **(وفَّىٰ)** بما وعده **(وإذا حدَّث صدق)** في حديثه ولم يكذب **(ولا يجمع شغل اليوم لغدٍ)**[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وقال بعضهم: ليس الحليم مَن ظُلِم فعفا[2] **حتىٰ إذا)** أمكنته الفرصة و**(قدر)** عليه **(انتقم)** منه **(ولكن الحليم مَن ظُلِم فحلُم ثم قدر فعفا)** عنه. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وقال زياد بن عبد الله) النُّمَيري[3] البصري، روىٰ له الترمذي، وقد ضُعِّفَ **(القدرة تُذهِب الحفيظة. يعني الحقد والغضب)** وهو اسم من أحفظَه: إذا أغضبه. يعني إذا قدر علىٰ مَن أغضبه وتمكَّن من الانتقام منه يتراجع فلا يبقىٰ معه حقدٌ في قلبه، ويميل إلىٰ العفو والصفح. والمعنىٰ: من شأن ذي القدرة أن يكون كذلك وإلا فكم من قادر علىٰ التمكُّن يبادر إلىٰ الانتقام ولا يعفو.

(وأُتي هشام) بن عبد الملك **(برجل بلغه عنه أمرٌ)** كرهه **(فلما أُقيمَ بين يديه جعل يتكلم بحجَّته)** ويبرِّئ نفسه **(فقال له هشام: وتتكلم أيضًا)**؟! أي مع جنايتك **(فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾** [النحل: ١١١] **أفنجادل اللهَ ولا نتكلم بين يديك كلامًا؟! فقال هشام: بلىٰ،**

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩/ ٦٣٨ عن بكر بن مضر وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره.

(٢) في غير الزبيدي: فحلم - وهو الصواب - وما في الزبيدي تصحيف ٨/ ٤٣.

(٣) تقريب التهذيب ص ٣٤٧.

ويحك! تكلمْ)[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**ورُوي أن سارقًا دخل خِباء عمار بن ياسر**) رضي الله عنه يسرق منه شيئًا، وذلك (**بصِفِّين**) وكان مع علي رضي الله عنه، فأُخِذ السارق (**فقيل له: اقطعْه**) أي اقطعْ يده (**فإنه من أعدائنا. قال: بل أستر عليه لعلَّ الله يستر علينا يوم القيامة**)[2] فإنَّ مَن ستر علىٰ مؤمن في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة. وإنما لم يُقِمْ عمار عليه الحدَّ لكونه لم يتحقق منه سرقةً وإنما كان قصده أن يسرق، ففي مثل هذا العفوُ والستر حسن. أو أنه خاف أن يكون في إقامة الحد عليه منتصرًا لنفسه لا سيَّما وقد قالوا: إنه من أعدائنا.

(**وجلس ابن مسعود**) رضي الله عنه (**في السوق يبتاع**) أي يشتري (**متاعًا، فابتاع**) أي اشترىٰ متاعًا (**ثم طلب الدراهم، وكانت في عمامته**) أي مصرورة (**فوجدها قد حُلَّت**) واختُلست الدراهم (**فقال: لقد جلست وإنها لَمعي. فجعلوا يدعون علىٰ مَن أخذها ويقولون: اللهم اقطعْ يد السارق الذي أخذها، اللهم افعلْ به كذا. فقال عبد الله**) رضي الله عنه: (**اللهم إن كان حملته علىٰ أخذها حاجةٌ**) اضطرَّته (**فبارِكْ له فيها، وإن كان حملته جراءةٌ علىٰ الذنب**) أي من غير حاجة إليها (**فاجعله آخر ذنوبه**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**ما رأيت أزهد من رجل من أهل خُراسان، جلس إليَّ في المسجد الحرام، ثم قام ليطوف، فسُرقت دنانير كانت معه، فجعل يبكي، فقلت**) له: (**أعلىٰ**) ذهاب (**الدنانير تبكي؟ قال: لا، ولكن مثَّلتني وإياه**

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٨/ ٢١٢.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ٢٤١ عن عكرمة قال: سُرقت عيبة لعمار بالمزدلفة، فوضع في أثرها حقته، ودعا القافة، فقالوا: حبشي، واتبعوا أثره حتىٰ انتهوا إلىٰ حائط وهو يقلبها، فأخذها وتركه، فقيل له، فقال: أستر عليه لعل الله أن يستر عليَّ. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/ ٤٤٧ من عدة طرق.

بين يدي الله) أي مثَّلت نفسي وإياه **(فأشرف عقلي علىٰ إدحاض حجَّته)** أي بطلانها **(فبكائي رحمةً له)** حيث لا يجد جوابًا يخلص به بين يدي الله، فالنظر في هذا غاية الزهد في الدنيا، حيث لم تخطر الدنانير في البال مع كمال احتياجه إليها وزهد عنها. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وأبو نعيم في الحلية.

(وقال مالك بن دينار) أبو يحيىٰ البصري العابد رحمه الله تعالىٰ: **(أتينا منزل الحكم بن أيوب)** بن يحيىٰ بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم **(وهو علىٰ البصرة)** واليًا عليها. وقد ذكر الذهبي في ذيل الضعفاء[1] الحكم بن أيوب هذا وقال: هو ابن عم الحجاج، روىٰ عن أبي هريرة، مجهول[2] **(ليلاً)** أي أتيناه بالليل **(وجاء الحسن وهو خائف)** وذلك لأن أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيعة عبد الملك، وأنكروا تولية الحجاج عليهم، وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث، وفيهم القرَّاء والمشيخة، وانضمَّ إليهم قرَّاء الكوفة، وكان الحجاج قد عاملهم بالظلم، وعذَّبهم في أخذ الخَراج أشد العذاب. وكان ممَّن بايعه من القراء: عقبة بن عامر الكوفي ومَن معه، وميمون بن أبي شبيب، وماهان الأعور القاص، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، والفضل بن مروان، وأبو البختري الطائي، وسعيد بن جبير ، وعامر الشعبي ، وسفيان بن سلمة، وإبراهيم التيمي ، وإبراهيم النخعي، وجبلة بن زحر، وجابر الجُعْفي، والمعرور ابن سويد، وحمزة بن المغيرة بن شعبة، وسلمة بن كُهَيل، ومعبد الجهني، وأيوب بن القِرِّية. فجاء الحجاج بعساكر، وأمدَّه عبد الملك بأهل الشام، وحاصر البصرة مدةً حتىٰ ملكها، وهرب ابن الأشعث، فقُتل مَن قُتل من القرَّاء في الحرب، وهرب الباقون، ولا يزالون يُتتبَّعون ويؤخَذون إلىٰ أن كان آخر مَن أُخِذ منهم سعيد بن جبير وماهان الأعور فقُتلا. فهذا كان سبب خوف الحسن **(فدخلنا عليه**

---

(١) ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٣٠.

(٢) وانظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، فأبو حاتم هو القائل مجهول. وقصده مجهول العدالة، العين ٣/ ١١٤، ولسان الميزان ٣/ ٢٤١.

مع الحسن، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج) وهي صغار الدجاج (فذكر الحسن) للأمير (قصة يوسف) ﷺ (وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحِهم له في الجُب فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم. وذكر ما لقي) يوسفُ ﷺ (من كيد النساء ومن الحبس) ممَّا هو مذكور في القرآن (ثم قال: يا أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟ أدالَه منهم، ورفع ذِكره، وأعلىٰ كلمتَه، وجعله) أمينًا (علىٰ خزائن الأرض، فماذا صنع حين أُكمِل له أمره وجُمع له أهله) وحضروا بين يديه؟ (قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف: ٩٢] يعرِّض) الحسن (للحكم بالعفو عن أصحابه) من القراء؛ إذ كان فيهم مَن مالأ مع ابن الأشعث (قال الحكم: وأنا أقول: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لسترتكم به) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وكتب ابن المقفَّع) تقدم ذِكرُه، وكان أحد البلغاء (إلىٰ صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه) ما لفظه: (فلان هارب من زلَّته إلىٰ عفوك، لائذ منك بك، واعلمْ أنه لن يزداد الذنب عِظمًا إلا ازداد العفو فضلاً) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وأُتي عبد الملك بن مروان بأسارىٰ ابن الأشعث) وهو عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كَرِب الكندي، جده الأشعث صحابي، وكان مع علي ﵁ في حروبه، زوَّجه أبو بكر ﵁ أخته أم فروة بنت أبي قُحافة فوُلد له منها محمد، يكنىٰ أبا القاسم، وهو تابعي ثقة، حديثه في السنن، مات سنة سبع وستين. وولده قيس بن محمد كوفي مقبول، روىٰ له أبو داود. وولده عبد الرحمن كوفي مجهول الحال، روىٰ له أبو داود، وهو صاحب الواقعة، ويُعرَف بابن الأشعث نسبةً إلىٰ جدِّه الأعلىٰ.

ومختصر خبره: أن الحجاج بن يوسف كان قد أرسل ابن الأشعث إلىٰ بلاد الترك، فأوغل فيها وفتح حصونها، فبلغ إليه عن الحجاج ما يسوءه، فخلع

طاعته وطاعة عبد الملك، ورجع بالعساكر إلىٰ العراق، وملك البصرةَ، وجمع قرَّاء المِصرين، فاجتمع له نحو مائة ألف غير الموالي، وجمع الحجاج الجيوش عليه، والتقيا في دير الجماجم، واستمرت الحرب مائة يوم، وذلك سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، فانكسر ابن الأشعث وهرب إلىٰ ملك الترك واستجار به فأجاره، فلم يزل الحجاج يتوعَّده ويتهدَّده، فأمسكه وأهلَ بيته ووضع السواجير في أعناقهم وأرسلهم إلىٰ عمارة بن تميم والي سِجِسْتان، فألقَىٰ ابن الأشعث نفسه من قصر عالٍ فمات، وقتل عمارة جماعة منهم، وبعث برؤوسهم مع بقية الأسارىٰ إلىٰ الحجاج، وبعث بهم الحجاج إلىٰ عبد الملك[١] **(فقال)** عبد الملك **(لرجاء بن حَيْوَة)** بن[٢] جَرْوَل بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس الكِندي الفلسطيني، يكنىٰ أبا المِقدام، ويقال: أبا نصر، قال ابن سعد[٣]: ثقة، فاضل، كثير العلم. وقال العِجلي[٤] والنسائي: ثقة. وقال مَسلمة بن عبد الملك: هو ممَّن ينزل به الغيث ويُنصَر به علىٰ العدو. مات سنة اثنتي عشرة ومائة. روىٰ له البخاري تعليقًا ومسلم والأربعة **(ما ترىٰ؟ قال: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعطِ اللهَ ما يحب من العفو. فعفا عنهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(ورُوي أن زيادًا) هو والي العراقينِ، ويُعرَف بابن أبيه وبابن سميَّة، وابنه عبيد الله هو الذي تولَّىٰ حرب الحسين رضي الله عنه **(أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه)** وهرب **(فأخذ)** زياد **(أخًا له فقال له: إن جئتَ بأخيك وإلا ضربتُ عنقك. فقال: أرأيتَ إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم)** جلَّ جلالُه **(وأقيمَ عليه شاهدين)** عدلين **(إبراهيم**

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٣٠٥ - ٣٤٩. المنتظم لابن الجوزي ٦/ ٢١١ - ٢٦٣. مرآة الجنان لليافعي ١/ ١٢٩ - ١٣٩. الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٤٨٨ - ٥٢٠.

(٢) تهذيب الكمال ٩/ ١٥١ - ١٥٧.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٤٥٧.

(٤) معرفة الثقات ١/ ٣٦٠.

وموسىٰ عليهما السلام. ثم تلا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨] فقال زياد: خلُّوا سبيله، هذا رجل قد لُقِّن حُجَّته)[١] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(وقيل: مكتوب في الإنجيل: مَن استغفر لمَن ظلمه فقد هزم الشيطان)[٢] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

وممَّا يُستحسَن إيراده هنا ما ذكره صاحب «خلاصة التواريخ»[٣]: أن المهلَّب بن أبي صُفرة - وكان يكنىٰ أبا سعيد - بلغه عن رجل شيءٌ كرهه، فقال له جلساؤه: ألا تأمر بقتله؟ فقال: ما أعرفني بدوائه. فبعث إليه خمسة آلاف درهم وتختًا من ثياب وطِيب، ثم دخل المهلَّب علىٰ ابن زياد، فلقيه الرجل فقبَّل يده وقال: يدك يدٌ يُتَّقَىٰ بها الذم، ويُكسَب بها الحمد، ويُقتَل بها العدو. فبلغ ابنَ زياد ذلك فقال: كان المهلب أعلم بدوائه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في كتاب الأذكياء ص ١٨٩.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢١٥ - ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٠٩ - عن الحجاج بن فرافصة قال: بلغنا في بعض الكتب: من عمل من غير مشورة فذاك باطل يتعنىٰ، ومن لم ينتصر من ظالمه بيد ولا بلسان ولا حقد فذاك علمه يقين، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

(٣) هو علي الشرواني النقشبندي الحنفي صاحب دليل الزائرين وجامع المناسك وغيره توفي بالمدينة سنة ١١١٨هج. انظر سلك الدرر ٣/ ٢٠١. تصوير دار ابن حزم.

فضيلة الرِّفق

بالكسر، هو[١] حُسن الانقياد لِما يؤدي إلىٰ الجميل **(اعلمْ)** هداك الله **(أن الرفق محمود، ويضادُّه العنفُ والحدَّة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة)** وهي غِلظة القلب **(والرفق واللِّين نتيجتا حسن الخُلق والسلاسة)** وهي السهولة **(وقد يكون سبب الحدة الغضب)** وهو الأكثر **(وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه)** علىٰ القلب **(بحيث يُدهِش عن التفكُّر ويمنع من التثبُّت)** في الأمور **(فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسُن الخلقُ إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما علىٰ حد الاعتدال)** من مرتبتَي التفريط والإفراط **(ولأجل هذا أثنىٰ رسول الله ﷺ علىٰ الرفق وبالغ فيه فقال: يا عائشة، إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومَن حُرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب والحكيم في النوادر[٢] وأبو نعيم في الحلية[٣] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] وابن النجار. وقال العراقي[٥]: رواه أحمد[٦] والعقيلي في الضعفاء[٧] في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر المُلَيكي وضعَّفه عن القاسم عن عائشة. وفي الصحيحين[٨] من حديثها:

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٧٩.

(٢) نوادر الأصول ص ١٠٤، ٣٦٩.

(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٥٩.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٥) المغني ٢/ ٨٥٩.

(٦) مسند أحمد ٤٢/ ١٥٣.

(٧) الضعفاء الكبير ٢/ ٧٣٢.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ٩٦، ١٤٢، ١٧١، ٢٨٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٥ - ١٠٣٦.

«إن الله يحب الرفق في الأمر كلِّه».

قلت: رواه عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مُلَيكة عن القاسم بن محمد عن عائشة، وقد رواه من هذا الطريق أيضًا العسكريُّ في الأمثال والقُضاعي في مسند الشهاب[١]، وهو عند العسكري فقط من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة بلا واسطة لكن بلفظ آخر سيأتي ذِكره، وعند أحمد في سياق هذا الحديث زيادة في آخره وهي: «وصِلة الرحم وحسن الخُلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الأعمار». وقد روىٰ هذا الحديث من غير تلك الزيادة أحمدُ[٢] أيضًا والترمذي[٣] – وقال: حسن صحيح – والطبراني في الكبير والقضاعي[٤] والبيهقي[٥] من حديث يعلىٰ بن مَمْلك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء لكن بدون قوله «الدنيا والآخرة» في الموضعين.

والحديث الذي عزاه للبخاري «إن الله يحب الرفق في الأمر كلِّه» له سبب ذكره البخاري وهو أن اليهود لما قالوا: السام عليك، قالت: بل عليكم السام واللعنة. فقال لها ﷺ: «يا عائشة، إن الله ...» الحديث. وقد أخرجه مسلم كذلك في كتاب الاستئذان، وكذلك أحمد[٦] والترمذي[٧] وابن ماجه[٨] وابن حبان[٩]، كلهم من حديث عائشة.

---

(١) مسند الشهاب ١/ ٢٧٤.
(٢) مسند أحمد ٤٥/ ٥٣٥.
(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٢.
(٤) مسند الشهاب ١/ ٢٧٥.
(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٦.
(٦) مسند أحمد ٤٠/ ١٠٩، ١١٠، ٤١/ ١٠٣، ٤٢/ ٤٢٤.
(٧) سنن الترمذي ٤/ ٤٢٩.
(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٦٩، ٢٧٤.
(٩) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٠٧، ٣١٢، ١٤/ ٣٥٣.

ومعنىٰ[١] قوله «في الأمر كله» أي في أمر الدين والدنيا حتىٰ في معاملة المرء مع نفسه، ويتأكَّد ذلك في معاشرة مَن لا بد للإنسان من معاشرته كزوجة وخادم وولد.

(**وقال ﷺ: إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق**) بأن يرفق بعضهم ببعض فيستد أمرهم. قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] بسند جيد والبيهقي [في الشعب[٤]] بسند ضعيف من حديث عائشة.

قلت: ولفظ أحمد: «إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفقَ». ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة بهذا اللفظ. ورواه كذلك البخاري في التاريخ[٥]. و[رواه] البزار[٦] من حديث جابر بسند صحيح. وعند البيهقي[٧] من حديث عائشة بسند ضعيف: «إذا أراد الله بعبيد خيرًا رزقهم الرفق في معاشهم، وإذا أراد بهم شرًّا رزقهم الخُرق في معاشهم».

(**وقال ﷺ: إن الله لَيعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ الخُرق**) بالضم[٨] اسم من خَرِقَ كتعب: إذا عمل شيئًا فلم يرفُق فيه، فهو أخرق، وهي خرقاء (**وإذا أحب الله عبدًا أعطاه الرفق**) أي في أمره كلِّه (**وما من أهل بيت يُحرَمون الرفق إلا محبة الله تعالىٰ حُرِموا**) [٩] قال العراقي[١٠]: رواه الطبراني في

---

(١) فيض القدير ٢/ ٢٨٧.

(٢) المغني ٢/ ٨٥٩.

(٣) مسند أحمد ٤٠/ ٤٨٨، ٤١/ ٢٥٥.

(٤) شعب الإيمان ٨/ ٤٩٨، ١٠/ ١٦٤، ١١/ ١٠.

(٥) التاريخ الكبير ١/ ٤١٦.

(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٤٠٤.

(٧) شعب الإيمان ٨/ ٤٩٨.

(٨) المصباح المنير ص ١٦٧.

(٩) في ط المنهاج ٥/ ٦٦١، وم الإمام: إلا قد حرموا.

(١٠) المغني ٢/ ٨٥٩.

الكبير[1] من حديث جرير بإسناد ضعيف[2].

قلت: ورواه البزار من حديث جابر بالجملة الثانية منه بلفظ: «إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفقَ». وكذلك رواه أحمد، وقد تقدَّم قبله.

(**وقالت عائشة** ﷺ: **قال النبي** ﷺ: **إن الله رفيق**) أي[3] لطيف بعباده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فيكلِّفهم فوق طاقتهم، بل يسامحهم ويلطف بهم. ولا يجوز إطلاق «الرفيق» عليه سبحانه اسمًا؛ لأن أسماءه إنما تُتلقَّىٰ من النقل المتواتر ولم يوجد؛ هكذا ذكره بعض العلماء، والأصل فيه قول القاضي، حيث قال[4]: الرفق هو اللطف وأخذُ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، والظاهر أنه لا يجوز إطلاقه عليه تعالىٰ اسمًا؛ لأنه لم يتواتر، ولم يُستعمَل هنا علىٰ قصد التسمية، وإنما أخبر به عنه تمهيدًا للحكم الذي بعده. ا.هـ. ولكن قال النووي[5]: الأصح جواز تسميته تعالىٰ رفيقًا وغيره ممَّا يثبُت بخبر الواحد (**يحب الرفق**) بالكسر، أي لِين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، أي يحب أن يرفق بعضهم ببعض، وزعمُ أن المراد «يحب أن يرفق بعباده» لا يلائم سياقَ المصنف وهو قوله (**ويعطي عليه**) في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي العقبىٰ من الثواب الجزيل (**ما لا يعطي علىٰ العنف**) بالضم: الشدة والمشقة، نبَّه به علىٰ وطاءة الأخلاق وحسن المعاملة وكمال المجاملة ووصف الله تعالىٰ بالرفق إرشادًا وحثًّا لنا علىٰ [تحرِّي] الرفق في كل أمر، فهو خارج مخرج الإخبار لا التسمية، كما تقرر[6].

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ٣٠٦.

(٢) وقال الهيشمي في المجمع ٨/ ١٨: رجالة ثقات.

(٣) فيض القدير ٢/ ٢٣٧.

(٤) تحفة الأبرار للقاضي البيضاوي ٣/ ٢٧١.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٦/ ٢٢١.

(٦) وقال البيهقي في الأسماء ١/ ١٤١: «إن الله رفيق» معناه ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها، وأما قوله «يحب الرفق» أي يحب ترك العجلة في الأعمال والأمور.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث عائشة.

قلت: ولكن بزيادة في أوله «يا عائشة»، وفي آخره: «وما لا يعطي علىٰ ما سواه». وأخرجه من غير تلك الزيادة البخاريُّ في كتاب الأدب المفرد[٣] وأبو داود[٤] من حديث عبد الله بن مغفَّل، وابن ماجه[٥] وابن حبان[٦] من حديث أبي هريرة، وأحمد[٧] والبيهقي[٨] من حديث علي، والطبراني في الكبير[٩] من حديث أبي أمامة، والبزار[١٠] من حديث أنس. ففي[١١] حديث عليٍّ أبو خليفة، لم يضعِّفه أحدٌ، وبقية رجاله ثقات. وحديث أبي أمامة فيه صدقة السمين، ضعَّفه الجمهور، ووثَّقه أبو حاتم[١٢]، وبقية رجاله ثقات. وحديث أنس رواه البزار بإسنادين، رجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم خلاف.

وروىٰ البيهقي في مناقب الشافعي[١٣] [من طريق محمد ابن الشافعي] قال: رآني أبي وأنا أعجل في بعض الأمر، فقال: يا بني، رفقًا رفقًا، فإن العجلة تُنقِص

(١) المغني ٢/ ٨٥٩.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٣.
(٣) الأدب المفرد ص ١٤٤.
(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٨.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٦٩.
(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٠٩.
(٧) مسند أحمد ٢/ ٢٣٤.
(٨) شعب الإيمان ١١/ ٨.
(٩) المعجم الكبير ٨/ ١١٣، ولفظه: «إن الله يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين علىٰ العنف».
(١٠) مسند البزار ١٣/ ١٢٩، ٤٠٥.
(١١) مجمع الزوائد ٨/ ٤٠ - ٤٢.
(١٢) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٤٣٠: «سمعت أبي يقول: صدقة السمين محله الصدق. وأنكر عليه رأي القدر فقط».
(١٣) مناقب الشافعي ٢/ ١٨٩.

الأعمالَ، وبالرفق تُدرَك الآمال، وقد سمعت [عبد الرحمن بن أبي بكر المُلَيكي يقول: سمعت الزهري يقول: سمعت] عروة يقول: سمعت أبا هريرة رفعه: «إن الله [رفيق] يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي علىٰ العنف».

(**وقال ﷺ: يا عائشة، ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامةً دلَّهم علىٰ باب الرفق**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عطاء بن يسار مرسلاً. وقال العراقي[(١)]: رواه أحمد[(٢)] من حديث عائشة، وفيه انقطاع، ووصله أبو داود[(٣)] مقتصرًا علىٰ قوله «يا عائشة ارفقي».

(**وقال ﷺ: مَن يُحرَم**) من[(٤)] الحرمان، وهو متعدٍّ إلىٰ مفعولين، الأول: الضمير العائد إلىٰ «مَن»، والثاني: (**الرفق**) و«ال» فيه لتعريف الحقيقة (**يُحرَم الخير كله**) بالبناء للمجهول، أي صار محرومًا من الخير، ولامه للعهد الذهني وهو الخير الحاصل من الرفق.

قال العراقي[(٥)]: رواه مسلم[(٦)] من حديث جرير دون قوله «كله» فهي عند أبي داود[(٧)].

قلت: ورواه أيضًا الطيالسي[(٨)] وأحمد[(٩)] وابن ماجه[(١٠)] وابن خزيمة وابن

---

(١) المغني ٢/ ٨٥٩ - ٨٦٠.

(٢) مسند أحمد ٤١/ ٢٥٥.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٩ بلفظ: «يا عائشة ارفقي، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه».

(٤) فيض القدير ٦/ ٢٤١.

(٥) المغني ٢/ ٨٦٠.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢ - ١٢٠٣.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٩.

(٨) مسند الطيالسي ٢/ ٥٣.

(٩) مسند أحمد ٣١/ ٥٤٣، ٥٧٠.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٦٨.

حبان[١]. وهو عند العسكري في الأمثال من طريق عبد الرحمن بن هلال عن جرير كلفظ أبي داود. ورواه الطبراني في الكبير[٢] في أثناء حديث: «ومَن يُحرَم الرفق يُحرم الخير». ورواه مسلم بإسناد آخر بلفظ: «مَن حُرم الرفق حُرم الخير».

(وقال ﷺ: **أيّما والٍ وليَ**) علىٰ[٣] قوم (**فلانَ**) لهم، أي لاطفهم بالقول والفعل (**ورفق**) بهم وساسَهم بلطف (**رفق الله به يوم القيامة**) في الحساب والعتاب، ومَن عومل بالرفق في ذلك المقام فهو من السعداء بلا كلام.

رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة.

وقال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث عائشة في حديث فيه: «ومَن وليَ من أمر أمَّتي شيئًا فرفق بهم فارفق به».

قلت: وروىٰ ابن أبي الدنيا أيضًا في ذم الغضب[٦] من حديثها: «مَن رفق بأمَّتي رفق الله به، ومَن شقَّ علىٰ أمَّتي شق الله عليه».

(**وقال ﷺ: تدرون مَن يحرَّم علىٰ النار يوم القيامة؟ كل هيِّن ليِّن سهل قريب**) قال العراقي[٧]: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه كذلك الطبراني، ولفظهما: «ألا أخبركم بمَن تحرُم عليه النار غدًا؟ علىٰ كل هين لين قريب سهل».

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٠٨.
(٢) المعجم الكبير ٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧.
(٣) فيض القدير ٣/ ١٥٨ - ١٥٩.
(٤) المغني ٢/ ٨٦٠.
(٥) صحيح مسلم ٢/ ٨٨٦.
(٦) وكذلك القضاعي في مسند الشهاب ١/ ٢٤١، وابن الأعرابي في معجمه ص ٥٣٥، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ١١١.
(٧) المغني ٢/ ٨٦٠.

وقد رواه كذلك أبو يعلىٰ[١] من حديث جابر. ورواه ابن النجار[٢] من حديث أبي هريرة بلفظ: «يحرُم علىٰ النار ...» الخ.

(**وقال ﷺ: الرفق يُمْنٌ**) أي بركة (**والخُرق**) بالضم (**شؤمٌ**) قال العراقي[٣]: رواه الطبراني في الأوسط[٤] من حديث ابن مسعود، والبيهقي في الشعب[٥] من حديث عائشة، وكلاهما ضعيف.

قلت: في إسناد الطبراني المعلَّىٰ بن عرفان، وهو متروك[٦]. وقد رواه كذلك العسكري وعدَّه من الأمثال والحِكَم. وفي رواية: «والرغب شؤم»، وهو الشَّرَه والنَّهَم والحرص علىٰ الدنيا.

(**وقال ﷺ: التأنِّي من الله، والعجلة من الشيطان**) قال العراقي[٧]: رواه أبو يعلىٰ من حديث أنس، ورواه الترمذي وحسَّنه من حديث سهل بن سعد بلفظ «الأناة من الله»، وقد تقدم[٨].

(**ورُوي أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: يا رسول الله، إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك، فاخصصني منك بخير. فقال «الحمد لله» مرتين أو ثلاثًا، ثم أقبل عليه فقال: هل أنت مستوصٍ؟ مرتين أو ثلاثًا، فقال: نعم. قال: إذا أردتَ أمرًا فتدبَّرْ**

(١) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٢) وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٥٦، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣٨، وابن عدي في الكامل ٣/ ١١٤٧.

(٣) المغني ٢/ ٨٦٠.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٢٤٢.

(٥) شعب الإيمان ١٠/ ١٦٤، ١١/ ١٠.

(٦) مجمع الزوائد ٨/ ٤٤.

(٧) المغني ٢/ ٨٦٠.

(٨) في كتاب آداب الأكل وفي كتاب عجائب القلب.

عاقبتَه) بأن[1] تتفكَّر وتتأمل ما يصلحه ويفسده، وتدقِّق النظر في عواقبه **(فإن كان رشدًا)** أي غير منهيٍّ عنه شرعًا. وفي رواية: خيرًا **(فامْضِه)** أي فافعله. وفي رواية: فوحه. من الوحا وهو السرعة، أي تسرَّعْ إليه **(وإن كان سوىٰ ذلك فانْتِه)** أي كُفَّ عنه ولا تأتِه.

قال العراقي[2]: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق[3] من حديث أبي جعفر مرسلاً، وأبو جعفر هذا اسمه عبد الله بن مسور الهاشمي، ضعيف جدًّا. ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده: «إذا هممتَ بأمر فاجلس فتدبَّرْ عاقبتَه». وإسناده ضعيف[4].

قلت: ومن طريق ابن المبارك أخرجه [ابن أبي الدنيا] في ذم الغضب. وأبو جعفر المذكور هو عبد الله بن مِسْوَر بن عون بن جعفر بن أبي طالب، قال الذهبي في المغني[5]: قال أحمد[6] وغيره: أحاديثه موضوعة، وقال النسائي[7] والدارقطني[8]: متروك.

وممَّا يشهد له ما رواه رجل من بَلْي قال: انطلقت مع أبي إلىٰ النبي ﷺ، فناجاه أبي دوني، فقلت لأبي: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قال: قال لي: «إذا أردتَ أمرًا فعليك بالتؤدة حتىٰ يريك الله منه المَخرج». رواه الطيالسي في المسند

---

(١) فيض القدير ١/ ٢٧٠.

(٢) المغني ٢/ ٨٦١.

(٣) الزهد والرقائق ص ٥٩. ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ٣٠٥ موصولا من حديث ابن مسعود.

(٤) بل موضوع، وانظر ما سينقله المصنف عن المغني للذهبي.

(٥) المغني في الضعفاء ١/ ٥١٠.

(٦) العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣٤٥.

(٧) الضعفاء والمتروكون ص ١٤٩.

(٨) العلل ٥/ ١٩٠.

والبخاري في الأدب المفرد[١] وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] والبيهقي في الشعب[٣]. فهذا شاهد جيد، وهو حسن.

تنبيه: قال أبو القاسم الراغب[٤]: يحتاج الرأي إلىٰ أربعة أشياء، اثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير، أحدهما: أن يعيد النظر فيما يرتئيه ولا يعجل إمضاءه [حتىٰ يعب] فقد قيل: إياك والرأي الفطير، وأكثر من يستعجل في ذلك ذوو النفوس الشهمة والأمزجة الحارة. والثاني: أن لا يدافعه بعد إحكامه، فقد قيل: أحزَمُ الناسِ مَن إذا وضح له الأمرُ صدع فيه، وأكثر من يدافع ذلك ذوو النفوس المهينة والأمزجة الباردة. واثنان من جهة الناس، أحدهما: تركُ الاستبداد بالرأي، فإن الاستبداد به من فعل المعجب بنفسه، وقد قيل: الأحمق مَن قطعه العجبُ بنفسه عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة. والثاني: أن يتخيَّر من تحسُن مشاورتُه

فما كل ذي نصح مؤتيك نصحه ولا كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استُجمِعا عند صاحب فحق له من طاعة بنصيب[٥]

ومَن دخل في أمر بعد الاحتراز من هذه الأربعة فقد أحكم تدبيرَه، فإن لم ينجح عملُه لم تلحقه مَذَمَّةٌ.

(وعن عائشة ﵂ أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر علىٰ بعير صعب، فجعلت تصرفه يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة، عليكِ بالرفق) أي

---

(١) الأدب المفرد ص ٢٦٢.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٢٢٩.

(٣) شعب الإيمان ٢/ ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٤) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٤٩ - ١٥٠ (ط - دار السلام).

(٥) هذان البيتان نُسبا لبشار بن برد، وهما في ديوانه ٤/ ٢٣. ونسبهما أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١٢/ ٢٢٠ - ٢٢١ مع ثلاثة أبيات أخرىٰ لأبي الأسود الدؤلي.

اللين والملاطفة (**فإنه لا يدخل**) أي الرفق (**في شيء إلا زانَه**) إذ هو سبب لكل خير (**ولا يُنزَع من شيء إلا شانَه**) أي عابَه. قال العراقي[١]: رواه مسلم في صحيحه[٢].

قلت[٣]: رواه من طريق شعبة عن المِقدام بن شُرَيح بن هانئ عن أبيه عن عائشة بالحديث فقط من غير قصة، ولفظه: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَع من شيء إلا شانه». ومن وجه آخر عن شعبة بالقصة، ولفظها: ركبت عائشة بعيرًا، فكانت فيه صعوبة، فجعلت تردِّده، فقال لها ... فذكره. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد[٤] من طريق شعبة بلفظ: كنت علىٰ بعير فيه صعوبة [فجعلت أضربه] فقال النبي ﷺ: «عليكِ بالرفق ...» الحديث. ورواه أحمد[٥] في آخرين منهم أبو داود[٦] وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن حبان[٧] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٨] بلفظ: «يا عائشة، عليكِ بتقوىٰ الله والرفق، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نُزِع من شيء قط إلا شانه». ورواه العسكري في الأمثال من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس رفعه[٩]: «ما كان الرفق في شيء إلا

(١) المغني ٢/ ٨٦١.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٣.

(٣) أنظر المقاصد الحسنة للسخاوي صـ١٩٤،١٩٣.

(٤) الأدب المفرد ص ١٤٣، ١٤٥.

(٥) مسند أحمد ٤٠/ ٣٥٣، ٤١/ ٣١٥، ٤١٥، ٤٢/ ٢٣٨، ٤٦٧، ٤٣/ ٥٢.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ٢٠١، ٥/ ٢٧٩.

(٧) صحيح ابن حبان ٢/ ٣١١.

(٨) مكارم الأخلاق ص ٢٣١.

(٩) أخرجه البزار عن طريق عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ما كان الرفق في قوم إلا نفعهم ولا الحزق في قوم إلا ضرهم. فهو من حديث معمر عن هشام من حديث معمر عن ثابت. هذا الذي في مطبوعاتنا والله أعلم بحقيقة الحال. مسند البزار ١٨/ ١٢١. وأخرجه الإسماعيلي في معجم شيوخه عن طريق الحجاج الدعيني ١/ ٣٦٤،٣٦٣، وابن الأعرابي في معجمه ١/ ٣٣٩ ومن طريقه القضاعي في مسند =

زانه، ولا كان الخرق قط في شيء إلا شانه»[١].

تتمة نذكر فيها الأحاديث الواردة في الرفق: فمن ذلك: «يا عائشة، إن الرفق لو كان خَلقًا ما رأىٰ الناس خلقًا أحسن منه، ولو كان الخرق خلقًا ما رأىٰ الناس خلقًا أقبح منه». رواه الطبراني والحاكم في الكنىٰ[٢] من حديث عائشة. ورواه العسكري في الأمثال[٣] بذكر قصته من سلام اليهود وردِّها عليهم.

ومن ذلك: حديث عائشة: «ما كان الرفق في قوم إلا نفعهم، ولا كان الخُرق في قوم إلا ضرَّهم». رواه العسكري في الأمثال[٤] من طريق معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

ومن ذلك: حديث جابر: «الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة». رواه الدارقطني في الأفراد[٥] والإسماعيلي في معجمه[٦] والطبراني في الأوسط[٧]

= الشهاب ١/ ١٦٩، والحجاج منكر الحديث ومشاه بن عدي، وأورد الذهبي ذلك الحديث في مناكيره أنظر لسان الميزان ٢/ ٥٦١ والمداوي للغماري ٤/ ١٥٧.

(١) قد رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٤١ - ١٤٢ من هذا الطريق بلفظ: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه». المعد تبع فيه السخاوي كما في المقاصد. ورواه باللفظ الذي ذكره الشارح: البزار في مسنده ١٣/ ٣٥٩ من طريق معلىٰ بن أسد عن كثير ابن حبيب الليثي عن ثابت. والبخاري في الأدب المقرر (٤٦٦). ورواه أيضا الضياء في الأحاديث المختارة ٥/ ١٤٠ عن الصلت بن مسعود الجحدري، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٦ عن محمد بن عيسىٰ الطباع، كلاهما عن كثير بن حبيب.

(٢) وكذلك الخطيب في المتفق والمفترق ٣/ ١٧٠٧. الأسامي والكني لأبي أحمد الحاكم ق ١٥٦ ب من حديث عمران بن حصين.

(٣) وكذلك الدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ٥٣٦ من حديث عمران بن حصين.

(٤) وكذلك البزار في مسنده ١٨/ ١٢١، وعبد بن حميد في مسنده ٢/ ٣٦٧.

(٥) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٣١٨.

(٦) معجم شيوخ الإسماعيلي ١/ ٣٦٤.

(٧) المعجم الأوسط ٨/ ٣١٨.

والبيهقي[١]. وفي الأمثال للعسكري من طريق حجاج بن سليمان الرعيني قال: قلت لابن لهيعة: كنت أسمع عجائز المدينة يقلن: إن الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة. فقال: حدثني محمد بن المنكدر عن جابر رفعه به.

وروىٰ الطبراني[٢] من حديث جرير: «الرفق زيادة بركة». وفي لفظ به بزيادة: «والبركة، ومَن يُحرَم الرفق يُحرَم الخير».

وروىٰ القُضاعي في مسند الشهاب[٣] من حديث جرير: «الرفق رأس الحكمة»[٤].

ورواه أبو الشيخ في الثواب والعسكري[٥] من طريق عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: بلغني أنه مكتوب في التوراة: إن الرفق رأس الحكمة. ورواه كذلك ابن أبي عاصم.

وروىٰ أحمد[٦] والطبراني[٧] من حديث أبي الدرداء: «من فقه الرجل رفقُه في معيشته». ولفظ ابن عدي[٨]: «من فقهك رفقك في معيشتك».

(١) شعب الإيمان ٨/ ٤٩٥، ٤٩٩.

(٢) المعجم الكبير ٢/ ٣٤٨. وفيه: «الرفق فيه الزيادة والبركة».

(٣) مسند الشهاب ١/ ٦٥.

(٤) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق صـ٢٢٥، ومن طريقه أخرجه القضاعي، فكان الأول أن يعزوه المصنف للخرائطي.

(٥) ورواه هناد في الزهد ٢/ ٦٥٣ بلفظ: مكتوب في الحكمة. وعند أحمد في الزهد ص ٤٤: «مكتوب في الحكمة أو في التوراة» علىٰ الشك.

(٦) مسند أحمد ٣٦/ ٢٦.

(٧) مسند الشاميين ٢/ ٣٥٣.

(٨) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٧٢.

(الآثـار):

رُوي أنه (**بلغ عمرَ بن الخطاب** رضي الله عنه **أن جماعة من عماله**)[1] جمع عامل، وهم الذين ولاَّهم علىٰ بعض الأعمال (**اشتُكوا**) أي شكاهم بعض الرعايا (**فأمرهم أن يوافوه**) أي يلاقوه (**فلما أتوه قام فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: (أيها الناس**[2]**، أيتها الرعية، إن لنا عليكم حقًّا**) أي حقان، سقطت النون للإضافة، أحدهما: (**النصيحة بالغيب**) أي ينصحون ولاة الأمور علىٰ غيبتهم (و) الثاني: (**المعاونة علىٰ الخير**) أي يعاون بعضهم بعضًا في أمور الخير (**أيتها الرعاة**) أي الولاة والعمال (**إن للرعية عليكم حقًّا، واعلموا أنه لا حلم أحب إلىٰ الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلىٰ الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يُرزَق العافية ممَّن هو دونه**)[3] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالىٰ: (**الرفق بُنَيُّ الحلم**) تصغير «الابن»، أي ثمرته ونتيجته، منه يتولَّد. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وأبو نعيم في الحلية.

(**وفي الخبر موقوفًا ومرفوعًا: العلم**) أي[4] الشرعي النافع (**خليل المؤمن**) لأنه لا نجاة ولا فوز إلا به، فكأنه خالَلَ المؤمنَ بمحبته، يطلبه عند غيبته، ويتمسك به عند وجوده، ويستضيء بنوره عند جهله (**والحلم وزيره**) أي معينه، المتحمِّل لأثقاله، فيستعين به علىٰ أموره الدينية والدنيوية، ولهذا قيل: ما ضُمَّ شيء إلىٰ شيء أحسن من الحلم إلىٰ العلم (**والعقل دليله**) أي يرشده من جهله (**والعمل**

(١) في طبعتي الشعب ١٦٧٤ والمنهاج ٥/ ٦٦٣: رعيته. وما في الزبيدي موافق لـ م الإمام.

(٢) زيادة من ط الشعب.

(٣) رواه هناد في الزهد ٢/ ٦٠٢، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة ص ٧٧٤.

(٤) فيض القدير ٤/ ٣٣١، ٣٨٩.

قَيِّمه) وفي رواية: قائده. أي القائم بحفظ أصله، والمراد به العمل بمقتضىٰ كلٍّ من العلم والحلم والعقل **(والرفق والده)** لا يصدر في أمر إلا بمراجعته وطاعته رجاءَ بركته. والمراد أصله الذي ينشأ منه ويتفرَّع عليه، وكل من كان سببًا لإيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره يسمىٰ أبًا **(واللين أخوه)** لا ينفصل ولا يتصل ولا يستقلُّ دونه **(والصبر أمير جنوده)** جعل ما تقدم جنودًا وأميرها الصبر، لا يعمل كلٌّ منها فيما أُهِّلَ له إلا به؛ لأن عجلة النفس وخفَّتها تفسد كلَّ خلق حسن ما لم يتقدم الصبر أمامها ويصير إمامها.

قال العراقي[1]: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف. ورواه القضاعي في مسند الشهاب[2] من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة، وكلاهما ضعيف.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا هكذا موقوفًا ومرفوعًا.

ورواه البيهقي[3] عن الحسن البصري مرسلاً، ولفظه: «العلم خليل المؤمن، والعقل دليله، والعمل قيِّمه، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق والده، واللين أخوه». وفيه سَوَّار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة، وقد تقدم أنه ثقة، لكن تكلم فيه الثوري لأجل دخوله في القضاء. وفيه عبد الرحمن بن عثمان أبو بحر البكراوي، قال أحمد[4]: طرح الناس حديثه[5].

وقال الحكيم في نوادر الأصول[6]: عن ابن عباس قال: كنت ذات يوم رديفًا

---

(١) المغني ٢/ ٨٦١.

(٢) مسند الشهاب ١/ ١٢٢.

(٣) شعب الإيمان ٦/ ٣٦٧.

(٤) العلل ومعرفة الرجال ٣/ ١٠١.

(٥) كلاهما موضوع، وانظر لسان الميزان ٧/ ٤٤٣، والسلسلة الضعيفة للألباني رقم (٢٣٧٩).

(٦) نوادر الأصول ص ١٥٧.

لرسول الله ﷺ، فقال: «ألا أعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن»؟ قلت: بلىٰ. قال: «عليك بالعلم، فإنَّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قَيِّمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنوده».

(**وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزيِّنه العلمُ، وما أحسن العلم يزيِّنه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق، وما أضيفَ شيء إلىٰ شيء مثل حلم إلىٰ علم**)[١] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال عمرو بن العاص**) بن وائل السهمي القرشي (**لابنه عبد الله**) ﷺ: (**ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا إناة**) بالكسر، اسم من التأنِّي وهو التثبُّت في الأمور وعدم التسرُّع فيها (**وتلاين الولاة**) أي تلاطفهم وتصانعهم في القول والعمل (**قال: فما الخُرق؟ قال: معاداة إمامك**) أي ولي الأمر (**ومناوأة**) أي معارضة (**من يقدر علىٰ ضررك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٢].

(**وقال سفيان**) بن عيينة (**لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد. قال: أن تضع الأمور مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. وغلط مَن زعم[٣] أنه سفيان الثوري، فإن الثوري يكنىٰ أبا عبد الله.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣٧٤ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٦١، ٨/ ٢٦ والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٣٨ عن حبيب بن حجر القيسي قال: كان يقال: ما أحسن ... الخ. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٧٣ وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٠٦ عن رجاء بن حيوة قال: يقال: ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان يزينه التقىٰ، وما أحسن التقىٰ يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه الحلم، وما أحسن الحلم يزينه الرفق.

(٢) أسنده أبو بكر الشاشي في فوائده صـ١٠٦ بنحوه، وذكر لاه مروريًا عن بعض الحكماء الخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٠.

(٣) كالزمخشري في ربيع الأبرار ٢/ ٢٣٤، فإنه ذكره هكذا وزاد في آخره: «من الأمور أمور لا يصلح فيها الرفق ولا يصلح فيها إلا الشدة، كالجرح يعالج فإذا احتاجوا إلىٰ الحديد لم يكن منه بد».

(وهذا إشارة إلىٰ أنه لا بد من مزج الغلظة باللين، والفظاظة بالرفق، كما قيل) قائله أبو الحسين[١] أحمد بن الحسين المتنبي:

(ووضعُ الندىٰ في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندىٰ

فالمحمود) من ذلك **(وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق)** علىٰ ما سبق ذِكرُه في كتاب رياضة النفس **(ولكن لما كانت الطباع إلىٰ العنف والحدة أمْيَل كانت الحاجة إلىٰ ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثُر ثناءُ الشرع علىٰ جانب الرفق)** في أخبار تقدم ذِكرُها **(دون العنف)** بل ورد فيه ما يصرِّح بذمِّه وتقبيحه **(وإن كان العنف في محلِّه)** حيث أمره الشرع **(حسنًا، كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحقُّ الهوىٰ، وهو ألذُّ من الزبد)** إذا خُلط **(بالشهد)** بالضم[٢]، وهو العسل الأبيض **(هكذا قاله عمر بن عبد العزيز)**[٣] كما أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(ورُوي أن عمرو بن العاص كتب إلىٰ معاوية) ﷺ **(يعاتبه في التأنِّي)** ويحضُّه علىٰ اغتنام الفرصة في أمر كان قصده **(فكتب إليه معاوية)** في الجواب: **(أما بعد، فإن التفهُّم في الخير زيادة)** علم و**(رشد)**[٤] من الضلالة **(وإن الرشيد مَن رشدَ عن العجلة)** أي استبصر فلم يعجل في أمره **(وإن الخائب مَن خاب عن الإناة)** بالكسر، اسم من التأنِّي **(وإن المتثبِّت)** في أمره **(مصيب)** أي واجد الصواب **(أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العَجِل)** في الأمور **(مخطئ)** عن طريق الصواب **(أو كاد أن يكون مخطئًا، وإن من لا ينفعه الرفق يضرُّه الخُرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك**

---

(١) هكذا كناه الشارح، والصواب أن كنيته: أبو الطيب. والبيت في ديوانه ص ٣٧٢.

(٢) في تاج العروس ٨/ ٢٥٨: «الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. بالفتح لتميم، وبالضم لأهل العالية، كما في المصباح».

(٣) تقدم عنه في كتاب النكاح بلفظ: إذا وافق الحق هوىٰ فهو الزبد بالنرسيان.

(٤) في ط المنهاج ٥/ ٦٦٥، وم الإمام: زيادة ورشد.

المعالي)[١] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(وعن أبي عون الأنصاري) الأعور[٢] الشامي، اسمه عبد الله بن أبي عبد الله، مقبول، روىٰ له النسائي **(قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلىٰ جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها)**[٣] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٤].

(وقال أبو حمزة الكوفي) اسمه سَيَّار، مقبول، روىٰ له البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه. ووقع في الإسناد: عن سيَّار أبي الحكم عن طارق بن شهاب، والصواب: عن سيَّار أبي حمزة، فإنه هو الذي روىٰ عن طارق بن شهاب، وأما سيار أبو الحكم العَنَزي فإنه لم تثبُت روايتُه عن طارق. نبَّه عليه الحافظ في مختصر التهذيب[٥] **(لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه، فإن مع كل إنسان شيطانًا)** فإكثار الخدم إكثار من الشياطين **(واعلمْ أنهم لا يعطونك بالشدة شيئًا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب[٦].

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(المؤمن وقَّاف)** أي كثير الوقوف

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٦٥، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ٨١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ١٤٤٧، وابن حبان في روضة العقلاء ص ٢١٨. وزادوا في آخره: «ولا يبلغ رجل مبلغ الرأي حتىٰ يغلب صبره شهوته، وحلمه غضبه».

(٢) تقريب التهذيب ص ١١٨٦.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٦٤.

(٤) من طريقه أخرجه الخطيب في القضية ٢/ ٧٠ ط العزازي. وهو عند إسحاق بن راهويه في مسنده ١٥/ ٢٥٤، ولكن بدل: «صعبه»؛ «حسنه» كأنه تحريف.

(٥) تقريب التهذيب ص ٤٢٧.

(٦) ورواه في العزلة والانفراد ص ١٢٢ عن عثمان بن عبد الحميد بن لاحق قال: سمعت أبا حمزة الكوفي يقول للفضل بن لاحق: يا أبا بشر، احذر الناس، فإن منهم من لو أُعطي درهما علىٰ أن يقتل إنسانا قتله بعد أن يختبئ له، فلا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد لك منه، فإن مع كل إنسان منهم شيطانا.

والتثبُّت (متأنٍّ) في أموره (وليس كحاطب ليل) إذ لا يخوض فيما لا يعنيه، فإن الذي يجمع الحطب بالليل يوشك أن يلمَّ ما يؤذيه من حية وغيرها يظنه حطبًا. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود) العاقبة (ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور) والقلة (وإنما الكامل من يميِّز مواقع الرفق عن مواقع العنف) بحسن تبصُّره (فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة) عن التمييز (أو أشكل عليه حكمُ واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق) دون العنف (فإن النجح معه) أي مع الرفق (في الأكثر) وإن لم يُصِبْ فلا تلحقه مَذَمَّةٌ. والله أعلم.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

(بيان ذم الحسد:

اعلمْ) هداك الله **(أن الحسد أيضًا من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب)** فإن الإنسان إذا غضب حقدَ، وإذا حقد حسد **(فهو)** أي الحقد **(فرع فرعه)** أي نتيجته بالواسطة **(والغضب أصل أصله)** الذي ينشأ منه **(ثم إن للحسد)** مع كونه فرعًا **(من الفروع الذميمة ما لا يكاد يُحصَىٰ، وقد ورد في ذم الحسد خاصةً أخبار كثيرة)** منها: **(قال رسول الله ﷺ: الحسد)** أي[1] المذموم وهو تسخُّطُ قضاء الله والاعتراض عليه **(يأكل الحسنات)** قال الطيبي[2]: الأكل هنا استعارة لعدم القبول وأن حسناته مردودة عليه وليست بثابتة في ديوان عمله الصالح حتىٰ تُحبَط **(كما تأكل النار الحطب)** فتعدمه وتمحوه، وذلك لأن الحسد اعتراض علىٰ الله فيما لا عذر للعبد فيه؛ لأنه لا تضرُّه نعمة الله علىٰ عبده، والله لا يعبث ولا يضع الشيء في غير محله، فكأنه نسب ربَّه للجهل والسفه ولم يرضَ بقضائه، فلذلك رُدَّت حسناته من ديوان الأعمال.

قال العراقي[3]: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة، وابن ماجه من حديث أنس، وقد تقدم[4].

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤١٣.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣٢١٥.

(٣) المغني ٢/ ٨٦٢.

(٤) في أول الباب الرابع من كتاب العلم.

قلت: وعند ابن ماجه: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، والصلاة [نور] والصوم جُنَّة من النار». وسنده ضعيف. وقد تقدم الكلام في ذلك. وأخرجه الخطيب بسند حسن.

(وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: لا تحاسدوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا) فإنَّ التباغُض من أسباب الحسد، والتقاطُع والتدابُر من ثمراته ونتيجته. أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبعْ بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم ...» الحديث بطوله. وبلفظ المصنِّف رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف من حديث أبي بكر. وقد تقدم الكلام فيه في كتاب آداب الصحبة.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(كنا يومًا جلوسًا عند رسول الله ﷺ، فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفج)** وهو الطريق في الجبل **(رجل من أهل الجنة. قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف)** أي تقطر **(لحيته من وضوئه، قد علَّق نعليه في يده الشِّمال، فسلَّم، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث، فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدُ الله بن عمرو بن العاص)** وقد كان حاضرًا في تلك المجالس في المرَّات الثلاث يسمع منه ﷺ قولَه فيه **(فقال)** لذلك الرجل: **(إني لاحيت أبي)** أي خاصمتُه في أمر **(فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا)** أي ثلاث ليالٍ **(فإن رأيتَ أن تؤويني إليك)** أي تضمُّني إلىٰ بيتك **(حتىٰ تمضي الثلاث)** ليالٍ **(فعلتَ. فقال: نعم. فبات عنده ثلاث ليالٍ)** يراعي أحواله في حركاته وسكناته **(فلم يرَه يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تقلَّب علىٰ فراشه ذكر الله تعالىٰ، ولا يقوم حتىٰ يقوم لصلاة الفجر. قال)** عبد الله بن عمرو: **(غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مرَّت الثلاث)** ليالٍ **(وكدت أن أحتقر عمله قلتُ: يا عبد الله)** ناداه بأعم أسمائه، فإن الخلق كلَّهم عبد الله **(لم يكن بيني وبين والدي**

غضب ولا هجرة) أي مهاجَرة **(ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك، فلم أرَكَ تعمل عملاً كثيرًا)** يوجب تلك البشارةَ **(فما الذي بلغ بك ذلك؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ. فلما ولَّيتُ)** بظهري **(دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجد علىٰ أحد من المسلمين في نفسي عنتًا[1] ولا حسدًا علىٰ خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله)** بن عمرو: **(فقلت له: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق)** رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب ذم الحسد. وقال العراقي[2]: رواه أحمد[3] بسند صحيح علىٰ شرط الشيخين، ورواه البزار[4] وسمَّىٰ الرجل في رواية له «سفيان» وفيها ابن لهيعة. انتهىٰ[5].

قلت: وجدت بخط الحافظ في هامش المغني عند قوله «صحيح علىٰ شرط الشيخين» ما لفظه: له علة، فإن الزهري لم يسمعه من أنس فيما يقال. ا.هـ[6].

والمسمَّىٰ بسفيان في الأنصار من الصحابة ثلاثة: سفيان بن نسر بن زيد الخزرجي، وسفيان بن ثابت الأنصاري، وسفيان بن [حاطب بن] أمية الظَّفَري[7].

---

(١) في غير الزبيدي: غشًا. وكأنه الصواب.

(٢) المغني ٢/ ٨٦٢.

(٣) مسند أحمد ٢٠/ ١٢٤.

(٤) مسند البزار ١٣/ ١٤، وفيه أن الرجل يسمىٰ سعدا وليس سفيان.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ١١/ ٢٨٧ وفي طريقه أحمد في مسنده وعن بن حميد في مسنده ٣/ ٣٦،٣٥، والبزار مختصرًا، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص٢٦٦ قال الزهري - في هذا الطريق -: أخبرني أنس، وأخرجه ابن المبارك في الزهد ٦٩٤، ومن طريقه النسائي في الكبرىٰ ١٠٦٩٩، وقال الزهري هنا عن أنس. قال الدارقطني في العلل (١٢/ ٢٠٤،٢٠٣) بعد أن ذكر خلاف عبد الرزاق السالف: هذا الحديث لم يسمعه الزهري من أنس، ورواه شعيب بن أبي حمزة وعقيل عن الزهري قال: حدثني من لا أتهم عن أنس. وكذا رواه البيهقي في الشعب ١٠/ ١٢٠. وقال أبو هاشم الرازي ٦/ ٣٩١ انفرد به الزهري.

(٦) كلام الحافظ في النكتب الظراف علىٰ تحفة الأشراف ١/ ٣٩٥ ط شرف الدين.

(٧) انظر: الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٠٦ - ٢١٥.

فالله أعلم أيهم أراده البزار.

(وقال ﷺ: **ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن**) أي[١] سوء الظن بالناس (**والطِّيرة**) أي التطيُّر وهو التشاؤم (**والحسد**) لذوي النعم علىٰ ما منحهم الله تعالىٰ (**وسأحدِّثكم بالمَخرج من ذلك**) قالوا: أخبِرْنا يا رسول الله. قال: (**إذا ظننتَ فلا تحقِّق**) مقتضَىٰ ظنك (**وإذا تطيَّرت**) من شيء (**فامْضِ**) لمقصدك (**وإذا حسدت فلا تبغِ**) أي لا تجاوز الحد.

رواه[٢] ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة، وفيه يعقوب ابن محمد الزهري وموسىٰ بن يعقوب الزمعي، ضعَّفهما الجمهور (**وفي رواية: ثلاث لا ينجو منهن أحد وقلَّ من ينجو منهن**) رواها ابن أبي الدنيا أيضًا من رواية عبد الرحمن بن معاوية، وهو مرسل ضعيف.

وتقدم في آفات اللسان حديث حارثة بن النعمان: «ثلاث لازمات لأمَّتي: سوء الظن والحسد والطيرة، فإذا ظننت فلا تحقِّق، وإذا حسدت فاستغفِر الله تعالىٰ، وإذا تطيَّرت فامْضِ». رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الكبير. وروىٰ رُسْته في كتاب الإيمان له من مرسل الحسن بلفظ: «ثلاث لم تَسلم منها هذه الأمة: الحسد والظن والطيرة، ألا أنبِّئكم بالمَخرج منها؟ إذا ظننت فلا تحقِّق، وإذا حسدت فلا تبغِ، وإذا تطيَّرت فامْضِ».

(**فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة.**

وقال ﷺ: دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء) كانوا يتحاسدون ويتباغضون (**والبغضة هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتىٰ تحابُّوا، ألا**

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) المغني للعراقي ٢/ ٨٦٢ - ٨٦٣.

أنبِّئكم بما يثبِّت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم) رواه الطيالسي[١] وأحمد[٢] وابن منيع وعبد بن حميد[٣] والترمذي[٤] وابن أبي الدنيا والشاشي[٥] وابن قانع[٦] وابن عبد البر في جامع العلم[٧] والبيهقي[٨] والضياء المقدسي[٩]، كلهم من طريق مولىٰ للزبير عن الزبير بن العوام مرفوعًا.

(**وقال ﷺ: كاد الفقر**) أي[١٠] مع الاضطرار إلىٰ ما لا بد منه، كما سيأتي للمصنف (**أن يكون كفرًا**) أي قاربَ أن يوقِع في الكفر؛ لأنه يحمل علىٰ حسد الأغنياء، والحسد يأكل الحسنات، وعلىٰ التذلُّل لهم بما يدنس به عِرضه ويثلم به دينه، وعلىٰ عدم الرضا بالقضاء وتسخُّط الرزق، وذلك إن لم يكن كفرًا فهو جارٌّ إليه. وقيل: المراد: كاد أن يكفر نعمةَ الفقر لثقل تحمُّلها علىٰ النفس، وذلك لأن الفقر نعمة من الله داعٍ إلىٰ الإنابة والالتجاء إليه والطلب منه، وهو حلية الأنبياء وزينة الأولياء وزي الصلحاء، ومن ثَم ورد في الخبر: إذا رأيتَ الفقر مقبلاً فقلْ مرحبًا بشعار الصالحين. فهو نعمة جليلة، بيد أنه مؤلم شديد التحمُّل (**وكاد الحسد أن يغلب القدَرَ**) أي كاد الحسد في قلب الحاسد أن يغلب العلمَ بالقدر فلا يرىٰ أن النعمة التي حسد عليها أنها صارت إليه بقدر الله وقضائه، كما أنها لا تزول إلا بقضائه وقدره، وغرض الحاسد زوال نعمة المحسود، ولو تحقق [القدر] لم

---

(١) مسند الطيالسي ١/ ١٥٩.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٩، ٤٣.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٣٦.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٩.

(٥) مسند الشاشي ١/ ١١٤ - ١١٥.

(٦) معجم الصحابة ١/ ٢٢٣.

(٧) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٨٧، ١٠٩٠.

(٨) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٩٣.

(٩) الأحاديث المختارة ٣/ ٨١.

(١٠) فيض القدير ٤/ ٥٤٢.

يحسده واستسلم وعلم أن الكل بقدر.

قال العراقي[١]: رواه أبو مسلم الكَشِّي والبيهقي في الشعب[٢] من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط[٣] من وجه آخر بلفظ: «كادت الحاجة أن تكون كفرًا». وفيه ضعفٌ أيضًا. انتهىٰ.

قلت: قال الحافظ السخاوي في المقاصد[٤]: رواه أحمد بن منيع من طريق يزيد الرقاشي عن الحسن أو أنس به مرفوعًا. وهو عند أبي نعيم في الحلية[٥] وأبي مسلم الكشي [في سننه] وأبي علي ابن السكن في مصنَّفه والبيهقي في الشعب وابن عدي في الكامل[٦] من طريق يزيد عن أنس بلا شك. وفي لفظ عند بعضهم «أن يسبق» بدل «أن يغلب»، ويزيد ضعيف. ورواه الطبراني من طريق عمرو بن عثمان الكلابي عن عيسىٰ بن يونس عن سليمان التيمي عن أنس مرفوعًا، ولفظه: «كاد الحسد أن يسبق القدر، وكادت الحاجة أن تكون كفرًا». وفيه ضعف أيضًا. انتهىٰ.

قلت: وفي الميزان: يزيد الرقاشي تالف[٧]. وقد رواه أبو نعيم من طريق المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان عن حجاج بن الفرافصة عن يزيد. وحجاج، قال أبو زُرعة[٨]: ليس بقوي. وقال الزركشي[٩]: لكن يشهد له ما

---

(١) المغني ٢/ ٨٦٣.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ١٣.

(٣) المعجم الأوسط ٤/ ٢٢٥.

(٤) المقاصد الحسنة ص ٣١١.

(٥) حلية الأولياء ٣/ ٥٣، ١٠٩، ٨/ ٢٥٣.

(٦) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٩٢.

(٧) لم أقف علىٰ ذلك في ميزان الاعتدال للذهبي، ولكن قال في الكاشف ٢/ ٣٨٠: «ضعيف».

(٨) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ١٦٥.

(٩) التذكرة في الأحاديث المشتهرة ص ٢٠٩.

خرَّجه النسائي[١] وابن حبان[٢] وصحَّحه من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر». فقال رجل: ويعتدلان؟ قال: «نعم». انتهىٰ. وفي الحلية[٣] في ترجمة عكرمة أن لقمان قال لابنه: قد ذقتُ المرارة، فليس شيء أَمَرَّ من الفقر. وقال العسكري في الأمثال: ولا تكاد العرب تجمع بين «كاد» و«أن»، وبذلك نزل القرآن، ولكن كذا يرويه أصحاب الحديث. هكذا نقله السخاوي. وفي «الإنصاف»[٤] لابن الأنباري: لا تُستعمَل «أن» مع «كاد» في اختيار [الكلام]، ولذلك لم يأتِ في القرآن ولا في كلام فصيح، فأما حديث «كاد الفقر أن يكون كفرًا» فإن صح فزيادة «أن» من كلام الراوي. انتهىٰ. وقال النووي[٥]: إثبات «أن» مع «كاد» جائز، ولكنه قليل. وقال ابن مالك[٦]: وقوع خبر «كاد» مقرونًا بـ«أن» قد خفيَ علىٰ أكثر النحاة، والصحيح جوازه، لكنه قليل، ولذلك لم يقع في القرآن، لكن عدم وقوعه فيه لا يمنع من استعماله قياسًا.

لطيفة: قال المناوي في شرحه[٧]: قد ألغزَ أبو العلاء المعرِّي في لفظة «كاد» فقال:

أنحويَّ هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جُرهم وثمود

إذا ما نفت والله أعلم أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود[٨]

قال الشهاب الحجازي: فلم أرَ أحدًا أجاب فقلت:

---

(١) سنن النسائي ص ٨٢٦.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٢.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٣٣٧.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ص ٤٥٣ (ط - مكتبة الخانجي).

(٥) شرح صحيح مسلم ٢/ ١٦٣.

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص ١٥٩ (ط - مكتبة ابن تيمية).

(٧) فيض القدير ٤/ ٥٤١.

(٨) انظر: مغني اللبيب ١/ ٨٦٨، دار الفكر.

لقد كاد هذا اللغز يصدئ فكرتي ... وما كدت أشفي علّتي بورود
وهذا جواب يرتضيه ذوو النهىٰ ... وممتنع عن فهم كل بليد[١]

وهذا الجواب لغز أيضًا، وقد أوضحه بعضهم بقوله:

أشار الحجازي الإمام الذي حوىٰ ... علومًا زكتْ من طارف وتليد
إلىٰ كاد إفصاحًا لذي الفضل والنُّهَىٰ ... وأبهم إبعادا لكل بليد[٢]

(وقال ﷺ: إنه سيصيب أمّتي داءُ الأمم. قالوا) يا[٣] رسول الله **(وما داء الأمم؟ قال: الأَشَر)** محرَّكة، أي كفر النعمة **(والبَطَر)** محرَّكة، أي الطغيان عند النعمة **(والتكاثر)** من جمع المال **(والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد، حتىٰ يكون البغي)** أي مجاوزة الحد **(ثم)** يكون **(الهَرْج)** بفتح فسكون، أي القتل. وهذا تحذير شديد من التنافس في الدنيا والتحاسُد عليها، فإنَّ ذلك أصل الفتن، وعنه تنشأ الشرورُ.

قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الأوسط[٥] من حديث أبي هريرة بإسناد جيد. انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في ذم الحسد[٦] والحاكم[٧] وصحَّحه، وأقرَّه الذهبي. وفي إسناد الطبراني أبو سعيد الغفاري، لم يروِ عنه غير حميد بن

---

(١) انظر: حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني ١/ ٣٩٣ العلمية، وقد أجابه ابن مالك أيضـًا وابن الوردي، انظر الألغاز النحوية للسيوطي ١/ ٤٥.
(٢) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.
(٣) فيض القدير ٤/ ١٢٥ - ١٢٦.
(٤) المغني ٢/ ٨٦٣.
(٥) المعجم الأوسط ٩/ ٢٣.
(٦) ورواه أيضا في العقوبات ص ١٧٤، وفي ذم البغي ص ٤٩ (ط - دار الراية).
(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٨٢.

هانئ، و[بقية] رجاله وُثِّقوا[1]. وهذا السياق الذي ساقه المصف لابن أبي الدنيا، ولفظ الجماعة: «والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد». وليس عندهم «ثم يكون الهرج».

(وقال ﷺ: **لا تُظهِر الشماتةَ لأخيك**) في[2] الدين. كذا هو باللام في سائر الروايات، والمشهور «بأخيك» بالباء الموحدة. والشماتة: الفرح ببليَّة من يعاديك أو تعاديه (**فيعافيه الله**) وفي رواية: فيرحمه الله. أي رغمًا لأنفك (**ويبتليك**) حيث زكَّيت نفسك ورفعتَ منزلتك [عليه] وشمخت بأنفك وشمت به. قال الطيبي[3]: وجملة «فيرحمَه الله» نُصب جوابًا للنهي، و«يبتليك» عطف عليه. وهذا معدود من جوامع الكلم.

قال العراقي[4]: رواه الترمذي[5] من حديث واثلة بن الأسقع، وقال: حسن غريب. وفي رواية ابن أبي الدنيا: «فيرحمه الله». انتهىٰ.

قلت: أورده الترمذي من طريقين، أحدهما: من حديث عمر بن إسماعيل ابن مُجالِد، عن حفص بن غياث، عن بُرْد بن سنان، عن مكحول، عن واثلة. والآخَر: من طريق القاسم بن أمية الحَذَّاء عن حفص بن غياث به. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[6] وقال: عمر بن إسماعيل كذاب، كذَّبه ابن معين وغيره، والقاسم لا يجوز الاحتجاج به، ولا أصل للحديث. وممَّن تبع ابنَ الجوزي القزوينيُّ فانتقده علىٰ المصابيح وزعم وضعه، ونازعهما العلائي[7]. والحق مع العلائي،

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ٧/ ٦٠٠.

(٢) فيض القدير ٦/ ٤١١.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣١٢٩.

(٤) المغني ٢/ ٨٦٤.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٧.

(٦) الموضوعات ٣/ ٢٢٤.

(٧) النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح لصلاح الدين العلائي ص ٣٩ - ٤٠، =

فإن القاسم بن أمية صدوق، وتضعيف ابن حبان[(١)] له بلا مستند، فالحديث له أصل، لا كما قاله ابن الجوزي.

(ورُوي أن موسىٰ عليه السلام لما تعجَّل إلىٰ ربه رأىٰ في ظل العرش رجلاً، فغبطه بمكانه) أي تمنىٰ أن يكون مثله **(وقال: إن هذا الكريم علىٰ ربه، فسأل ربَّه أن يخبره باسمه، فلم يخبره)** باسمه **(وقال: أحدِّثك من عمله بثلاث)** خصال: **(كان لا يحسد الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعقُّ والديه، وكان لا يمشي بالنميمة)**[(٢)] أورده القشيري في الرسالة[(٣)] مختصرًا، ولفظه: رأىٰ موسىٰ عليه السلام رجلاً عند العرش فغبطه فقال: ما صفته؟ فقيل: كان لا يحسد الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله. انتهىٰ.

وقد وقع نظيره لنبيِّنا ﷺ، وذلك فيما ذكره العلماء في قصة المعراج أنه رأىٰ رجلاً في نور العرش ... الحديث. وفيه: ولم يكن عاقًّا لوالديه. أخرجه ابن أبي الدنيا[(٤)] من حديث أبي المخارق مرسلاً. وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب[(٥)].

(وقال زكريا صلوات الله عليه: قال الله تعالىٰ: الحاسد عدو لنعمتي، متسخِّط

= وفيه: «عمر بن إسماعيل اتفقوا علىٰ تضعيفه، لكن لم ينفرد بالحديث ... ومكحول سمع من واثلة ... والقاسم معروف، قال فيه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان: صدوق. فبرئ عمر بن إسماعيل من عهدة الحديث».

(١) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة ص ١١٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١٤٩ وأحمد في الزهد ص ٥٧ والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٠٨، كلهم عن عمرو بن ميمون الأودي.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٨١.

(٤) الأولياء ص: ٣٨، ولفظه: «مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش، فقلت: من هذا، ملك؟ قيل: لا. قلت: نبي؟ قيل: لا. قلت: من هو؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطبا من ذكر الله، وقلبه معلقا بالمساجد، ولم يستسب لوالديه قط».

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ص ٦١١، ولكن لم يحسنه.

لقضائي، غير راضٍ بقسمتي التي قسمتُ بين عبادي)[١] قال القشيري في الرسالة[٢]: قال بعضهم: الحاسد جاحد؛ لأنه لا يرضىٰ بقضاء الواحد. قال: وفي بعض الكتب: الحسود عدو نعمتي.

(وقال ﷺ: أخوَفُ ما أخاف علىٰ أمّتي أن يكثُر فيهم المالُ فيتحاسدون ويقتتلون) أخرجه[٣] ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد[٤] من حديث أبي عامر الأشعري، وفيه ثابت بن أبي ثابت، جهَّله أبو حاتم[٥]. قال العراقي: وفي الصحيحين[٦] من حديث أبي سعيد: «إن ممَّا أخاف عليكم من بعدي ما يُفتَح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها». ولهما[٧] من حديث عمرو بن عوف البدري: «واللهِ ما الفقر أخشىٰ عليكم، ولكني أخشىٰ أن تُبسَط عليكم الدنيا ...» الحديث. ولمسلم[٨] من حديث عبد الله بن عمرو: «إذا فُتحت عليكم فارس والروم ...» الحديث. وفيه: «تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون ...» الحديث. ولأحمد[٩]

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٢٨ عن الأصمعي قال: إن الله تعالىٰ يقول ... فذكره. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥١ عن ابن أبجر قال: في بعض الكتب يقول الله تعالىٰ ... فذكره. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٣١ عن وهب بن منبه قال: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: يا موسىٰ، لا تحسد الناس علىٰ ما آتيتهم من فضلي ونعمتي، فإن الحاسد ... فذكره، وفي آخره: ومن يكن كذلك فليس مني ولست منه. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٦٥ - ٢٦٦ مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله، وأوله: «فيما أعطىٰ الله تعالىٰ موسىٰ في الألواح ...».

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٨٠.

(٣) المغني للعراقي ٢/ ٨٦٤.

(٤) وكذلك ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٤/ ٤٥٤، والطبراني في مسند الشاميين ٢/ ١٦٤.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٩ - ٤٥٠.

(٦) صحيح البخاري ١/ ٤٥٣. صحيح مسلم ١/ ٤٦٤.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٤٠٧، ٣/ ٩٤، ٤/ ١٧٧. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٣.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٣.

(٩) مسند أحمد ١/ ٢٥٣.

والبزار[١] من حديث عمر: «لا تُفتَح الدنيا علىٰ أحد إلا ألقىٰ الله بينهم العداوة والبغضاء إلىٰ يوم القيامة». وفيه ابن لهيعة.

(وقال ﷺ: **استعينوا علىٰ قضاء الحوائج**) وفي[٢] رواية: علىٰ قضاء حوائجكم (**بالكتمان**) أي كونوا لها كاتمين عن الناس، واستعينوا بالله علىٰ الظفر بها. ثم علَّل طلب الكتمان لها بقوله: (**فإنَّ كل ذي نعمة محسود**) أي إن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم.

قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني[٤] من حديث معاذ بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: حديث معاذ أخرجه العقيلي[٥] وابن عدي[٦] والطبراني وأبو نعيم[٧] والبيهقي[٨]، فالعقيلي رواه عن محمد بن خزيمة عن سعيد بن سلام العطَّار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ، والباقون من طريق العقيلي. ثم قال أبو نعيم: غريب من حديث خالد، تفرَّد به عنه ثورٌ، حدَّث به عمرو بن يحيىٰ البصري عن شعبة عن ثور. ا.هـ. وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٩] وقال: سعيد كذاب، قال البخاري[١٠]: يُذكَر بوضع الحديث. وتابعه حسين بن علوان،

---

(١) مسند البزار ١/ ٤٤٠.

(٢) فيض القدير ١/ ٤٩٣ - ٤٩٤.

(٣) المغني ٢/ ٨٦٤.

(٤) المعجم الكبير ٢٠/ ٩٤. المعجم الأوسط ٣/ ٥٥. المعجم الصغير ٢/ ٢٩٢.

(٥) الضعفاء الكبير ٢/ ٤٧١.

(٦) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٤٠.

(٧) حلية الأولياء ٥/ ٢١٥، ٦/ ٩٦.

(٨) شعب الإيمان ٩/ ٣٦.

(٩) الموضوعات ٢/ ١٦٥ - ١٦٦.

(١٠) التاريخ الصغير ٢/ ٣١٤. وفي التاريخ الكبير له ٣/ ٤٨١ - ٤٨٢: «منكر الحديث».

وَضَّاع. وقد أخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا بهذا الإسناد. وقال ابن حبان: سعيد يضع الحديث[١]. وقال العقيلي: لا يُعرَف إلا بسعيد، ولا يتابَع عليه. وقال الهيثمي[٢]: إن ابن معدان لم يسمع معاذًا. فهو منقطع.

وفي الباب ابن عباس، رواه الخطيب في التاريخ[٣] عن إبراهيم بن مَخْلَد، عن إسماعيل بن علي الخُطَبي، عن الحسين بن عبيد الله الأبزاري، عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن أبيه، عن جده، عن عطاء، عن ابن عباس. قال ابن الجوزي: موضوع، من عمل الأبزاري، وسُئل أحمد وابن معين عنه فقالا: موضوع. وقال ابن أبي حاتم: هو - أي حديث ابن عباس[٤] هذا - منكر لا يُعرَف.

وعمر بن الخطاب، رواه أبو بكر الخرائطي في اعتلال القلوب[٥] عن علي بن حرب عن حلبس بن محمد عن ابن جريج عن عطاء عنه، وهو ضعيف أيضًا.

وعلي بن أبي طالب، رواه الخلعي في فوائده عن أحمد بن محمد بن الحجاج عن محمد بن أحمد القرستاني عن أحمد بن عبد الله عن غندر عن شعبة عن مروان الأصفر عن النَّزَّال بن سبرة عنه.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد[٦]: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة،

---

(١) في المجروحين لابن حبان ١/ ٤٠٤: «منكر الحديث، ينفرد عن الأثبات بما لا أصل له».

(٢) مجمع الزوائد ٨/ ٣٥٧.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٥٩٨ بلفظ: «استعينوا علىٰ نجاح الحوائج بالكتمان».

(٤) بل الكلام هنا عن حديث معاذ، ولكن ابن أبي حاتم أسقط ذكر معاذ فصار عن خالد بن معدان مرسلا، وهذا نصه في كتاب علل الحديث ٥/ ٦٨٧: «سألت أبي عن حديث رواه سعيد بن سلام العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن النبي ﷺ: استعينوا علىٰ إنجاح الحوائج بالكتمان لها. فقال أبي: هذا حديث منكر، كان سبب سعيد بن سلام بعد القضاء ضعفه من هذا الحديث؛ لأن هذا حديث لا يُعرف له أصل».

(٥) اعتلال القلوب ص ٣٣٥.

(٦) المقاصد الحسنة ص ٥٦ - ٥٧.

وعنه وعن غيره أبو نعيم في الحلية من حديث سعيد بن سلام العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ رفعه [بهذا] وكذا أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب والعسكري في الأمثال والخلعي في فوائده والقضاعي في مسنده[١]. وسعيد كذَّبه أحمد[٢] وغيره، وقال العجلي[٣]: لا بأس به. ولكن قد أخرجه العسكري أيضًا من غير طريقه بسند ضعيف أيضًا عن وكيع عن ثور، ولفظه: «استعينوا علىٰ طلب حوائجكم بكتمانها، فإنَّ لكل نعمةٍ حسدةٌ، ولو أن امرءًا كان أقوَم من قدح لكان له من الناس غامزٌ»[٤]. وهو مع ذلك منقطع، فخالد لم يسمع من معاذ. وله طريق أخرىٰ عند الخلعي في فوائده من حديث مروان الأصفر عن النزَّال بن سبرة عن علي رفعه. أي بلفظ المصنف، إلا أنه زاد في آخره: «لها». ثم قال: وفي الباب جماعة، منهم عمر[٥].

قلت: وبما ذُكر يظهر أن الحديث ضعيف لا موضوع، وابن الجوزي يتساهل كثيرًا، كما تقدمت الإشارة إليه.

ثم إن الأحاديث الواردة في التحدُّث بالنعم محمولة علىٰ ما بعد وقوعها، فلا تكون معارِضة لهذا. نعم، إن ترتَّب علىٰ التحدُّث بها حسدٌ فالكتمان أَولىٰ[٦]. والله أعلم.

---

(١) مسند الشهاب ١/ ٤١١ - ٤١٢.

(٢) في العلل ومعرفة الرجال ٣/ ٣٦١ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٣٢ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل: «قال لي أبي: اضرب علىٰ حديث سعيد بن سلام».

(٣) معرفة الثقات ١/ ٤٠١.

(٤) ورواه بهذا اللفظ أيضا أبو الشيخ في أمثال الحديث ص ١٣٩.

(٥) بل قال السخاوي: وفي الباب عن جماعة ذكر عدة منهم الزيلعي في سورة الأنبياء من تخريجه. أي في تخريج أحاديث الكشاف. ولم يذكر عمر ألبتة. انظر: تخريج الزيلعي ٢/ ٣٦٠-٣٦٣ ط وزارة الأوقاف السعودية.

(٦) كلام السخاوي بعينه.

(**وقال ﷺ: إن لنعم الله أعداء. قيل: ومَن أولئك؟ قال: الذين يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله**) قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] من حديث ابن عباس: «إن لأهل النعم حُسَّادًا، فاحذروهم». وسنده ضعيف.

(**وقال ﷺ: ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة. قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: الأمراء بالجور**) أي الظلم علىٰ الرعية (**والعرب**) وهم سكان البادية (**بالعصبية**) الجاهلية (**والدهاقين**) جمع دِهقان بالكسر، وهو رئيس القرية (**بالتكبُّر**) علىٰ أهل قريته (**والتجار بالخيانة**) في معاملاتهم (**وأهل الرستاق**) أي السواد (**بالجهالة**) في أمور الدين (**والعلماء بالحسد**) قال العراقي[٣]: رواه الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين.

قلت: لفظ الديلمي[٤] من حديث أنس: «ستة يعذبهم الله بذنوبهم يوم القيامة: الأمراء بالجور، والعلماء بالحسد، والعرب بالعصبية، وأهل الأسواق بالخيانة، والدهاقين بالكبر، وأهل الرساتيق بالجهل».

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «ستة يدخلون النار بغير حساب: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالكذب، والعلماء بالحسد، والأغنياء بالبخل».

وممَّا جاء في المرفوع: «الحسد يفسد الإيمانَ كما يفسد الصبرُ العسلَ». رواه الديلمي[٥] من حديث معاوية بن حيدة.

---

(١) المغني ٢/ ٨٦٤ - ٨٦٥.

(٢) المعجم الأوسط ٧/ ٢٠٤.

(٣) المغني ٢/ ٨٦٥.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٢٩.

(٥) السابق ٣/ ١١٤، وفيه (الغضب) بدل (الحسد). ولكن أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣/ ٤٦١ بلفظ (الحسد).

وعن ابن مسعود رفعه: «إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر علىٰ أن لا يسجد لآدم. وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرصُ علىٰ أن أكل من الشجرة. وإياكم والحسد، فإن ابنَي آدم إنما قتل أحدُهما صاحبَه حسدًا. فهنَّ أصل كل خطيئة». أخرجه القشيري في الرسالة[١] وابن عساكر في التاريخ[٢] من حديثه.

(الآثـار:

قال بعض السلف: أول خطيئة كانت) أي وُجدت **(هي الحسد)** وذلك أنه **(حسد إبليس آدم علىٰ رتبته)** أي علىٰ ما شرَّفه وآتاه من فضله **(فأبىٰ أن يسجد له، فحمله الحسد علىٰ المعصية)**[٣] وهو مأخوذ من حديث ابن مسعود الذي تقدم ذِكرُه قريبًا وأورده القشيري في الرسالة بسنده، وفيه: «فهنَّ أصل الخطيئة».

(وحُكي أن عون بن عبد الله) ابن[٤] عُتبة بن مسعود الهُذَلي الكوفي، عابد، ثقة، روىٰ له مسلم والأربعة، مات قبل العشرين ومائة **(دخل علىٰ الفضل)** كذا في النسخ، والصواب: المفضَّل[٥] **(بن المهلَّب)** بن أبي صفرة ظالم بن سارق العتكي، أبو غسَّان البصري، صدوق، من مشاهير الأمراء، روىٰ له أبو داود والنسائي. ووالده[٦] المهلَّب يكنىٰ أبا سعيد، بصري، من ثقات الأمراء، وله رواية مرسَلة، قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أميرًا أفضل منه. مات سنة اثنتين وثمانين علىٰ الصحيح، وخلَّف ثلاثة وعشرين ذكرًا، روىٰ له أبو داود والترمذي والنسائي **(وكان يومئذٍ علىٰ واسط)**: مدينة بالعراق اختطَّها الحجاج، وكان عاملاً عليها من طرف

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٨٠.

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/ ٤٠.

(٣) رواه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ١٠١ - ١٠٢، ١١٢ عن جنادة بن أبي أمية الأزدي. وبنحوه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١/ ٢٩٨.

(٤) تقريب التهذيب ص ٧٥٨.

(٥) السابق ص ٩٦٧.

(٦) السابق ص ٩٧٦ - ٩٧٧.

أخيه يزيد بن المهلب، وكان أخوه يزيد واليًا علىٰ البصرة، بل علىٰ العراق جميعه، فلما كانت سنة اثنتين ومائة ندب يزيدُ بن عبد الملك أخاه مَسلمة بن عبد الملك في جيش كثيف إلىٰ قتال يزيد بن المهلب؛ إذ بلغه أنه دعا الناس إلىٰ نفسه. والتقيا يوم الجمعة منتصف صفر بعقر بابل، فقُتل يزيد ومَن معه من إخوته وأولادهم، وعدتهم ثمانية وعشرون إنسانا، إلا المفضل فإن ابنه احتال عليه بأن قال: الأمير - يعني يزيد - قد مضىٰ ويقول لك: اتَّبعْني. فانصرف عند ذلك، ولما عرف الخبر أنكر علىٰ ابنه فعله وشدَّ عليه بالسيف وقال: ما أراك إلا أن تفضح شيخًا مثلي. وكان معاوية بن يزيد إذ ذاك بواسط، فأخذ عيال أبيه وثقله وانحدر إلىٰ البصرة، ولحق بهم المفضل ومَن معه، واجتمع بها آل المهلب، وأنفذ مسلمة بن عبد الملك هلالَ بن أحوز المازني في طلب مَن هرب من آل المهلب، وأمره بقتل كل مَن بلغ منهم، فقتل المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب الباقين، ولم يَدَع بالغًا منهم إلا قتله[1] (**فقال: إني أريد أن أعظك بشيء. فقال: وما ذاك؟ فقال: إياك والكبر، فأنه أول ذنب عُصي الله به. ثم قرأ:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ **الآية** [البقرة: ٣٤] **وإياك والحرص، فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها، فأكل منها، فأخرجه الله منها. ثم قرأ:** ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ **إلىٰ آخر الآية** [طه: ١٢٣] **وإياك والحسد، فإنما قتل ابنُ آدم أخاه حين حسده. ثم قرأ:** ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ **الآيات** [المائدة: ٢٧ - ٣١] **وإذا ذُكر أصحاب رسول الله ﷺ فاسكت**) أي لا تذكرهم بسوء (**وإذا ذُكر القدَر فاسكت**) فإنه سر من أسرار الله لا ينبغي الخوض فيه (**وإذا ذُكرت النجوم فاسكت**) وأول هذا الأثر قد رُوي مرفوعًا من حديث ابن مسعود، قال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبو الحسين الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، حدثنا إسماعيل بن الفضل، حدثنا يحيىٰ بن مخلد، حدثنا معافىٰ

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٧٢١ - ٧٢٨. الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤/ ١٢٣ - ١٣٧. المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٦٧ - ٨٠.

ابن عمران، عن الحارث بن شهاب، عن معبد، عن أبي قلابة، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة هنَّ أصل كل خطيئة، فاتقوهن واحذروهن: إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر علىٰ أن لا يسجد لآدم. وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرصُ علىٰ أن يأكل من الشجرة. وإياكم والحسد، فإن ابني آدم إنما قتل أحدُهما صاحبَه حسدًا». وقد تقدم ذلك.

وأخرج الطبراني في الكبير[1] من حديث ابن مسعود ومن حديث ثوبان: «إذا ذُكر أصحابي فأمسِكوا، وإذا ذُكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا». ورواه أيضًا ابن عدي[2] من حديث ابن عمر.

(**وقال بكر بن عبد الله**) المزني: (**كان رجل يغشىٰ بعضَ الملوك**) أي يدخل عليه (**فيقوم بحذاء الملك**) أي في مقابلته (**فيقول: أحسِنْ إلىٰ المحسن بإحسانه، فإن المسيء ستكفيه إساءته. فحسده رجل علىٰ ذلك المقام**) من الملك (**والكلام، فسعىٰ به إلىٰ الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخَرُ**) وهو الذي فسد ريحُ فمه (**فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعو به إليك**) إذا أخذ مقامه (**فإنه إذا دنا منك يضع يده علىٰ أنفه لئلا يشم ريح البخر. فقال له: انصرفْ حتىٰ أنظر**) صحة ذلك (**فخرج من عند الملك، فدعا الرجل**) المذكور (**إلىٰ منزله، فأطعمه طعامًا فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال علىٰ عادته**) قوله: أيها الملك (**أحسِنْ إلىٰ المحسن بإحسانه، والمسيء ستكفيه إساءته. فقال له الملك: ادْنُ مني. فدنا منه، فوضع يده علىٰ فيه مخافةَ أن يشم الملك منه ريح الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرىٰ فلانًا إلا قد صدق**) في قوله (**قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة، فكتب له كتابًا بخطه إلىٰ عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي فاذبحه واسلخه واحْشِ جلده**

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ٩٦، ١٠/ ٢٤٤.

(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٧٢ دون قوله (وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا).

تبنًا وابعث به إليَّ. فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الذي سعىٰ به فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: خطُّ الملكُ لي بصلة. فقال: هَبْه لي. فقال: هو لك. فأخذه ومضىٰ به إلىٰ العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب ليس هو لي، فالله الله في أمري حتىٰ ترجع إلىٰ الملك. قال: ليس لكتاب الملك مراجعة. فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنًا وبعث به، ثم عاد الرجل إلىٰ الملك كعادته وقال مثل قوله، فتعجَّب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان واستوهبه مني فوهبتُه له. فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر. قال: ما قلتُ ذلك. قال: فلِمَ وضعتَ يدك علىٰ أنفك؟ قال: لأنه كان أطعمني طعامًا فيه ثوم، فكرهتُ أن تشمه. قال: صدقتَ، ارجع إلىٰ مكانك فقد كفاك المسيء إساءته) أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا علي بن سهل، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله قال: كان فيمَن كان قبلكم ملك، وكان له حاجب يقرِّبه ويدنيه، وكان هذا الحاجب يقول: أيها الملك، أحسِنْ إلىٰ المحسن ودَع المسيء تكفيه إساءته. قال: فحسده رجل علىٰ قربه من الملك فسعىٰ به فقال: أيها الملك، إن هذا الحاجب عدو، يخبر الناس أنك أبخر. قال: وكيف لي بأن أعلم ذلك؟ قال: إذا دخل [عليك] تدنيه لتكلِّمه فإنه يقبض علىٰ أنفه. قال: فذهب الساعي فدعا الحاجب إلىٰ دعوته، واتخذ مرقة وأكثرَ فيها الثومَ، فلما كان من الغد دخل الحاجب، فأدناه الملك ليكلمه بشيء، فقبض علىٰ فيه، فقال له: تنحَّ. فدعا بالدواة وكتب له كتابًا وختمه وقال: اذهب بهذا إلىٰ فلان. وكانت جائزته مائة ألف، فلما أن خرج استقبله الساعي، فقال: أيُّ شيء هذا؟ قال: قد دفعه إليَّ الملكُ. فاستوهبَه، فوهبه له، فأخذ الكتاب ومر [به إلىٰ فلان] فلما أن فتحوا الكتاب دعوا بالذبَّاحين، فقال: اتقوا الله يا قوم فإنَّ هذا غلطٌ وقع عليَّ، وعاوِدوا الملك. فقالوا: لا تتهيَّأ لنا معاودة الملك. وكان في الكتاب: إذا أتاكم حامل كتابي هذا فاذبحوه واسلخوا جلده واحشوه بالتبن ووجِّهوه إليَّ.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٢٨.

فذبحوه وسلخوا جلده ووجَّهوه إليه، فلما أن رآه الملك تعجَّب فقال [للحاجب]: تعالَ وحدِّثْني واصدقْني لِمَ إذ أدنيتك قبضتَ علىٰ أنفك؟ فقال: أيها الملك، إن هذا دعاني إلىٰ دعوته واتخذ مرقة وأكثرَ فيها الثومَ وأطعمني، فلما أدناني الملك قلتُ يتأذَّىٰ الملك بريح الثوم. فقال: ارجع إلىٰ مكانك وقل ما كنت تقوله. ووصله بمال عظيم. أو كما ذكره.

(**وقال محمد بن سيرين**) رحمه الله تعالىٰ: (**ما حسدتُ أحدًا علىٰ شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده علىٰ الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده علىٰ أمر الدنيا وهو يصير إلىٰ النار**)[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

(**وقال رجل للحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب**) عليه السلام حين حسدوا يوسف لمكانته عند أبيهم (**نعم، ولكن غمه في صدرك، فإنه لا يضرُّك ما لم تَعْدُ به يدًا أو لسانًا**)[2] أي تُجاوِز عمَّا في صدرك إلىٰ عمل اليد أو اللسان.

(**وقال أبو الدرداء: ما أكثرَ عبدٌ ذِكر الموت إلا قلَّ فرحُه وقلَّ حسده**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[3] عن عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن نصير، حدثنا إسماعيل بن عمرو، حدثنا مالك بن مغول، أراه عن عبد الملك بن عمير قال: قال أبو الدرداء: مَن أكثرَ ذِكر الموت قلَّ فرحُه وقل حسده. ورواه أيضًا عن عبد الرحمن ابن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا عبد الله بن عمر، حدثنا ابن خِراش، عن العوَّام، عن إبراهيم التيمي، عن أبي الدرداء ... فذكره.

---

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣١٥، وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٣٤، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ٦٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٣/ ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) رواه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ١٠٢، وهناد في الزهد ٢/ ٦٤٢، وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٣٦.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٢٠.

(وقال معاوية) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها)**[١] أخرجه القشيري في الرسالة[٢] من غير إسناد.

(ولذلك قيل:

كل العداوة قد تُرجَىٰ إماتتها   **(إلا عداوة مَن عاداك من حسد)**[٣]

ويُروَىٰ: مودَّتها

أورده القشيري في الرسالة[٤].

(وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقَىٰ)[٥] أي من الألم في قلبه في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

(وقال أعرابي: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرىٰ النعمة عليك غمَّة[٦] **عليه)** وقد رُوي نحو ذلك من قول عمر بن عبد العزيز: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد، غم دائم ونفَس متتابع. كذا في الرسالة القشيرية[٧].

ورُوي أيضًا من قول الخليل بن أحمد: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٠٠.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٨١.

(٣) البيت في العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ١٧١ منسوب لعبد الله بن المبارك، وبعده بيتان آخران، وهما:

فإن في القلب منها عقدة عقدت   وليس يفتحها راق إلى الأبد

إلا الإله فإن يرحم تحل به   وإن أباه فلا ترجوه من أحد

ولم أقف على هذه الأبيات في ديوان ابن المبارك.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٢٨٢.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٣٣ عن ذي النون المصري.

(٦) في غير الزبيدي: نقمة.

(٧) الرسالة القشيرية ص ٢٨١.

حاسد، نفَس دائم، وعقل هائم، وحزن لازم. رواه البيهقي في الشعب[١].

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**يا ابن آدم، لِمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلِمَ تحسد مَن أكرمه الله تعالىٰ؟ وإن كان غير ذلك فلِمَ تحسد مَن مصيره إلىٰ النار**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

(**وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا ملامة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضًا، ولا ينال من الخَلق إلا جزعًا وغمًّا، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

وممَّا بقي من الآثار ممَّا يدخل في الباب: قال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود. أخرجه البيهقي في الشعب[٢].

وروىٰ ابن عمر أن إبليس قال لنوح: اثنتان أُهلِك بهما بني آدم: الحسد، وبالحسد لُعنت وجُعلتُ شيطانًا رجيمًا؛ والحرص، أبيحَ لآدم الجنة كلها، فأصبتُ حاجتي منه بالحرص. أخرجه ابن أبي الدنيا[٣] في ذم الحسد.

وقيل: الحسود لا يسود. رواه القشيري في الرسالة. وهو صحيح المعنىٰ، والمشهور علىٰ الألسنة: الحسود لا يسود أبدًا، والبخيل تأكل ماله العِدا.

وفي الرسالة: وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] قيل: ما بطن: الحسد.

قلت: والمشهور[٤]: ما بطن من معاصي القلب من حسد وغيره كالعُجب

---

(١) شعب الإيمان ٩/ ٢٨.

(٢) السابق ٩/ ٢٧، ١١/ ٤٦.

(٣) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٥٩ وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٠.

(٤) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري ١/ ٥٠٤.

والحقد وسوء الظن.

قال: وقيل: أثر الحسد يُتبيَّن فيك قبل أن يُتبيَّن في عدوك.

وقال الأصمعي: رأيت أعرابيًّا أتت عليه مائة وعشرون سنة، فقلت: ما أطول عمرك! قال: تركت الحسد فبقيت(١).

وقال ابن المبارك: الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميري ما جعله في قلب حاسدي.

وفي بعض الآثار: إن في السماء الخامسة ملَكًا يمر به عمل عبدٍ له ضوء كضوء الشمس، فيقول له الملَك: قف، فأنا ملَك الحسد، أضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد(٢).

ويقال: الحاسد ظالم غشوم، لا يُبقِي ولا يَذَر.

وقيل: من علامات الحاسد: أن يتملَّق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥٢، وفيه: رأيت أعرابيًا من بني عذرة. ورواه أبو طاهر السلفي في الطيوريات ٢/ ٥٢٤، وفيه: فقلت: ما بقَّىٰ نفسك؟ فقال: تركت الحسد فبقيت نفسي. ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٨ بسياق أطول.

(٢) رُوي ذلك مرفوعا من حديث معاذ بن جبل، رواه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٥٥ مطولا، وفيه: «وتصعد الحفظة بعمل العبد مع الملائكة كالعروس المزفوفة إلىٰ أهلها، فيمر به إلىٰ السماء الخامسة من عمل الجهاد والصلاة، فلذلك العمل زئير كزئير الأسد، وعليه ضوء كضوء الشمس، فيقول له الملك: قف، أنا صاحب الحسد، أضرب بهذا العمل وجه صاحبه وأحمله علىٰ عاتق الحسد من يتكلم فيه أو يعمل كعمله، إذا رأىٰ العبيد في الفضل والعمل والعبادة حسدهم ووقع فيهم. ويحمله علىٰ عاتقه ويلعنه ما دام حيا». وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ص ٧٨ - ٨٠، وقال: «رواه ابن المبارك في كتاب الزهد عن رجل لم يسمه عن معاذ، ورواه ابن حبان في غير الصحيح والحاكم وغيرهما، ورُوي عن علي وغيره. وبالجملة، فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وبجميع ألفاظه».

بالمصيبة إذا نزلت(١).

وقال معاوية: ليس في خلال الشر خلة أعدل من الحسد، يقتل الحاسدَ غمًّا قبل المحسود.

وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ سليمان بن داود عليهما السلام: أوصيك بسبعة أشياء: لا تغتابنَّ صالح عِبادي، ولا تحسدنَّ أحدًا من عبادي. فقال سليمان ﷺ: يا رب، حسبي(٢).

وقيل: الحاسد إذا رأىٰ نعمة بُهت، وإذا رأىٰ عثرة شمت.

وقيل: إذا أردتَ أن تَسلم من الحاسد فلبِّسْ عليه أمرك(٣).

وقيل: الحاسد مغتاظ علىٰ مَن لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه(٤).

وقيل: إياكَ أن تتعنَّىٰ في مودَّة من يحسدك، فإنه لا يقبل إحسانك.

وقيل: إذا أراد الله سبحانه أن يسلِّط علىٰ عبدٍ عدوًّا له لا يرحمه سلَّط عليه حاسده(٥).

وقال ابن المعتز(٦):

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٤٧، ١٠/ ٤٧ وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه ص ١٠٥ عن وهب بن منبه.

(٢) أورده الراغب في محاضرات الأدباء ١/ ٢٥٢ بسياق آخر فقال: «روي أن سليمان ﷺ سأل الله تعالىٰ أن يعلمه كلمات ينتفع بها، فأوحىٰ إليه: إني معلمك ست كلمات: لا تغتابن عبادي، وإذا رأيت أثر نعمتي علىٰ عبد فلا تحسده. فقال: يا رب حسبي أن لا أقوم بهاتين، مَن حسد من دونه قل عدوه، ومن حسد من فوقه أتعب نفسه».

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥٠ عن الأصمعي، وفيه: فعم عليه أمورك.

(٤) نسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٢٨٢ لعبد الله بن المعتز، وزاد: طالب ما لا يجده.

(٥) نسبه الراغب في محاضرات الأدباء ١/ ٢٥٣ لأبي العيناء، واسمه محمد بن القاسم البصري.

(٦) البيت في ديوانه ص ٤١١.

قـل للحسـود إذا تنفَّـس صعـدةً يـا ظالمًـا وكأنـه مظلـومُ

وقال غيره[1]:

وإذا أراد الله نشـر فضيلـة طُويـت أتـاح لهـا لسـانَ حسـود

(١) هو أبو تمام الطائي، والبيت في ديوانه ص ٨٥.

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ **(أنه لا حسد إلا علىٰ نعمة، فإذا أنعم الله علىٰ أخيك)** في الدين **(بنعمة فلك فيها حالتان:**

إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها. وهذه الحالة تسمَّىٰ حسدًا، فالحسد حدُّه: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعَم عليه) قال التاج السبكي في قواعده[١]: اعلمْ أن طائفة من الفقهاء استشكلوا رد شهادة الحاسد مع قبولها من العدو علىٰ غير عدوه، ويقوِّي الإشكالَ تفسيرُ الرافعي[٢] العداوة التي تُرَدُّ بها الشهادة بأنها التي تبلغ حدًّا يتمنىٰ هذا زوالَ نعمة ذاك ويفرح بمصائبه ويحزن لمسرَّته [ثم قال[٣] في الحسد نقلاً عن العبادي: وهو أن يهوىٰ زوالَ نعمة الغير ويسرُّ ببليَّته] ففسَّر الحسد بما فسر به العداوة أو بأخف؛ لأن تمني زوال النعمة أشد من أن يهوىٰ زوالَها؛ إذ التمني تفعُّل، و«يهوىٰ» فعل، والتفعُّل أشد. ولكني أقول في الفرق الذي يتضح به الفرق - بعد تسليم أن الحسد تُرَد به الشهادة - أن الحسد كما قال الراغب[٤]: تمني زوال نعمة عن مستحق لها، وربما كان معه سعيٌ في إزالتها. وفي الصحاح[٥] أنه: تمني زوال نعمة المحسود إليك. وعليه جرىٰ ابن الأثير في النهاية[٦]، حيث قال: إن الحسد أن يرىٰ لأخيه نعمة، فيتمنىٰ أن تزول عنه

(١) الأشباه والنظائر للسبكي ٢/ ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) فتح العزيز ١٣/ ٢٨.

(٣) السابق ١٣/ ٣٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ١١٨.

(٥) الصحاح للجوهري ٢/ ٤٦٥.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٨٣.

وتكون له دونه. فاتفقوا علىٰ أن الحسد: تمني زوال نعمة الغير، وشرط الراغبُ كونَ الغير مستحقًّا، والصحاحُ كونَ الحاسد يتمنىٰ انقلاب النعمة إليه، فأقول: إن الحسد: تمني زوال نعمة مَن يستحق تلك النعمة. فالحاسد يعاند المقادير الإلهية، ويطلب وضع الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه، فهو عاصٍ بهذا الاعتبار. وأما العداوة فناشئة من كراهة شخص لسبب من الأسباب، أعم من أن يكون السبب الذي كرهه لأجله مقتضيًا للكراهة أم لا، ولا يكون الحامل عليه تلبُّس عدوه بالنعمة، بل بمجرد تقرُّبه منه، وذلك ممَّا جُبلت عليه بعض السريرة، فليس العدو عاصيًا ولا مراغمًا حقًّا، وإن كان العدو ذا نعمة يستحقها، فليس الحامل له علىٰ عداوته كونه مستحقًّا، بل إنه عدو، فإن انضمَّ إلىٰ العداوة سعيٌ في زوال النعمة عن المستحق أو أمر آخر فهو معصية؛ صرَّح به الأصحاب. وبهذا ظهر أن تعريف الحسد في الرافعي ناقص [وأن الصواب] ما قاله أهل اللغة.

(الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ولا دوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها، وهذا يسمَّىٰ غِبطة) وهي محمودة **(وقد تختصُّ باسم المنافسة، وقد تسمَّىٰ المنافسة حسدًا والحسد منافسة ويوضَع أحد اللفظين بدل الآخَر، ولا حَجْر في الأسامي بعد فهم المعاني، وقد قال ﷺ: إن المؤمن يغبط، والمنافق يحسد)** قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً مرفوعًا، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية[٢] من طريق إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط، والمؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويغيظ ويشين[٣] ويعيِّر.

---

(١) المغني ٢/ ٨٦٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

(٣) في الحلية: ويفشي.

(**فأما الأول فهو حرام بكل حال**) إذ لا يخلو من معاندة المقادير الإلهية أو طلب وضع الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه، فالمتلبِّس به عاصٍ بهذا الاعتبار، وذلك إما كبيرة أو يصير كبيرة بالتكرار بالنسبة إلىٰ شخص واحد أو أشخاص لا سيَّما إذا انضمَّ السعي إليه في الإزالة (**إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها علىٰ تهييج الفتن وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا تضرُّك كراهتُك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها آلة الفساد، ولو أمنتَ فسادَه لم يغمَّك تنعُّمُه، ويدل علىٰ تحريم الحسد الأخبارُ التي نقلناها**) آنفًا، كحديث أبي هريرة «لا تحاسدوا ولا تباغضوا»، وحديثه أيضًا «سيصيب أمتي داء الأمم»، وحديثه أيضًا «إياكم والحسد»، وحديث الزبير «دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم»، وغيرها ممَّا تقدم ذِكرُها (**وأن هذه الكراهة تسخُّط لقضاء الله**) وقدره (**في تفضيل بعض عباده علىٰ بعض**) لحكمة سبقت (**وذلك لا عذر فيه ولا رخصة، وأيُّ معصية تزيد علىٰ كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مَضرَّة، وإلىٰ هذا أشار القرآن بقوله: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾** [آل عمران: ١٢٠] **وهذا الفرح شماتة**) أشار بذلك إلىٰ أن المراد بالحسنة: النعمة، وبالسيئة: المعصية. وأنه أريدَ بالأول الحسد، وبالثاني الشماتة، ثم نبَّه علىٰ أنهما لا يضرَّان المحسود ولا المشموت به إذا اتَّقىٰ وصبر بقوله: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ (**والحسد والشماتة يتلازمان**) وهي معصية زائدة علىٰ معصية الحسد.

(**وقال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾** [البقرة: ١٠٩] **وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾**) [النساء: ٨٩] أي متساوين في الكفر (**فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد.**

وذكر الله تعالىٰ حسد إخوة يوسف) عليهم السلام، وهم[1] عشرة لأمهات شتىٰ بني يعقوب عليه السلام وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا، تزوجها يعقوب أولاً، فلما توفيت تزوج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف، وأربعة آخرين: دان ونفتالي وجاد وأشر من سُرِّيتين: زلفة وبلهة **(وعبَّر عمَّا في قلوبهم بقوله:** ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾) يعني بنيامين، وهو أخوه لأمه وأبيه، واختصاصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوَّة من الطرفين (﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾) أي والحال أنَّا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما (﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾) لتفضيله المفضول، أو لترك العدل في المحبة. رُوي أنه كان أحب إليه لِما يرىٰ فيه من المخايل، وكان إخوته يحسدونه، فلما رأىٰ الرؤيا ضاعفَ له المحبةَ بحيث لم يصبر عنه، فتبالغَ حسدُهم حتىٰ حملهم علىٰ التعرُّض له (﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾) بعيدة عن العمران، وهو معنىٰ تنكيرها وإبهامها (﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾) [يوسف: ٨-٩] أي يَصْفُ لكم فيُقبِل عليكم بكلِّيته، ولا يلتفت عنكم إلىٰ غيركم **(فلما كرهوا حب أبيه له)** وعدم صبره عنه **(ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيَّبوه عنه)** بما هو مذكور في القرآن.

(وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر: ٩] **أي لا تضيق به صدورهم، ولا يغتمُّون)** من رؤية ما آتاهم الله من فضله **(فأثنىٰ الله عليهم بعدم الحسد)** وهو عدم ضِيق الصدور من رؤية النعمة.

(وقال تعالىٰ في معرض الإنكار) علىٰ أهل الكتب: (﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾) أي[2] بل يحسدون، وإنما قدَّرت «أم» هنا بـ«بل»؛ لأن المراد هنا إثبات الحسد لهم لا الاستفهام عنه لا بالإنكار ولا بغيره، وإذا كان هذا المراد تعيَّن أن يكون التقدير: بل

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ١٥٦.

(٢) الأشباه والنظائر للسبكي ٢/ ٣٥١.

يحسدون. ويشهد لذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ الآية، وقد سبق قريبًا. لا يقال: الاستفهام بالإنكار يتضمَّن الإثبات وزيادة؛ لأنَّا نقول: تلك الزيادة لا دليل عليها، بل ولا يقتضيها المقام. فظهر أن الأظهر في «أم» هنا أن معناها «بل» فقط. وفي قوله «يحسدون» دلالة علىٰ أن المضارع حقيقة في الحال؛ لأنه أطلق في «يحسدون» وأريدَ الحال؛ لأنهم كانوا حاسدين وقت وقوع اللفظ عليهم، ولم يُرِدْ أنهم يحسدون في المستقبل، وإذا أُطلِق وأريدَ الحال كان حقيقة [فيه] لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة، وهذا عند التحقيق خلاف [قول] مَن يدَّعي صلاحيته للحال والاستقبال كابن مالك[1]؛ لأنه يجعله موضوعًا للقدر المشترك، إلا أن يقال: التواطؤ يقع علىٰ أفراده للحقيقة. قال التاج السبكي في قواعده: وأنا أقول بالفصل في ذلك بين المشكل ومتساوي الأفراد، وفي الآية دلالة علىٰ أن مفهوم العموم من باب الكلية لا من باب [الكلي ولا] الكل؛ لأنه تعالىٰ قد ذمَّهم علىٰ الحسد، فإما أن يكون الحسد المذموم عليه الحسد من حيث هو أو الحسد من حيث العموم، بمعنىٰ أن كل واحد مذموم علىٰ الحسد القائم به [أو بغيره، أو علىٰ الخصوص بالغير، والمعنىٰ أن كلاً مذموم علىٰ خصوص الحسد القائم بغيره، أو علىٰ الخصوص بالنفس، والمعنىٰ أن كلاً مذموم علىٰ خصوص الحسد القائم به] من غير نظر إلىٰ القائم بغيره. ولا خامس لهذه الأقسام عقلاً، ولا سبيل إلىٰ الأول؛ لأن الحسد من حيث هو ليس من فعل المكلَّف فلا يُلام عليه. ولا إلىٰ الثاني؛ لأن حسد غيره ليس من فعله، فكيف يُلام علىٰ فعل غيره؟! ولا إلىٰ الثالث أيضًا؛ لأنه كذلك، فتعيَّن الرابعُ وهو أن يكون [المذموم عليه الحسد المختص به من غير نظر إلىٰ غيره، وذلك هو معنىٰ الكلية، وهي أن يكون] الحكم ثابتًا لكل فرد إثباتًا وسلبًا، غير منظور فيه إلىٰ غيره بنفي ولا إثبات. وفي الآية أيضًا دليل علىٰ جواز التكليف بما لا يُطاق؛ لأنه تعالىٰ لامَهم

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية ١/ ١٦٩ (ط - دار المأمون للتراث). شرح التسهيل ١/ ١٧ - ٢٠ (ط - دار هجر).

علىٰ الحسد، وهو أمر يقوم بالحاسد لا يقدر علىٰ دفعه، ونظيرها: أقبِلْ ولا تخفْ. ولا يقال: إنما ذُمَّ علىٰ تعاطي أسبابه؛ للإجماع علىٰ أن الحسد في نفسه مذموم، ولأن البخل والحسد سيَّان في كونهما ممَّا لا يُطاق، وقد ذمَّهم علىٰ البخل قبل ذلك في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية [النساء: ٥٣] وكذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [النساء: ٣٧، الحديد: ٢٤] والبخل والحسد مشتركان في أن صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير، ثم يتميَّز البخل بعدم دفع ذي النعمة شيئًا، والحسد تمنٍّي أن لا يُعطَىٰ أحد سواه شيئًا. وفي الآية أيضًا دلالة علىٰ أن الحسد حرام، ثم يختلف باختلاف المحسود، فإن كان نبيًّا فهو أيضًا كفرٌ، وإلا فلا ينتهي إلىٰ الكفر. فإن قلت: ما وجه دلالته علىٰ التحريم؟ قلت: التوعُّد عليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝﴾ [النساء: ٥٥] مع السياق المؤذِن بذلك، وفي التوعُّد كفاية، فإنه كالنص في التحريم. فإن قلت: فما وجه دلالته علىٰ مطلق الحسدِ والكلامُ علىٰ الحسد إنما هو في حسدهم النبي ﷺ بناءً علىٰ ما سيُذكَر من أن المراد بالناس النبي ﷺ؟ قلت: قوله: ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فإنه دالٌّ علىٰ أن العلة في الذم للحسد علىٰ الإتيان من الفضل، وهذا شامل لكل محسود علىٰ نعمة أوتيها من فضل الله. وفيها دلالة علىٰ صحة إطلاق اسم الجمع وإرادة الواحد؛ لأن المراد بالناس النبي ﷺ، كما رُوي ذلك عن ابن عباس والشافعي والأكثرين، وتقرير ذلك أنه لو لم يُرِدْ بالناس بعض المؤمنين وأراد كلَّهم لناقَضَ قولَه: إنهم لم يحسدوا آل إبراهيم. لكنه لا يناقضه؛ لاستحالة الناقض علىٰ كلام الله، فدل علىٰ أنه أراد البعض وما هو إلا محمد ﷺ؛ لأن القائل قائلان: قائل بأن المراد جميع المؤمنين، وقائل بأن المراد النبي ﷺ. والأول مندفع بأن مدَّعيه يدَّعي زيادة الأصل، والأصل عدمها؛ لأن هذا اللفظ قد ثبت أنه استُعمِل في الخصوص فليُحمَل علىٰ التيقُّن، وعلىٰ مَن ادَّعىٰ ما وراءه الدليلُ، فثبت الثاني. وقد كان يمكن أن يقال: إن المراد بالناس آل النبي، كما في «آل إبراهيم»، والمعنىٰ أنهم يحسدون آل النبي لكونه بُعث من أنفسهم، ويكون النبي هو الفضل الذي أوتيه أهله وحُسدوا عليه، ولكن هذا القول لم نرَ من قال به (﴿عَلَىٰ

مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾) [النساء: ٥٤] من[١] النبوة والرسالة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم. وتمام الآية: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

(**وقال تعالىٰ**: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ **إلىٰ قوله**: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] **قيل في التفسير: حسدًا**) أي فسَّروا البغي بالحسد، فإنه تجاوُزٌ من الحق إلىٰ الباطل.

(**وقال تعالىٰ**: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾) [الشورىٰ: ١٤] أي حسدًا (**فأنزل الله العلم**) في صدورهم (**ليجمعهم**) أي يجمع شملهم (**ويؤلِّف بينهم علىٰ طاعته**) الواجبة عليهم (**وأمرهم أن يتآلفوا بالعلم، فتحاسدوا**) وتباغضوا وتدابروا (**واختلفوا؛ إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة**) والتقدُّم (**وقبول القول، فردَّ بعضُهم علىٰ بعض. قال ابن عباس**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**كانت اليهود**) الذين بالمدينة (**قبل أن يُبعَث النبي ﷺ إذا قاتلوا قومًا قالوا: نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب**) الذي وعدتنا (**أن تنزله إلا ما نصرتنا**) علىٰ هؤلاء القوم (**فكانوا**) يُستجاب دعاؤهم و(**يُنصَرون**) علىٰ عدوِّهم (**فلما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عرفوه**) حق المعرفة (**وكفروا به بعد معرفتهم إياه، فقال تعالىٰ**) في حقِّهم: (﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ **إلىٰ قوله**: ﴿أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩٠] **أي حسدًا**) قال العراقي[٢]: رواه ابن إسحاق في السيرة[٣] فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يستفتحون علىٰ الأوس والخزرج برسول الله

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ٧٩.

(٢) المغني ٢/ ٨٦٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٨٩.

ﷺ ... فذكره بنحوه، وهذا منقطع. انتهىٰ.

قلت: قد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس، ولا انقطاع فيه[١].

(**وقالت صفية بنت حُيَي**) بن[٢] أخطب بن سُعنة الإسرائيلية، أم المؤمنين، ﷺ، اصطفاها النبي ﷺ من سبي خيبر وجعل عتقها صداقها وقسم لها، وكانت من عقلاء النساء، لها شرف في قومها (**للنبي ﷺ: جاء أبي وعمي من عندك يومًا، فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول إنه النبي الذي بشَّر به موسىٰ**) ﷺ (**فما ترىٰ**) أنت؟ (**قال: أرىٰ معاداته أيام الحياة**) أي مدة الحياة. قال العراقي[٣]: رواه ابن إسحاق في السيرة[٤] قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حُدثت عن صفية ... فذكره نحوه، وهو منقطع أيضًا.

(**فهذا حكم الحسد في التحريم، وأما المنافسة فليست بحرام، بل هىٰ إما واجبة**) كما إذا كانت في الأمور الدينية (**أو مندوبة أو مباحة**) كما إذا كانت في الفضائل (**وقد يُستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد، والحسد بدل المنافسة**) توسُّعًا (**قال قُثَم بن العباس**) بن[٥] عبد المطلب، له صحبة ورواية، ولم يعقب، استشهد بعد الخمسين، وله ذِكرٌ في اللباس في صحيح البخاري[٦] أن النبي ﷺ حمله بين يديه. وكان يشبَّه بالنبي ﷺ، وكان أخا الحسين من الرضاعة، توفي بسمرقند، وله مقام هناك يُزار، روىٰ له النسائي في «خصائص علي» (**لما أراد هو و**) أخوه

---

(١) ١/ ١٧٢.

(٢) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢/ ٢٨٢.

(٣) المغني ٢/ ٨٦٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٦٠.

(٥) تجريد أسماء الصحابة ٢/ ١٣.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٨٤.

(الفضل) بن[١] العباس، وهو أكبر ولد العباس، استشهد في خلافة عمر، روىٰ له الجماعة **(أن يأتيا رسول الله ﷺ فيسألانه أن يؤمِّرهما علىٰ الصدقة قالا لعلي)** بن أبي طالب رضي الله عنه **(حين قال لهما)** علي: **(لا تذهبا إليه، فإنه لا يؤمِّركما عليها)** أي علىٰ الصدقات، فإنه علم أنها أوساخ، ولا يرضىٰ لهما العمل علىٰ مثلها **(فقالا له: ما هذا منك)** يا علي **(إلا نفاسة، والله لقد زوَّجك ابنته)** فاطمة **(فما نفِسنا)** بكسر الفاء، أي ماضننا **(ذلك عليك. أي هذا منك حسدٌ، وما حسدناك علىٰ تزويجه إياك فاطمة)** رضي الله عنها. قال العراقي[٢]: هكذا وقع للمصنف أنهما قثم والفضل، وإنما هما الفضل والمطلب بن ربيعة، كما رواه مسلم[٣] من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا: والله لو بعثنا هذين الغلامين. قال لي وللفضل بن العباس: ائتيا إلىٰ رسول الله ﷺ فكلّماه ... فذكر الحديث.

(والمنافسة مشتقَّة في اللغة من النفاسة) وقد[٤] نفُس الشيءُ - بالضم - نَفاسة: كرُمَ، فهو نفيس. وأنفسَ إنفاسًا مثله، فهو منفِس، ونفِستُ به مثل ضنِنتُ به لنَفاسته وزنًا ومعنًىٰ.

(والذي يدل علىٰ إباحة المنافسة قولُه تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾) أي الرحيق والنعيم **(﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾)** [المطففين: ٢٦] أي ليرتغب المرتغبون.

(وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] **وإنما)** تكون **(المسابقة عند خوف الفوت)** كما سيأتي **(وهو كالعبدين يتسابقان إلىٰ خدمة مولاهما؛ إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه**

---

(١) تقريب التهذيب ص ٧٨٣.

(٢) المغني ٢/ ٨٦٦ - ٨٦٧.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٧٧.

(٤) المصباح المنير ص ٦١٧.

فيحظىٰ) أي ينال الحظوة وهي الشرف والكرامة **(عند مولاه)** أي سيده **(بمنزلة لا يحظىٰ هو بها، وكيف وقد صرَّح رسول الله ﷺ بذلك فقال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علمًا فهو يعمل به ويعلِّمه الناسَ)** أخرجه الأئمة الستة في كتبهم سوىٰ أبي داود من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». ورواه كذلك أحمد وابن حبان. وقد رُوي من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد عن الزهري باللفظ السابق. ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن مسعود بنحوه. ورواه أيضًا أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة بنحوه. ورواه أبو يعلىٰ والضياء من حديث أبي سعيد بنحوه. ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة له من حديث ابن عمرو بنحوه. وقد ذُكر تفصيل ذلك في كتاب العلم.

(ثم فسَّر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري) المذحجي[١] رضي الله عنه، مشهور بكنيته، واختُلف في اسمه علىٰ أقوال، فقيل: سعيد بن عمرو، أو عمرو بن سعيد، وقيل: عمر أو عامر بن سعد، نزل حمص، روىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه، وروىٰ عن أبي بكر، روىٰ عنه عمر بن رؤبة وغيره **(فقال: مَثَل هذه الأمَّة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلمًا فهو يعمل بعلمه في ماله)** ينفقه في حقه **(ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤتِه مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله، فهما في الأجر سواء)** قال المصنف: **(وهذا منه حب لأنْ يكون له مثل ما كان[٢] له فيعمل مثل[٣] ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه)** ثم رجع إلىٰ بقيته فقال: (قال) الراوي: **(ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤتِه علمًا فهو ينفقه في معاصي الله)**

---

(١) تهذيب الكمال ٣٤/ ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) زيادة من غير الزبيدي.

(٣) زيادة من ط الشعب ٩/ ١٦٨٣، وط المنهاج ٥/ ٦٨٢.

وفي رواية: فهو يتخبَّط في ماله ينفقه في غير حقِّه **(ورجل لم يؤتِه الله مالاً ولا علمًا فيقول: لو أن لي مثل مال فلان لكنت أعمل بمثل عمله من المعاصي، فهما في الوزر سواء)** قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] وابن ماجه[(٣)]، وقال الترمذي: حسن صحيح. انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك أحمد[(٤)] وهنَّاد[(٥)] والطبراني في الكبير[(٦)] والبيهقي في السنن[(٧)].

(فذمَّه رسول الله ﷺ من جهة تمنِّيه للمعصية لا من جهة حبِّه أن يكون له من النعمة مثل ما له. فإذًا لا حرج علىٰ مَن يغبط غيرَه في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحبَّ زوالها عنه ولم يكره دوامها له) وهذا هو حسد الغبطة المحمودة **(نعم، إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة)** وما أشبهها **(فهذه المنافسة واجبة، وهو أن يحب أن يكون مثله)** في التلبُّس بتلك النعمة **(لأنه إن لم يكن يحب ذلك فيكون راضيًا بالمعصية، وذلك حرام. وإن كانت النعمة من الفضائل)** الخارجة **(كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات)** للفقراء **(فالمنافسة فيها مندوب إليها)** لأنها تبعث علىٰ مكارم الأخلاق **(وإن كانت نعمة يتنعَّم بها علىٰ وجه مباح)** قد أباح له الشرع في التمتُّع بها **(فالمنافسة فيها مباحة)** فالمنافسة تتَّبع ما غبطَ فيه حرمةً وإباحة ووجوبًا وندبًا **(وكل ذلك يرجع إلىٰ إرادة مساواته واللحوق به في النعمة، وليس فيها كراهة النعمة. وكأنَّ[(٨)] تحت هذه النعمة أمرين،**

---

(١) المغني ٢/ ٨٦٧.
(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٥٣.
(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٧.
(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٥٥٢ - ٥٥٧، ٥٦٢.
(٥) الزهد ١/ ٣٢٣.
(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٤٣ - ٣٤٦.
(٧) السنن الكبرىٰ ٤/ ٣١٧.
(٨) في غير الزبيدي: وكن - بلا همز.

أحدهما: راحة المنعَم عليه، والآخر: ظهور نقصان غيره وتخلُّفه عنه. وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلُّف نفسه) عن اللحوق (ويحب مساواته له، ولا حرج علىٰ مَن يكره تخلُّف نفسه ونقصانها في المباحات) ما لم يحب نقصان غيره (نعم، ذلك يُنقِص من الفضل ويناقض الزهدَ والتوكل والرضا) والتسليم والقناعة، وهنَّ أحوال شريفة (ويحجب عن المقامات الرفيعة) المقدار (ولكنه لا يوجب العصيانَ) في ظاهر الشرع (وههنا دقيقة غامضة) خفية المَدرك (وهو أنه إذا أيسَ من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلُّفه ونقصانه) عن نفسه (فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه) بأحد أمرين: (إما بأن ينال مثل ذلك، أو بأن تزول نعمة المحسود. فإذا انسدَّ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفكُّ من شهوة الطريق الآخَر) وهو زوال نعمة المحسود (حتىٰ إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهىٰ عنده من دوامها عليه؛ إذ بزوالها يزول تخلُّفه وتقدُّم غيره) الذي هو المطلوب (وهذا يكاد لا ينفكُّ القلب عنه، فإن كان بحيث لو أُلقِي الأمر إليه ورُدَّ إلىٰ اختياره لسعىٰ في إزالة النعمة عنه، فهو حسود حسدًا مذمومًا. وإن كان) ممَّن (تَدُعُّه)[1] أي تمنعه (التقوىٰ عن إزالة ذلك فيُعفَىٰ عنه فيما يجده في طبعه من ارتياح إلىٰ زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهًا لذلك من نفسه بعقله ودينه، ولعله المعنيُّ) أي المراد (بقوله ﷺ: ثلاث) خصال (لا ينفكُّ المؤمن عنهن) أي فإنهن لازمات: (الحسد والظن والطِّيرة. ثم قال: وله منهن مَخرج: إذا حسدتَ فلا تبغِ) تقدم قريبًا (أي إن وجدتَ في قلبك شيئًا فلا تعمل به) أي بمقتضاه (وبعيد أن يكون الإنسان مريدًا للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلىٰ زوال النعمة؛ إذ يجد لا محالة له ترجيحًا علىٰ دوامها) إلا مَن عصمه الله منه (فهذا الحد من المنافسة يزاحم) أي يقابل (الحسدَ الحرام، فينبغي أن يُحتاط له فإنه موضع الخطر، ولا أحد إلا وهو يرىٰ) وفي نسخة: وما من إنسان إلا وهو يرىٰ (نفسه فوق جماعة من معارفه وأقرانه) وفي نسخة: وهو يرىٰ فوق نفسه من معارفه وأقرانه (من

---

(١) في ط المنهاج، وم الإمام: تردعه. وهو الصواب.

يحب أن يساويه) وفي نسخة: مساواتهم **(ويكاد ينجرُّ)** وفي نسخة: يجرُّه **(ذلك إلىٰ الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوىٰ)** أي شديده صلبه **(ومهما كان محرِّكه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جرَّه ذلك إلىٰ الحسد المذموم، وإلىٰ ميل الطبع إلىٰ زوال النعمة عن أخيه حتىٰ ينزل هو إلىٰ مساواته إذا لم يقدر هو أن يرتقي إلىٰ مساواته بإدراك النعمة، وذلك لا رخصة فيه أصلاً، بل هو حرام، سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن ذلك يُعفَىٰ عنه ما لم يعمل به إن شاء الله تعالىٰ)** وهو الذي فُهم من الحديث السابق **(وتكون كراهته لذلك من نفسه كفَّارة له)** قال التاج السبكي في قواعده[1] في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية: وفيها دلالة علىٰ أن الحسد كبيرة عند من يقول: الكبيرة ما هُدِّد عليه أو تُوُعِّد عليه. وفيها دلالة علىٰ أنه إذا لم يظهره اللسانُ بل أضمره الجِنانُ لا يعاقَب صاحبه إلىٰ يوم القيامة، فلا يعزَّر في الدنيا ولا يؤاخَذ؛ لأنه من أعمال القلوب التي لا اطِّلاع عليها، فلا يؤاخَذ بها ما لم يظهره بقول أو فعل، ونظير المسألة قول الشيخ أبي حامد: إن من يبغض بقلبه ولا يُظهِر ذلك بقول ولا فعل لا يقدح في شهادته؛ لأن ما في القلب لا يمكن الاحتراز عنه[2]. والله أعلم.

(فهذه حقيقة الحسد وأحكامه.

وأما مراتبه فهي أربعة:

الأولىٰ: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه، وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب انتقال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة) الأحكام **(أو سعة)** العيش **(نالها غيره وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه)** أي ما يكرهه

---

(١) الأشباه والنظائر ٢/ ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٢) ذكره العمراني في البيان ١٣/ ٣١٦.

(فقدُ النعمة) من أصلها **(لا تنعُّم غيره بها.**

الثالثة: أن لا يشتهي عينها، بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالَها كي لا يظهر التفاوتُ بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل) له ذلك **(فلا يحب زوالها عنه.**

وهذا الأخير هو المعفوُّ عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم) وهو محبة زوالها **(وغير مذموم)** وهو طلب مثلها **(والثانية)** التي هي محبة زوال النعمة **(أخف من الثالثة)** التي هي محبة زوالها إن لم يحصل له مثلها. هكذا في النسخ، والأَولىٰ العكس **(والأُولىٰ)** التي هي محبة زوالها عنه وإن لم تنتقل إليه **(مذموم محض)** وقد سمَّاه غاية الخبث **(وتسمية المرتبة الثانية)** هكذا في النسخ، والأَولىٰ: الرابعة **(حسدًا فيه تجوُّزٌ وتوسُّعٌ)** وذلك سائغ في كلام العرب **(ولكنه مذموم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾)** [النساء: ٣٢] وقال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد: ٨] **(فتمنِّيه لمثل ذلك غير مذموم، وأما تمنِّيه عين ذلك فهو مذموم)** فإنه يقتضي زوالَ ذلك العين عنه.

بيان أسباب الحسد والمنافسة

(أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة) ممَّا تنتهي إليه الرغبات (فإن كان ذلك أمرًا دينيًّا فسببه حب الله تعالىٰ وحب طاعته) فهما اللذان ألجآه إلىٰ التنافس فيه (وإن كان دنيويًّا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعُّم بها) والتمتُّع بعلائقها، وهذا ظاهر في كونه مباحًا (وإنما نظرُنا الآن في الحسد المذموم، ومداخله كثيرة جدًّا، ولكن يحصر جملتَها سبعةُ أبواب)[1] وما عداها متفرِّع عنها وآيل إليها، وهي (العداوة، والتعزُّز، والكبر، والتعجُّب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها) فهذا من أصول الأسباب. ثم ذكر وجه الحصر في هذه السبعة فقال: (فإنه إنما يكره النعمة علىٰ غيره إما لأنه عدوه) إما بسبب ديني أو دنيوي (فلا يريد له الخير) مطلقًا (وهذا) هو السبب الأول، وقد قالوا: الذي له عدوٌّ ما له هُدُوٌّ، وذلك (لا يختصُّ بالأمثال) والأقران (بل) قد (يحسد الخسيسُ) أي الدنيء (الملك) أو الأمير (بمعنىٰ أنه يحب زوال نعمته عنه لكونه مبغضًا له بسبب إساءته إليه أو) إساءته (إلىٰ مَن يحبه) فهو يبغضه لأجل ذلك، ويحسده بالمعنىٰ المذكور (وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه، وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه، وهو المراد بالتعزُّز) وهذا هو السبب الثاني (وإما أن يكون في طبعه أن يتكبَّر علىٰ المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته، وهو المراد بالتكبُّر) وهذا هو السبب الثالث (وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرًا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وذلك المنصب، وهو التعجُّب) وهذا هو السبب الرابع (وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته

(١) كذا في الزبيدي وفي الشعب، وضبب ناسخ م الإمام محل لفظه أبواب وكتب فوقها أسباب، وكذا أثبتها محقق المنهاج ٥/ ٦٨٧، وهو الصواب، لأن الإمام يتكلم عن أسباب لا أبواب.

بأن يتوصَّل بها إلىٰ مزاحمته في أغراضه) وهذا هو السبب الخامس (وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبني علىٰ الاختصاص بنعمة لا يساوَىٰ فيها) وهذا هو السبب السادس (وإما أن لا يكون لسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحِّها بالخير لعباد الله) وهذا هو السبب السابع.

(ولا بد من شرح هذه الأسباب) وتفصيلها:

(السبب الأول: العداوة والبغضاء، وهذا أشد أسباب الحسد، فإنَّ مَن آذاه إنسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبُه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقدُ) المستكنُّ في ضميره (والحقد يقتضي التشفِّي والانتقام، فإن عجز المبغِض عن أن يتشفَّىٰ بنفسه أحب أن يتشفَّىٰ منه الزمانُ) بإصابة نكبة من نكباته (وربما يحيل ذلك علىٰ كرامة نفسه عند الله تعالىٰ) أي إنه كريم عند الله، وما صار له من الانتقام بسبب كرامته عليه (فمهما أصابت عدوَّه بليةٌ فرح بها) واستبشر (وظنها مكافأة من جهة الله تعالىٰ له علىٰ بغضه، وأنها لأجله) وقد يكتم ذلك في نفسه فلا يُظهِر ذلك لأحد، وقد لا يكتم بل يتبجَّح به عند الناس ويخبرهم بذلك (ومهما أصابته نعمةٌ) أو عرض له سرورٌ (ساءه ذلك؛ لأنه ضد مراده، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعمَ عليه) وهذه الحالة فالناس واقعون فيها (وبالجملة، فالحسد يلزم البغضَ والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التُّقَىٰ أن لا يبغي) بالقول أو الفعل (وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنسانًا ثم تستوي عنده مسرَّته ومساءته) علىٰ حد سواء (فهذا غير ممكن) إذ لا بد من ترجيح أحدهما علىٰ الآخر (وهذا ما وصف الله الكفار به، أعني الحسد بالعداوة؛ إذ قال) تعالىٰ في حقهم: (﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾) وكل من يغتاظ يعض علىٰ أنامله (﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الآية) [آل عمران: ١١٩ - ١٢٠] وقد تقدم تمامها (وكذلك قال) تعالىٰ في حقهم: (﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ

قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ **الآية** [آل عمران: ١١٨] **والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلىٰ التنازع)** أي التخاصم **(والتقاتل)** بالسلاح **(واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحِيَل)** والخداع **(والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه.**

السبب الثاني: **التعزُّز، وهو أن يثقل عليه أن يترفَّع عليه غيرُه، فإذا أصاب بعضٌ من أقرانه ولاية)** لمنصب **(أو مالاً أو علمًا خاف أن يتكبَّر عليه، وهو لا يطيق تكبرَه، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه، فليس من غرضه أن يتكبَّر، بل من غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلاً ولكن لا يرضىٰ بالترفُّع عليه)** وفي نسخة: بترفُّعه عليه.

(السبب الثالث: الكبر، وهو أن يكون في طبعه أن يتكبَّر عليه ويستصغره) ويستحقره **(ويستخدمه ويتوقَّع منه الانقياد له)** في أموره **(والمتابعة في أغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبُّره، ويترفَّع عن متابعته، وربما يتشوَّف)** أي يتطلَّع **(إلىٰ مساواته أو إلىٰ أن يرتفع عليه، فيعود متكبِّرًا بعد أن كان متكبَّرًا عليه. ومن التعزُّز والتكبُّر كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ؛ إذ قالوا: كيف يتقدَّم علينا غلام يتيم)**(١) من أبويه **(وكيف نطأطئ له رؤوسنا، فقالوا:** ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ يعني مكة والطائف (﴿عَظِيمٍ ۝﴾ [الزخرف: ٣١] **أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتَّبعه)** ويتقدم علينا **(إذا كان عظيمًا)** قال ابن إسحاق في السيرة(٢): إن قائل ذلك الوليد بن المغيرة [قال]: أينزل علىٰ محمد وأُترَك وأنا كبير قريش ويُترَك أبو مسعود عمرو بن عُمَير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين؟! فأنزل الله - فيما بلغني - هذه الآية. ورواه أبو محمد ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس، إلا أنهما قالا: مسعود بن عمرو. وفي رواية

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ١٦٥ ط دار صادر، أفدته من محقق المنهاج.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٥.

لابن مردويه: حبيب بن عمير الثقفي[١]. وهو ضعيف. نقله العراقي[٢] (وقال الله تعالىٰ يصف قول قريش: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾) [الأنعام: ٥٣] يشيرون إلىٰ مَن اتَّبعه ﷺ من المؤمنين (كالاستحقار لهم والأنَفة منهم) حملهم علىٰ ذلك التعززُ والكبر والجبروت.

(السبب الرابع: التعجب، كما أخبر الله تعالىٰ عن الأمم الماضية؛ إذ ﴿قَالُوٓاْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس: ١٥] وقالوا: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون: ٣٤] فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم، فحسدوهم وأحبوا زوال نعمة النبوة عنهم جزعًا) أي خوفًا (أن يفضُل عليهم مَن هو مثلهم في الخِلقة) الظاهرة (لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدُّم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب) أي باقيها (وقالوا متعجِّبين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤] وقالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] فقال تعالىٰ) ردًّا عليهم تعجُّبهم: (﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ الآية [الأعراف: ٦٣، ٦٩].

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد) المحبوبة (وذلك يختصُّ بمتزاحمين علىٰ مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونًا له في الانفراد بمقصوده. ومن هذا الجنس تحاسُد الضَّرَّات) جمع ضَرَّة، وقد تُجمَع علىٰ: الضرائر (في التزاحم علىٰ مقاصد الزوجية) فتطلب كلٌّ منهما الانفرادَ بالزوج من غير مشاركة (وتحاسُد الإخوة في التزاحم علىٰ نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصُّل به إلىٰ مقاصد الكرامة والمال) فيطلب كلٌّ منهم أن يكون مكرمًا

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي ١٣/ ٢٠١ - ٢٠٣. جامع البيان للطبري ٢٠/ ٥٨٠ - ٥٨٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٣٦. تفسير ابن كثير ٧/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) المغني ٢/ ٨٦٨.

عندهما، وأن يخصَّاه بالمال دون غيره (وكذلك تحاسُد التلميذين لأستاذ واحد في نيل المنزلة من قلب الأستاذ) بأن يختصَّ به دون رفيقه (وتحاسُد نُدَماء الملك وخواصِّه في نيل المنزلة من قلبه للتوصُّل به إلىٰ الجاه والمال) وقضاء الأغراض (وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين علىٰ أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال) وإصابة الدنيا (بالقبول عندهم. وكذلك تحاسد العالِمين المتزاحمين علىٰ طائفة من المتفقِّهة محصورين؛ إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصُّل بهم إلىٰ أغراض له.

السبب السادس: حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصُّل به إلىٰ مقصود، وذلك كالرجل يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حبُّ الثناء) الحسن عليه (واستفزَّه الفرح بما يُمدَح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنِّه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصىٰ العالَم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك ممَّا ينفرد هو به، ويفرح بسبب تفرُّده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززًا ولا تكبرًا علىٰ المحسود ولا خوفًا من فوات مقصود سوىٰ تمحُّض(1) الرياسة بدعوىٰ الانفراد، وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلىٰ مقاصد سوىٰ الرياسة، وقد كان علماء اليهود) وأحبارهم (ينكرون معرفة رسول الله ﷺ، ولا يؤمنون به) مع تحقُّقهم أنه نبيٌّ أرسله الله بالحق (خيفةً من أن تبطل رياستُهم) وتقدُّمهم (واستتباعهم مهما نُسخ علمهم.

السبب السابع: خبث النفس وشحُّها بالخير علىٰ عباد الله، فإنك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وُصف عنده حُسن حال عبدٍ من عباد الله فيما أنعم الله به عليه شقَّ عليه ذلك) وساءه (وإذا وُصف له اضطراب أمور الناس

---

(١) في غير الزبيدي: محض.

وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغُّص عيشهم) أي تكدُّره بسبب من الأسباب **(فرح به، فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة الله علىٰ عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه، ويقال: البخيل: من يبخل بمال نفسه، والشحيح: من يبخل بمالِ غيره)** وقيل: البخيل هو الذي يمنع الواجب مع حرص. وقيل: البخيل: من يبخل علىٰ عياله دون نفسه، والشحيح: من يبخل علىٰ نفسه وعياله. وقيل غير ذلك **(فهذا يبخل بنعمة الله علىٰ عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجِبِلَّة)** والفطرة الأصلية **(ومعالجته شديدة؛ لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يُتصوَّر زوالها فيُطمع في إزالتها)** بالمعالجات **(وهذا خبثٌ في الجبلَّة لا عن سبب عارض فتعسُر إزالته؛ إذ تستحيل في العادة إزالتُه.**

فهذه هي أسباب الحسد، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظُم فيه الحسدُ لذلك ويقوَىٰ قوةً لا يقوَىٰ معها علىٰ الإخفاء والمجاملة، بل ينهتك حجابُ المجاملة) لقوة تلك الأسباب **(وتظهر العداوة بالمكاشفة)** أي المجاهَرة **(وأكثرُ المحاسَدات)** التي بين الناس **(تجتمع فيه جملة من هذه الأسباب، وقلَّما يتجرَّد سببٌ واحد منها)** لأن بعضها يجرُّ بعضًا.

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب وتأكُّده، وقلَّته في غيرهم وضعفه

(اعلمْ) وفَّقك الله (أن الحسد إنما يكثُر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، وإنما يقوَىٰ بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر) أي تتقاوَىٰ (إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد؛ لأنه قد يمتنع من قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب) المذكورة (وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون علىٰ الأغراض، فإذا خالف واحدٌ منهم صاحبَه في غرض من الأغراض نفر طبعُه عنه وأبغضه) بقلبه (وثبت الحقد في قلبه) أي رسخ في باطنه (فعند ذلك يريد أن يستحقره) ويستذلَّه (ويتكبر عليه ويكافئه علىٰ مخالفته لغرضه، ويكره تمكُّنه من النعمة التي توصله إلىٰ أغراضه، وتترادف جملةٌ من هذه الأسباب؛ إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين، فلا تكون بينهما محاسَدة، وكذلك في محلَّتين) في بلدة واحدة (نعم، إذا تجاوروا في مسكن) بأن كانا في محلة واحدة (أو سوق أو مسجد أو مدرسة) أو رباط (تواردا علىٰ مقاصد تتناقض فيها أغراضُهما، فيثور من التناقضِ التنافُرُ) في الطباع (والتباغض، ومنه تثور بقية أسباب الحسد) إذ هو أساس تلك الأسباب (فلذلك ترىٰ العالِم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالِم، والتاجر يحسد التاجر، بل الإسكاف) وهو الخَرَّاز (يحسد الإسكاف ولا يحسد البَزَّاز) الذي يبيع القماش من البَز (إلا لسبب آخر سوىٰ الاجتماع في الحرفة) أي الصنعة (ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب) أي الأباعد (والمرأة تحسد ضَرَّتها) أي زوجة بعلها (وسُرِّية زوجها) أي جاريته (أكثر

مما تحسد أمَّ الزوج) أي حَماتها (وابنتَه) وأخته (لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف، فلا يتزاحمون علىٰ المقاصد؛ إذ مقصد البزاز الثروة) أي وفرة المال (ولا يحصِّلها إلا بكثرة الزَّبُون) وهو[1] المشتري؛ لأنه يزبن غيرَه، أي يدفعه عن أخذ المبيع، وهي مولَّدة ليست من كلام أهل البادية (وإنما ينازعه فيها بزَّاز آخر؛ إذ حَرِيف البزاز) أي مُعامِله، والجمع: حُرَفاء، كشريف وشرفاء (لا يطلبه الإسكاف بل البزاز. ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلىٰ طرف السوق، فلا جَرَم يكون حسده للمجاور أكثر) لقربه منه (وكذلك الشجاع) وهو الجريء في الحروب (يحسد الشجاع) مثله (ولا يحسد العالِم) لاختلاف المقاصد (لأن مقصده أن يُذكَر بالشجاعة ويشتهر بها) بين الناس (وينفرد بهذه الخصلة) وهي الشجاعة (ولا يزاحمه العالِم علىٰ هذا الغرض. وكذلك يحسد العالمُ العالمَ ولا يحسد الشجاع) لِما ذكرنا لاختلاف المقاصد (ثم حسدُ الواعظ) علىٰ الكرسي (للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب؛ لأن التزاحم بينهما) أي بين الواعظِين (علىٰ مقصود واحد) هو (أخصُّ، فأصل هذه المحاسدات العداوة) والبغضاء (وأصل العداوة) والبغضاء (التزاحم بينهما علىٰ غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسدُ بينهما) أي بين المتناسبين (نعم، مَن اشتد حرصُه علىٰ الجاه) أي علىٰ حصوله عند عامة الناس (وأحب الصيتَ) أي رفع الذكر (في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كلَّ مَن هو في العالم وإن بعُد عنه ممَّن يساهمه) أي يشاركه (في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا) وحبُّها رأس كل خطيئة، كما ورد (فإن الدنيا هي التي تضيق علىٰ المتزاحمين، أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم) النافع (فلا جَرَم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه فلا يحسد غيره) وفي نسخة: لم يحسد غيره (إذا عرف ذلك أيضًا؛ لأن المعرفة لا

---

(١) المصباح المنير ص ٢٥١.

تضيق على العارفين) باختلاف طبقاتهم في المعرفة (بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم، ويفرح بمعرفته ويلتذُّ به، ولا تنقُص لذةُ واحدٍ بسببِ غيرِه) لعدم التلازُم (بل يحصل بكثرة العارفين زيادةُ الأنس) في المعرفة (وثمرة الإفادة) للغير (والاستفادة) من الغير (فلذلك لا يكون بين علماء الدين) الذين هم في صدر علوم الآخرة (محاسدة) أصلاً (لأن مقصدهم) من اشتغالهم بالعلم تحصيل (معرفة الله) تعالىٰ من طريق الصفات (وهي بحر واسع لا ضِيق فيه) ولا تزاحُم عليه. وأما قولهم «المورد العذب كثير الزحام» فالمراد به كثرة الواردين عليه من غير تزاحم فيه، فإن المورد العذب من حيث هو عذب يَرِدُ عليه القاصي والداني، ولا يزاحم أحدٌ صاحبه لسعته. هذا إن كان المراد به معرفة الله سبحانه، وإلا فالموارد العذبة سواها من شأنها أن يُتزاحَم عليها (وغرضهم المنزلة عند الله) والحظوة لديه (ولا ضِيق أيضًا فيما عند الله؛ لأن أجَلَّ ما عند الله من النعيم لذة لقائه، وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة، ولا يضيِّق بعضُ الناظرين علىٰ بعض) كما ورد في الخبر: «هل تُضامون في رؤية القمر في ليلة البدر ...» الحديث (بل يزيد الأنسُ بكثرتهم. نعم، إذا قصد العلماء بالعلم المالَ والجاه تحاسدوا) لا محالة (لأن المال) هو (أعيان وأجسام إذا وقعت في يدِ واحدٍ خلت عنها يدُ الآخَر) فهذا سبب التحاسد (ومعنىٰ الجاه مَلْكُ القلوب، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالِم انصرف عن تعظيم الآخَر) مطلقًا (أو نقص منه لا محالة، فيكون ذلك سببًا للمحاسدة) ثم ينجرُّ إلىٰ المنافَرة (وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بها، فالفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرىٰ، والعلم في قلب العالِم مستقرٌّ) لا يحول ولا يزول (ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه، وأن المال أجسام وأعيان ولها نهاية) تنتهي إليها (ولو ملك إنسانٌ جميع ما في الأرض لم يبقَ بعده مال يتملَّكه غيرُه، والعلم لا نهاية له، ولا يُتصور استيعابه) علىٰ وجه الإحاطة والكمال (فمَن عوَّد نفسه الفكرَ في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذَّ من كل نعيم) أخرج

أبو نعيم في الحلية[1] عن مالك بن دينار قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قالوا: وما هو يا أبا يحيىٰ؟ قال: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ (ولم يكن ممنوعًا عنه ولا مزاحَمًا فيه، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخَلق؛ لأن غيره أيضًا لو عرف مثل معرفته لم ينقُص من لذته، بل زادت لذَّته بمؤانسته، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت علىٰ الدوام أعظم من لذة مَن ينظر إلىٰ أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة، فإن نعيم العارف وجنَّته معرفتُه التي هي صفة ذاته يأمن زوالَها، وهو أبدًا يجني ثمارها) ويقطف أنوارها (فهو بروحه وقلبه مغتذٍ بفاكهة علمِه) وثمرة معرفته وفهمه (وهي فاكهة) شهيَّة (غير مقطوعة ولا ممنوعة، بل قطوفها دانية) أي قريبة التناول، سهلة المأخَذ (فهو وإن غمض العينَ الظاهرة فروحه أبدًا ترتع في جنة عالية) أي رفيعة المقدار (ورياض زاهرة) أي ذات زهر وثمار، أو نيِّرة مضيئة (فإذا فُرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين) بعضهم لبعض (بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين) جل وعز: (﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾) أي حقد وحسد (﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧] فهذا حالهم وهم بعدُ في) عالَم (الدنيا، فما تظن بهم عند انكشاف الغطاء) ورفع الحجاب (ومشاهدة المحبوب في العقبىٰ؟ فإذًا لا يُتصور أن يكون في الجنة محاسدة، ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة؛ لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا محاسدة، ولا تُنال) أي الجنة (إلا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضًا، فأهل الجنة بالضرورة بُرآء من الحسد) وغيره من أوصاف النقص (في الدنيا والآخرة جميعًا، بل الحسد من صفات المبعَدين) المطرودين (عن سعة عِلِّيين إلىٰ مضيق سِجِّين) والعِلِّيون: درجة من درجات الجنة، والسِّجِّين: طبقة من طبقات الجحيم (ولذلك وُسم به الشيطان اللعين) أي عُلِّمَ به؛ إذ هو أول مَن حسد (وذُكر من صفاته أنه حسد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ ما خُصَّ به من الاجتباء) والاختصاص (ولمَّا دُعي إلىٰ السجود

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨.

استكبر وأبىٰ وتمرَّد وعصىٰ) وإنما حمله علىٰ ذلك وصفُ الحسد **(فقد عرفتَ أنه لا حسد إلا للتوارُد علىٰ مقصود يضيق عن الوفاء بالكل، ولهذا لا ترىٰ الناس يتحاسدون علىٰ النظر إلىٰ زينة السماء)** وما فيها من عجائب الصنع **(ويتحاسدون علىٰ رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلىٰ السماء)** لأن عجائب ملكوت السماء أكثر من عجائب ملكوت الأرض، فلهذه النسبة لا وزن للأرض إذا قوبلت بالسماء، وقد أَلَّف بعضهم في المفاخرة بينهما رسالة، وإلا فالجزء اليسير منها وهي التي ضمَّت جسدَ النبي ﷺ توازن السموات كلَّها والعرش، كما صرَّح به العلماء[١] **(ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار، فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسُد أصلاً)** وقد يقال: إن سبب التحاسد علىٰ الجزء اليسير من الأرض كالبساتين مثلاً إنما هو لكونه ممَّا تملكه اليد، وهو مَظنَّة التزاحم، وأما عجائب السماء فإنها ليست كذلك فلا مظنَّة للتزاحم فيها لا لكونها واسعة الأقطار، فتأملْ ذلك **(فعليك)** أيها المتأمِّل المسترشد **(إن كنت بصيرًا)** بعين قلبك **(وعلىٰ نفسك مشفقًا أن تطلب نعيمًا لا زحمة فيه ولذة لا مكدِّر لها، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السماء والأرض)** فإنَّ النظر فيها ممَّا يقوِّي المعرفةَ بالله **(ولا يُنال ذلك في الآخرة أيضًا إلا بهذه المعرفة أيضًا)** اعلم[٢] أنه لا يحظىٰ مخلوق من ملاحظة حقيقة ذات الله تعالىٰ إلا بالحيرة والدهشة، ونهاية معرفة العارفين عجزُهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنهم لا يمكنهم البتَّة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف اللهَ المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالىٰ، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافًا برهانيًّا - كما سنذكره - فقد عرفوه، أي

---

(١) انظر: الدر المختار ٢/ ٢٥٧ ط العلمية، ومواهب الجليل للحطاب ٤/ ٥٣٣ ط العلمية، ومطالب أولي النهىٰ ٢/ ٣٨٤ ط المكتب الإسلامي، والمواهب اللدنية ٣/ ٦١١ ط التوفيقية، وحاشية الرملي علىٰ الأسنى ١/ ٤٣٨ ط دار الكتاب، وشرح العيني علىٰ البخاري ٢/ ٣٤٥ ط الأميرية.

(٢) المقصد الأسنىٰ للغزالي ص ٤٢ - ٤٤، ٥١ - ٥٦.

بلغوا المنتهَىٰ الذي يمكن في حق الخلق من معرفته. وأما اتساع المعرفة فيكون في معرفة أسمائه وصفاته، والخلق متفاوتون فيها، فبقدر ما انكشف لهم من معلومات الله وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة والمُلك والملكوت تزداد معرفتهم بالله تعالىٰ وتقرُب معرفتُهم من معرفة الحقيقة. وللمقرَّبين من معاني الأسماء والصفات حظوظ ثلاثة:

الأول: معرفة هذه المعاني علىٰ سبيل المكاشفة والمشاهدة حتىٰ تتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتصاف الله بها انكشافًا يجري في الوضوح والبيان مَجرىٰ اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي لا يدركها إلا بمشاهدة باطنه لا بإحساس ظاهره.

الثاني: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال علىٰ وجه ينبعث منه شوقُهم إلىٰ الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقرُبوا بها من الحق قربًا بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهًا من الملائكة المقرَّبين عند الله تعالىٰ.

الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات [والتخلُّق بها] والتحلِّي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربَّانيًّا ورفيقًا للملأ الأعلىٰ من الملائكة، فإنهم علىٰ بساط القرب، فمَن ضرب إلىٰ شبه من صفاتهم نال شيئًا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقرِّبة لهم من الحق.

فمَن كمُلت له هذه الحظوظُ الثلاثة فهو الذي نال نعيمًا لا زحمة فيه ولذَّة لا مكدِّر لها، فأما من كان حظه من معاني ما يتعلق بالله تعالىٰ بأن يسمع لفظًا ويفهم تفسيره في اللغة ووضعه ويعتقد بالقلب وجودَ معناه لله تعالىٰ فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، وهو نقصٌ ظاهر بالإضافة إلىٰ ذروة الكمال (**فإن كنت لا تشتاق إلىٰ معرفة الله ولا تجد لذَّتها وفتر عنها رأيُك وضعفت فيها رغبتُك فأنت في ذلك معذور**) فلن يُتصور أن يمتلئ القلب بالمعرفة إلا ويتبعها شوقٌ وعشق للصفة التي

كانت بابًا لتلك المعرفة، وحرصٌ علىٰ التحلِّي بها لو كان ذلك ممكنًا بكمالها، وإلا فينبعث الشوق إلىٰ القدر الممكن منها لا محالة، ولا يخلو عن الشوق أصلاً إلا لأحد أمرين: إما لضعف اليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال، وإما لكون القلب ممتلئًا بشوق آخر مستغرقًا به (**فالعِنِّين**) الذي لا شهوة له (**لا يشتاق إلىٰ شهوة الوقاع، والصبي**) الذي لم يكمُل تمييزُه (**لا يشتاق إلىٰ لذة المُلك؛ فإنَّ هذه لذَّات يختصُّ بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنَّثين**) المتشبِّهين بالنساء (**وكذلك لذة المعرفة يختصُّ بمعرفتها الرجالُ**) المقرَّبون للحضرة الإلهية، فلهم فيها حظٌّ وافر (﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾) [النور: ٣٧] فهي عندهم في مرتبة التحقيق والانكشاف، وعند غيرهم علىٰ الإيهام والتشبيه والمشاركة في الاسم، كما يقال للعِنِّين: الوقاع لذيذ كالسكر، فهو يصدِّقه، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتَّة، ولكن تشاركها في الاسم (**ولا يشتاق إلىٰ هذه اللذة غيرُهم؛ لأن الشوق**) يكون (**بعد الذوق**) فمَن ذاق اشتاق (**ومَن لم يذُق لم يعرف**) وإليه أشار بعض العارفين[1] بقوله:

مَن ذاق طعم شراب القوم يدريه ومَن دَراه غدا بالروح يشريه

(**ومَن لم يعرف لم يشتَقْ**) لفقدان الذوق الذي هو أصل الشوق، وإليه أشار القائل:

ولو يذوق عاذلي صَبابتي صَبا معي لكنه ما ذاقها[2]

(**ومَن لم يشتَقْ لم يطلب**) لأن طلب الشيء لا يكون إلا بعد الاشتياق إليه،

---

(١) هو ناصر الدين محمد بن عبد الدائم المصري الشافعي المعروف بابن بنت الميلق [المتوفى سنة ٧٩٧] وهذا البيت مطلع قصيدة له في التصوف.

(٢) نسبه ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ١٦/ ٢٣٠ (ط - دار الكتب العلمية) لشمس الدين محمد بن سباع الصائغ الدمشقي، وقبله بيت آخر وهو:

لو تعلم الوُرْق حنيني نحوكم لمزقت من طربٍ أطواقها

كما أن الاشتياق لا يتم إلا بالذوق، والذوق سبيل المعرفة (**وَمَن لم يطلب لم يدرك**) المطلوبَ (**ومن لم يدرك بقي مع المحرومين**) الأشقياء المطرودين (**في أسفل السافلين**) وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: (﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف: ٣٦].

بيان الدواء الذي به يُنفَى مرض الحسد عن القلب

(اعلمْ) أرشدك الله تعالىٰ (أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب) أي هو مرض باطنيٌّ غاية ضرره يتعلق بالقلب (ولا تُداوَىٰ أمراض القلب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقًا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه علىٰ المحسود في الدنيا والدين، بل ينتفع به في الدنيا والدين، ومهما عرفتَ هذا عن بصيرة) ومعرفة كشفية (ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقتَ الحسدَ لا محالة.

أما كونه ضررًا عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاءَ الله تعالىٰ) الذي قضاه علىٰ عباده (وكرهت نعمته التي قسمها لعباده، وأبيت عدله الذي أقامه في مُلكه بخفيِّ حكمته، واستنكرتَ ذلك واستبشعته) أي استقبحته (وهذه جناية علىٰ حدقة التوحيد، وقَذىٰ في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية علىٰ الدين) قال صاحب المجمل: «ناهيك» كلمة تعجب واستعظام، كما يقال: حسبك، وتأويلها: أنه غايةٌ تنهاك عن طلب غيره[1] (وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته) التي أوجبها الله عليك (وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبِّهم الخير لعباد الله، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا) والمصائب والمحن (وزوال النعم، وهذه خبائث في القلوب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب) كما رواه ابن ماجه من حديث أنس، وتقدَّم (وتمحوها) أي تنسخها وتزيلها (كما يمحو الليل النهار.

وأما كونه ضررًا في الدنيا عليك فهو أنك تتألَّم بحسدك في الدنيا وتتعذَّب به،

---

(١) هذا نص الفيومي في المصباح المنير ص ٦٢٩. أما عبارة ابن فارس في مجمل اللغة ص ٨٤٤ فهي: «مررت برجل ناهيك من رجل، كما تقول: حسبك، وتأويلها: أنه غاية تنهاك عن تطلُّب غيره».

ولا تزال في كَمَد وغمٍّ) وحزن (إذ أعداؤك) الذين تحسدهم (لا يخليهم الله عَزَّوَجَلَّ عن نِعم يفيضها عليهم) ظاهرة وباطنة (فلا تزال تتعذَّب بكل نعمة تراها، وتتألَّم لكل بليَّة تنصرف عنهم، فتبقىٰ مغمومًا) مكمودًا (محرومًا، متشعِّب القلب) أي متفرِّقه (ضيق الصدر، قد نزل بك ما تشتهيه لأعدائك وما تشتهي أعداؤك لك) أن تكون كذلك (فقد كنت تريد المحنة) والبليَّة (لعدوك فنجزت) أي حصلت ناجزةً (في الحال محنتُك وغمُّك نقدًا، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك) إذ ليس ذلك بيدك (ولو لم تكن تؤمن بالبعث) والنشور (والحساب) والجزاء (لكان مقتضَىٰ الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد) أي من الاتِّصاف به (لِما فيه من ألم القلب) الذي لا ينفكُّ عنه (ومساءته) وانقباضه (مع عدم النفع) فيه (فكيف وأنت عالِم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة) والوعيد والتهديد (فما أعجب من العاقل كيف يتعرَّض لسخط الله) وغضبه ومَقْته (من غير نفع يناله) في آجله أو عاجله (بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه) طولَ حياته (فيهلك) بذلك (دينه ودنياه من غير جدوىٰ ولا فائدة) تعود إليه منه (وأما أنه لا ضرر علىٰ المحسود في دينه ودنياه فواضح؛ لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدَّره الله من إقبال) وحظ (ونعمة) ومَسرَّة (فلا بد وأن يدوم) ويستمر (إلىٰ أجل معلوم قدَّره الله، فلا حيلة إلىٰ دفعه) وممانعته (بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجلٍ كتابٌ) قد أحصاه وضبطه فلا يتقدم ولا يتأخر (ولذلك شكا نبي من الأنبياء) من بني إسرائيل (من امرأة ظالمة) سليطة اللسان (مستولية علىٰ الخلق، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: فِرَّ من قدَّامها حتىٰ تنقضي أيامُها. أي ما قدَّرناه في الأزل لا سبيل إلىٰ تغييره) وتبديله (فاصبرْ حتىٰ تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها. ومهما لم تَزُل النعمةُ بالحسد لم يكن علىٰ المحسود ضررٌ في الدنيا، ولا يكون عليه إثم في الآخرة. ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي) عليه (وهذا غاية الجهل) ونهاية الحماقة (فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك، فإنك لا تخلو أيضًا عن عدو يحسدك، فلو كانت النعم تزول بالحسد لم تبقَ لله عليك نعمةٌ ولا علىٰ أحد من

الخلق) إذ ما من أحد إلا وهو محسود **(ولا نعمة الإيمان أيضًا)** وهو من أكبر النعم **(لأن الكفار يحسدون المؤمنين علىٰ)** نعمة **(الإيمان)** وغالب بعضهم أباها لذلك **(قال تعالىٰ)**: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩] وقال تعالىٰ: (﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] **إذ ما يريده الحسود لا يكون)** ولا يتم، ولا يكون إلا ما يريده المولىٰ عز شأنُه **(نعم، هو يضل)** أي الحسود يقوم به وصفُ الضلال **(بإرادته الضلال لغيره، فإن إرادة الكفر كفرٌ)** فمَن نوىٰ أنه سيكفر غدًا مثلاً كفر في الحال **(فمَن اشتهىٰ أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنه يريد أن تُسلَب نعمة الإيمان بحسد الكفار)** فإنهم بنص الآية يريدون ذلك **(وكذا سائر النعم)** ممَّا دقَّ وجلَّ **(وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة)** وسوء الفهم **(فإن كل واحد من حمقىٰ الحُسَّاد أيضًا يشتهي أن يُخَصَّ بهذه الخاصية، ولستَ بأَولىٰ من غيرك، فنعمة الله عليك في أن لم تزُل النعمةُ بالحسد ممَّا يجب عليك شكرها، وأنت بجهلك تكرهها. وأما إن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح؛ أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيَّما إذا أخرجك الحسد إلىٰ القول باللسان والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه)** وعيوبه بين الناس **(فهو بمنزلة هدايا تهديها إليه، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتىٰ تلقاه يوم القيامة مفلسًا محرومًا من النعمة كما حُرمتَ في الدنيا من النعمة، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزُل)** عنه **(نعم، كان لله عليه نعمة إذ وفَّقك للحسنات فنقلتَها إليه فأضفتَ إليه نعمة إلىٰ نعمة، وأضفت لنفسك شقاوة إلىٰ شقاوة. وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمُّهم)** ونكدهم **(وشقاوتهم وكونهم معذَّبين مغمومين، ولا عذاب أعظم ممَّا أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك)** أي نهاية ما يتمنَّونه **(أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم، وقد فعلتَ بنفسك ما هو مرادهم)** ومُتمنَّاهم **(ولذلك لا يشتهي عدوُّك**

موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد؛ لتنظر إلىٰ نعمة الله عليه لينقطع قلبك حسدًا، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خُلِّدوا حتىٰ يروا فيك الذي يكمد)
(لا زلتَ محسودًا علىٰ نعمة فإنما الكامل من يُحسَد[1]

أي: يورث فيهم الكَمَد والحزنَ.

ففرحُ عدوِّك بغمِّك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته، ولو علم خلاصَك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبليّة عنده، فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوُّك، فإذًا إذا تأمّلت هذا عرفتَ أنك عدو نفسك وصديق عدوك؛ إذ تعاطيت ما تضرَّرت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة، وصرتَ مذمومًا عند الخلق والخالق، شقيًّا في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة) تتوالىٰ عليه (شئتَ أمْ أبيت) ليس بيدك شيء (باقية، ثم لم تقتصر علىٰ تحصيل مراد عدوك حتىٰ وصلت إلىٰ إدخال أعظم سرور علىٰ إبليس الذي هو أعدىٰ أعدائك) أي أكبر أعدائك (لأنه لمَّا رآك محرومًا من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختصَّ به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة) له (لأن مَن أحب الخيرَ للمسلمين كان شريكًا في الخير) ويشهد له ما رواه الخطيب[2] من حديث جابر: «مَن أحب قومًا علىٰ أعمالهم حُشر يوم القيامة في زمرتهم فحوسِب بحسابهم وإن لم يعمل بأعمالهم»[3] (ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين) من عباد الله الصالحين (لم يفتْه ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك، فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به علىٰ عبده من صلاح دينه

(١) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.
(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٤٣٣.
(٣) فيه إسماعيل بن يحيىٰ وهو من يحدث عن الثقات بالبواطيل، وذكر ابن عدي هذا الحديث من بواطيله، انظر الكامل في الضعفاء ١/ ٤٩٢، ٤٩٣.

ودنياه، فتفوز بثواب الحب، فبغّضه إليك حتىٰ لا تلحقه بحبك) له **(كما لم تلحقه بعملك، وقد قال أعرابي)** أي رجل من [أهل] البادية **(للنبي ﷺ: يا رسول الله، الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم. فقال النبي ﷺ: المرء مع مَن أحب)** أي[١] في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي، وفي الآخرة بالمعاينة والقرب الشهودي، فمَن لم يتحقق بهذا وادَّعىٰ المحبة فدعواه كاذبة.

قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث ابن مسعود.

قلت: ولكن لفظه عندهما: «المرء مع من أحب». قال العلائي: والحديث مشهور أو متواتر لكثرة طرقه.

(وقام أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: يا رسول الله، متىٰ الساعة؟ فقال: ما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله. فقال ﷺ: أنت مع مَن أحببتَ) أي في زمرتهم وإن لم تعمل بعملهم **(قال أنس)** رضي الله عنه: **(فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذٍ.** إشارة إلىٰ أن أكبر بُغيتهم كان حب الله ورسوله. **قال أنس)** رضي الله عنه: **(فنحن نحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم، ونرجو أن نكون معهم)** أي في زمرتهم. قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث أنس.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٦] وأبو داود[٧] والترمذي[٨]

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢٦٦.

(٢) المغني ٢/ ٨٦٨.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٢٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢١٩.

(٤) المغني ٢/ ٨٦٨.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ١٦، ٤/ ١٢٢، ١٢٣، ٣٣١. صحيح مسلم ٢/ ١٢١٨ - ١٢١٩.

(٦) مسند أحمد ٢١/ ٧٦ وفي مواضع أخرىٰ كثيرة.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٧.

(٨) سنن الترمذي ٤/ ١٩٣.

والنسائي[١]. وعند بعضهم: قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء [بعد الإسلام] فرحهم بهذا الحديث. ورواه الدارقطني في السنن[٢] بزيادة «وله ما اكتسب»، وذكر سببه: أن أعرابيًّا جاء فبال في المسجد، فأمر رسول الله ﷺ بمكانه فاحتُفر فصُبَّ عليه دلو [من ماء] فقال الأعرابي: يا رسول الله، المرء يحب القوم ولما يعمل عملهم ... فذكره.

(**وقال أبو موسىٰ**) الأشعري رضي الله عنه: (**قلت: يا رسول الله، الرجل يحب المصلِّين ولا يصلي، ويحب الصُّوَّام ولا يصوم .. حتىٰ عدَّ أشياء، فقال النبي ﷺ: هو مع مَن أحب**) قال العراقي[٣]: متفق عليه بلفظ آخر مختصرًا: الرجل يحب القوم ولمَّا يلحق بهم. قال: «المرء مع مَن أحب»[٤]. انتهىٰ.

قلت: ووُجد بخط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ: وأما هذا اللفظ فعن عبيد بن عمير[٥] مرسلاً.

(**وقال رجل لعمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ (**أنه كان يقال: إن استطعتَ أن تكون عالمًا فكن عالمًا، فإن لم تستطع أن تكون عالمًا فكن متعلِّمًا، فإن لم تستطع أن تكون متعلمًا فأحِبَّهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم. فقال**) عمر بن

---

(١) السنن الكبرىٰ ٥/ ٣٧٦.

(٢) رواه الدارقطني في سننه ١/ ٢٣٩ من حديث ابن مسعود وليس من حديث أنس، وليس فيه الزيادة المذكورة.

(٣) المغني ٢/ ٨٦٨ - ٨٦٩.

(٤) حديث أبي موسىٰ رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٢٣. أما مسلم فقد أشار إليه في صحيحه ٢/ ١٢١٩ ولم يسق لفظه.

(٥) رواه عنه هناد في الزهد ١/ ٢٧٤ بلفظ: «قال رجل: يا رسول الله، رجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلا، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلا، ويحب الذاكرين ولا يذكر إلا قليلا، وفي ذلك يحب الله ورسوله والمؤمنين. قال: هو مع من أحب». هو في جزء حديث سفيان بن عيينة صـ٧٣ ط مكتبة المنار.

عبد العزيز: (**سبحان الله! لقد جعل الله لنا مخرجًا**)[١] وقد أخرج البزار في المسند[٢] والطبراني في الأوسط[٣] من حديث أبي بكرة: «اغْدُ عالمًا أو متعلِّمًا أو مستمعًا أو محبًّا، ولا تكن الخامسة فتهلِك». قال عطاء: قال لي مسعر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا، والخامسة أن تبغض العلم وأهله. وقال ابن عبد البر[٤]: هي مُعاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبَّهم فقد أبغضهم أو قارَبَ، وفيه الهلاك. قال الولي العراقي في المجلس الثالث والأربعين بعد الخمسمائة من أماليه بعد أن رواه من طريق الطبراني عن محمد بن الحسين الأنماطي، عن عبيد بن جُنادة الحلبي، عن عطاء بن مسلم، عن خالد الحَذَّاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ... فذكره: إن هذا الحديث ضعيف، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وعطاء بن مسلم هو الخَفَّاف، وهو ضعيف، وعن أبي داود: ليس بشيء.

(**فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوَّت عليك ثوابَ الحب، ثم لم يَقنع به حتىٰ بغَّضَ إليك أخاك وحملك علىٰ الكراهية حتىٰ أثمتَ**) أي وقعتَ في الإثم (**وكيف لا**) يكون ذلك (**وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب**) فيه (**أن يخطئ**) يومًا في مسألة (**في دين الله وينكشف خطؤه ليفتضح**) بين الناس (**وتحب أن يخرس لسانُه حتىٰ لا يتكلم، أو يمرض حتىٰ لا يعلِّم ولا يتعلَّم، وأيُّ إثم يزيد علىٰ ذلك**)؟ إذا تأملتَ فيه (**فليتك إذا فاتك اللحاقُ به ثم اغتممت بسببه سَلِمت من الإثم وعذاب الآخرة، وقد جاء في الحديث: أهل الجنة ثلاثة: المحسن**) أي في عمله (**والمحب له، والكافُّ عنه**) قال العراقي[٥]: لم أجد له أصلاً (**أي من يكف**

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٤٢ ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٣/ ٥٠٠ عن عون بن عبد الله قال: حدثتُ عمر بن عبد العزيز أنه كان يقال ... الخ. وزادا في آخره: إن قَبِلَ.

(٢) مسند البزار ٩/ ٩٤.

(٣) المعجم الأوسط ٥/ ٢٣١.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٤٨.

(٥) المغني ٢/ ٨٦٩.

عنه الأذىٰ والحسد والبغض والكراهة) فلا يؤذيه بقول ولا فعل، ولا يحسده علىٰ نعمة أوتيها، ولا يبغضه ولا يكره. وروىٰ الديلمي من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسىٰ الرضا عن آبائه عن علي رفعه: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحبُّ لهم بقلبه ولسانه»[1]. وقد سمعت هذا الحديث من لفظ الشريف الأجلِّ عميد السادة أبي قناع محمد بن مغامس ابن أبي نمي الحَسني رحمه الله تعالىٰ بمصر **(فانظر كيف أبعدك إبليسُ عن جميع المداخل الثلاثة حتىٰ لا تكون من أهل واحد منها ألبتة)** وهو أن تعمل عملهم أو تحبهم أو تكفَّ عنهم **(فقد نفذ فيك حسدُ إبليس، وما نفذ حسدُك علىٰ عدوك بل علىٰ نفسك)** خاصةً **(بل لو كوشفتَ بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجرًا إلىٰ عدوه ليصيب به مقتله)** أي الموضع الذي إذا أصابه ذلك الحجر قتله **(فلا يصيبه بل يرجع علىٰ حَدَقته اليمنىٰ فيقلعها فيزيد غضبُه)** ثانيًا **(فيعود ثانيةً ويرميه أشد من الأولىٰ فيرجع)** الحجر **(علىٰ عينه الأخرىٰ فيعميها فيزداد غيظُه فيعود)** مرة **(ثالثة)** فيرمي الحجر **(فيعود علىٰ رأسه فيشجه)** ويدميه **(وعدوُّه سالم في كل حال)** لم يصبْه شيءٌ **(وهو إليه راجع مرةً بعد أخرىٰ، وأعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه، وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا؛ لأن الحجر العائد بعد الرمي لم يفوت إلا**

---

(١) كنز العمال ١٢/ ١٠٠، ١٥/ ٨٦٨. وقال ابن حجر في لسان الميزان ٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨: «داود بن سليمان الجرجاني الغازي. عن علي بن موسىٰ الرضا وغيره، كذبه يحيىٰ بن معين، ولم يعرفه أبو حاتم، وبكل حال فهو شيخ كذاب له نسخة موضوعة عن علي بن موسىٰ الرضا رواها علي بن محمد بن مهرويه القزويني الصدوق عنه قال: حدثنا علي بن موسىٰ ، أخبرنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا: أربعة أنا أشفع لهم يوم القيامة ولو أتوني بذنوب أهل الأرض: الضارب بسيفه أمام ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه».

العين، ولو بقيتْ لفاتت بالموت لا محالة، والحسد يعود بالإثم، والإثم لا يفوت بالموت، ولعله يسوقه إلىٰ غضب الله وإلىٰ النار) إن لم يتُب منه **(فلأنْ تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقىٰ له عينٌ يدخل بها النار فيُذهِبها لهبُ النار)** وفي نسخة: فيقلعها لهيب النار **(فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يُزِلها عنه، ثم أزال نعمة الحاسد؛ إذ السلامة من الإثم نعمة)** من الله تعالىٰ (و) كذا **(السلامة من الغم والكَمَد نعمة)** من الله تعالىٰ **(وقد زالتا عنه تصديقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾** [فاطر: ٤٣] **وربما يُبتلَىٰ)** الحاسد **(بعين ما يشتهيه لعدوه، وقلَّما يشمت شامت بمساءة إلا ويُبتلَىٰ بمثلها)** ففي الخبر: «لا تُظهِر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك». وتقدم قريبًا **(قالت عائشة ﵂: ما تمنَّيتُ لعثمان)** ﵁ **(شيئًا إلا نزل بي، حتىٰ لو تمنَّيت له القتل لقُتلتُ)**[1] وكان سبب كلامها فيه كثرة ما كان يبلغها من الشكاية في حقه من قِبَل جور عمَّاله وإبقائهم علىٰ أعمالهم، فكانت كغيرها من الصحابة يغضبون بذلك منه **(فهذا إثم الحسد نفسه فكيف بما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفِّي من الأعداء)** والانتصار منهم **(وهو الداء الذي به هلكت الأمم السالفة.**

فهذه هي الأدوية العلمية، فمهما تفكَّرَ الإنسان فيها بذهن صافٍ) عن كدر الغش **(وقلب حاضر انطفأت من قلبه نارُ الحسد)** في الحال **(وعلم أنه مُهلِك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغِّص عيشه)** ومشتِّت حاله، وقد تقدم بيان ذلك.

(وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسدَ، فكل ما يتقاضاه الحسد من

---

(١) رواه بهذا اللفظ عمر بن شبة في تاريخ المدينة ص ١٢٣٥. ورواه أبو داود في الزهد ص ٢٧٩ والطبراني في مسند الشاميين ٤/ ٢٠١ وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٤٧ بلفظ: «يا ليتني كنت نسيا منسيا قبل أن يكون من أمر عثمان الذي كان، والله ما أحببت أن ينهتك من عثمان شيء إلا وقد انهتك مني مثله، حتىٰ إني لأظن لو أحببت قتله لقتلت».

قول وفعل فينبغي أن يكلِّف نفسَه نقيضَه) وضده (فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلَّف نفسه المدحَ له والثناء عليه) فالقدح والمدح نقيضان إذا حلَّ أحدُهما ارتحل الثاني (وإن حمله على التكبُّر عليه ألزم نفسَه التواضعَ له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه. فمهما فعل ذلك عن تكلُّف وعرفه المحسود طاب قلبُه وأحبه، ومهما ظهر حبُّه عاد الحاسد وأحبه، وتولَّدت من ذلك الموافقةُ التي تقطع مادة الحسد؛ لأن التواضع و) حُسن (الثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعَم عليه ويسترقُّه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه) ويصفو ظاهره (ويصير ما تكلَّفه أولاً) أي في أول مرة (طبعًا آخرًا) أي في آخر مرة (ولا يصدَّنَّه) أي لا يمنعه (عن ذلك قولُ الشيطان له) فيما يوسوس إليه: (لو تواضعتَ وأثنيت عليه حمله العدوُّ على العجز) منك (أو على النفاق أو الخوف، وأن ذلك مذلَّة ومهانة، فإنَّ ذلك من خِدَع الشيطان ومكائده) فإنما مقصود الشيطان أن تكون العداوة والبغضاء بين المسلمين على الأبد (بل المجاملة) على أيِّ حال (تكلُّفًا كانت أو طبعًا تكسر سَوْرة العداوة) أي شدتها وثورتها (من الجانبين وتفلُّ) أي تكسر (غَرْبها) أي حدَّتها (وتعوِّد القلوبَ) أي تحركها إلى (التآلُف والتَّحابِّ) والتوادُد (وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغمِّ التباغض.

فهذه هي أدوية الحسد) علمًا وعملاً (وهي نافعة جدًّا، إلا أنها مرة على القلوب جدًّا، ولكن النفع في الدواء المر، فمَن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينلْ حلاوة الشفاء، وإنما تهون مرارة هذا الدواء، أعني التواضع للأعداء أو التقرُّب إليهم بالمدح والثناء) أو ببذل الإحسان وغير ذلك (بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها) بأن يتحقق بها حتى تنكشف له انكشافًا برهانيًّا (وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله) وقدره والتسليم لأوامره (وحب ما أحبه، وعزة النفس وترفُّعها عن أن يكون في العالَم شيء على خلاف مرادها) أي النفس (جهل) وغباوة (وعند ذلك يريد ما

لا يكون) مما تبذره القدرة **(إذ لا مَطمع في أن يكون ما يريد، وفوات المراد ذل وخسَّة، ولا طريق إلىٰ الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد، أو بأن تريد ما يكون. والأول ليس إليك، ولا مَدخل للتكلُّف والمجاهدة فيه)** أبدًا، ومن ذلك قولهم: الرب يريد، والعبد يريد، ولا يكون في الكون إلا ما يريد **(وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل، وتحصيله بالرياضة ممكن، فيجب تحصيله علىٰ كل عاقل)** وأن يمرِّن نفسَه بجريانها تحت مجاري الأقدار، ويكلِّفها بالرضا والتسليم حتىٰ تكون إرادتها تابعة لإرادة الحق سبحانه وترضىٰ بما يكون **(هذا هو الدواء الكلي)** بطريق الإجمال **(فأما الدواء المفصَّل فهو تتبُّع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص علىٰ ما لا يغني)** والتنافر والبغضاء وغير ذلك فيستأصلها من أصلها **(وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها)** اللائقة من هذا الكتاب **(إن شاء الله تعالىٰ، فإنها)** أي تلك الأسباب **(مواد هذا المرض، ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة)** التي منها نشأ ذلك المرض **(فإن لم تُقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين)** في الجملة **(وتطفئة، ولا يزال)** المرض **(يعود مرةً بعد أخرىٰ ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء موادِّه، فإنه ما دام محبًّا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهوِّن الغم علىٰ نفسه)** ويخفيه **(ولا يُظهِر بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأسًا فلا يمكنه. والله الموفِّق)**.

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن المؤذي ممقوت بالطبع) أي يبغضه الناس طبعًا (ومَن آذاك) بوجه من الوجوه في نفسك أو من عليه حياطتك (فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبًا، فإذا تيسَّرت له نعمةٌ) من الله تعالىٰ (فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتىٰ يستوي عندك حُسنُ حال عدوك وسوء حاله، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة) وتمييزًا (ولا يزال الشيطان ينازعك إلىٰ الحسد له) ويسوِّل لك في تحسينه (ولكن إن قويَ ذلك فيك حتىٰ بعثك) أي حملك (علىٰ إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يُعرَف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت) حينئذٍ (حسود، عاصٍ بحسدك، وإن كففتَ ظاهرك) من القول والفعل (بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة) عن المحسود (وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضًا) في هذه الحالة (حسود عاصٍ، فإن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر: ٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩] وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾) الآية [آل عمران: ١٢٠] فهذه الآيات دالَّة علىٰ أن الحسد من صفات القلب (أما الفعل فهو غِيبة وكذب، وهو عمل صادر عن الحسد، وليس هو عين الحسد، بل محل الحسد القلب دون الجوارح) فالقلب مستقرُّه، والجوارح مظاهر آثاره (نعم، هذا الحسد ليس مَظلمة يجب الاستحلال منها) كما قلنا في الغيبة (بل هي معصية بينك وبين الله تعالىٰ، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة علىٰ الجوارح) كالغيبة والنميمة والشتم ونحوها (فأما إذا كففتَ ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبَك كراهةَ ما يترشَّح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتىٰ كأنك مقتَّ نفسَك علىٰ ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد

أدَّيت الواجب عليك) وأتيت بالميسور منه **(ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمُّه بما تيسَّر لهما من نعمة أو تنصَّبَ عليهما من بليَّة سواءً فهذا مما لا يطاوع الطبعُ عليه ما دام ملتفتًا إلىٰ حظوظ الدنيا)** ومختلطًا بدواعيها **(إلا أن يكون مستغرقًا بحب الله تعالىٰ)** مستهترًا بذكره **(مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلىٰ أن لا يلتفت قلبه إلىٰ تفاصيل أحوال العباد، بل ينظر إلىٰ الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة، ويرىٰ الكلَّ عبادَ الله، وأفعالَهم أفعالًا لله، ويراهم مسخَّرين)** ولا يتم ذلك إلا بعد الترقِّي من حضيض المجاز إلىٰ ارتفاع الحقيقة واستكمال المعراج، فيرىٰ ما ذُكر بالمشاهدة العيانية، وتنتفي عنه الكثرة بالكلية، ويستغرق بالفردانية المحضة، فلا يبقىٰ فيه متسَع لغير الله تعالىٰ. ثم في نظره إلىٰ الكل بعين الرحمة تفصيل: فإن كان ممَّن يصرف الغافلين إلىٰ الله تعالىٰ بطريق اللطف وينظر إلىٰ العصاة لا بعين الازدراء فهو في تجلِّي اسمه «الرحمن»، وإن كان ممَّن لا يَدَع فاقة لمحتاج إلا سدَّها بقدر طاقته أو شاركه في الحزن بسبب حاجته فهو في تجلِّي اسمه «الرحيم» **(وذلك إن كان)** أي وُجد **(فهو كالبرق الخاطف لا يدوم)** مع العارف ولا يستمر بل تارة وتارة **(ثم يرجع القلب بعد ذلك إلىٰ طبعه)** الذي جُبل عليه **(ويعود العدو إلىٰ منازعته، أعني الشيطان، فإنه ينازع بالوسوسة)** ويسوِّل له ما يوافق هوىٰ النفس **(فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبَه هذه الحالة فقد أدَّىٰ ما كُلِّفه)** فإنَّ هذا القدر هو الذي يدخل تحت الاختيار **(وقد ذهب ذاهبون إلىٰ أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد علىٰ جوارحه؛ لِما رُوي عن الحسن)** البصري رحمه الله تعالىٰ **(أنه سُئل عن الحسد، فقال: غُمَّه فإنه لا يضرُّك ما لم تبدِه)** تقدم قريبًا بلفظ: سأل رجل الحسن: هل يحسد المؤمنُ؟ قال: ما أنساك بني يعقوب، نعم، ولكن غُمَّه في صدرك، فإنه لا يضرُّك ما لم تَعْدُ به يدًا أو لسانًا **(ورُوي عنه موقوفًا)** عليه **(ومرفوعًا إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: ثلاثة لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مَخرج، فمخرجه من الحسد أن لا**

يبغي) أما الموقوف وهو مرسَل الحسن فرواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد ورُسْته في كتاب الإيمان له بلفظ: ثلاث لم تَسلم منها هذه الأمَّة: الحسد والظن والطيرة، ألا أنبئكم بالمخرج منها؟ إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغِ، وإذا تطيَّرت فامضِ. وأما المرفوع فبلفظ: «ثلاث لازمات لأمَّتي: سوء الظن والحسد والطِّيرة، فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فاستغفِر الله، وإذا تطيَّرت فامْضِ». هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ والطبراني في الكبير من حديث حارثة بن النعمان. وقد تقدَّم ذِكرُ كلٍّ من اللفظين قريبًا **(والأولىٰ أن يُحمَل هذا علىٰ ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع)** وميله **(لزوال نعمة العدو، وتلك الكراهة تمنعه من البغي)** عليه **(و)** من **(الإيذاء له، فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد)** ممَّا تقدم ذِكرُ بعضها **(يدل ظاهره علىٰ أن كل حاسد آثم)** علىٰ الإطلاق **(والحسد عبارة عن صفة القلب لا من الأفعال)** الصادرة عن الجوارح **(فكل محب مساءة المسلمين)** ومَضرَّتهم **(فهو حاسد، فإذًا كونه آثمًا بمجرَّد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد، والأظهر)** من القولين **(ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنىٰ؛ إذ بعيد أن يُعفَىٰ عن العبد في إرادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليها من غير كراهة لها، وقد عرفتَ من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال، إحداها: أن تحب مساءتهم بطبعك)** من حيث مجانسته للنفس **(وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك)** أي تبغضها **(عليه وتودُّ لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل عنك، وهذا معفوٌّ عنه قطعًا)** أي من غير شك فيه **(لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه. الثانية: أن تحب ذلك وتُظهِر الفرح بمساءته)** وغمِّه **(إما بلسانك)** بالقدح والشتم ونحوه **(أو بجوارحك)** أي بفعلها **(فهذا هو الحسد المحظور قطعًا)** أي من غير شك فيه **(الثالثة، وهو بين الطرفين: أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك علىٰ حسدك ومن غير إنكار منك علىٰ قلبك)** ولا الكراهة له **(ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة**

الحسد في مقتضاه) من القول والعمل **(وهذا في محل الخلاف)** فمن ذاهب إلىٰ أنه لا يأثم، ومن ذاهب إلىٰ أنه يأثم **(والظاهر أنه لا يخلو من إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه)** فإذا كان حبه له قويًّا كان الإثم كذلك، وإن كان ضعيفًا كان الإثم كذلك **(والله أعلم)** وبه تم كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد أفضل المخلوقات وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا.

كان الفراغ منه في الأول من نهار الثلاثاء، سادس عشر صفر الخير من شهور سنة مائتين وألف، علىٰ يد مسوِّده محمد مرتضىٰ الحسيني، غفر الله له بمَنِّه وكرمه ... آمين. والحمد لله رب العالمين.

فهرس كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

٢٥ - كتاب ذم الغضب والحقد والحسد